آداب من القرآن

السيد عبد الحسين دستغيب

الدار الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع

آداب من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

المركز الرئيسي: بيروت - كورنيش المزرعة - الحسن سنتر
هاتف ٨١٦٦٢٧ ص.ب. ١٤/٥٦٨٠
فرع حارة حريك. مفرق الحلباوي.

«١»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين ، الغالب لمقال الواصفين ، الظاهر لعجائب تدبيره للناظرين ، الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وأشرف السفراء المقربين ، حبيب إلٰه العالمين ، أبي القاسم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ، الذين أذهب الله عنهم الرّجس ، وطهّرهم تطهيراً ، سيما على إمام العصر ، عجّل الله تعالى فرجه ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين ، إلى يوم الدين ، **﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾**(١) .

الشكر على نعمة الحياة ، ومعرفة معاني شهر رمضان المبارك :

الشكر لله الذي وهبنا نعمة الحياة ، هذه النعمة التي يجب إدراك معناها ، والغوص في أعماقها ، فهي تتجسّد في عمر الإنسان ، لذلك علينا أن نستغلّ هذا العمر ، بأحسن طريقة ممكنة ، لأنه عندما ينتهي العمر ، تنتهي معه صفحات حياتنا ، وعندما تنحبس الأنفاس في الصدور ، لا تعود للتوبة أي دور في محو المعاصي ، ولا للثواب أي قدرة على الإزدياد .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٣ .

صدق من قال بأنَّ كلَّ نفس نتنفسّه هو جوهرة تأخذ طريقها في الصعود نحو السماء .

إن عملية التنفس هي نعمة كبيرة ، تحتوي قيماً ومعاني سامية ، لا يعرف الإنسان كنهها في حياته . ولكن بعد الموت يتوضّح كل شيء . إذ تبين لنا ظلمة القبر تلك المعاني السامية التي لم نعرف استغلالها بشكلٍ إيجابي ، لنستفيد منها في حياتنا . عندها نقول : يا إلهي ! الآن عرفت معنى الحياة ، وأهمية عمر الإنسان في هذه الحياة ، الآن عرفت ، أرجعني يا إلهي إلى الدنيا كي أستفيد من عمري كما يجب ، كي أُوجّه ساعات حياتي خير اتّجاه ﴿ ربِّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً ﴾[1] . ولكن يقال له : كلّا ، لقد انتهى الأمر ، لا يحق لأي إنسان أنْ يعيش أكثر من مرة واحدة ، هل كان لأحد غيرك عمرين كي يكون لك أنت أيضاً عمرين ؟ انتهى عمرك بالموت ! فما زرعته في حياتك ، تجده الآن هنا في مماتك .

علينا إذن أَنْ نعرف نعمة العمر . جاء شهر رمضان ليدخل ثانية في مسار عمرنا ، تذكروا الذين كانوا معنا في السنة الماضية ، وأصبحوا الآن تحت التراب ، إنَّ من هو أصغر منا سناً ، جاء أجله ومات ، فنحن الذين أطال الله تعالى بعمرنا ، لنتنعَّم ثانية ببركة شهر رمضان . كم مرة يجب أن نشكر الله ونحمده ، قائلين : الحمد لله رب العالمين !؟

كنت أريد من كلامي هذا أَنْ أحملكم على الشكر ، فاشكروا الله على نعمة الحياة ، هذه النعمة التي جاءتكم بشهر رمضان مرة ثانية ، وأدخلت البركة إلى بيوتكم ، فادعوا لموتاكم ، لأنه قد نوّه بمسألة الدعاء للأموات في هذا الشهر الفضيل ، هذا الشهر الذي ينتظر فيه الميت أكثر من أي وقت آخر ، الدعاء له ، وتوزيع الخيرات عن روحه .

---

(١) ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربي ارجعون * لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ سورة المؤمنون : الآية ٩٩ ـ ١٠٠ .

أفضل الأذكار هو الصلاة :

علينا أَنْ نكثر في هذا الشهر المبارك من الصلاة على محمد ، وآل محمد ، في أيامه ولياليه ، وبالأخصّ في ليلة الجمعة ونهاره ، بحيث يصل عدد الصلوات إلى ألف مرة في كل جلسة ذكر ، ونصلي أيضاً على محمد ، وآل محمد ، وتعجيل فرجهم مئة مرة بعد صلاة العصر . ولا شك في أنّه أفضل الأذكار التي وردت حول ليلة الجمعة ونهاره ، وهي الصلاة على محمد وآله . وهذه الرواية كافية كي تؤكد لنا ذلك :

يقول شيخ الطائفة رئيس المحدثين (الشيخ الصدوق)[1] عليه الرحمة في كتاب (الأمالي) عن سند متصل : بأنّه في عصر يوم الخميس ، تهبط على الأرض مجموعة من الملائكة ، في يد كل منها دفتر فضي ، من فضة الجنة ، وقلم ذهبي من ذهب الجنة ، تقوم بتسجيل الصلاة على محمد وآله ، لتعود وتصعد إلى السماء عصر يوم الجمعة . اللهم صلّ على محمد ، وآل محمد .

تفسير سورة الحجرات مناسب جداً :

﴿ شهرُ رمضانَ الَّذي أُنْزِلَ فيه القُرآن ﴾[2] : بما أَنَّ هذا الشهر هو شهر القرآن ، فإنّي سأتحدث عن القرآن ، لقد طلب مني تفسير سور عدة منها (سورة الحجرات) المباركة ، من أجل أَنْ يستفيد الجميع من معاني تلك السورة ، وليصل إلى آذان الكل المعاني القرآنية والوحي الإلهي .

الوحي الإلهي اليوم منحصر بالقرآن المحمدي (صلى الله عليه وآله)، قبل أن أبدأ بهذه السورة المباركة، أريد في هذا اليوم، الذي هو أول يوم في شهر رمضان المبارك ، أَنْ أُذكركم بما قاله خاتم الأنبياء محمد

---

(١) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بـ (الصدوق) (ت ٣٨١ هـ) وكتابه الأمالي مطبوع .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

المصطفى (صلى الله عليه وآله) في خطبة آخر جمعة من شهر شعبان ، أريد أَنْ أذكركم بشكل مفهرس غير مطول ، عما قاله (صلى الله عليه وآله) وبعدها نبدأ بالسورة المباركة .

أهمية وبركة شهر رمضان :

يقول (إبن بابويه) بسند متصل في كتاب (الامالي) : « أيُّها الناس قد أقبل إليكم شهر الله بالرحمة والمغفرة والبركة » ، أيّها الناس إفرحوا في هذا الشهر ، لقد أطلّ شهر الله ، لقد أطلّ برحمته ، ومغفرته ، وبركته .

البركة تعني أَنْ تزيد الفوائد أضعافاً مضاعفة . يا أيها الناس أي بركة أكبر وأعمق من بركة شهر رمضان المبارك ! أيها الصائم في شهر رمضان المبارك ، النَفَس الذي تتنفسه فيه أجر وثواب . « أنفاسكم فيه تسبيح » وكذلك النوم الذي هو بمثابة عبادة في هذا الشهر المبارك « ونومكم فيه عبادة » إنَّ قراءة آية واحدة من القرآن الكريم ، في شهر رمضان ، تعادل ختم قرآن بكاملة في الأشهر الأخرى ، كما أَنَّ أداء ركعتي صلاة واجبة في شهر رمضان ، يزيد أجرها وثوابها سبعين مرة عن الأشهر الأخرى .

منع أعضاء الجسم من ارتكاب المحرمات :

يجب على كل إنسان أَنْ يحاول تقوية الجوانب المعنوية والروحية في ذاته ، والتغلب على الجوانب المادية والحيوانية ، ليتجنب الوقوع في المعاصي ، فعلى المؤمن إذن أَنْ يتغلَّب على نفسه ، فيضبط مثلاً لسانه ، ليغلق باب جهنم عن نفسه ، لأنَّ اللسان هو أساس كل معصية ، إنّه باب جهنم ، فبضبط اللسان يتم التغلب على الغيبة ، والنميمة ، والفتنة ، ونقل الكلام من لسان هذا الشخص إلى ذاك .

والأعين التي كانت مشدودة نحو باب جهنم ، لقد تمّ إغلاقها أمام أية معصية ، لأَنَّ الصائم لا يمكن أَنْ يخون عينيه ، وينظر إلى مناظر محرمة ، حتى ولو كان ينظر إليها قبل شهر رمضان .

كما أَنَّ الآذان التي كانت مشدودة نحو باب جهنم ، لقد سُدَّت أيضاً أمـام المعاصي ، منـذ اليوم الأوّل من شهـر رمضان ، والأرجـل التي كانت والعياذ بالله تطأ الأماكن المحرمة ، عرفت طريقها نحو الصراط[1] .

إذن لو أردنا أَنْ نتحـدث عن بركـة هذا الشهـر للاحـظنا بـأنها كثيرة وكثيرة جداً ، يكفي أَنْ تعـرفوا بـأن زين العابـدين (عليه السـلام) قال : « السلام عليك يا عيد الأولياء » فشهر رمضان إذن هو عيـد العقلاء، بينـما عيد (نوروز) هو عيد الصبية والأطفال . إنَّ عيد عبدة الشهوات ، وعبدة البطون ، هو اليوم الذي يشعرون فيه بـأنَّ حاجـاتهم الحيوانيـة قد أشبعت واكتملت بالأكل ، والشرب ، وسائر الملذات المادية ، التي يقـدسونها . إنَّ عيد العقلاء هـو اليوم الـذي يشعر فيـه الإنسان بـأنَّ روحه تسمـو وترتفـع بالروحانية ، وليس بملء البطن بالمآكل الشهية ، وبلوغ الملذات التي تسيطر عـلى المرء ، وتنـزع منه إنسـانيته ، وتجعله كبقـرة تسعى دائماً إلى الأكـل ، والإجـترار ، وكسب اللذة منها ، وتكـون هى السبـاقـة في ذلـك . تقتصر أهميـة الأكـل ، والشرب ، والنـوم ، عـلى تـأمـين الحـاجـة الضروريــة . فنحن نأكل ، ونشرب ، وننام ، لكي نعيش ، وليس العكس !

اليقظة ومعرفة الذات :

عنـدما يـأتي شهر رمضـان تكون قـد ابتعدت بمـا فيـه الكفـايـة عن الروحانيات ، ونسيت محاسبة النفس ، فيأتي الشهر الكريم ، وتلتقي ثـانية مـع الذات متسـائلاً : من أنت ؟ إذ إنَّ شهـر الصيـام هـو لمعـرفـةالـذات والـروح ، وليس الجسـد واللحم ، والـدم ، فتلك العنـاصر هي المـادة ، وواقعك وذاتك يختلفان عنها في الجـوهر . من العـرش الأعلى يصلك نـداء الحق ، هـذا النداء الـذي يدعـو للمكاشفـة ، في شهر رمضـان عليـك أَنْ تضعف الجـانب الحيواني فيـك ، وتهمل الأكـل ، والنـوم ، والشهـوات ، والثرثرة ، وغير ذلك ، وتغلق على نفسك باب الغريـزة ، وتقوي بـالمقابـل

---

(١) الصراط : الطريق المستقيم .

الروح ، وتتجلى بفكر يقظ مستنير ، إلى أنّ تلفظ بكامل الإيمان والمعرفة : أشهد أنْ لا إله إلا الله ، فتصل إلى مرتبة اليقين ، مرتبة العلم والتوحيد ، إذ متى يكتسب الإنسان روحاً إنسانية ؟ يكتسبها بتقوية الجوانب الروحية في النفس ، ودحر الجوانب الحيوانية فيه .

التخمة تناقض الروحانية :

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) نقلاً على ما جاء في (فروع الكافي) : أسوأ الحالات إلى الله عندما يكون الإنسان ممتلىء البطن ، لأنه بذلك يبتعد عن الروحانية ، ويصبح كالحيوان تماماً ، لأن الإنسان الذي يعيش ليأكل يصعب التفريق بينه وبين الحيوان ﴿ **إنّما يأكلون كما تأكل الأنعام ، والنار مثوى لهم** ﴾[1] . لنأتي مجدداً إلى الحديث عن شهر رمضان المبارك ، وعن بركاته التي لا تعدّ ولا تحصى . يجب عليك أيها المسلم أَنْ تسجد ، وتحمد ربك ، وتشكره ، على إبقائه إيَّاك حياً ، لتعيش مرة ثانية حلاوة شهر رمضان ، وتتنعم بنعمائه الكثيرة ، وتفرح في أيامه ولياليه ، لأنه عيد الله ، عيد أوليائه . إن الله يجزيكم في هذا الشهر المبارك على كل شيء تفعلونه ، على صيامكم ، على القيام في وقت السّحور ، على صلاتكم ، على قراءتكم القرآن ، على أنفاسكم ، على تذكيراتكم ، على الخيرات التي توزعونها على أي عمل خير تقومون به .

صلة الرحم والرحمة الإلهية :

من أهم الأعمال التي يجب أَنْ نقوم بها في هذا الشهر الفضيل ، وبناءً على توصيات الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) « صلوا أرحامكم حتى يصل الله رحمته إليكم » ، هي مسألة صلة الأرحام ، فإذا كنا نريد من الله الخير والبركة ، علينا أَنْ لا ننسى صلة الرَّحم والوقوف على أوضاع

---

(١) ﴿ إنَّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ، والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ سورة محمد : الآية ١٢ .

الأهـل والأقربـاء . فإذا كـان أحدهم فقيـراً علينا أنْ نخفف عنـه في هـذا الشهـر الفضيل ، علينـا أَنْ نقيم على شرفـه المـآدب . من هم الأشخـاص الذين نرتبط معهم بصلة الـرحم ؟ الأب ، والأم ، وكل من يتصـل بهما ، ويـرجـع إليهـما ، من أخ ، وأخت ، وأولاد الأخ ، وأولاد الأخـت حتى الأعـمام ، والأخوال ، والعـمات ، والخالات ، إن صلة الـرحم واجبة مـع هؤلاء الأشخاص ، وبالأخص في شهر رمضان المبارك ، نقوم بصلة الرحم كي ينعم علينا الله برحمته وبركته .

الفساد وأثره على الترابط العائلي :

نـلاحظ في بعض الـدول الكبـيرة بـأَنَّ تـدهـور القيم والعـلاقـات الإجتـماعية فيهـا ، أدت إلى التَّفتت العائـلي ، وإلغـاء كلمـة « الـرَّحم » ، بحيث لم يعـد يعـرف من هـو الأب ومن هي الأم ، ومن هم الأخـوة ، والأخـوات والعمات ، والخـالات ، و . . . وكل ذلـك كان نتيجـة طبيعيـة لحرية الزنا ، وممارسة الأعمال اللاّ أخلاقية والغير شرعية . لقد كتبت إحدى المجلات منذ عدة سنوات ، بأنَّه يولد سنـوياً في (لنـدن) (٥٠ ألف) ولد حرام ، ٥٠ ألف ولد مجهولي الهوية ، يتم تحويلهم إلى الدولة . هذا الكلام يـرجـع إلى أكـثر من عشرين سنـة ، فكيف هي الحـال اليـوم ؟ إنَّ هؤلاء (البناديق) يصبحون فيما بعد رؤساء يتحكمون بمصير الشعوب !!

لقد نقل لي أحد الأصدقاء أنه في بـلاد الغرب يـوصي بعض الأغنياء على أَنْ تنتقل أمواله من بعده إلى كلابه ، تعجبت كثيراً من هـذا الكلام ، وقلت لـه : ألا يملك هؤلاء الأشخـاص أولاداً ؟ قـال : بـلى ، ولكنهم لا يعتبرون أولادهم جـزءً منهم . إنَّ سـماع كلامٍ من هـذا النوع يجعلنـا نقدّر تعاليم الإسلام ، ونتمسك بها أكثر وأكثر . إنَّ الأقرباء والأرحـام هم جزءٌ لا يتجزأُ منّا . إنَّ صلة الرحم يضمن لنا دنيانا وآخرتنا .

قيمة الإنسان في الغرب :

إنَّ التـطور العلمي والتقني الـذي تـوصـل إليـه الغـرب ظـلَّ يخـدم

النواحي المادية ، دون أنْ يؤثر ولـو بقليل ، في تـطوير النـواحي المعنويـة ، فـالغرب يعمـل فقط من أجل تـطوير المـادة ، ويبقى بعيداً كـل البعد عن معرفة المعنى الحقيقي للحياة .

نقل لي أحد الأصدقاء بأنَّه كان طريح الفراش في إحدى المستشفيات في (لندن) نتيجة مرض ألمَّ به ، وكان يقاسمه الغرفة مريض آخر إنكليزي الجنسية . يقول الصديق بأنَّ أحداً لم يزره خلال فترة وجوده في المستشفى ، وهذا شيء طبيعي لأنَّه إيراني وغريب في انكلترا ، ولكن زميله ، والذي هو من مواطني (لندن) بقي أيضاً وحيداً لم يسأل عنه أحد سوى شابين دخـلا الغـرفة في أحـد الأيام ، وفحصـا نبضه ، وتكلما معـه قليلاً ، ثم خـرجا . وعنـد موتـه أخذت إدارة المستشفى جنـازته ، ولم أعـرف مـاذا فعلوا بـه ، عندها سـألت الممرضـة مستفسراً عن ذلـك ، وفيما إذا كـان عنده أولاد أم لا ؟ قالت : بأنَّ الشابين اللذين جاءا لزيارته هما ولداه ، سألتها عن سبب عدم مجيئهما لأخذ جثة والدهما ، قالت : بأنَّ الشـابين عنـدما جـاءا لزيـارة والدهما سألا الطبيب فيـما إذا كان والـدهما سيشفى أم لا ؟ قـال الطبيب : بأنَّ لا أمل في شفـائه وأنَّـه سيموت حتـماً ، عندهـا باعـوا جثة والـدهما إلى المستشفى من أجل التشريح بقيمـة قدرهـا « ١٠٠ $ » وذهبا . فـإياكم ثم إياكم أيها المسلمون أن تنجروا وراء الماديات وتنغرّوا بمظاهرها ! إنَّ المادة لا تدوم ، وإنَّ الحالة الروحانية التي يتوصل إليها الإنسان لتسمو بروحه عاليـة نحـو السـماء هي التي تمنحـه إنسـانيتـه ، وإلا ابتعـد عن دينـه ، ووقـع في المعصية ، وكان مصيره الهلاك .

إذن من أهم أهداف شهر رمضان المبارك هي صلة الأرحام ، ابتداءً من الـوالدين نـزولاً إلى كـل من ارتبط بنـا نسبيـاً ، أو كـان قـريبـاً لنـا في الدين .

وبعـد صلة الرحم اسمعـوا أيها المسلمـين ما قـاله نبيكم (صـلى الله عليـه وآله) :

أهمية الصدقة والإطعام في هذا الشهر المبارك :

« تصدقوا على فقرائكم » : إنَّ دفع الصدقةفي هذا الشهر الفضيل ، لـه انعكاسـات إيجابيـة تؤثر عـلى حياة الإنسـان في دنياه وآخـرتـه إلى حـد القول : « من فطّر مؤمناً صائماً ، كان له بذلك عتق رقبة ، ومغفرة لما مضى من ذنوبه » . وعليـك أَنْ تعرف جيـداً بأَنَّ الإفـطار والإطعام هـو أنْ تفطّر صائماً وتشبعه . فالإطعـام إذَن يختلف عن تلك الألاعيب التي نجدهـا أمام المساجد ، والأمـاكن الأخرى عنـدما يـأتي شخص يحمل بيـده علبة تمـر ثم يوزعها بين الناس ، فيأخذ كل شخص تمرة واحدة ، ويقرأ سورة الفاتحة ، وكأنها تجارة ، تبيع حبة تمر لتشتري مقابلها سورة الفاتحـة ! يجب أَنْ نعرف كيف نوزع الخيرات على موتانا . إنَّ هـذه الخيرات يجب أَنْ تنفق في سبيـل الله ، وليس بتقـديم حبـة تمـر ، أو قـطعـة حلوى إلى صفـوف المصلين في المساجد .

دفع الصدقة بقدر الإستطاعة المادية :

قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو على المنبر : يا رسول الله ليس بمقدورنا إفطار الصائمين ، أي ليس لدينـا المال الكـافي لإطعام أحـد غيرنا ، قـال (صلى الله عليـه وآله) : « اتقـوا النار ولـو بتمرة ! » فيـا أيها المؤمن ، ويا أيها المسلم ، أنت لا تملك القـدر الكافي من المـال ، كي تفطر صـائـماً ، ولكنـك تملك بضـع حبـات من التمـر ، فكـل أنت حبـة واعطِ الأخرى لصائم غيرك . إذَنْ الإكتفاء بحبة كإطعام للصائم ، أو إفطار له ، هـو للشخص الذي لا يملك غـيرها ، وليس للشخص الـذي يملك الكثـير الكثير ويريد أَنْ يتصدق ويدفع الخيرات بتوزيع التمر . هذه النقطة تـطرّق إليهـا الشيخ (شـوشتري) أيضـاً وهو في (النجف) ، فكـان دائـماً ينتقـد النـاس من عـلى المنبر عـلى مـواقفهم تلك ، وقيـامهم بتـوزيـع الحلوى في المساجد والأماكن المقدسة .

إنَّ إشباع الجائع ، وإكساء العريان ، ودفـع ديون الآخـرين ، وأداء

الواجبات نيابة عن الأموات ، والتصدق على الفقراء ، الصدقة بالمعنى الأعم ، أي كل عمل خير نقوم به مثلاً ، يمكن أن يتوجب عليك دفع صدقة قدرها (١٠٠٠٠ تومان) فعليك أنْ تدفع المبلغ كاملاً ، أو تكون الصدقة في أنْ تمهل أخاك في الدَّيْن الذي استدان منك (١٠٠٠٠ تومان) ، ولا يستطيع أنْ يفي دينه لك ، إذ يقول القرآن الكريم ﴿ فنظرة إلى ميسرة ﴾[1] ، فأمهله أولاً دون أن تشكوه ، لأنك تعرف أنّه عاجز عن تسديد ديونه ﴿ وأنْ تَعفُوا أقرَبُ للتقوى ﴾[2] إعتبر المبلغ خيرات توزعها عن روح أبيك ، إنَّ أباك الذي استفدت من ملايينه ، لا يستحق منك صدقة قدرها (١٠٠٠٠ تومان) ؟ ويمكن أنْ تكون الصَّدقة على شكل مساعدة الآخرين في تسديد ديونهم .

إنَّ هذه الأعمال التي تأتي في الظاهر على شكل مدرسة ، أو بناء جامع ، أو مساعدة فقير ، أو صلة رحم ، أو إفطار ، هي في جوهرها وحقيقتها تصب في مصلحتك أنت ، هي التي تشق لك طريق الصعود إلى السماء ، وتفتح لك أبواب الجنّة . إنَّ البخيل ، والله ، لا يضرّ إلاّ نفسه ، فهو لا يعرف الجنة بل على العكس من ذلك ، يفتح لنفسه من خلال أعماله أبواب النار واسعة . إنَّ الصفة التي يتصف بها الإنسان في دنياه تظهر معه في آخرته أيضاً .

أهل المعروف في الدنيا ، أهل المعروف في الآخرة :

هناك روايات عديدة في (وسائل الشيعة)[3] « أهل المعروف في الدنيا ، أهل المعروف في الآخرة ، أهل المنكر في الدنيا ، أهل المنكر في

---

(١) ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأنْ تصدَّقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ سورة البقرة : الآية ٢٨٠ .

(٢) ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أنْ تمسّوهن ، وقد فرضتم لهنّ فريضة فنصف ما فرضتم إلا أنْ يعفون ، أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح ، وأنْ تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ﴾ سورة البقرة : الآية ٢٣٧ .

(٣) وسائل الشيعة : للحر العاملي . مطبوع .

الآخرة » ، نعم أهل المعروف الذين عـرفوا بـأعمالهم حتى إذا قيـل من هم أهل المعروف في هـذا البلد ؟ قالـوا : إنَّ فلان هـو أهل خـير ، تلجأ إليـه النـاس كلما تعقّـدت الأمـور أمـامهم ليحـل لهم المشـاكـل ، ويسـدد عنهم الديون ، إنه إنسان يعمـل الخير بيـديه ، ورجليـه ، ولسانـه ، كريم يحب الضيف ويكـرمـه ، لا يخيب أمـل أي إنسـان التجـأ إليـه . يقـول الإمـام الصادق (عليه السـلام) : « أهل المعـروف في الدنيـا ، أهل المعـروف في الآخـرة » أي إنَّ الإنسـان الـذي كـان في حيـاتـه كمـرهم يشفي جـراح الآخـرين ، سيكون لـه في القبر نفس الـدور ، يؤديه في تهـدئـة الأرواح . فـأنتم الـذين تحـرصـون عـلى صلة الأرحـام وتقيمـون الـولائم لإفــطار الصـائمين ، ستكـون مآدبكم عـامرة في عـالم البرزخ ، لأنكم لم تبخلوا في دنياكم ، ولم تنفردوا بالنعم التي وهبها الله لكم ، بل تقاسمتموها مـع أخوةٍ لكم في النسب ، وفي الـدين ، وجعلتمـوهـم شفعـاء لكم في الآخـرة . إنَّ الفقير المسكين الذين أغلق باباً في بيته أمام الناس ، ستبقى الأبواب مغلقة أمامه في الآخرة .

يقيم المآدب وهو في القبر :

سأروي لكم حكاية عن (أبو الخيبري) وهو من المعروفين عند قبائل العـرب : كان(أبـو الخيبري) في سفـر مع قـافلته عنـدما وصلوا إلى قبيلة (طي) حيث يسكن (حاتم الطائي) . وكما نعرف أنَّ (حاتم الطائي) كان رجلاً مشهوراً بشدة كرمـه ، وكـان من عادتـه أنْ يعلّق السراج ، من الليل حتى الصباح ، في أعلى نقطة من باب منزله ، كي يهتدي إلى بيته كـل غريب ، أو زائر دخل المنطقة ، وكانت هذه عـلامة من عـلامات كـرمه لأنَّ إشعـال السراج ، ووضعه على البـاب ، يدل أنَّ هـذا البيت مفتوح أمـام الجميع . وكان (أبو الخيبري) قد تعوّد عند وصوله إلى ذلك المكان أنْ يـرى (حاتم الـطائي) في استقبالـه حامـلاً إليه الـطعام ، ولكنـه لم يرَ حـاتماً هـذه المـرة ـ يـروى بأنَّ أبـو الخيبري لم يكن يعـرف بموت حـاتم الـطائي ـ ، ولم يكن هناك حاتماً آخر ليقوم بالواجب . نام (أبو الخيبري) جائعاً ، فحلم بحاتم

الطائي يضع السكين في نحر الجمل ، استيقظ (أبو الخيبري) من نومه مذعوراً ، ليجد جمله يتخبط في دمه ، فعلا صراخه ، وأخبر أفراد القافلة بما شاهده في المنام ، ردوا عليه أنَّه بما أنَّ (حاتم الطائي) ليس موجوداً هنا ليقتل جمله ، ويقدمه لنا ، فقتل جملك لتأكل منه أنت ، ونشاركك عنه أيضاً في الأكل ، عندها اضطر (أبو الخيبري) أنْ يوزع الجمل على أفراد قافلته ، فأكل الجميع حتى شبعوا .

وفي اليوم التالي تابعوا طريقهم ، فجأة التقوا بفارس يأتي إليهم مسرعاً ، وعند اقترابه منهم ، سأل عن (أبو الخيبري) ، عرّف (أبو الخيبري) عن نفسه ، قال له الفارس : ألست أنت الذي قتل والدي جملك الليلة الماضية ؟ قال له (أبو الخيبري) : نعم ، قال الفارس : تعال وخذ هذا الحصان بدلاً عن الجمل (يزيد سعر الحصان عن سعر الجمل ، عدة أضعاف) ، قال (أبو الخيبري) : هذا الحصان لمن ؟ قال الفارس : إنَّه لأبي ، لقد رأيته في المنام يطلب مني أنْ أُعطيك الحصان بدلاً من الجمل الذي قتله ، لكي يقوم بالواجب أمام ضيوفه . فأخذ (أبو الخيبري) الحصان بعد أنْ عرف أنَّه يخص (حاتم الطائي) .

يوزع حصانه بين الفقراء في أيام القحط :

كان (حاتم الطائي) رجلاً مشهوراً بشهامته وكرمه ، وكان بعيداً كل البعد عن الأنانية وحب الذات إلى الحد الذي تخلّى فيه عن أغلى شيء عنده، وهو حصانه الذي قتله، عندما سمع أصوات القبيلة ترتفع من شدة الجوع ، ليوزع لحمه بين أفرادها دون أنْ يحتفظ لنفسه بشيء منه . إنَّ رجلاً كهذا تبقى مآدبه عامرة في عالم البرزخ أيضاً .

يبيع كتبه ليسافر إلى بيت الله الحرام :

لقد كتب العالم العظيم الشأن المجتهد الكبير الشيخ علي صاحب « الدر المنثور »(١) بقلمه المبارك أنه كان ينوي السفر من (إصفهان) إلى

(١) الدر المنثور من المأثور وغير المأثور : تأليف علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين الجبعي العاملي . مطبعة مهر/قم ط ١/١٣٩٨ هـ .

بيت الله الحرام ، ولم يكن يملك القدر الكافي من المال ، ولا يريد أنْ يستدين من أحد ، فقرر مضطراً أَنْ يبيع كتبه ليؤمن تكاليف السفر . يقول الشيخ بأنه في اليوم التالي من اتخاذ قرار بيع الكتب ، طرق أحدهم باب منزله في الصباح الباكر . جاء الشيخ بنفسه ، وفتح الباب ، ليجد أمامه (الخواجه إلتفات) الذي كان يعمل في حرم الشاه عباس ، سأل الخواجة إلتفات الشيخ عمّا إذا كان هو الشيخ علي، أجابه الشيخ : بأنّه هو بذاته، قال له الخواجة : هل تريد أنْ تبيع كتبك ـ الأمر الذي لم يكن يعرف به أحد ـ . قال له الشيخ : لا أُجيبك قبل أَنْ تخبرني مِنْ أين سمعت ذلك ، أجاب الخواجة بأنَّه يعمل لدى الستّ (زينب) إبنة الشاه (طهماسب) التي استدعته هذا الصباح لتسأله عما إذا كان يعرف عالماً من علماء (إصفهان) يدعى الشيخ علي ، وهو من أولاد الشيخ زين الدين ، قلت لها : بأنّي أعرف هذا الشيخ . قالت : بأنَّها رأت الليلة الماضية (الشاه طهماسب) في منامها ، وهو في حالة غضب واستنكار ، يخاطبها ويقول لها بأنَّ عائلة الشاه عباس ماتوا جميعاً . ووصل الأمر من بعدهم إلى درجة يضطر فيها أكبر عالم في هذا البلد أَنْ يبيع كتبه ، فأَينَ أنتِ من كل هذا ؟ لذلك أمرتني الستّ زينب هذا الصباح بأَنْ أتولى مسألة البحث عن الشيخ علي ، فطرقت بابك مستفسراً . قال الشيخ : نعم أنا الشيخ علي أريد أَنْ أبيع كتبي لأتشرّف بحج بيت الله الحرام .

رجع (الخواجة إلتفات) ليخبر الستّ (زينب) بأنّه وجد الشيخ علي . عندها خصصت إبنة الشاه قسماً من مجوهراتها الخاصة التي أرسلتها إلى الشيخ ليسدّد بها ديونه ، ويسافر إلى حج بيت الله الحرام .

شفاعة أهل الخير في الآخرة :

إنَّ أهل الخير في الدنيا يبقون أهلاً للخير في الآخرة أيضاً ، حتى وهم في عالم البرزخ ، يفكرون بالخير لغيرهم ، فكيف عندما يأتي يوم القيامة ؟ هل سمعتم بشفاعة المؤمن ؟ أي مؤمن، المؤمن الذي تمتع بالإضافة

إلى إيمانه وأعماله الحسنة بالجود والكرم ، أما الشخص الذي يحتفظوا بما لـه لنفسه فقط ، ويكدس ملايينـه في البنـوك ، لا يستطيـع أَنْ يشفع لغـيره ، إنَّه أغلق باب الجنة على نفسه ، فكيف يستطيع أَنْ يفتحها أمام الآخرين .

تذكروا جوع وعطش يوم القيامة :

« واذكروا بجوعكم وعطشكم ، جوع يوم القيامة وعطشه » ؛ نشكر الله العلي العظيم على نعمة شهر رمضان المبارك ، والملاحظ أَنَّ هـذا الشهر الفضيـل يقـترب من فصـل الصيف شيئـاً فشيئـاً (الصـوم في الصيف) . ويقـال حول الأجـر والثواب الـذي وعد الله الصـائم بهما ، بـأَنَّ « للصائم فرحتان : فرحة عند إفطاره وفـرحة يـوم القيامـة » حيث يشرب من حوض الكوثر ، من يد أسد الله علي بن أبي طالب (ع) .

إنَّ الله سبحانه شكور قدير ، يقدِّر عباده على كل عمل خير يقومـون به . فهو عندما يـراهم ـ وبالأخص الشبـاب منهم ـ في أوائل سن تكليفهم الشرعي ، يطيعون أوامر ربهم ـ إن إطاعة أوامر الله يقوي الروح ويـزكيه ـ ويصومون في الجو الحار مدة ستّ عشرة ساعـة ، دون قطرة مـاء ، أو لقمة خبـز ، فكم يكون تقديره سبحانه وتعالى لهم ؟

حديث الحجاج مع الراعي الصائم :

عندما كان الحجاج بن يوسف الثقفي مسافراً مع حـاشيته ، وجهـازه الرسمي ، إلى اليمن ، ليحكمها ، كان يقيم المخيم ذات الطابـع الرسمي والحكـومي ، في كل نقـطة يريـد التوقف عنـدها ، حيث يبـدأ الطبـاخـون بـطهي الطعـام وتحضيره عـلى أحسن وجه . وفي أحـد الأماكن التي تـوقفوا فيها ، ونصبوا الخيمة عندها ، كان الجو حاراً جداً ، فاضـطروا إلى رفع طـرفي الخيمة لفتح مجرى للهواء يلطف الجو في الخيمة . وعندما حان وقت الغذاء فرشوا السفـرة ، ووضعوا عليهـا ما طـاب من المآكـل الشهية . مـا إنْ همَّ الحجاج بالأكل رأى راعياً شاباً يـرعى عدة أغنـام ، وكان الـراعي المسكين يضع رأسه تحت بطن أحد الأغنام ، متجنباً حـرارة الشمس المحرقـة ، فيما

بقي جسده عرضة للهيب الحر . تأثر الحجاج من رؤية هـذا المنظر ، فـأمر خدمه بإحضار الراعي إلى الخيمة ، إمتنع الراعي عن المجيء وقائلاً بأنَّه لا يعرف الأمير ، وليس لديه شغل معه ، ولكنهم أجابوه بأَنَّ هذا أمر يجب أَنْ ينفذ ، فاقتادوه بالقوة إلى داخل الخيمـة . قال لـه الحجاج : أراك منـزعجاً من حرارة الشمس ولهيبها ، تعـال إلى هنا واسـترح قليلاً . قـال الراعي : بأنَّه لا يستطيع ذلـك لأنَّه أجير ومأمـور برعي الأغنـام وحفظهـا . قال لـه الحجـاج : حسناً إذا كنت لا تستـطيع أنْ تتـأخر عن أغنـامك إجلس عـلى الأقل لتأكل قليلاً من الـطعام . قـال الراعي : بـأنَّه لا يستـطيع أنْ يـأكل أيضاً ، سأله الحجاج عن السبب ، قال الراعي بأنَّه مدعو في مكـان آخر ، تعجب الحجاج وقال : هل هناك مكان أفضل من هنـا ؟ وهل هنـاك طعام أطيب من طعـام الملوك ؟ قـال الـراعي : نعم هنـاك في الأعـالي . قـال الحجاج : والآن أخبرني ستحلّ ضيفاً على من ؟ قال : على رب العالـمين ، إنني صائم ، والصائم هو ضيف الله !

هـذا الـراعي البـدوي أعـطاه الله العقـل والإيمـان ، فيصـوم في الصحراء ، وتحت حرارة الشمس ، ويعرف بأنَّه ضيف على الله !

عندما سمـع الحجاج كـلام الراعي سكت ، لأنـه عرف أَنَّ الـراعي يتكل على قوة عظيمة ، وعظيمـة جداً ، وبعـد أنْ استعاد الحجـاج أنفاسـه قال للراعي : حسناً اليوم إكسر صيامـك وصم غداً بـدلاً عن اليوم . قـال الـراعي : سأفعـل هذا بشرط أَنْ تعـطيني ورقة تضمن لي فيهـا بقائي حيـاً حتى يوم الغد . سكت الحجـاج مرة ثـانية أمـام هذا العـالم الصادق المؤمن بـالله عـز وجـل ، إنَّ هـذا والله مشهـد من مشـاهـد الصراع بـين الحق والباطل ، بين العلم والجهـل . عرف الحجاج بأنَّه لا يستـطيع أن يجـاوب الراعي فقال له : ضع هذا الكلام جانباً وإبدأ بالأكل لأنك لن تجد طعامـاً لـذيذاً وشهيـاً كهذا أبـداً . فقال الـراعي : « أأنت جعلته طيبـاً ؟» . أيهـا الحجاج المسكين لو أصبت بوجع في سنك لحـرمت من هذه المـآكل كلهـا ! إنَّ العافية هي التي تعطـي المآكل طعمها ، فيصبـح أكل الخبـز وحده لـذة

وعدم العافية تنزع الطعم عن جميع المآكل مهما كانت شهية ولذيذة .

أريد أَنْ أُركز على كلام الراعي ، إنَّ الصحة ، والعافية ، والسلامة ، هي أهم من كل شيء ، يجب أنْ نقدّر العافية لأنّها نعمة عظيمة وهبنا الله إياها .

رفع الأيادي بالدعاء :

« وارفعوا أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم فإنَّها أفضل الساعات ، أقسم الله بعزته أَنْ لا يعذب المصلين والساجدين » .

يقول الله عز وجل : يا أيها المسلمون إنَّ أفضل الساعات وأشرفها ، خاصة في شهر الصيام ، هو الوقت الذي يلي الصلاة الواجبة . فارفعوا أيديكم بالدعاء في ذلك الوقت للمناجاة ، والرجاء من ساحته الواسعة ، فهو الذي أقسم بعزته وجلاله ، أَنْ لا يعذب المصلين والساجدين ، وحسب الآية الكريمة « يلبيهم إذا نادوه ويجيبهم إذا دعوه » هنا الضمير راجع للصائمين فبمجرد أَنْ يتفوّه الصائم بعد الصلاة : يا الله تكون الإجابة : لبيك . وعندما ينادي جموع الصائمين يا الله ستكثر الإجابة وسيزداد عدد اللَّبيك . وتستطيعون أَنْ تطلبوا حاجتكم من الله ، فيجيبكم ، فإنَّ دعاء الصائم مستجاب . فلندعوا إلى الله في هذا الشهر الكريم بأَنْ يغفر لنا ذنوبنا ، تلك الذنوب التي تجعلنا عطاشى وجائعين عند الموت ، وفي يوم الحشر والقيامة . يا ألله إمحُ عنا هذه الذنوب . والجوع في جهنم يبلغ درجة من القساوة والشدة بحيث يرضى المذنب أنْ يكون لهيب النار . نعوذ بك يا الله ، نقسم عليك بحرمة شهر رمضان بأنْ تثلج صدورنا من حوض الكوثر ، وتعفو عن سيئاتنا ، ولا تحجب بيننا وبين الكوثر .

إن هذا الشهر هو شهر التوبة والطهارة ، في هذا الشهر يطهر الله الناس من ذنوبهم ، ويزكيهم ، عليك أنْ تهيىء نفسك للتوبة ، وتقول : العفو ، العفو . لا تنس المناجاة في السحر ، إشْكِ همومك إلى الله . أُذكر

معضـلات معيشتك ، واطلب الإستغـاثـة منـه ، ضـد وسـاوس الشيـطان أُصرخ قائلاً : يا صريخ المستصرخين ، فسيمنّ الله عليك بألطافـه ، وينير قلبك وبصيرتك .

تذكروا عطش الحسين :

« اذكـروا بجوعكم وعـطشكم جوع الحسـين وأصحــابه ، وعـطش الحسين وأصحابه . . »

صحيح أنّنا نصوم ساعات طويلة ، ولكننا نقضيها في الفيء بعيـدين عن الحرارة . حاول أنْ تتذكر الحسين وأصحابـه في واقعة (كـربلاء) تحت حرارة الشمس المحرقة ، التي كانت مضاعفة عليهم ، لأنهم كانوا يـرتدون ثياباً عسكرية حديدية ، والحديد بحد ذاته يضاعف حـرارة الشمس ، هذا بالإضافة إلى الحرارة الناجمة عن التحرك ، والضراب ، والجري ، والحـرارة الناجمة عن ثقل الهموم والمصائب . سأرسم لكم صـورة عن شدة العـطش الذي ألمّ بالحسين وأصحابـه من خلال ذكـر هذه الحـادثة : إنَّ عليـاً الأكبر عندما استأْذَن الحسين بالقتال ، ودخل ساحـة المعركـة ، ظل يقـاتل إلى أنْ قتل أكثر من مائة وعشرين مجرماً من مجرمي جيش عمـر بن سعد، ولكنـه لم يَقْوَ بعد على الإستمرار ، فابتعد عن الساحة ، واقترب من الحسين قـائلاً : « يا أبي العطش قد قتلني وثقل الحـديد أجهـدني » . قد تتسـاءلون هـل أن عليـاً الأكبر كـان لا يعرف بـأن أباه لا يملك قـطرة من الماء ؟ بـلى إنَّ عليـاً الأكـبر كان يعلم ذلـك ، ولكنه كـان يـأمـل أَنْ يسـاعـده أبـوه عن طـريق المعجزة ، ولكن الحسين (عليه السلام) لم يكن عنده إذن بذلك . فوضـع لسانه في فم إبنه قائلاً : « انظر يا بني إنَّ لساني أكـثر جفافـاً من لسانـك ، وأنا عطشان أكثر منك ، إرجع يا بني إلى المعركـة . أتمنى أنْ يسقيك جـدك ويرويك قبل حلول العشاء » . هذا يعني أَنَّ الحسين (عليـه السلام) كـان يعرف أن ابنه سيستشهد هذا اليوم .

«٢»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، واتقوا الله ، إنّ الله سميع عليم . يا أيّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، أنْ تحبط أعمالكم ، وأنتم لا تشعرون . إنَّ الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ .

التوفيق للصيام وقراءة القرآن :

أودّ أن أذكّر بما قاله رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « واسألوا الله ربكم بنيات صادقة ، وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه » ، نعم التوفيق للصيام وقراءة القرآن في هذا الشهر الفضيل أمر عظيم جداً . إن كثرة الأيادي التي ترتفع بالدعاء إلى الله تعالى طالبة زيادة في المال ، وتحقيقاً للرغبات والشهوات ، يجب أن تتغير نواياها ، وترتفع بالنية الصادقة ، طالبة عدم المرض من أجل التوفيق للصيام ، وقراءة القرآن ، طيلة هذا الشهر الفضيل . إنّ بعضاً من أئمتنا كانوا يختمون القرآن أربعين مرة في شهر رمضان . إذنْ عليكم أنْ تكثروا من قراءة القرآن والأُمّي منكم يستطيع أنْ يردد مع نفسه السور التي يحفظها كسورة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

التعاليم الأساسية الثلاثة في سورة (الحجرات) :

تتضمن سورة (الحجرات) المباركة . ثماني عشرة آية . حيث تتناول الآيات الخمس الأولى التعاليم المتعلقة بضرورة مراعاة الأدب تجاه الله ورسوله ، وما يتوجب على المؤمن أنْ يفعله تجاه ربّه ورسوله . وتتناول الآيات التالية كيفية تنظيم العلاقات الإجتماعية . أما الآيات الباقية فهي تدور حول الفضائل الشخصية . وسنحاول ببركة القرآن الكريم أنْ نتناول هذه الآيات بالبحث ، ونبين أهمية التعاليم الثلاثة التي تم ذكرها والتي كان أولها أدب المؤمن تجاه ربه ورسوله .

لا يحق لك أنْ تتقدم على المولى :

الله هو الذي خلقك ، وخلق كل شيءٍ غيرك ﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾[1] ، والنبي هو رسول الله ، ولا شك بأنَّ الممثل ، أو السفير ، أو النائب ، يستمدون عظمتهم وقدرتهم من الشيء الذي يمثلونه وينوبون عنه ، مثلاً : إنَّ سفراء الدول المختلفة في بلدٍ ما ، تزداد درجة أهميتهم واعتبارهم تبعاً لأهمية واعتبار الدولة التي يمثلونها، والنبي هو رسول الله . الله العلي العظيم القدير . . . الذي خلق كل شيء . فيا أيّها المؤمن الذي آمنت بالله وبرسوله ، لا تتقدم على الله ورسوله ﴿ **لا تتقدموا على الله ورسوله** ﴾[2] . كثيرون هم الذين يريدون أنْ يتقدموا على الله ، يقال لهم مثلاً إنَّ هذا العمل الذي تقوم به حرام ! يجاوب بأَنّه يعرف ماذا يفعل ، وإذا قيل له بأَنَّ الله حرَّم ذلك ، يقول : دعك من هذا الكلام . إنَّ الشخص الذي يتصرف بهذه الطريقة ، يكون قد قدّم نفسه على الله ورسوله بدل أنْ يكون تابعاً لهما . وأكثر من ذلك يعْتبر بأَنَّ الآخرين تابعون له .

---

(١) ﴿ **الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل** ﴾ سورة الزمر : الآية ٦٢ .

(٢) ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، واتّقوا الله إن الله سميع عليم** ﴾ سورة الحجرات : الآية ١ .

الجرأة بين الحقيقة والشيطنة :

إن التقدم على الله ورسوله يصل أحياناً بالإنسان إلى ما توصل إليه عمر الذي حرَم الإمام علي (عليه السلام) من خلافة الرسول ، ليأتي بأبي بكر ، مخالفاً بذلك وصية الرسول (صلى الله عليه وآله) التي تؤكد على خلافة علي (عليه السلام) مبرراً عمله هذا بأَنَّ الحكومة الإسلامية لا تستقر فيها إذا تولى الإمام علي (عليه السلام) الخلافة ، لأَنَّه لا يزال شاباً ، كما أَنَّه قتل العديد من رؤساء القبائل العربية التي ترفض أَنْ تدخل الإسلام وتنضم تحت لوائه .

نعم لأَنَّ علي (عليه السلام) قتل المشركين ، يجب أَنْ يُحرم من الخلافة . أما أبو بكر فهو رجل مسنّ ، ولم يشترك أبداً في قتل الكفار ، كما أَنَّه لم يلعب أيّ دور في جبهات القتال ، ولم يُبدِ أية شجاعة يخيف بها الكافرين ، فهؤلاء ليس بينهم وبين أبي بكر أي شيء ، إذن أبو بكر يستحق الخلافة ؟! إنَّ عمر بعمله هذا يقدم نفسه على الله ورسوله ، ويتصرف وكأنه يعرف أكثر منهما ، أكثر من الله والرسول اللذان اختارا في (غدير خم) علياً (عليه السلام) ، كي يكون خليفة للمسلمين . يمكن أن تتساءلوا كيف تجرأ عمر على القيام بعمل كهذا ، يكفي أَنْ تقرأوا ما كتبه أهل السنّة عن عمر حتى يتبين لكم كل شيء .

تغيير عمر لثلاثة أحكام :

يقول (فاضل قوشجي) وهو شيخ محنَّك ، مدافعاً عن عمر ، في (شرح التجريد) بأَنَّ عمر قال : من على المنبر ، بأَنَّ هناك ثلاثة أحكام كانت مطبّقة في زمن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، ولكني أمرت بتحريمها وإلغائها ، لأنني لم أجد مصلحة في إبقائها قيد التنفيذ ، أُولى هذه الأحكام هي : متعة النساء التي كانت محللة في زمن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وكان الزواج المنقطع يمارس بشكل شرعي ، ولكنني أردت أنْ ألغي ذلك . وثاني تلك الأحكام : متعة الحج ، وثالثها : « حي

على خير العمل » حيث يتفق جميع المسلمين بأنَّ « حي على خير العمل » كان في زمن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وحتى في أوائل خلافة أبي بكر ، وكان جزءاً من الأذان ، ولكن عمر وبعد تسلمه الخلافة ، أمر بحذفه ، مبرراً ذلك أَنْ « حي على خير العمل » يعني هيا أيها المسلمون قوموا ومارسوا أفضل الأعمال أي الصلاة ، فإذا كانت الصلاة أفضل عمل نقوم به ، فما هو موقع الجهاد من حياتنا ؟ إنَّ تكرار هذه العبارة في الأذان تمنع الناس من الذهاب إلى الجهاد ، لذلك يجب حذفها .

بدعة أخرى في أذان الصبح :

والأغرب من ذلك ما يقوله أهل السنة عن عمر الذي غلب عليه النوم في أحد الأيام ، ولم يسمع أذان الصبح ليذهب إلى الجامع ويؤم المصلين ، فجاء المؤذن يوقظه من النوم ، وبدل أَنْ يلومه ، ويعتب عليه ، قال له : « الصلاة خير من النوم » أُعجب عمر كثيراً بهذه الجملة ، وأَمر بإدراجها في أَذان صلاة الصبح ، ولا تزال حتى يومنا هذا ، جزءاً من أذان الصبح ، بدلاً عن « حي على خير عمل » . ماذا تعني هذه الأعمال ؟ أليست هي تقدماً على الله ورسوله ؟ أليس هذا رفضاً لحكم الله ورسوله ، وتنفيذاً لحكم الذات ؟ يجب على كل إنسان أن يعرف حدَّه ، وأَنَّه تابع لله ، ولرسوله .

لو أردنا أنْ نتكلم عن الأعمال التي قام بها هذا الشخص ، مقدماً نفسه على الله ورسوله ، لطال الحديث طويلاً ، خاصة أنَّ الآثار السلبية لتلك الأعمال ، لا تزال موجودة حتى يومنا هذا ، وتظهر بشكل واضح في تصرفات المسلمين الذين يدافعون ، وبشكل أعمى ، عنها ، في الوقت الذي يحرم فيه القرآن التقدم على الله ورسوله ، لذلك نكتفي بهذا المقدار .

الأحكام التي ألصقوها بالإسلام :

أَدخل أَتباع (إبن تيمية) وهم هؤلاء الوهابيون الذين يحكمون

الحجاز ، أدخلوا منذ عهد (ابن تيمية) حتى يومنا هذا ، ما طاب لهم من البدع ، ومنها تحريمهم زيارة أهل القبور ، ولمس القبر ، والبكاء على الميت . هذه هي آراء عمر الذي قدّم نفسه على الله ورسوله ، وأدخل بدعه على الإسلام .

جعل حديث عن لسان الرسول (ص) :

لقد تم جعل حديث عن لسان الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) وهذه عائشة غير موافقة على ذلك . والحديث هو : « إنَّ الميّت ليُعَذّب ببكاء أهله » ، وبناءً على هذا الحديث يعتبرون ما نقوم به نحن الشيعة ، من البكاء والندب على الحسين ، هو عمل حرام . والجواب على ذلك : إنَّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) لم يجزم في هذا الحديث ، والمصادر الواردة ، وبالأخص من أهل السنة ، تؤكد أنَّ عمر أوّل من طبق هذا الحديث . جاء في المجلد الثالث من كتاب (الغدير)[1] روايات عديدة عن كتب السنة منها : عندما توفت رقية إبنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وإبنة خديجة (عليها السلام) في المدينة ، وقفت الزهراء (عليها السلام) وغيرها من الهاشميات يبكينها وهي تدفن في مقبرة (البقيع) . فموت فتاة شابة خاصة تلك التي عانت الأمرّين في منزل عثمان ، حتى ماتت من الهمّ ، ليس بالأمر السهل . في هذا الوقت كان عمر يحمل سوطاً ويضرب النساء المفجعات ، واحدة واحدة . أخذ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) عمر بيده وقال له : « دعْهُنَّ » . قال : الكلام ينقله أهل السنة أنفسهم ، أُترك النساء فشأنَهُنَّ ، دَعْهُنَّ يبكين . كلا يا رسول الله ، يجب أنْ يكفوا عن البكاء . يا للعجب !يقف أمام الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ويخالف رأيه وقوله . يقول « الأميني » أعلى الله مكانه : لا ندري إنْ كانت تلك السياط قد طالت

---

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب : تأليف عبد الحسين أحمد الأميني ـ طبع في دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م .

أيضاً الزهراء (عليها السلام) حتى تكون مقدمة لسياط قنفـذ ، إنَّ المصيبة ليست واحدة ، أو إثنتين ، أو عشرة ، إنَّ حضرات السنة لا يريـدون قبول الواقع ، دائماً يقولون : كلا .كلامكم مرفوض ، لماذ كل هذا ؟ لماذ يحرمون تقبيل ضريح رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

﴿ لا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يديّ الله ورسوله ﴾ يجب التقيد بشكل كـامل بنص هذه الآية الشريفة تقديم أمر الله ورسوله ، والإلتزام بأحكامه وآرائه ، لأن التقدم على الله يأتي أحياناً على شكل تقديم آرائنا على ما قاله الله ورسوله .

إتّبـاع الرغبـات :

إذَنْ يجب أَنْ لا نقـدم أنفسنا عـلى الله ورسولـه ، في أي شيء ، لأنَّ التقدم يكون أحياناً في تقديم ما تمليـه علينا رغبـاتنا عـلى ما يمليـه علينا الله ورسوله ، نـرضي أنفسنا دون أَنْ نفكـر بما يـرضي الله . والأمثلة على ذلـك كثيرة فيها : عندما يـأْتي شهر رمضـان المبارك في فصـل الصيف ، فيصعب الصيام في هذا الجـو الحار ، ولمـدة ستة عشر سـاعة ، إن رغبـة النفس هنا هي الإفطار ، وعدم التقيد بأمر الله ، إذ لا يمكن البقاء في هـذه الساعـات الـطويلة دون أكل ، أو شرب ، أو دخـان ، أو شـاي ، أو قهـوة ، النفس تقـول : لا تصم ، كم هم الأشخاص الّـذين يتمتعـون بصحـة جيـدة ولا يصومون وأنت الضعيف البنية تريد أَنْ تصوم وغـيرها من وساوس النفس التي لا تُعدُّ ولا تُحصى .

إذن أين نحن من أمر الله ؟ أمـر الله هــو الأهم لنـزداد روحــانيـة ولنقرب من رحمته أكثر . إنَّ العديد من المسلمين في شهر رمضان المبـارك ، يقـدمون رغبـاتهم على أمـر الله ولا يتقيدون بـالصيام ، عنـدمـا يـأتي وقت الصلاة يقولون : عندنا عمل ، أليست الصـلاة هي عمل ؟ يهتمـون بعمل الدنيا ، ولا يأْبهون لعمـل هو أمـر من الله تعالى . ﴿ لا تُقَـدِّمُوا بَـيْنَ يدَيّ الله ورسـوله أمـراً من أُموركم ﴾ : إذَن وكـما قلنا في السـابق يجب التقيّد بأمر الله ورسوله في كل شيء ، وعندما نلاحظ بـأنَّ رغبات النفس هي من

النوع الذي لا يرضي الله ، يجب أنّ لا ننجرّ وراءها . من هو الـذي يقدّم رغبة الله على رغبة نفسه؟عندما يتشاجر شخصان مع بعضهما البعض ، أمرُ الله هنا هو العفـو والسماح بينما أمرُ النفس هـو ردّ الكيل كيلين ، والصـاع صاعين . وهذا لا يرضي الله ، إنَّ لحظات الغضب هي أفضل وقت لمعرفة الإنسان ، وهل هو فعلاً يتّبع أمر الله ، أم أمر نفسه .

حفظ الأسرار :

عنـدما يختلف شخصـان حول مسـألةٍ مـا ، ويفترقـان على أَثـر هـذا الإختلاف ، يجب على كـل واحد منهـما أن يكون أميناً على مـا يعرفـه عن الآخـر ، ولا ينجـرّ وراء وسـاوس النفس التي تحـرضـه عـلى إفشـاء سر الشخص الـذي كـان بـالأمس صـديقـه ، والآن افـترق عنـه ، فحكم الله سبحانه وتعالى ، ورسولـه (صلّى الله عليـه وآله وسلم) ، هنـا هو التحـلي بالصبر ، وحفظ الأمانة ، والوفاء بالعهد . يقول الرسـول (صلّى الله عليـه وآله وسلم) : « المجالس بالأمانة » فلا يحق لك أبداً أنْ تفشي سر شخص اختلفت معـه ، أو فسخت تجـارتـك معـه ، لأن أمـر الله هنـا هـو التسـتّر والكتمان . أو في بعض الأحيان مثـلاً يتلقى أحد الأشخـاص شتيمة ، فـلا يستطيع أنْ يبقى ساكتاً ، لأنَّ نفسه تحرضه على الردّ ، وبشكل مضاعف ، بينما يقول القـرآن الكـريم : ﴿ **قـد أفلح المؤمنـون الـذين هم عن اللغـو معرضون** ﴾(1) .

إذن يجب أَنْ نكون تابعين للّه ورسوله في كل شيء ، محمد هو النبي ونحن أُمته ، أُمةُ محمـد ، وليس أُمة الشيـطان ، وأُمة تقـديس الـرغبـات والغرائز .

---

(1) ﴿ قـد أفلح المؤمنون * الـذين هم في صلاتهم خـاشعون * والـذين هم عن اللغو معـرضون ﴾ سورة المؤمنون : الآية ١ ـ ٢ .

إطاعة الله سبحانه وتعالى :

﴿ واتقـوا الله ﴾ : إنَّ الله سبحانـه وتعالى حـاضر في كـل مكـان ، ونـاظـر عـلى كـل شيء ، فعلينـا إذن أَنْ نتبـع الله ، ونحـرص عـلى هـذه التبعية ، لأننا إذا خالفنا أوامر الله نخسر دنيانـا وآخرتنـا . ﴿ إنَّ الله سميع عليم ﴾ : هل يمكن لإلهٍ خلق لك أذناً كي تسمـع بها ، أَنْ لا يسمعـك ؟ واعجبـاه ! ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ هل يمكن لِألـهٍ خلقك من تـراب أَنْ لا يعـرفك ؟ الله يعـرفـك ، ويعـرف كـل ذرة من ذرات وجـودك ، يعـرفـك ويعرف كل ما يجول في قلبك وعقلك .

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (ص) :

﴿ يـا أيها الـذين آمنوا لا تـرفعـوا أصـواتكم فوق صـوت النبي ﴾ (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) ، إنَّ هـذا أَدب من آداب الأخـلاق الـذي يعلمنا الله إياها في كتابه المجيد ، يعلم الآداب لهؤلاء العـرب الذين كـانوا يرزحون تحت وطأة الجهل ، والتخلف ، دون أَنْ يعـرفوا شيئـاً عن الآداب الإجتماعية ، فكـانوا يـرفعون أصـواتهم وهم في حضرة الرسـول (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

فاعرف حدَّك أيها الإنسان ، إعرف نبيك محمد (صلّى الله عليه وآلـه وسلم) ، تعرّف على مقامه ونشـأته ، إنّـه ليس إنسان عـادي ، هو الـذي تلقى الوحي الإلهي ، وأنار بنـور قلبه الشريف دروب البشريـة جمعاء . إنّ الله عـليٌّ عظيم ، والنبي محمـد (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) هـو رسـول الله ، إذَنْ عندما تكونوا في حضرة الرسول (صلّى الله عليه وآلـه وسلم) ، يجب أَنْ تــراعـوا الأدب والأخــلاق إلى أقصى حـدّ ، فمجلس الـرسـول (صـلّى الله عليـه وآلـه وسلم) مجلس روحـاني هــادىء . إذن يجب أنْ لا ﴿ تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾[1] ، وإذا فعلتم ذلك ، فـإنَّ

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٢ .

جميع أعمالكم باطلة ، لأنّ الذي يهتك حرمة محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ويؤذيه ، لا يُقْبَل له شيء .

الإلتزام بالآداب في كل ما يتعلق بالنبي محمد (ص) :

لقد ذكر كبار العلماء بأن هذه الآية ، صحيح أنها تؤكد على ضرورة مراعاة الآداب في مجلس الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، ولكنها تتناول بشكل أشمل حسن الآداب في كل ما يتعلق بالنبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) وأهمها هو المقام المحمدي الشريف ، الذي يجب أَنْ لا نرفع أصواتنا ونحن في المقام الشريف ، كالمسجد تماماً ، فمن المكروه رفع الأصوات في المسجد ، هل يمكن أَنْ نرفع أصواتنا ونحن في البيت ؟ ثم نرفعها ونحن في المسجد؟ إنّ الفرق بين البيت والمسجد كبير، وكبير جداً، في البيت نرفع أصواتنا ، نوسخ ، نبصق . . . ولكن هل يمكن أَنْ نفعل كل ذلك ونحن في المسجد ؟ لا وألف لا ، إنّ الشخص الذي يعتاد على رفع صوته في بيته ، يرفع صوته وهو في المسجد أيضاً . إنّ رفع الأصوات في المسجد عمل مكروه ، فكيف يكون إذن الشجار فيه ؟

خلاصة قولنا هي الإلتزام بالهدوء في مقام النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) وعدم الجهر بالصوت كالأصوات التي نرفعها عندما ندعو بعضنا البعض . إنني أشعر بأسف كبير عندما أرى في مقام الإمام الرضا (عليه السلام) ، وغيره من المقامات المقدسة ، عدم مراعاة الأدب كالصراخ ، والتكلم بصوت عالٍ ، وكأنهم لا يدركون المكان الذي يجلسون فيه ، والسلطان العظيم الذين هم في مجلسه ! إنّ الإلتزام بالأدب هو دليل التقوى .

الأدب هو دليل التقوى :

يقول القرآن الكريم : ﴿ **إنّ الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله ، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** ﴾ .

إنّ الأدب والتواضع يدلان على التقوى ، التقوى التي تتوغل في

القلب وتخترق اللحم والدم ، على عكس الإنسان الذي يتظاهر بالتقوى في كل عمل يقوم به ، في لسانه وعينيه ، في يديه ورجليه . . . ولكن قلبه مليءٌ بحب الدنيا وشهواتها . أما إذا دخلت التقوى الحقيقية إلى القلب ، نلمس أُولى آثارها في الآداب . إن القلب النقي هو الذي يركع أمام الله ورسوله ، أمام دين الله وأحكام هذا الدين ، أمام كل ما هو حقيقة ، إنّ الإنسان التقي يستسلم لأمر الله وكتابه ، ويدرك عظمة محمد ، ويستسلم لأوامره دون أنْ يتخلف عن أَداء واجباته الدينية مهما كانت صغيرة .

نقل عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله : « إنَّ من زار الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه كمن زار الله في عرشه » سُئِل ما المقصود من عارفاً بحقة؟ أجاب (عليه السلام) أي الذي يزور الحسين (عليه السلام) عارفاً أنه واجب الطاعة ، لأنه حجة الله على أرضه ، ومؤدٍ لرسالته . إن عظمة الله عز وجل لا تُعَدُّ ولا تُحصى ، فحجته إذن عظيمة ، حياً كان أم ميتاً . إنَّ إمامنا الرضا (عليه السلام) ، جسده تحت التراب ، ولكن روحه الطاهرة تحيط بالبشرية جمعاء .

لماذا الذهاب إذَنْ إلى المقامات :

إذا كان روح الإمام في كل مكان ، فلماذا إذَن زيارة المقامات المقدسة ؟ من أجل توضيح هذه الفكرة سنضرب مثلاً بسيطاً :

عندما تشرق الشمس تبعث بنورها على الأرض ، ففي الأرض توجد المناطق الرملية ، والمناطق الجبلية ، والصخرية ، والبلورية ، ويوجد أيضاً الماء والخضار و . . . . ففي أي منطقة يبدو نور الشمس أكثر إشعاعاً ؟ بالطبع في المنطقة البلورية . فروح الإمام إذن يوجد في كل مكان ، ويشع من كل مكان ، ولكن هذا الإشعاع يبدو أكثر جلياً في تلك القطعة الطاهرة التي احتوت ذلك الجسد الزكي . إنَّ الإمام الرضا (عليه السلام) هو الآن هنا يحيط بمجالسنا ، ولكن زيارة مرقده الشريف ، يعطيك روحانية ، ويضفي على روحك صفاءً لا تشعر به وأنت هنا في هذا

المكـان ، إذن لا يمكن أنْ نقيس المقامـات المقدسـة مع الأمـاكن الأخرى . لقد ركّزنا اليوم في حديثنا على ضرورة مراعاة الأدب في المقامات المقدسـة . إنَّ أتباع الله عز وجل الذين يتقيـدون بأوامـره ، وينفذون أحكـامه في كـل شيء ، ويراعون الأدب والهدوء ، وهم بين يدي الله ورسولـه ، هؤلاء هم أصحاب التقوى ، والإيمان ، وسأذكر لكم حكاية في هذا المقام .

لا تحرقه النار :

جاء في كتاب « تذكرة ابن الجوزي » وفي كتاب « فضائل السـادات » عن مالك بن دينار بأنّه رأى في سوق الحدادين مشهداً مثيراً للإستغـراب إذ كان أحد الحـدادين يجلس بالقـرب من فرن تـذويب الحديـد وكان يـدخل القصبان المعدنية داخل الفرن وعندما تصل درجـة حرارة القضبـان إلى حدّ الصهر ، يُدخل الحداد يـده داخل الفـرن ويخرج منـه المعدن بيـده العاريـة دون أن يشعر أو يصاب بأي مكروه .

تعجّب مالك بن دينـار من رؤية هـذا المنظر ، فـاندفـع نحو الحـداد متسائلاً عن سرّ هذا الأمر ؟ أجاب بأنّ هـذه المكرمـة نتيجة دعـاء (شريفة علوية) له وتفصيـل ذلك : هي أنّ علويـة زارته في سنـوات خلت في أيام المجـاعة والقحط ، وطلبت منـه بأن يقـرضها كميـة من القمح والـطحـين وبمجـرد أن وقعت عيناه عـلى جمالهـا شعر بميـل شديـد نحوهـا فطلب منهـا ارتكاب المعصية مقابل الطعام ، ولكنها أجابته بأنّها لم ترتكب أية محـرمة في حياتها ، قالت هذا وانصرفت ، ثمّ عـادت إليه بعـد عدة أيـام مستغيثة بـه وطالبة بعض الـطعام ولكنـه طلب منها نفس الـطلب وهي رفضت ذلك ، وعنـدمـا عـادت في المـرة الثـالثـة تـطلب الـطعـام عـاد وطلب منهــا نفس الطلب ، قبِلَتْ بذلك ولكنها طلبت منه أن يذهبـا إلى مكان لا يـراهما فيـه أحد ، فذهبـا إلى مكان خالٍ من أي مخلوق ولكن المرأة كـانت ترتجف من شدة الخوف ، وعندما سألها الحداد عن السبب أجابت بأنّ هذا المكـان غير خالٍ هناك مَنْ هو شاهـد عليهما ،أجابها الحـداد بالنفي قـائلاً لهـا بأنّـه لا

يوجد أحد في هذا المكان سوانا ، قالت المرأة بأنّ الله سبحانه وتعالى هو ثالثنا وكرام الكاتبين عندي وكرام الكاتبين عندك حاضرون هنا . بمجرد أن سمع الحداد هذا الكلام حتى اعتذر من المرأة وانسحب ولم يستجب لشهواته حيث وضع الله نصب عينه ﴿ لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ ، ثم قدّم لتلك المرأة العلوية ما أرادته من طعام وغذاء دون أن يرتكب أية معصية ، فرفعت العلوية يدها إلى السماء ودعت له وقالت : أطلب من الله أن يبعد عنك النار في الدنيا والآخرة كما أبعدتها عني . ومنذ ذلك اليوم لم تعد النار تؤثر فيه . إنّ هذا الحداد عاد إلى رشده والتزم بأوامر الله الذي هو فوق كل شيء .

جزاء الإحسان :

جاء في (فضائل السادات) بأنّ مالك بن دينار أو شخص آخر غيره جاء قبل سفره إلى بيت الله الحرام ، إلى الكوفة ، ليلتحق بالقافلة ، ويهيّىء لوازم سفره . في أحد الأيام ، وعندما كان ماراً بالقرب من مكان لا يوجد فيه سوى حطام وخراب ، رأى إمرأة تدخل إلى ذلك المكان ، وهي في حالة الحذر الشديد كي لا يراها أحد ، ثم تسرع وتَلُم دجاجة ميتة كانت مرمية على الأرض . أخذت المرأة الدجاجة ، وتابعت سيرها ، حتى وصلت إلى منزل ، طرقت بابه ليفتح لها عدد من الأولاد الذين أسرعوا بالسؤال عما إذا كانت قد جلبت لهم بعضاً من الأكل . أجابتهم أمّهم بأنها جلبت لهم دجاجة ، وسوف تطبخها هذه الليلة . وقف الرجل وراء الباب مذعوراً ، كيف يمكن أكل دجاجة ميتة ؟ طرق باب المنزل ليمنع المرأة عن أكل اللحم الميت . قالت المرأة بأنها لا تملك شيئاً تقدمه لأولادها . وأضافت المرأة أنه بالأمس عندما كان الجيران يطبخون ، تسربت رائحة اللحم إلى المنزل ، فأخذ الأولاد يبكون ، ويطلبون مني أن أطبخ لهم شيئاً ، لذلك فأنا مضطرة أَنْ أطبخ تلك الدجاجة الميتة وأَقدمها إلى أولادي . عندما سمع الرجل هذا الكلام أخرج من جيبه كل ما يملكه من المال الذي كان قد خصصها لسفره إلى الحج ، وكان بقيمة عشرة آلاف

درهم ، وقدمه للمرأة فهذا الرجل بعمله هذا قدّم أمر الله ورسوله ، عندما أعطى كل ما جمعه من المال لأداء فريضة الحج ، لهذه المرأة كي تدبر أمر نفسها وأولادها وأصبح هو دون مال ، فاضطر أَنْ يعيش مع ساقٍ في الكوفة . وعندما انتهى موسم الحج ذهب ليستقبل الحجاج وهم يعودون ، فكان بعض الحجاج يسألونه كيف استطاع أنْ يسبقهم في العودة ، وكان الجواب ، بأنه لم يذهب إلى الحج ، ولكنهم لم يصدقوا كلامه ، بل أكّدوا له بأنهم رأوه في (مِنى) و (عرفات) . وبعد ذلك سمع صوتا يناديه ويقول له : أقسمك بالله يا مالك أن تأخذ مني هذه النقود وتريحني ، قال مالك أي نقود ؟ أجاب الرجل بأنه عندما كان في إحدى الخيم في (مِنى) جاء أحدهم حاملاً هذا الكيس وقال له : هل أنت من أهل الكوفة ؟ قال له الرجل نعم ، قال : أعطي هذا الكيس لمالك بن دينار إنَّ عشرة آلاف درهم هي له ، تعجّب مالك كثيراً وأكّد للرجل بأنّه لا يعرف شيئاً عن هذه النقود ، ولكن الرجل كان قد كُلّف بإيصال الأمانة إلى مالك ، بعد ذلك وفي إحدى الليالي حلم مالك ، وعرف من الحلم بأنّ هذه النقود هي جزاءه في الدنيا ، أما جزاء الآخرة فهي محفوظة أيضاً .

خلاصة القول إذنْ هي أَنّ لا نتقدم على الله ورسوله ، فيا ويل لنا إنْ فعلنا هذا فيجب أنْ نتبع أوامر الله في كل عمل نعمله ، تنفيذ أوامر الله ، وليس أوامر الرغبات ، والشهوات ، والإلتزام بالأداب والأخلاق ، ونحن بين يدي الله ورسوله .

إحترام أبي الفضل (ع) لأخيه الحسين (ع) :

ونِعْمَ الأخوة التي تربط بين الحسين (عليه السلام) وأخيه العباس ، فإنَّ العباس (عليه السلام) كان يحترم أخاه كثيراً ، لأنه كان يعرف بأنَّ هناك فرقاً كبيراً بين الإمام ، وغير الإمام ، فالعباس (عليه السلام) لم يكن ينادي أخاه الحسين بكلمة « أخي » بل سيدي ومولاي ، والتزاماً منه بالأدب والأخلاق ، لم يكن يجلس أبداً في موقع متقدم من الحسين (عليه السلام) .

ليلة العاشر من محرم كـان العباس (عليـه السلام) يـدور كالفـراشة حول خيم الحريم ، وكذلك حول خيمة السيـد حتى تتأكـد النساء بـأَنَّ أبا عبـد الله الحسين (عليـه السلام) ليس وحيـداً ، بل هنـاك شخص يفديـه بـدمه وروحـه ، فقمر بني هـاشم كان يـريد أَنْ يـطمئن النساء التي كـانت خائفة أنْ يبقى الحسين (عليه السلام) وحيداً في ساحة المعـركة وبـأنَّ قمر بني هاشم يفديه بروحه ودمه .

فيا أيّها المسلمون أعود وأُؤكد عليكم ، على ضرورة مـراعاة الأدب ، والأخـلاق ، والإحترام ، عنـدما تكـونون أَمـام الله ، ورسـولـه ، والأئمـة أجمعين ، أمام القرآن ، وفي مجلس العلماء والسادات .

إنَّ أصحاب الحسين (عليـه السلام) رغم تمتعهم الكـامل بـالأداب والأخلاق ، ولكنهم كانوا دائماً يخافون أَنْ لا يكون الحسين (عليـه السلام) راضياً عنهم . فقمر بني هاشم ، وعلي الأكبر ، وغيرهما من بنو هـاشم ، لم ينزلوا إلى ساحة القتال ، قبل أَنْ يأذن لهم الحسين (عليه السلام) بذلك ، كـانـوا يحـملون الـسيـف والـترس ويـطلبـون الإذن مـن الحـسـين (عليه السلام) ، هل تأذن لي يا مولاي ؟

فيا أيُّها المسلم الشيعي ، يجب أنْ لا تفعل شيئاً دون إذن من إمامك . إنّ قمر بني هاشم جاء إلى الحسين (عليه السلام) قـائلاً لـه : لا أستطيـع أنْ أتحمـل رؤية الأطفـال وهم عطاشى ، هـل تسمح لي أَنْ أذهب وأجلب لهم بعضاً من الماء ؟ أَذن له الحسين (عليه السلام) بذلك ، حمـل العباس (عليه السلام) القربة على كتفه ، ووقف أمام الجيش ، وقال لهم : يا أيها الناس أُخبركم بأنه لم يبق من أصحاب الحسين (عليه السلام) أحداً ، ولا يوجد في الخيمة سوى الأطفال والنساء ، وهن عطاشى ، قد أحـرق الظمـأ قلوبهم ! لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

«٣»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ إنَّ الذين يَغُضُّونَ أَصواتَهم عند رَسُول الله ، أُولئك الذي امْتَحَنَ الله قلوبَهُم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾(١) . من أجل الإلتزام بالأدب في مجلس رسول الله ، يقول القرآن الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾(٢) ، نلاحظ في بعض الأحيان بأنَّه عندما يكون شخصان في حالة حوار مع بعضهما البعض ، ويحاول أحدهما أنْ يتفوق على الآخر بالكلام ، أو يغلبه في الموضوع الذي يتكلمان عنه ، يرفع صوته في وجه الآخر . إذَن بما أننا نقع في درجة أدنى من درجة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) الذي هو رسول الله على الأرض ، وهو واجب الإطاعة يجب أنْ لا نرفع صوتنا ، ونحن في مجلسه ، أو نتكلم معه ، كما نتكلم مع بعضنا البعض ، ﴿ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾(٣) . إنَّ الإنسان الذي يعرف حدوده ، ويقدّر الأعظم والأجل منه ، هو الإنسان الجدير بالتقدير والإحترام ، وهو إنسان متدين فعلاً ، لأنه يحترم الآداب الإسلامية ، ويعرف أنَّ عدم مراعاتها ستحبط

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٣ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ٢ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ٢ .

وستبطل له أعماله : ﴿ أنْ تحبط أعمالكم ، وأنتم لا تشعرون ﴾[1] .

الحرمان من بركة وجود الرسول (ص) :

يُفسر إحباط الأعمال عل شكلين : الوجه الأول فسره صاحب تفسير (مجمع البيان)[2] عليه الرحمه بأنه يبطل أجر وصواب التحدث إلى رسول الله ، إذ إنّ الجلوس في مجلس مبعوث رب العالمين فيه بركة ومنفعة عظيمة . هناك حديث بأَنَّ الجلوس ساعة في مجلس العلماء يساوي أجر ختم القرآن إثني عشرة مرة ، إنَّ الجلوس في مجلس الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) والتحدث إليه ، إلى مدينة العلم ، محمد المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، له أجر عظيم ، ولكننا نخسر أجرنا إنْ لم نراعِ الأدب والأخلاق في هذا المجلس ، ولا يعتبر ذلك عبادة ، أما إيذاء الرسَول (صلّى الله عليه وآله وسلم) فهو بمثابة إثم كبير ، بل هو كفر ﴿ أولئك لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾[3] .

الإرتداد يبطل كل الأعمال :

الوجه الثاني لإحباط العمل هو الإرتباط الكلي للأعمال الشرعية ، حيث يورد القرآن الكريم عدداً من الذنوب التي يمحى بفعلها كل الثواب المكتسب ، من جراء القيام بالواجبات الشرعية ، قبل ارتكاب الذنب . لنفترض أَنَّ شخصاً عمره ثلاثون سنة ، قد أدى جميع الفرائض الشرعية ، من صلاة ، وصوم ، وزكاة ، وحج ، ومن ثم عاشر الكفار ، وذهب إلى أماكن الفسق ، وارتدّ عن دينه ، سوف لن يبقى من أعماله طوال تلك السنوات ، حتى ركعتي صلاة ، ومثله مثل البقرة التي تدرّ عشرين كيلو من

---

(١) ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أنْ تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ سورة الحجرات : الآية ٢ .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن : تأليف الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ط . طهران وبيروت .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٥٧ .

الحليب ، ومن ثم تهدرها على الأرض بلبطة واحدة ، والشخص الذي يرتدّ عن دينه، سيجلب لنفسه العذاب الأبدي ، ولا منفذ له للنجاة، ولا تفيده كل الأعمال الواجبة التي قام بها، إذ إنَّه أبطلها بنفسه ، وكان مسلمًا وكفر ، أي إنّه يقول في نفسه إنّ كل الركعات التي صليتها كانت باطلة ، وزيارة الحج لم تكن مقبوله ، ولم يكن هناك أية ضرورة لتلك الزيارة .

إنزال السوء بالرسول (ص) يمحو ثواب الأعمال الحسنة :

يُعدُّ مسُّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بالسوء ، من مبطلات الأعمال الحسنة ، وهو بمثابة الكفر ، هناك نص قرآني واضح بهذا الخصوص . إنَّ إلحاق الأذى بالرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) يعني إنكار رسالته ، وعدم الإيمان بنبوته ، وهذا الأمر يبطل ثواب جميع الأعمال الحسنة . بقية الذنوب التي هي أدنى درجة من الإرتداد ، ومن إلحاق الأذى بالرسول ، يبطل الحسنات ، ولا يبطل الواجبات الشرعية ، كالصلاة ، والصوم ، وذلك بناءً على الآية الكريمة ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة ، خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[1] . الإساءة بالوالدين تبطل فقط مفعول الأعمال الإيجابية التي قد قام بها الشخص . لقد نقل عن سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) بأنَّه قال عندما علم بدفن جثمان أبي بكر بالقرب من مرقد الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بأنَّ الحفر على جوار مدفن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) هو عمل مشين ، إذ إنَّ الله تعالى قال في كتابه الكريم ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ وعلى الرغم من هذا نرى بأنَّ عمراً أيضاً قد أوصى بدفن جثمانه بالقرب من مرقد الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) . نورد هذا الكلام لنردَّ على الذين يقولون بأنَّ الدفن في جوار قبر الرسول فضيلة . ﴿ **إنّ الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة ، وأجر عظيم** ﴾ .

---

(١) سورة الزلزلة : الآية ٧ ـ ٨ .

تقوى القلب وتقوى الجسم :

إنَّ للتَّقـوى مصدرين : المصـدر الأول هو جـوارح الإنسان ومنشـأه التأثرات الخارجية عـلى الإنسان مثـل التربيـة البيتية ، والخـوف من معصية الله ، وعدم القيام بالفرائض الشرعية ،مثل الصلاة، والصيام، وذلك اتّقاءً للعقـاب في الآخرة ، تقـول الآية الكـريمة : ﴿ **مـا سلككم في سقر قـالـوا لم نك من المصلين** ﴾[1] ودفع الكفارة ، أو طمعا في نيـل شفاعـة الرسـول (صلّى الله عليه وآله وسلم) في الآخرة . إنَّ هذه التقوى هي تقوى الجسم والجـوارح . أما تقـوى القلب فهي الفهم المنغـرز داخـل قلب الإنسـان ، حيث يتعرف من خلاله على الله ، وعلى مرتبة الإنسان عنـده ، وهذا الفهم ينير له قلبه بفضل الله ، ويرتعش من ذكره ﴿ **إنّمـا المؤمنون الـذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾[2] ، و ﴿ **تقشعرّ منه جلود الـذين يخشون ربهم** ﴾[3] وغير ذلك ، يكون ذكر اسم الله عندهم سيّان ، مثل سائـر الأسماء العـادية التي لا تترك أثراً في النفس .

يحتاط كالقط ولكن . . . !

لإيضاح تقوى القلب ، وتقـوى الجوارح ، نـورد المثل التـالي : هـل رأيتم القط عند هطول المطر ؟ إنَّه يختار الأماكن التي تحميه من المطر ، فهـو يـدخـل إلى البيوت ، أو يمش بجـانب الحـائـط ، المهم أنْ لا يتبلل بنقـطة ماء ، ولكن عندما تأتي مسألة صيد السمك في الماء فتراه يقفز في الماء ، ولا يهتم أبداً بالتبلل ، لأن الأمر يتعلق بالبطن ، وبالهوى !

جـاء في كتاب (عـدة الداعي)[4] روايـة عن خـاتم الأنبيـاء محمـد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ما معناه : (إنَّهُ في يوم القيامة هناك أشخاص

---

(١) سورة المدثر : الآية ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٢ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٢٣ .

(٤) عـدة الداعي ونجـاح الساعي : تـأليف أحمد بن فهـد الحلّي (ت ٨٤١ هـ) ط .دار المرتضى . بيروت ١٩٨٧ .

صفحات أعمالهم بيضاء نظيفة ، ولكن يذهبون إلى النار ، وعندما يسأل الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) عن السبب في ذلك ، يقولون : نعم إنهم لم يكونوا تاركين الصلاة ، أو الصيام أو . . . ولكن إذا لاح لهم شيء من الدنيا ، وثبوا عليه) . فهذا الذي يؤتي الصلاة ثم يركض وراء المال الحرام ، كركض القطة وراء قطعة اللحمة ، لا أجر لصلاته ، مثلاً عندما يموت الأب يقوم أحد الأخوة بالإستيلاء على الميراث ، ويحرم أُخوته من ذلك ، لماذا ؟ لأنه لا يملك تقوى القلب !

الوقوف على عظمة الكون يؤتي بتقوى القلب :

لنتأمل الكون ، المجرات ، والنجوم ، إنَّ هناك آلاف الشموس الأخرى مثل هذه الشمس التي نراها ، وملايين المجرات التي لا ترى بالعين البشرية، لقد اكتشف نجم من المجرة الثانية قطره خمس مليارات وستمئة ألف كيلو متر ، ولو وجد هذا النجم في مجرتنا ، لشغل سدس سمائنا ولمحى الليل من عندنا على أثر ضوء ذلك النجم . إنَّ كل ذلك يسير بنظام معين ، بإرادة واحدة ، المدير واحد ، والمنظم واحد ، فكروا في حركة الكرة الأرضية إنما لا تتأخر ولو لحظة واحدة عن مدارها (يا من نفذ في كل شيء أمره) ، الشمس بعظمتها لا تتخلف ثانية عن ما يجب أَنْ تسير عليه ، وإنها مطيعة بالذات لذلك النظام . إنَّ الأشهر الإثني عشر تتكرر بانتظام . يطول الليل ، ويقفز بحساب خاص ، وعلى نفس الوتيرة ، في كل سنة . أولئك الذين بلغوا السنين من العمر ، يلاحظون بذلك جيداً ، في الشتاء يقصر الليل باضطراد إلى أول الربيع ، بحيث يتساوى فيه الليل والنهار ، في الزمن بعد ذلك يتساوى الليل والنهار ، ويطول النهار تدريجياً حتى آخر الربيع وينقلب الأمر من أول الصيف ، حيث يطول الليل ويقصر النهار ، ثم يعود ليتساوى الليل والنهار في أوّل الخريف ، وهذا النظام بنظرك أنت عمره ستون سنة وسيكون كذلك بعد ستين ألف سنة . قل : ﴿ **الله أكبر تبارك الله أحسن الخالقين ، ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ .

الفيل والبرغوث منظمان بطريقة واحدة :

إذا نظرنا إلى عالم الحيوانات ، وجدنا أَنَّ تنظيم الخلق واحد ، فإذا نظرنا على سبيل المثال ، إلى الحشرات ، كالبرغوث ، وجدنا أَنَّ خرطومه يشابه إلى حد بعيد خرطوم الفيل ، من حيث الشكل والوظيفة . إضافة إلى ذلك ، فخرطوم البرغوث إلى جانب قيامه بعملية الإحساس والتحسس ، فهو مثل الرادار من حيث تنبّهه للمؤثرات الخارجية ، ومن هذه المؤثرات تمرير اليد البشرية . إنَّ التأمل في خلق الله (عزّ وجلّ) والوقوف عند عظمة الكون والموجودات ، يذكّر الإنسان بعظمة الخالق ، وبالتالي بحقّانية رسله ، وبالأخص خاتم الأنبياء والرسل محمد المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلم) . فبقدر ما تكتمل عندك معرفة الله ، وعظمته ، وجلاله ، تزداد بنفس المقدار هذه المعرفة بنائية رسول الله . العالم هو فيض من الله ورسوله ، كبير ومعظّم لأنه مبعوث من قِبَل الله عزّ وجلّ .

لقدد كان الإمام الصادق (عليه السلام) لا يأتي بذكر إسم الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) على لسانه إلا عندما يكون على وضوء ، وكان ينحني إجلالاً لذلك الإسم . فالعظماء إذَن ، لم يذكروا اسم الرسول إلّا وهم على وضوء . إنَّ إسم الرسول وذكره جليل إلى درجة أنّه يستحب أنْ يتجنب المسلمون مسّ كتابة إسمه من دون الكون على طهارة وإلا إعتبر أنه هتك لإسم الرسول . تجدر الإشارة إلى أَنَّ هذا الأمر لا ينطبق على الأسماء المتداولة التي يأتي فيها إسم محمد .

آثار الرسول عزيزة أيضاً :

ولِأَنَّ شأن الرسول ومقامه عظيم لدينا ، يجب أنْ يكون آثاره أي كل ما يرتبط به عظيماً أيضاً . فقد ذُكر أن كل شخص لا يعير أهمية للسادة ، فهو لا يعظم الرسول ، وعندما تدرك عظمة الرسول يرتفع في نظرك شأْن السادة ، فتمتنع عن إيذائهم ، وتعاملهم معاملة لائقة . يقال بأَنَّ الشيخ جعفر كاشف الغطاء وزّع في إحدى المناسبات ما استحق من خُمس من

أموال بعض المؤمنين على الطلبة ، وبعد انتهائه توجّه إلى المسجد لصلاة الجماعة . أثناء الصلاة أتاه سيد فقير يطالب بمبلغ من المال ، وعندما بلّغه الشيخ بأنَّ المال قد وُزّع ، قام بعمل غير لائق لشدة غضبه ، وذلك بأَنْ بصق في وجه الشيخ الجليل . عندها انتظر الشيخ إلى أن مرّر يده على لحيته ومسح بها وجهه معرباً بأنَّه يريد أَنْ يعلو شأنه ، ويبيض وجهه ، عند سيدة نساء العالمين الزهراء سلام الله عليها . هذا التصرف يعكس إدراك الشيخ كاشف الغطاء عظمة الزهراء ، فهو بكظمه غيظه عمّا قام به أحد أحفاد الزهراء ، يوجد سبيلاً له إلى سيد المرسلين فيشفع له يوم الحساب . إذن السبيل إلى هكذا مواقف هو الإدراك الحقيقي لعظمة الخالق . نعود إلى الحادثة ونضيف بأنّ الشيخ لم يكتفِ بذلك ، بل قال : « من أَحبَّ لحيتي ، عليه أَنْ يرمي مالاً قدر استطاعته في جيبتي ! فأخذ المؤمنون يقدمون المال إلى الشيخ ، حتى جمع مبلغاً من المال ، وقدمه إلى السيد بأدب ثم قبّل يده ، وطلب منه السماح . فعل الشيخ هذا ، لأنه يريد التقرب إلى الله !

هذه هي تقوى القلوب . القلب الذي به خوف من الله وإدراك لعظمته . إن الذي يعرف الله يرى نفسه صغيراً أمام محمدٍ رسول الله ، ويكون خاشعاً أمام القرآن الذي هو كلام الله . وفي المقابل والعياذ بالله إذا لم يستميلك حب الله وتقواه . تقول الآية الكريمة : ﴿ **إنَّ الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله ، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** ﴾ . إحداث الضجة في محضر رسول الله ينمُ عن عدم معرفة شأن الرسول . ورجال الشرطة في مسجد النبي المسؤولون عن الحراسة ، يديرون ظهورهم لقبر الرسول ، ويستندون عليه ، فهم في عملهم بلا أدب ، أو إحترام . هكذا تصرّف لا يصدر إلّا عن شخص ليس بقلبه تقوى ، ولا معرفة للرسول . فرجال الشرطة كشيخهم (إبن تيمية) الذي يعتبر عالماً مهماً لديهم ، الذي يقول بأنّه لا فرق بين قبر الرسول وباقي القبور . هنا يخطر ببالنا سؤال عمّا إذا عرف عظمة الخالق ، كي يعرف عظمة الرسول . إنَّ الشخص الذي يدير ظهره لقبر الرسول ، أو يجلس ماداً رجليه باتجاه

الضريح المبارك ، والذي يمنع الزيارة ، ليس تقياً ، ولو اتّجه نحو المسجد لتأدية فريضة الصلاة . أنتم معشر الشيعة قد أدخل الله في قلوبكم التقوى ، وأسأله تعالى أنْ يزيد في ذلك .

تقول الآية : ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ أي أجرى لقلوبهم اختباراً إنْ كان به تقوى أم لا . إنّ المعنى الآخر للإمتحان هو الإنشراح والسعة ﴿ شرح الله صدورهم للتقوى ﴾ أي إنّ الله قد جعل القلوب رحبة ، وذات سعة ، لتتّسع للإستيعاب ، فالشرط الأول لتقوى الله هو أنْ يكون الإنسان ذا سعة صدر ، وشخصية كبيرة . لا يدرك عظمة السلطان ، فلا يكرّمه ويعظّمه . والأمي الذي يجهل القراءة والكتابة ، لا يستطيع أنْ يميّز بين الخط الحسن والرديء ، ولا يستطيع أن يدرك أهمية العلم والعلماء ، وبالتالي لا يدرك عظمة الله . فعلى الإنسان أنْ يسعى لكي يعقل ، ولا يكون صغيراً وحقيراً . وهنا لا بدّ لنا أنْ نسأل عن الصغر والحقارة ، وعن مظاهرهما .

عندما كُنْتَ في سن الرابعة ، أو الخامسة ، كان أبوك ، أو أُمك ، يعطيك مالاً قليلاً لتشتري به لعبة . هذا المال القليل ماذا أصبح الآن ؟ لقد أصبح كثيراً لأنّك أصبحت رجلاً مهماً . لمزيد من الإيضاح نروي حكاية السيد نصر الدين الذي قال لأصحابه : الحمد لله ، أنا ما زلت كما كنت في شبابي ، قال أصحابه كيف هذا ؟ قال : منذ الصغر لم أكن أستطيع أن أحمل صخرة قابعة في داري ، واليوم أنا لا أستطيع حملها تماماً كالسابق . بعض الناس لا يكبرون ولا يتغيرون في شبابهم يعيشون في غرفة من أربعة جدران ، وعند كبرهم يبقون فيها ، أما البعض الآخر ففي كبرهم جدرانهم الأربعة يحولونها إلى آلاف الجدران . المهم أنّ الصغر هو صغر الفكر ، وعدم النضوج . نسأل الله أنْ يكبّر عقولنا ويُنضجها الآن قبل الغد ، وقبل أنْ نموت .

« ٤ »

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات ، أكثرهم لا يعقلون ﴾ ، إنَّ الله تعالى بيّن سبب ذلك ، فهم (لا يعقلون) ، أي لا يفهمون ، إنّ درجة فهمهم لم تتطور لتصل إلى الفهم الإنساني بل بقيت كما هي تساوي درجة الفهم عند الحيوان . إنّ فهم المعاني القرآنية ، ومعرفة عظمة الله ، ورسوله ، وأهمية الوحي والرسالة ، تحتاج إلى عقل قوي ، وشخصية عظيمة ، تدرك عظمة الخالق ، وعظمة المرسل من قبل الخالق ، وهذا ما يدفعنا إلى الإيمان بصحة اختيار الله لأشرف البشر ، وأفضلهم قاطبة من حيث العصمة ، والطهارة ، والتّقوى ، والصّفاء الروحي .

إصبروا حتى يخرج إليكم :

إنَّ الآية التالية تتضمن معانٍ مهمة ﴿ ولو أنّهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم ﴾ هؤلاء الأعراب الجهلة ، الذين لم يعرفوا معنى للأدب والأخلاق وكانوا ينادون الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بصوتٍ عالٍ من خارج المنزل ، فلو أنهم صبروا حتى يخرج الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، إليهم ليطلبوا منه ما يريدون ، أي إنّهم لو راعوا الآداب والأخلاق في تعاملهم مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) لكان ذلك أفضل لهم . إنّ احترام مقام النبوّة ، ومراعاة الآداب

والأخــلاق ، في قبــال النبي (صــلّى الله عليــه وآلــه وسلم) ، وهي في مصلحتنـا نحن بالـدرجة الأولى ، لأنّنـا نصل إلى هـدفنـا بـطريقـة أفضـل وأحسن ، كـما أنَّ الله تعالى يـزيد في إيمـاننا ، ويـرسّخ الفهم في عقـولنا ، ويعمّق الحب في قلوبنا ، معنى حبّ الرسول والرسالة،عنـدها يـزيد أجـرنا وثوابنا ، فساعة صبر وتأني ، يتبعها أجر كبـير ، وثواب عـظيم . لو عـرف الأعــراب هـذا لتســارعـوا إلى كسب الأجـر ، والثـواب ، والـرحمـة ، والسعادة ! .

وهنا يجب التوقف عند قول ﴿ **لكان خيراً لهم** ﴾ لنوضح المعنى الكلي لذلك ، ونصل إلى حل العديد من المشكلات .

تهم النصارى إلى نبي الإسلام :

لقـد ألصقت النصارى ، بـأقلامهـا النحسة ، مـا طاب لهـا من تهم وافتراءات ، إلى القرآن الكـريم ، وإلى شخص الرسـول محمد (صـلّى الله عليــه وآلـه وسلم) ، لــدرجـة غــيّرت معهـا الحقــائق بشكــل كــلي . ولكن صــدر مؤخــراً في (أوروبــا) كتــاب تحت عنــوان : « التقصــير بــالنسبــة إلى مقــام النبــوة » وكتــاب آخــر تحت عـنــوان : « محمـد نـبي يجـب مـعــرفتــه مـن جـديـد » ، إنَّ تهـم هـؤلاء الخـوارنــة إلى محمـد (صلّى الله عليـه وآله وسلم) ، هي التي غـيرت الصورة الحقيقيـة ، لأنهم كـانوا يصـورونه عـلى أساس أنَّـه رجل يحب الشهـرة ، والرئـاسـة ، والجاه ، والإسم ، ويعظم نفسه في آياته القرآنيـة ، فنرى ذلـك في الآيات الخـمســة مـن ســورة الحـجـرات : ﴿ **لا تــقــدمــوا بــين يــدي الله ورسوله** ﴾ . فيضع نفسه أولاً مع الله ، ثم يقول لا تقدموا على محمد ، لا تـرفعوا أصـواتكم فوق صـوت محمد ، إلـزموا الهـدوء في مجلس محمد ، لا تـرفعوا أصـواتكم دون إذن منه . راعـوا عظمـة محمـد ، أو مثـلاً يجب أن تصلّوا على محمد ، عنـد ذكر اسمـه ، وغيرهـا من الأقاويـل التي تحاول أنْ تثبت بأَنَّ محمداً والعياذ بالله كان يريد أنْ يفرض احترامه على الناس .

إنّـه خيرٌ لهم :

إنَّ الجواب على كل هذه التفاهات ، والإتهامات ، والأقـوال الباطلة التي تلفقها الصهيونية بواسطة المسيحيين تلخصـه الجملة التاليـة : ﴿ لكان خيراً لهم ﴾ . فيا أيّها المسلمون ، ويـا أيها المؤمنـون بالقـرآن الكريم ، إنَّ الأحكـام التي أتى بها القـرآن المجيد ، لم تكن إلا من أجـل تأمـين مصلحة المسلمين : مصالحهم الظاهرية والباطنيـة ، التي تؤمّن السعادة لهم ، وليس في هذه الأحكام مـا يخدم المصـالح الشخصيـة ، فلعنة الله عـلى منْ كفر ، وقـال : بأنّ محمـداً (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) لم يكن يـريـد من هـذه الأحكام سوى مصلحته الخاصة !

زهـد محمد (ص) :

ما هي المنفعة الشخصية ؟ هي المال ، والجاه ، والسلطة ، والعزة ، والجـلال ، فأمـا المال لم يمتلك محمـد (صلّى الله عليـه وآله وسلم) لنفسـه حجراً يسند إليه ظهره ، مع أنّه لـو أراد ذلك ، لكـان باسـتطاعته أنْ يملك بيتاً أُقيم بنياته على أحجار من ذهب وفضة .

عندما رحل (صلّى الله عليـه وآله وسلم) من هـذه الدنيـا ، لم يكن يملك شيئاً حتى بيته المتواضع ، كان مبنياً من الـرمل ، والحصى ، وجـذوع النخل ، وكان يفترش أرض البيت الرمل ، وأحياناً قطعة من الحصير ، ولم يكن ينام (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلا على فراش متواضع ، مؤلف من وسادة مصنوعة من ألياف التمر الطبيعية ، موضوعـة داخـل جلد الماعـز ، وقطعة قماش طولها أربعة عشر متراً ، كان (صلّى الله عليه وآله وسلم) ينام على جزء منها ، ويغطي جسـده الطاهـر بالجـزء الآخر . وفي أواخـر أيامـه إتفقن زوجات الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) على أنْ يسمّكن قطعـة القـماش التي كـان ينـام عليهـا الـرسـول ، ولكنـه (صـلّى الله عليــه وآلـه وسلم)اعترض على هذا الأمر ، بعد أَنْ تأخـر تلك الليلة في نومـه أكثر من عـادته ، قـائـلاً لهن : لقـد ظلمتمـوني ، كيف تفعلن ذلـك دون علمي ،

قالت إحداهنّ : يا رسول الله لقد أصبح جسمك المبارك نحيلاً ، ويجب أن ترتاح في نومك أكثر ، أجاب (صلّى الله عليه وآله وسلم) أَعِدْنَ الوضع إلى ما كان عليه ، إنّ الفراش الناعم جعلني أنام أكثر من عادتي .

وكان الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) نائماً ذات يوم على الحصير ، من دون أَنْ يرتدي قميصاً ، عندما دخل عليه أحد أصحابه ، فاستيقظ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) من نومه ، وكانت خيوط الحصير قد تركت آثارها على جسده المبارك ، وما أَنْ رأى الرجل هذا المنظر ، حتى أجهش بالبكاء قائلاً : يا رسول الله . أنت سلطان السلاطين وتعيش هكذا ؟

فأين الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم)إذن من حب المال والجاه والشهرة ؟ أستغفر الله العظيم ، ولعنة الله على من تجرأ واتّهم الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بهذه الإتهامات الباطلة .

عبدٌ للّه :

كان الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) قد جلس في أحد الأيام على الأرض يتناول طعامه الذي كان دائماً التمر ، أو قطعة من الخبز ، كان (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول دائماً : « أحب الجلوس على التراب ، ولن أترك هذه العادة أبداً » ، فمرّت عليه امرأة وقالت له : أتجلس جلوس العبيد ، لو رآك أحد لما عرفك ؟! قال (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « ومن أعبد مني ، أنا عبد ربّ العالمين ، ملك الملوك » ، قالت المرأة : يا محمد منّ عليّ واعطني قليلاً من الطعام الذي تأكله ، فمدّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) يده ليناولها فقالت له : أقسمك بالله أنْ تعطيني من فمك المبارك ، أخذ رسول الله اللقمة من فمه ، وأعطاها للمرأة التي أكلت اللقمة ولم تمرض حسب شهادة أمير المؤمنين ، حتى آخر يوم من حياتها ، وذلك بفضل اللقمة التي كانت من فمه الشريف .

إذن كيف يمكن أنْ نقول بأَنَّ محمداً (صلّى الله عليه وآله وسلم)

كـان يحب الشهرة ؟ عنـدما كـان (صلّى الله عليـه وآله وسلم) يـدخل إلى مكان ما ، لم يكن يجلس أبداً في صدر المجلس ، لأنَّ مجلسـه لا يوجـد فيه صدر ، أو غير صـدر ، فهو مجلس مستـدير يختـار الرسـول المكان الشـاغر ليجلس فيه .

عندما كانت الوفـود تأتي من الخـارج ، لتلتقي بالـرسول (صـلّى الله عليـه وآله وسلم) ، كـانت تفاجـأ بمجلس الرسـول (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) ، فـالحضور جـالسين في دائـرة مستديـرة لا يمكن التميز بـين صدر المجلـس ومؤخرة المجلس ، فكانوا يسألون « أيّكم محمد ؟» كان (صلّى الله عليه وآله وسلم) يجاوب : « أنا هو ماذا تريـدون » .

الإبتـداء بالسـلام :

هـل كان محمـد (صـلّى الله عليـه وآلـه وسلم) من طـلاب الجـاه ، والجلال ، في الدنيا ؟ محمد (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) الذي كـان دائماً يؤكد التزامه بعاداته ، ما دام حياً ، منها : الجلوس على التراب ، والإبتداء بالسلام ، كان يبتدىء أياً كان بـالسلام ، بغضِ النـظر عن عمره ، أو من يكون ، وكيف يكون ، عندما كـان يلمح أحـداً ، قادمـاً من بعيد ، كـان يرفع صوته مبتدئاً إياه بالسلام قائلاً : « سلام عليكـم » .

وكـانت النـاس ومن أجـل أن تبتـدئـه بـالسـلام ، تختبىء وراء الجـدران ، تنتـظر قـدومـه الشريف ، لتسلم عليـه ، ولكنـه (صـلّى الله عليه وآله وسلم) كان ، قبل أنْ يصل إلى المكان ، يرفعٍ صوته قائلاً : « يا أيهـا الذي تختبىء وراء الجـدار : سلام عليكم » مؤكـداً أنّه لن يـترك هذه العادة أبداً .

إن الإبتداء بالسـلام ، هو خير دواء للتكبر ، إذن عليـك أَنْ تبتدىء بـالسلام حتى للّذين يصغـرونك سنـا . عندمـا تدخـل إلى البيت سلّم على زوجتـك وأولادك ، لا تقـل بـأني أنـا ربّ البيت ، وعليهم أنْ يبتـدؤوني بـالسـلام ، إذ يقـول القـرآن الكـريم ﴿ **فـإذا دخلتم بيـوتـاً فسلّمـوا عـلى**

أنفسكم ﴾[1] . إنَّ الإبتداء بالسلام هو خير دواء يشعر معه الإنسان بالتواضع الكامل ، وهذا ما كان الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) يتّبعه دائماً لأنَّ الله سبحانه وتعالى أمره بذلك : ﴿ **إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة** ﴾[2] .

لم يمط الفرس قط مع وجود مرافق راجل :

ثالث تعاليم الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) كانت مواعظه بالنسبة للسير ركوباً على الدواب مع وجود المرافقين ، يؤكد الرسول على أنْ لا يسير الإنسان راكباً ويرافقه شخص راجل . طبعاً لم يعد في أيامنا هذه حاجة لركوب الدواب للوصول إلى المقصد بوجود السيارات والوسائل السريعة . في الماضي كان البعض يركب على الدواب ويسير خلفه خادمه راجلاً ، فالويل لهذا الشخص . لم يعامل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قط أحداً في حياته هكذا معاملة وأيضاً لم يكن يعير أهمية لنوع الحيوان سواءً كان حماراً أو حصاناً أو جملاً ، كان (صلّى الله عليه وآله) يمتط الدابة المتوفرة لديه ولا يهتم بأن يكون للدابة سرجاً ودعاسات وحبالاً مربوطة به رأسه ، فكان أحياناً يركب على الدابة من دون سرج ويعلق حبلاً مصنوعاً من ألياف شجرة التمر على رأس الدابة وإذا كان أحد برفقته كان (صلّى الله عليه وآله) يدعيه بأن يركب خلفه على الدابة .

وجاء في كتاب « حياة الحيوان »[3] أسماء أربعة وثلاثين شخصاً ، حازوا على هذه السعادة وتشرفوا بالركوب خلف الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) منهم : فضل بن عباس ، ابن عم الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) الذي رآه الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) عندما كان يذهب (صلّى الله عليه وآله وسلم) من عرفات إلى منى ، وهو على

---

(١) سورة النور : الآية ٦١ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٥٤ .

(٣) حياة الحيوان الكبرى : للشيخ كمال الدين الدميري . ط . دار الفكر - بيروت .

ظهر جمله ، وكان ابن عمه يمشي تحت حرارة الشمس ، فأمره (صلّى الله عليه وآله وسلم) كي يصعد ، ويجلس خلفه ، أثناء الطريق وعظ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) إبن عمه مواعظ عديدة : « خف الله تجده أمامك . . . » . وجاء في رواية ثانية أنَّه أثناء الطريق نظر فضل بن عباس إلى امرأة أجنبية ، فنهاه الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك موضحاً أَنَّ النظر إلى امرأة أجنبية أمر حرام .

إذَن الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) لم يكن يرضى أبداً أنْ يسير راكباً ، ويرافقه أحدهم مشياً على الأقدام ، فكان (صلّى الله عليه وآله وسلم) إما يركّبه خلفه ، أو يقول له : « إسبقني أو دعني أسبقك ، أما أن تمشي جنبي على قدميك فهذا ما لا أقبل به أبداً » وهذا أكبر دليل على أنَّه (صلّى الله عليه وآله وسلم) لم يكن من طلاب الجاه أبداً .

وفيما يتعلق بتناول الطعام ، فكانت للرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) آداب خاصة يتقيد بها ، منها عدم إسناد ظهره إلى أي شيء وهو في حالة تناول الطعام .

عدم الإهتمام بالأكل :

لم يكن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) يهتم لأكله أبداً ، يقول أنس الذي قضى مدة تسع سنوات في خدمة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) يحضّر له الطعام ، يقول بأنَّه (صلّى الله عليه وآله وسلم) تأخر ذات ليلة في العودة إلى البيت ، فظنّ أنس بأَنَّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) مدعو إلى بيت أحد أصحابه ، فشرب مقدار الحليب الذي كان قد أعدّها للرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ليتعشى عليها . وعندما عاد (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلى البيت ذهب ليرتاح دون أنْ يسأل عن عشائه . ذهب أنس إلى الجامع يسأل عن الشخص الذي دعى الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم)إلى بيته فجاوبوه بأَنَّ الرسول

(صلّى الله عليه وآله وسلم) ترك المسجد منذ قليل بعد أنْ تأخر بسبب الأسئلة التي طرحت عليه . قال أنس : بالله عليكم ، محمد لم يأكل شيئاً؟ قالوا : أبداً .

يقول أنس : بأنّه كاد أنْ يذوب من شدة خجله خاصة وأنَّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) لم يطالبه بالأكل وعندما استيقظ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) عند السحور بدأ فوراً بصلاة الليل ، دون أنْ يسأل شيئاً عن الطعام ، ثم ذهب إلى الجامع من أجل صلاة الصبح ، وصام في اليوم التالي من دون سحور ، دون أن يسأل شيئاً عن طعامه .

إنَّ حياة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وزهده ، وتحمله المشقات ، من أجل الإسلام ، هي خير ردّ على تلك الأقلام السامة التي تحاول أنْ تظهر الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بأنَّه كان يعمل من أجل الجاه ، والمال ، والسلطة .

أُمنية أنس :

ما هي قصة أنس الذي قضى تسع سنوات كخادم فخري عند الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ؟ ، كانت الوفود التي تأتي إلى استقبال الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) عند دخوله المدينة ، تقدم له الهدايا ، أما والدة أنس فقد جاءت بإبنها إلى الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) قائلة : يا رسول الله أنا امرأة ضعيفة فقيرة ، وليس عندي شيء أقدمه لك ، فجئتك بإبني ليكون في خدمتك ، وآمل أنْ لا تردّ طلبي . فقبل الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بناءً على طلب الوالدة ، وبناءً على رغبة أنس ، فقضى الأخير تسع سنوات في خدمة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، بعدها طلب من الرسول أنْ يأذن له بالرحيل ، وذلك من أجل العمل وكسب المال ؟ قال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : يا أنس إنَّك قضيت تسع سنوات تعمل في منزلي ، والآن وقبل أنْ ترحل أطلب مني ما تريده حتى أنفذه لك ، والجدير بالذكر أنّه في تلك

الفترة كانت الدعوة الإسلامية قد انتشرت بين الناس ، وأصبحت الدولة الإسلامية قوية جداً ، وكان باستطاعة أنس مثلاً أنْ يطلب من الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنْ يسلمه الحكم على منطقة ما ، لأنّه (صلّى الله عليه وآله وسلم) قال لِأنس : بأنْ يطلب ما يريده ، دون أَنْ يحدد شيئاً معيناً . وكان أنس قد تعلم في تلك الفترة أشياء كثيرة ، فكان يفكر قبل أنْ يقدم على أي عمل ، خاصة وأنّه يعرف جيداً بأَنَّ طلب أمرٍ ما من رسول يملك الدنيا والآخرة . ليس بالشيء السهل فطلب أَنْ يمهله الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) مدة (٢٤) ساعة ليفكر . خطرت على بال أنس أشياء كثيرة في تلك الليلة ، فكّر بالأمور الدنيوية كالحصول على مائة رأس غنم ، أو مائة رأس جمل ، أو تولي الحكم في منطقة معينة ، ولكنه كان يطرد تلك الأفكار من ذهنه قائلاً : ما فائدة كل هذا طالما أنها زائلة . عندها وجّه تفكيره نحو طلب يفيده في آخرته ، فماذا يطلب ؟ هل يطلب المغفرة ؟ أم يطلب الجنة ؟ أم . . . حتى انتهى تفكيره إلى طلب البقاء جنب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) . وهل هناك أمنية أسمى من هذا ، وطلب ملحّ أكثر من هذا ، ومقام أرفع من أَنْ يبقى الإنسان مع الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ؟ .

عند قراءة زيارة عاشوراء نرفع أصواتنا ، ونخشع أمام الله عز وجل ، ونطلب منه هذا الطلب العظيم : (أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة) ويتناول شرح معيت الروحاني في كتاب (القلب السليم) مضمون هذه الفقرة من زيارة عاشوراء . (وأن يبلغني المقام المحمود الذي لكم عنده) . إقرأ زيارة عاشوراء ، واطلب حوائجك . فتنالها بإذنه تعالى ، ولكن الحوائج الدنيوية تفقد أهميتها أمام المعاني السامية التي تتضمنها هذه الزيارة .

اطلبوا المقام المحمود من الله عز وجل :

هل يمكن لعبد حقير مثلي أَنْ يبلغ المقام المحمود ؟ أين هو المقام المحمود؟ في يوم المحشر نجد مكاناً يسمونه المقام المحمود، وفي هذا المكان

يـوجد منـبر يبلغ عدد أدراجـه ألف درجة : جميعهـا من نور ، حيث يجلس رسـول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلم) في أعـلى درجة من هـذا المنبر وفي الـدرجة التي قبله يجلس أسـد الله الغالب عـلي بن أبي طـالب وفي الأدراج الباقية يجلس الأئمـة والأنبياء تبعـاً لمقام ومـرتبة كـل واحد منهم . والـذين رحلوا من هـذه الـدنيـا ، وقلوبهم مفعمـة بـالإيمـان والحب للرســول ، وللأئمة ، وحاولوا في دنياهم أنْ يكونوا مع الـرسول (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) ، سيبلغـون المقام المحمـود . وفي المقـام المحمـود يقف رسـول الله (صـلّى الله عليه وآلـه) في أعلى درجـة من هذا المنـبر ، ويقرأ الحمـد ، أو يخطب في الناس . وهناك رواية بأنَّ رسول الله(صلّى الله عليه وآلـه) يحمد الله من على هذا المنبر ، ويثني عليه بشكلٍ لا مثيل له .

هـل هنـاك سعـادة تـوازي هـذه السعـادة ؟ تبلغ المقـام المحمـود ، وتستمـع لرسـول الله يخـطب من هـذا المنـبر المنـير ، ويستمـع إليـه الأنبيـاء ، والأوصيـاء ، والأخيار ، والأبـرار ، والأئمة المعصـومين . إنَّ عـظمة بلوغ المقام المحمود تبدو واضحة عند قراءة زيارة عاشـوراء،حيث ندعـو إلى الله عزّ وجل ونقسم عليه بدم الحسين الذي هو ثأر الله ، وعطش الحسين الذي هو كذا وكذا ، أن يبلغنا المقام المحمود . إن الجو الروحـاني السامي الـذي يسيطر على الإنسان عند بلوغه هذا المقام ، يجعله ينسجم مع محيطه لدرجة تصعب عليه ترك المكان ، وترك منبر رسول الله ، حتى لو جاءتهم من الجنة رسالة تنقل شوق أهل الجنة لهم .

ويـروى عن الإمام الصـادق (عليـه السـلام) قـولـه : « إنّ الإمـام الحسين (عليه السلام) الذي يحرس عرش الله يوم القيامـة ، يجمع حـوله زواره ، ومحبيـه ، وشيعته ، فتنـزل عليهم الرحمـة ، والبركـة ، والسرور ، لدرجة لا يقدر على وصفها غير الله عز وجل ،حتى إنَّ الرسائل التي تأتيهم من أهـل الجنة وتنقـل إليهم شوق وانتـظار أهل الجنـة لهم ، يجاوبـون على تلك الـرسائـل سوف نجيئكم إنْ شـاء الله » ، إننا الآن في جـوار الحسـين (عليه السلام) ، ولا نستطيع أنْ نتركه .

هذه المسائل يمكن إدراكها ولكن يصعب وصفها ، إنَّ الذين يقرأون زيارة عاشوراء يتمنون الوصول إلى الحسين ، ومحمد ، وعلي ، (أن يجعلني معكم ، أَنْ يبلغني المقام المحمود) ، وهذا ما طلبه أنس من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) . وعندما سأل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنساً عما إذا كان قد فكّر في طلبه ، أجاب أنس : نعم ، قال (صلّى الله عليه وآله وسلم) ماذا تريد : قال : أريد يا رسول الله أَنْ أكون في جوارك في الآخرة . نحن نردد أيضاً في زيارة عاشوراء ، ونتمنى أَنْ نكون معهم ، ومن الممكن أَنْ يكون هذا الدعاء مجرد كلام نردده ، ولكن أنس كان يعني ذلك عن حق وحقيقة .

كثرة السجود تقربنا من الله عز وجل :

ولكن البقاء في جوار محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) له مستلزمات يجب أَنْ تتوفر ، ومن دونها لا يحظى الإنسان بتلك النعمة مهما ادّعى الإنسانية والتمدّن . إنَّ الحيوان مثلاً لا يمكنه الإستفادة من المعطيات الموجودة في تصرف الإنسان ، لأنّه لا يدرك قيمتها . إذن يجب أَنْ يصل الإنسان إلى درجة الإنسانية والروحانية ، كي يستحق البقاء في جوار محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) . ماذا كان جواب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) عندما طلب أنس البقاء في جواره ، قال (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « عليك بكثرة السجود ، أعني بكثرة السجود » . إن كثرة السجود تعمق العلاقة بين الإنسان وخالقه ، وتؤدي إلى نبذ الدنيا والتمسك بالواحد الأحد ، وهذه أقرب حالات الإندماج مع الله عزوجل .

وعندما نكون في حالة السجود ، من الأفضل أَنْ نبكي ونكثر من البكاء ، ونطيل في سجودنا ونردد عبارة : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » نرددها مائة مرة. مائتي مرة، ألف مرة ، مهما استطعنا أَنْ نكثر من التكرار ، يكون أفضل لنا .

كان الإمام السجاد (عليه السلام) يرمي بنفسه على الأحجار الساخنة ، عند أسفل الجبل في المدينة ، ويردد عبارة : « لا إله إلا الله حقاً

حقّا ، لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً » ولم يكن (عليه السلام) ينهي سجدته حتى يجري العرق من جسده المبارك .

إذن السجود لله عز وجل يقرّب الإنسان من الله ، وبالتالي من الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، لأنّه يزيد الإنسان روحانية ، ويبعده عن الماديات ، وهذا ليس بالأمر السهل ، فإذا استطاع الإنسان أَنْ يدركها ، يكون قد توصل إلى التقرب من الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

ونلاحظ أيضاً مضمون ما قاله رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) لأنس في كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) : يقول (عليه السلام) : جاء أحدهم إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قائلاً : يا رسول الله أرشدني إلى عمل أكسب منه رضى الله ، ورضى الناس ، وأحصل من خلاله على ثروة طائلة ، وجسم سليم ، وعمر طويل ، ويحشرني الله معك ، جاوبه (صلّى الله عليه وآله وسلم) : إذاكنت تريد أَنْ يحبك الله يجب أَنْ تخافه ، وتتجنب الوقوع في المعاصي ، وإذا كنت تريد أَنْ تحبك الناس يجب أَنْ تحسن إليهم ، ولا تطمع بما عندهم ، وعليك بدفع الزكاة حتى يزيد مالك ، وبدفع الصدقة حتى تحصل على جسم سليم ، وبالمحافظة على صلة الرحم حتى يطول عمرك ، ولكي تحشر معي يجب أَنْ تكثر من السجود لله عز وجل وتطيل في سجودك .

إذن التقرب من الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، والبقاء في جواره ، يلزمهما تجنب الوقوع في المعاصي ، لأنَّ المعصية تؤدي بالإنسان إلى النار ، وإلى التقرب من الشياطين . إذن علينا أَنْ نسلك طريق الإيمان والطاعة لله عز وجل ، وكلما زادت درجه الطاعة عندنا ، كلما قرب طريق الجنة ، وتوسع رقعة مجاورة الأنبياء والأئمة . وللسجدة أهمية كبيرة ، يبين من خلالها الإنسان عبوديته لله عز وجل ، وهي تسهل الوصول إلى حالة الروحانية ، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم ، ومصادر أُخرى متعددة ، وجميعها تؤكد على أهمية السجود لله عز وجل . وسنروي عدة نقاط جاءت

عن لسان الأئمة (عليهم السلام) حول أهمية وميزة السجود :

١ ـ السجدة هي طريق الأوابين ، (التوابين والمستغيثين بالله عزّ وجل) .

٢ ـ السجدة هي أصعب الأعمال عند الشيطان .

٣ ـ السجدة تنفض الذنوب تماماً كالريح عندما ينفض أوراق الشجر .

٤ ـ السجدة هي أقصى حالات الإندماج بين الإنسان وخالقه .

٥ ـ السجدة تجسد أقصى حالات الطاعة والعبودية للّه عز وجل .

في دفع الخمس أيضاً مصلحة للمسلم نفسه :

إنَّ الأحكام التي جاء بها الإسلام وفسّرها الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم)، ونشرها بين الناس، كانت جميعها في منفعة المسلمين أنفسهم، حتى الخمس الذي هو من الواجبات . لعنة الله على من قال بأَنَّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) وضع هذا القانون من أجل أولاده ! إنّ الهدف من الخمس هو تزكية النفس والمال ، وتعميق العلاقة بين المسلم ونبيّه ، وبين المسلم وأولاد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، هذا هو الهدف من الخمس فقط لا غير لأنّ الله عز وجل لم يجعل رزق أولاد الرسول في مالنا نحن .

جاء رجل بحراني إلى أحد الأئمة (عليهم السلام) ، حاملاً كيساً يحتوي على خمس مجوهراته . وضع الرجل الكيس أمام الإمام بطريقة ، وكأنه يقوم بعمل عظيم ، عندها نظر الإمام إلى خادمه وأمره بأَنْ يجلب له الوعاء الموجود في الحديقة ـ كان الوعاء يحتوي على الرمل والحصى ـ أمسك الإمام بالوعاء في يده ، وقرأ عدة أدعية ، ثم سكب ما في الوعاء على الأرض ، وإذا هي دراهم ومجوهرات ، جعلت كثرتها حاجزاً بين الإمام والرجل ، ثم قال (عليه السلام) للرجل : لا تظنوا أنكم تمنّون علينا ، نحن لا نحتاج إلى مالكم ، إنما نأخذه منكم لنزكيه ونطهره إن هذا الخمس الذي تؤدي حقّه في الحياة الدنيا ، هو الذي يسعفك في الآخرة ، حيث

ينادي المنادي : من كان عنده حق على محمد فلينهض . في ذلك اليوم الكل يتمنى أنْ يكون عنده حق على محمد ليشفع له .

يوم القيامة يوم صعب وعصيب ﴿ يوماً كان شرّه مستطيرا ﴾ في يوم القيامة يقف كل شخص خائفاً مذعوراً ينتظر شفاعة أحد ومساعدة أحد، لأنَّه يوم طويل جاء ذكره في القرآن الكريم ﴿ يوماً كان شرّه مستطيراً ، عبوساً ، قمطريراً ﴾[1] فما أحلى وألذّ تلك السعادة ، تسمع نداءً يقول من عنده حق على محمد ؟ فأهل المحشر يقولون : محمد عنده حق على الجميع ماذا يعني ذلك ؟ يقول المنادي : من التزم في الدنيا بدين محمد ، وأحسن إلى أولاد محمد ، وأكرمهم . ووقف إلى جانبهم ، فلينهض اليوم ليأْخذ حقه منه .

في ذلك اليوم نرى جزاء أعمالنا ، والشخص الذي خمّس ماله في الدنيا ، يرى جزاءه في الآخرة ، ويعرف بأَنَّ جميع الأحكام الإسلامية كانت في مصلحته ، حتى المستحبات منها كزيارة سيد الشهداء ، وإقامة مجالس العزاء له ، فهما أيضاً في مصلحة المسلمين ، يفيدهم في دنياهم ، وفي آخرتهم ، ففي الدنيا وكما هو معروف في روايات عدة ، وتجارب ثابتة ، أَنَّ زيارة سيد الشهداء تطيل العمر ، وتزيد في الرزق ، وتقضي الحاجات ، أما في الآخرة فقراءة هذه الزياة تخفف عنّا الذنوب ، وتشفع لنا عند الله عز وجل . جاء في كتاب (كامل الزيارة)[2] بأَنَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) علم باستشهاد الحسين (عليه السلام) ، وسائر أهل بيته (عليه السلام) ، وأخبر عنها ، وكان سيد الشهداء يسأل دائماً جده رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) عن زواره ويقول : فمن يزور قبورنا ، ويتعاهدها على تشتتها ؟ كان (صلّى الله عليه وآله وسلم)

---

(١) ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً . . إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً ﴾ سورة الإنسان : الآية ٧ ـ ١٠ .

(٢) كامل الزيارات : لأبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧ هـ) بتصحيح العلامة عبد الحسين الأميني ط . المطبعة المرتضوية في النجف الأشرف ١٣٥٦ هـ .

يجاوبه ويقول : طوائف من أُمتي ، يـريدون بـذلك بـري وصلتي ، وحقيق علي أنْ آتيهم يوم القيامة وأتعاهدهم في الموقف ، وآخذ بأعضائهم فأنجيهم من أهواله وشدائده ، ويسكنهم الله الجنة .

وجاء أيضاً في الكتاب نفسه في باب (فضل كربلاء)[1] حـديث عن أُم أيمن عن رسـول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلم) الـذي ترويـه السيدة زينب (عليهـا السلام) ، يـوم الحادي عشر من شهـر محـرم ، إلى الإمـام زين العـابدين (عليـه السلام) ، فتقـول لـه : قـال الـرسـول (صـلّى الله عليه وآله وسلم) : « وينصبون علماً ورسماً لقبر الحسين (عليـه السلام) لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه ، على كرور الليالي والأيام ، وليجتهـدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة ، في محـوه وتطميسـه ، فلا يـزداد أثره إلا ظهـوراً ، وأمره إلا علواً » . ويعتبر هذا الحديث من الأخبـار الغيبية التي تحـدث عنها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، والمحاولات الخسيسة التي قام بها بني عبـاس ، وبالأخص المتـوكل الملعـون ، في هـدم مقـام سيـد الشهـداء (عليـه السلام) ، جميعهـا باءت بـالفشل ، ولا يـزال مقام الإمـام الحسين (عليه السلام) عامراً وبكثرة زواره .

يقول الشيخ شوشتري في (الخصـائص) : إنَّ هذه القبـة العاليـة ، تـزداد عظمـة بنائـه وجمال زينتـه ، يومـاً بعد يـوم ، ويمكن مثـلاً أنْ ينتهي العمل في بناء بيت الله الحرام ، وفي سائـر المقامـات المقدسـة ، ولكن عند حرم سيد الشهداء ، لا يعرف العمل النهاية .

ومنذ اليوم الذي هدم المتوكل اللعـين هذا المقـام ، ثم أعاد بنـاءه ، منذ ذلك اليوم وخلفاء بني عباس ، والسلاطين الذي جـاؤوا من بعدهم ، يهتمـون بذلـك المكان العـظيم حيث أخذوا يبنـونه ، ويجيـدون في بنائـه ، ليزيدونه جمالاً من ناحية حسن البناء ، وجمال الـزخرفـة ، وكثرة المـرايا التي تزيد في روعة المكان .

---

(١) صفحة ٢٥٩ الباب الثامن والثمانون .

ويقول المؤلف بأنّه منذ كان في الخامسة من عمره ، وحتى الآن الذي تجاوز الستين ، لم يتذكر يوماً من الأيام بأَنَّ العمل توقف في ذلك المكان ، وحسب الظاهر فإنَّ العمل سيبقى مستمراً حتى يوم القيامة .

يقول مترجم كتاب « الخصائص » المرحوم شهرستاني بأنّه كان شاهداً أيضاً على بناء القبة الجديدة وتوسيع صحن الدار وترميم الجدار وتزيين مداخل الحرم وغير ذلك من المشاريع العمرانية .

وعندما حظيت في سنة ١٣٦٠ هـ . بمجاورة مقام أمير المؤمنين (عليه السلام) في (النجف الأشرف) كنت أرى في كل مرة أذهب فيها إلى زيارة ، سيد الشهداء (عليه السلام) ، مشاريع تحصين وتوسيع الحرم المطهر ، وحجارة المرمر التي كانت تلتصق على الجدران . ما أروع الحديث الذي نقلته أُم أيمن عن لسان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بما معناه : تحمل الملائكة أقلاماً من نور ، وتكتب على جبين زوّار الحسين (عليه السلام) عبارة « هذا زائر الحسين » وفي يوم القيامة يشع هذا النور من جبين زوّار الحسين (عليه السلام) ، حيث يميزون عن غيرهم !

«٥»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ ولـو أنّهم صبروا حتى تخـرج إليهم لكان خيـراً لهم ، والله غفور رحيم ﴾ .

يبينّ الله عزّ وجل مسألتين في هذه الآية :

الأولى : مسألة الصبر والأدب ، **والثانية** نتيجة الصبر والأدب ، وما فيها من خير لـلإنسان ﴿ ولـو أنّهم صبروا حتى تخـرج إليهم ﴾ أي لو أنَّ الناس كانوا مؤدبين مع الرسـول ، ولم يثيروا الشغب ، بـطرحهم لمشاكلهم بشكـل عشوائي ، وانتـظروا حتى يخـرج الـرسـول إليهم ، فيتكلمـوا معـه بهـدوء ، ﴿ لكـان خيـراً لهم ﴾ أي لكـانـوا ظفـروا بمـا فيـه مصلحتهم وخيرهم .

هـذه التعاليم الإلهيـة هي بالـدرجـة الأولى لتكـريم شـأن الـرسـول وتعظيمه . فعلى الناس في مجلس الرسول أَنْ لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت الرسول ، ولا يتقدموه في المشي ، ويراعوا جـانب الأدب في محضره ، وكل ذلك هو خير لهم .

يدفع الناس من حب الدنيا إلى حب الخالق :

هـل الرسـول كان من أولئـك الـذين يـطلبـون الجـاه ، والجـلال ،

والشهـرة ؟ لعن الله من يقول ذلـك ! هناك عشرون صفـة يجب أَنْ تتـوفـر لـدى كـل نبي أو إمـام . أحـدهـا : الإبتعـاد عن حب الـدنيـا ، فـإذا كـان في قلب الـرسـول ذرة من حبّ الـدنيـا ، لما كـانت الـرسـالـة تبعث إلـيــه . النـبي يـعني ذلـك الـشـخص الـذي يجـلب اهـتـمام الـنــاس إلى الآخـرة ، ولـو أنّـه كـان يحبّ الـدنيـا لـدفـع النـاس إليهـا . نقـرأ في دعـاء النـدبـة : (بعـد أَنْ شرطت عليهم الـزهـد في درجـات هـذه الـدنيـا الـدنيّـة وزخـرفهـا وشرطـوا لـك ذلـك) فـأوّل صفـات النبـوّة هي الزهـد في الدنيـا ، وغير ذلـك يصبح مثله كمثـل طبيب يداوي الناس وهوعليل . الأنبياء والأئمـة أطباء الـروح ، أُوتوا لينقـذوا الناس من حبّ الدنيا ، وليجلبوا اهتمامهم لله ولـلآخرة ، وهـذا فيه منفعـة المسلمين وخـيرهم . أنت عندمـا تواظب عـلى إجلال شـأن الرسـول في تجلّب النفع والثواب لنفسك ، وتقوّي بذلك دعائم الإيمان والمعرفة .

لا تظن بأَنَّ الرسول يحتاج إلى صلواتك عليـه عند ذكـر اسمه ، بـل أنت الذي تحتاج إلى أَنْ تقيم هذه الصلوات ، ذلك لأنَّ الله ومـلائكته قـد صلّوا على النبي **﴿ إنَّ الله وملائكتـه يُصَلُّون على النبي يـا أيُّها الـذين آمنوا صَلّوا عَلَيْـه ﴾**[1] وعلينا نحن أَنْ نحـذو حذوهم . الصـلاة على الـرسـول تمحو الذنوب ، وتقرب المسافة بـين العبد وربـه ، وكل هـذا يدلنـا على أَنَّ الصلاة على الرسول تعود بالخير الكثير على المصلي نفسه . يقول النبي عليـه الصلاة والسلام : كل من يصلي عليّ مرّة أنا أُصلّي عليـه عشرات المرات . « فهو خير لكم ـ إنْ تصبروا خير لكم ـ أن تصوموا خير لكم » كل مـا طلبه الله من عباده أي كل الأحكام الإسلامية هي لمصلحة الإنسان ومنفعته .

في الرسالة أجر للمؤمنين :

﴿ قُل لا أسألُكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ﴾[2] . إنَّ المقصود في (المودة في القربى) هو الحب ، والتعلق بذريـة وسلالـة الرسـول إلى يوم

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٦ .

(٢) سورة الشورى : الآية ٢٠٣ .

القيامة . هنا نسأل أنفسنا وهل في ذلك نفع للسادة ، أو هل هم يجنون من ورائها مكاسب شخصية . الجواب على ذلك هو أنَّ الأجر يعود على جميع المسلمين ، ويستفيد المؤمنون من بركة حبِّهم للسادة ، فيتقرّبون بذلك من الرسول(صلّى الله عليه وآله) الذي سُخِّرت الجنة ، والنار ، والكون له ، فإذا أردنا أنّ نستفيد من هذا السلطان ، علينا أنّ نلجأ إلى ذريّة الرسول ﴿ وما أسألكم عليه من أجر فهو لكم ﴾[1] .

الصيام يمنح الإنسان الروحانية :

قد يقول الجاهل : وهل الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى الصيام والصلاة ؟ الجواب هو أنَّ المحتاج للصلاة والصوم هو الإنسان نفسه . فهو عندما يتذّكر الله يرتفع قليلاً عن مرتبة الحيوانات ، فيعرج من ظلمة الشهوات ، والغرائز ، والجهل ، وحب الطعام ، والماديات ، يحركه شهر الصيام رمضان ، ويوقظه من الغفلة ، ويرتقي به إلى العلى بمستوى الملائكة . إنَّ الدخول إلى المسجد ، والوقوف في صف المصلين ، والتفوّه بنداء «الله أكبر» ينمّي الإنسان تماماً كالصيام ﴿وإنْ تصوموا خير لكم﴾[2] الذي يكمل الدين ويقوّي الروحانية في الإنسان . يجد لنا الإنسان طريقة إلى ربه فيكفيه الإبتعاد عن الغرائز الحيوانية ، فهو يشعر بلذة فائقة ، وخصوصاً عند السّحر ، عندما يناجي ربّه ، ويتقرّب إليه . هذه اللذة يحرم النائمون أنفسهم منها على الرغم من علوّها وسموّها ، اللذان لا يوصفان ، وإنما يُدركان (يدرك ولا يوصف) . الصيام يدخل الإنسان إلى جموع الصابرين ، فيجد نفسه عالياً لا حيواناً يدبّ على رجلين . أولئك الذين لا يأتون بواجباتهم الدينية كالصيام بسبب غير شرعي ، يؤذون أنفسهم ، ويثبتون بذلك بأنّهم أضعف من نداء البطن ، فهو كالأسير بين

---

(١) ﴿ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إنْ أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ﴾ سورة سبأ : الآية ٤٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٤ .

يدي شهواته وبالمقابل يثبت الصوم بأَنَّ الصائم صاحب عزّة ، وبأَنَّه يتمتع بدرجة عالية من الروحانية الصيام مثل الزكاة التي يعطيها الإنسان للمحتاج . ظاهر لأمر هو أَنَّ الفقير قد حصل على مبلغ من المال ، ولكن الحقيقة هي أَنَّه قد حصل على مكسب عظيم. المعطي يتوهم بأنّه قد خسر كمية من المال . فما هي حقيقة الأمر ؟ إنَّ الزكاة هي بمثابة نور يشع في ذات الإنسان فيطفىء الإنفاق في سبيل الله نار جهنم ويزداد التهاب نار جهنم بالبخل ﴿**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**﴾[1] .

يستحبّ أن يقبّل المرء يد الفقير . كان الإمام السجاد عندما يمنح مالاً في سبيل الله يقبل يد نفسه فعندما سُئِل عن الأمر أجاب : ألم تقرأوا وهو ﴿ **يأخذ الصدقات** ﴾[2] فالله هو الذي يأخذ الصدقات ، فكأنَّ يدي قد وصلت إلى يد الله ، وهل هنا شرف أعلى من ذلك ؟!

إنّ يد السائل قابلة للتقبيل ويد المعطي أيضاً قابلة للتقبيل . إنْ كنت بخيلاً ولم تنفق في سبيل الله ، فتستحق قطع اليد ، وتزيد حرارة النار التي ستغمرك في جهنم . أما الصَّدقة فهي حائل بين الشخص والنار « الصدقة جُنّة من النار » .

الإنفاق يجلب السخاء :

من فوائد الإنفاق هو تحلّي الإنسان بالكرم والسخاء ، هذه الصفة التي هي السبيل الحقيقي للغنى ، وهو الوجه الأفضل الذي نستطيع أنْ نلتقي به بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أسد الله الغالب ، وأصل الكرم والسخاء . فالبخل هو الصفة المنافية لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) فلا سبيل إلى علي (عليه السلام) بالبخل . الإنفاق يقرّب الإنسان إلى علي (عليه السلام) فبذلك يكون الشخص المنفق هو المستفيد

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٠ .

(٢) ﴿ ألم يعلموا أنَّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأنَّ الله هو التوّاب الرحيم ﴾ سورة التوبة : الآية ١٠٤ .

الأوّل من النفقة . التقرب من الكرماء أمثال أمير المؤمنين (عليه السلام) ، يقرّب الإنسان إلى أكرم الأكرمين رب العالمين ، فيكتشف في ذاته صفة من الصفات الإلهية ، فيرجع إلى أصله ، ويبتعد عن الجنة البخيل من الناس ، ويبتعد عن الله ، وعن محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) وعن آله .

على المسلمين أجمعين أنْ يعرفوا بأَنَّ أداء الفرائض والواجبات الإلهية هو لمصلحتهم ، أما المحرمات فلا تجلب لهم إلاّ الضرر والشقاء .

في الصبر أجر غير محدود وتنقية كبيرة للنفس :

يقول الله في كتابه الحكيم ﴿ **صابروا - اصبروا ، إن الله مع الصابرين** ﴾ . تعني هذه الآية أَنَّ الله يؤازر الصابرين ، ويعطيهم أجراً على ذلك ويقول أيضاً ﴿ **أَنْ تصبروا خيرٌ لكم** ﴾[1] . أي يعطيك الصبر هدوءاً وراحة ، وعلى العكس عدم الصبر يجلب القلق وتوتّر الأعصاب والمرض ، وهو إضافة إلى ذلك لا يفيد الإنسان في آخرته ، ولكن مع الصبر تأتي البركة ، والحياة اللذيذة والوعد بالجنّة . إنَّ إحدى دروب الجنّة يوم القيامة هي للصابرين . وأجر الصبر لا حدود له ﴿ **إنَّما يُوَفَّى الصابرون أَجرَهُم بغير حساب** ﴾[2] إنْ أردنا أَنْ نرسخ صفة الصبر في أنفسنا علينا أَنْ ننظر لمن هم دوننا مستوى في القدرات المادية . مثلاً فالمستأجر يجب أَنْ يقارن نفسه بمن هم دونه كالذين لا يملكون مالاً كافياً لإستئجار منزل يسكنون فيه ، لا بأصحاب العمارات الضخمة والسيارات الفارهة . وخلاصة الأمر هي إنَّ جميع التكاليف التي كلّفنا الله بها هي من أجل مصلحتنا ومنفعتنا ، وهي كفيلة بأنْ توصلنا إلى الصلاح ، وتبعدنا عن الطلاح (أي الفساد) .

---

(١) سورة النساء : الآية ٢٥ .

(٢) سورة الزمر : الآية ١٠ .

أداء الواجبات المتبادلة بين طرفين :

الشرائع في الإسلام متناسقة بحيث عندما تفرض واجباً على فرد تعطيه حقاً مقابل ذلك . إذ إنَّ القوانين الإجتماعية هي عبارة عن حقوق متبادلة بين الأفراد . نرى في هذه الآية الشريفة أَنَّ الله يأْمر المسلمين بمراعاة جانب الأدب مع الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) والمواظبة على إعلاء شأن خاتم الأنبياء بحيث أَنَّ خلاف ذلك يحبط أعمال الإنسان . ومن ناحية ثانية يخاطب محمداً ويقول له : ﴿ **واخفضْ جناحَك لمن اتَّبَعَك من المؤمنين** ﴾[1] . وبناءً على هذا نرى أنّ الرسول كان يقضي أمور المسلمين بكل رحابة صدر ، وكان يزور المرضى ، ويسير في الجنائز .

سلّم على المؤمنين :

﴿ **إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلامٌ عليكم ، كَتَبَ ربُّكم على نفسه الرَّحمة إنَّهُ من عمل منكم سوءً بجهالةٍ ، ثم تاب وأصلح ، فإنَّه غفور رحيم** ﴾ لقد سرّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) كثيراً عندما نزلت عليه هذه الآية ، إذ إنَّها بشارة من الله سبحانه وتعالى للذين آمنوا برسالة محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، بأَنَّ السلام ، والطمأنينة ، والرحمة ، هي لهم ، ومن يرتكب الذنب سهواً ، ويتوب بعد ذلك ، فتوبته مقبولة .

يوردون في تفسير هذه الآية الرواية التالية : بأَنَّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) عندما كان يأتي إلى المسجد ، كان هناك البعض من أصحابه ، وهم فقراء بحيث أنهم لم يملكون ثياباً حتى للسترة ، فكانوا يجلسون جنباً إلى جنب ، ويسترون أرجلهم بقماش واحد . فكان الرسول يجلس بجانبهم ، ويسلم عليهم ، ويقول لهم : إنَّ الله أمرني أن أؤدي واجب الإحترام لكم[2] .

---

(١) سورة الشعراء : الآية ٢١٥ .

(٢) تفسير منهج الصالحين .

يحترمون حقوق الأمّة :

لقد أوضحنا كيف أَنَّ الحقوق الإجتماعية متبادلة بين الأفراد . كما أنَّ هناك أوامر كثيرة باحترام السادة ، والإحسان إليهم ، والتودد لهم ، ويوجد أيضاً أوامر صريحة للسادة بـأنْ يتمتّعوا بـالخلق الحسن ، وبالتـواضع ، ولا يأخذهم الغرور من أنهم أحفاد الرسول . عليهم أنْ يكـبّروا شأن المؤمنـين إذ إنهم قد آمنوا بـرسالـة جدكم رسـول الله ، عليكم أيها السـادة أَنْ تحبوا المؤمنـين كـما تحبـوا دين جـدكم الإسـلام . عليكم أنْ تضعـوا المصـالـح الشخصية جانباً ، عند تعاطيكم مع المؤمنين ، وعلى المؤمنـين الإلتزام بهـذا الأمر أيضاً .

لقـد ورد في (بحـار الأنـوار) المجلد السـادس خـبر بـأَنَّ الـرسـول (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) قـال مخـاطبـاً الهـاشميـين ، وهـو في فـراش الموت ، بما معناه : يا بني عبد المطلب السيـد هو كـل من وصل بنسبـه إلى هـاشم الجـد الأعـلى للرسول ، فـلا أريد أَنْ أرى السـادة قـد دخلوا يـوم القيامة من دون عمل، بينما سائر المسلمين يدخلون بأعمال صـالحة. إذ إنني لا أستطيع أَنْ أفعل شيئاً لهم عندئذٍ . أكـثر من هذا نـرى الرسـول يخاطب أبنته فاطمة ويقول لها « يا فاطمة إعملي ولا تغترّي » .

يطلب الرسول من السادة أَنْ يكـونوا مؤمنـين صالحـين ، يعملون في سبيل مرضاة الله ، وجلب رحمته . ولا يظنّون بأنهم يستطيعون أَنْ يرتكبـوا المحرمات ، ولا يقيمـوا الصلاة ، ولا يؤتـوا الزكـاة ، ولا يصومـوا في شهر رمضان ، كل ذلك لأنهم سادة . فـالرسـول (صلّى الله عليـه وآله وسلم) يقول « إني لو عَصَيْتُ لهَوَيْتُ » فما بال سائر السادة ؟ هـو يريـد أَنْ يفهمهم أَنَّ من أخطأ عوقب على خطأه . يقول بعض الجهلة بأَنَّ السادة لا يذهبـون إلى جهنم مطلقاً ، بل يذهبون إلى الزمهرير هذا الكلام هـو من ابتداع من لا علم لي بهم . لكن على أي حال من قال بأَنَّ الزمهرير عذابـه أخفّ من عذاب جهنّم ؟ تقول الروايات بـأَنَّ الزمهـرير هي قـطعة تقـابل جهنّـم في البرودة وكل من ابتـلي بها يتمنى بـأَنْ يذهب إلى جهنم ، العـذاب الإلهي لا

يفرق بين سيد وشيخ ، وعام وخاص ، وجاهل وعالم .

الإبتعاد عن الذنب أوجب على السادة من غيرهم :

إذا ارتكب أحد السادة ذنباً ، فإنَّ عقابه على ذلك يعادل ضعفي ما يعاقب عليه من هم ليسوا سادة . في كتاب (الكافي) خبر يقول « للمحسن منا أجران وللمسيء منا عقابان » فأحفاد الرسول إنْ أحسنوا عملاً فلهم أجران وإنْ ارتكبوا الذنب لهم عقابان . العقاب الأول جزاءً عما ارتكبوا من ذنب ، والعقاب الثاني للإهانة الموجهة إلى النسب الشريف . فالنساء من السادة يجب أنْ يدركن هذا الموضوع جيداً ولا يظهرن ، أمام الرجال سفوراً (الأجانب منهم) لأنّهنَّ أَهَنَّ سمعة الزهراء (عليها السلام) ، وسمعة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ونسبه ، فيصبحون عدواً داخلياً ، وهو أمر صعب للغاية . على السادة أنْ يكونوا في الصف الأول للمؤمنين والصالحين ، كي يكونوا قدوة للآخرين ، فأحفاد الرسول أولى من غيرهم بالتمسك بشريعة محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وعلى النساء العلويات أنْ يكنَّ في المقدمة من حيث العفة ، والعصمة ، والتشبه بجدَّتهنَّ الزهراء ، كي يكنَّ قدوة لسائر النساء .

الواجبات المتبادلة بين الزوج وزوجته :

لقد أعطى الإسلام حقوقاً لكل من المرأة والرجل في الحياة الزوجية . فمن جهة تقول الآية الشريفة ﴿ **الرجال قوّامون على النساء** ﴾[1] . أي من الواجب على المرأة إطاعة زوجها بحيث إنها إذا نامت وزوجها غير راضٍ عنها لعنتها الملائكة حتى الصباح . وإذا كانت علاقتها متوترة بزوجها ، فصلاتها غير مقبولة . حتى الصيام استحباباً ، والإنفاق استحباباً ، وسائر الأعمال المستحبة ، يجب أنْ تكون بإذن الزوج .

---

(١) سورة النساء : الآية ٣٤ .

مقابل ذلك جعل القرآن حقوقاً وتكاليف للرجل بالنسبة لزوجته مثل النفقة على الأكل ، واللبس ، والمسكن ، وغير ذلك ، وقد ورد في الأخبار أَنَّ أحد الأشخاص المؤمنين كان يبكي رداً على إصرار الآخرين له بأنْ يتزوّج ، فعندما استفسروا منه عن سبب البكاء أجاب : أنا نفسي لا أستطيع العبور على الصراط المستقيم ، فكيف تريدون مني أَنْ أرتبط بزوجة ، وأعبر بها الصراط إلى الجنة ؟! إذ إنَّ المسؤولية الدينية للنساء تقع أيضاً على عاتق أزواجهن يقول الله في كتابه العزيز : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً** ﴾[1] . ويقول في مكان آخر : ﴿ **وعاشروهنّ بالمعروف** ﴾[2] أي على الرجال أَنْ يحسنوا إلى زوجاتهم ، ولا يأخذوا المآخذ عليهم ، فذلك يعتبر خلافاً للشرع ، فالويل للزوج الذي يأْخذ المآخذ الغير ضرورية على زوجته ، أوْ نعوذ بالله يعمد إلى ضربها . فلقد انتزع الشرع من الرجل حق التحكم بزوجته إلى درجة أنه لا يستطيع أَنْ يأمر زوجته بأَنْ تنظف البيت ، ولكن في نفس الوقت نجد أَنَّ الرسول يخاطب النساء قائلاً لهن : « جهاد المرأة حسن التبعّل » أي رعاية شؤون الزوج ، والبيت ، ونظافته ، والإهتمام بالمظهر أمام الزوج ، وتربية الأطفال ، وإرضاعهم ، ففي كل جرعة حليب تقدميها لرضيعك ثواب عتق نفس ، وما أعظم هذا الأجر !

نود أَنْ نوجه كلمة إلى الآباء فنقول لهم بأَنَّه لا حق لهم بأَنْ يجبروا نساءهم على إرضاع أطفالهم ﴿ **وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ** ﴾[3] فتأمين طعام ، ولباس الأولاد ، على الآباء ، وبالتالي الأم غير مجبرة على إرضاع أولادها ، إذن نفقة الولد حق له على والده ، إلا أَنَّه يجدر بالأمهات اللواتي أعطاهن الله القدرة على الإنجاب كما أعطاهن الحليب المدَرّ ، كرزق لأولادهنّ الرضّع ، أَنْ لا يبخلن فيما أعطاهنّ الله . فبدافع الأمومة والمحبة

---

(١) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

على الأم القيام بهذا العمل الإنساني .

كما وأنّ الله قد أوصى الرجل بـزوجته : «عليكم بـالضعيفين النسـاء وما ملكت أيمانكم » فالإهتمام بالمرأة من وصايا الرسول ، وجزء من وصايـا أمـير المؤمنين ، ذلـك لأنَّ قدرة المـرأة وطاقتهـا على التحمـل قليلة ، وعـلى الرجل أنْ لا يـواجه قلة تحملها بعصبية لأنَّ ذلـك يؤدي إلى تفاقم الأمـور وتعقيدها . فإذا تشاجرا ، وبدر عن المـرأة عملاً أزعـج زوجها ، عليـه أَنْ يـواجه ذلـك ببرودة لا أَنْ يـرد لها مـا فعلت . على الـرجـل في مثـل هـذه الحالات أَنْ يبادر إلى العفو متذكراً أَنَّ زوجته أقلّ قدراً عـلى التحمل منـه . فوضع الرجل يختلف عن وضع المرأة ويكمّله .

أَنْ أَسعد بين النساء :

رحـم الله أحد الأصدقاء المحترمـين وأتمنى أَنْ يستعمل جميـع الرجـال طـريقته في إنهاء المشـاكل . فهـو إذا ما أحسَّ بـأَنَّ شجـاراً سيحـدث أنهى المناقشة القائمة بطرفة :

ففي إحـدى المرّات ، وبينـما هـو يتشـاجـر مـع زوجتـه ، قـالت لـه زوجته : أسأل الله أَنْ يضيعك بين الرجال ، أي أَنْ يميتك ! فأَجـابها لكني بـين النسـاء أَسعـد ! فـأضحكهـا هـذا الجـواب ، وشـاركهـا الـزوج في الضحك ، واستحال الشجار إلى مرح .

حقوق الوالدين والأبناء أيضاً متبادلة :

حق الوالد عـلى أولاده الإحترام والـطاعة ، وحق الـولد ، ولـو كان صغيـراً ، على والـده الإحترام . عـلى الوالـد تجنب إبقاء أولاده في الحـرج والضائقة ، وعلى الوالـدين حسن تربيـة وتأديب أولادهم ، حتى يصلوا إلى سن الزواج . إضافـة إلى ذلك من حق المـرأة على زوجهـا لا يقل عن حق الرجل على زوجته ، فعـلى كل إنسـان أن يقوم بـواجبه عـلى أكمل وجـه ، حتى لا يكون مقصراً أمام الله . ففي يوم الحسـاب يتجمع أصحـاب الحق حـول من لهم عليـه حق ، ويحـاصروه وقـد ورد في دعـاء الإمـام السجـاد

(عليه السلام) : « من أيدي الخصماء غداً من يخلصني » أي من الذي ينجيني ، ويفكّ أسري ، من بين يدي من لهم حقّ لدي . وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿ يوم يفرّ المرء من أخيه ، وأمّه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ﴾[1] .

ففي يوم القيامةما أنْ تقع عين الرجل على زوجته يفرّ منها . أيها المسلمون يوم الحساب هو اليوم الذي يفرّ فيه الولد من والديه ، ولكن لماذا هذا ؟ خوفاً من الحقوق المفروضة عليه ، والتي لم يقدمها لهم ، خوفاً من أنْ يمسك به أبيه ويقول له : أتذكر يوم لم يتكن تؤدي واجباتك تجاهي في الدنيا الفانية ؟ وما أنْ يرى الرجل زوجته حتى يهرب منها خوفاً من الأمر نفسه . ولكن لات فرار ، وإلى أين المفرّ « فلا يمكن الفرار من حكومتك » . هذا هو يوم المحشر وابتداء الحشر .

(١) سورة عبس : الآية ٣٤ .

«٦»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا إنْ جاءكم فاسقٌ بنَبَأ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصيبُوا قَومَاً بجَهَالَةٍ ، فتُصبِحوا عَلى ما فَعَلتُمْ نَادمين ﴾[١] .

لا تهتموا لكلام الفاسق :

لقد تكلمنا في القسم الأول من (سورة الحجرات) ، عن كيفية التصرف أمام رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، ومراعاة الأدب والأخلاق في مجلسه ، وهذا ما تطرقنا إليه بالتفصيل خلال هذا الأسبوع ، وسنبدأ اليوم بشرح الواجبات والأحكام الأساسية في علاقة المسلمين بعضهم البعض ، هذه الأحكام والواجبات التي تؤمن للمسلمين سعادة الدنيا والآخرة ، في حال التزموا بها ، وإنْ لم يلتزموا بها سيقضون على أنفسهم في الدنيا والآخرة .

الحكم الأول الذي يواجهه كل واحد منّا ، ويبتلى به ، والذي ورد في هذه الآية المباركة ، بشكل تهديد ، هو : إذا جاء أحد المنافقين بخبر إليك ، إيَّاك أنْ تتسرع في الحكم ، وتأخذ موقفاً من هذا الكلام ، وتشعل النار من دون سبب ، لأنك ستندم فيها بعد على عملك هذا . سأضرب

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٦ .

لكم مثلاً في هذا المجال : يقول لك أحدهم بأنّه رأى أثناء غيابك عن المنزل ، شاباً يدخل إلى بيتك ! فتصدق أنت هذا الكلام ، ويجن جنونك ، وتقيم الدنيا ولا تقعدها ، وتتشاجر مع زوجتك ، حتى ينتهي الأمر بكما إلى الشكاوى ، والمحاكم ، ومن ثم الطلاق . ويتبين فيما بعد بأَنَّ الشاب الذي دخل منزلك كان أخ زوجتك ، والشخص الذي نقل لك الكلام تكلم قبل أَنْ يتأكد من هوية الشاب ، وأنت صدقته قبل أَنْ تفكر قليلاً في الموضوع ، وعندما يتضح لك الأمر تندم على الطلاق الذي أقدمت عليه .

إنَّ أنواع المآسي ، التي نراها ونعيشها في مجتمعاتنا ، ناتجة جميعها عن هذه المواقف اللامسؤولة التي نتخذها ، والتي تؤدي في النهاية إلى القطيعة ، والتفرقة ، والحقد والكراهية .

الحرمان من مجلس العالم :

هناك مسألة ظاهرة للعيان وهي ابتعاد الناس عن المساجد ، والاستفادة من مجالس العلماء ، ويعود السبب إلى الأقاويل الفارغة التي يروجها البعض ضد هذا العالِم أو ذاك : مثلاً يختلف أحدهم مع عالمٍ ما حول مسألة معينة ، فيبدأ بنسج الأكاذيب ضد هذا العالم ، ونشرها بين الناس ، ونحن نصدق فوراً هذه الأكاذيب ، ونمتنع عن الذهاب إلى الجامع الذي يصلي فيه هذا العالم ، فنحرم أنفسنا من صلاة الجماعة ، والإستماع إلى خطبة هذا العالم . ﴿ **إنْ جاءكم فاسق بنبأ فتبيَّنوا أَنْ تصيبوا قوماً بجهالةٍ . .** ﴾ إنني أوصيكم بعدم الإستماع إلى الأحاديث الفارغة التي تسمعونها هنا وهناك ، حتى لو كانت هذه الأحاديث تطال في مضمونها زوجاتكم ، وأزواجكم ، أو أصدقائكم ، ويجب أَنْ تتأكدوا أولاً من مدى صحة هذه الأحاديث ، ومن ثم تأخذون المواقف المناسبة ، لأنَّ المتكلم يمكن أَنْ يكون قد فعل ذلك بدافع الحقد ، والحسد ، والكراهية ، التي يكنّها لشخصٍ ما ، تماماً كالحادثة التي كانت سبباً في نزول هذه الآية .

بني المصطلق ووعيد الفاسق :

في السنة التاسعة للهجرة ، عندما كانت الدعوة الإسلامية تتوسع يوماً بعد يوم ، كانت قبيلة (بني المصطلق) بزعامة حارث بن ضرار الخزاعي ، واحدة من جملة القبائل التي اعتنقت الإسلام ، وانضمت تحت راية الحق ، فوعد زعيمها الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بأنْ يرجع إلى قومه ، ويعلمهم آداب الإسلام ، ويجمع منهم ما يتوجب عليهم من زكاة ، وطلب من الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) أَنْ يرسل إليه في يوم ـ تمّ تعيينه ـ شخصاً ، كي يأتي بالزكاة إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

وبالفعل نفذ حارث بن ضرار الخزاعي ما واعد الرسول عليه ، فعاد إلى قبيلته يعلمهم آداب الإسلام وأحكامه ، من صلاة ، وصوم ، وزكاة ، ثم جمع الزكاة من الجميع ، بانتظار اليوم المتفق عليه مع الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وعندما تأخر الموفد ، قرّر حارث بن ضرار الخزاعي مع مسلمين من بني المصطلق ، على الذهاب إلى المدينة ، لإيصال الزكاة إلى الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) فحملوا المال ، والسلاح ، وساروا نحو المدينة .

في هذا الوقت كلف رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) رجلاً مسلماً يدعى وليد بن عقبة ، والذي كان أخاً لعثمان من أُمه (كان وليد بن عقبة يتظاهر بالإسلام ولكن الله عز وجل فضحه فيما بعد) أَنْ يذهب مع عدد من الأشخاص إلى بني المصطلق لأخذ الزكاة منهم . سار وليد نحو القبيلة ، ولكنه قبل أَنْ يصل رأى حارث وعدداً آخر من أفراد القبيلة يتوجهون نحو المدينة ، حاملين الزكاة معهم . والجدير بالذكر أَنَّ وليد كان في السابق قد اختلف مع هذه القبيلة ، وأدى خلافهم إلى الحرب والقتل ، لذلك كان يكره هذه القبيلة كرهاً شديداً ، هنا تحرّك روح الإنتقام عنده ورأى الفرصة المناسبة لينتقم لنفسه ، ويشفي غليله ، ويطفىء النار التي لا تزال تُحرقه ، منذ وقوع تلك الحادثة الدموية التي وقعت قبل الإسلام ،

فعاد سريعاً إلى المدينة ، وفي رأسه ثلاثة أكاذيب كان يريد بواسطتها أنْ يقضي على تلك القبيلة . جاء إلى الرسول وبدأ بتنفيذ خطته ، فكانت كذبته الأولى : « يا رسول الله إنهم ارتدوا على الإسلام » والثانية : « امتنعوا عن الزكاة » والثالثة : « أرادوا قتلي ! » وكان يهدف من خلال هذه الأكاذيب ، أن يهيج الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، ليرسل جيشاً قوياً ، ويبيد به هذه القبيلة ، وبالفعل ، فإنَّ الشخص العادي يتأثر بتلك الأقاويل ، ويؤدي تأثره هذا إلى الحرب ، والتقاتل ، وسفك الدماء ، ولكنّ الرسول (صلّى الله عليه وآله) ﴿ **وما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحى** ﴾[1] ، ورغم وقوف العديد إلى جانب وليد ، وإلحاحهم الشديد على إرسال الجيش لمحاربة تلك القبيلة ، وأسر النساء والأولاد ، ومصادرة الأموال ولكن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بقي منتظراً الوحي الإلهي حتى جاءته هذه الآية المباركة .

إنَّ وقوع هذه الحادثة تعترف به الشيعة والسنّة ، لأنَّه أمر لا يمكن الخلاف حوله ، حتى ولو كان وليد أخاً لعثمان .

وصمة عار بالنسبة لعثمان !:

إنَّ هذا الرجل الفاسق ، والذي يدعى وليد ، كان قد عينّ من قبل عثمان ـ أثناء خلافة هذا الأخير ـ محافظاً على (البصرة)، وهذا أكبر نموذج على تفضيل المصلحة الشخصية على المصلحة العامة . إنَّ الشخص الذي يصفه القرآن بالفاسق ، ثم يأتي خليفة المسلمين ويولّيه منصباً مهماً كمنصب المحافظ ، المنصب الذي يعطي صاحبه صلاحيات واسعة في القيام بأيّ عمل .

وهذاالرجل الفاسق أكثر ذات ليلة من شرب الخمر وذهب في اليوم التالي إلى المسجد ، وهو في حالة سكر شديد ، وقف في المحراب وصلى

(١) سورة النجم : الآية ٣ ـ ٤ .

صلاة الصبح بأربع ركعات بدل ركعتين . عندئذٍ رفع المصلون أصواتهم بالإعتراض فأجابهم بأنَّه (مبسوط) هذا الصباح ، وأراد أَنْ يصلي سبعاً أو ثماني ركعات . ولكنه راعى حال الموجودين وصلّى أربع ركعات !! ولم يكد ينهي كلامه حتى تغير وضعه ، وأخذ يستفرغ في الجامع ، عندها عرف الحاضرون بأنَّه سكران ، فاعترضوا عند عثمان قائلين له بأنَّه لم يراعِ في تعيينه هذا سوى مصلحة أخيه . ولم يقبل عثمان حتى بعد أَنْ تمّ عزل وليد أَنْ يقيم عليه الحد ، ويقال بأَنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمر بإقامة حدّ السكر عليه .

إذن الإسلام الظاهري غير كافٍ ، يمكن أَنْ يكون أحدهم مسلماً ينطق بالشهادتين : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أَنَّ محمداً رسول الله » أو يصلي في الظاهر ، ولكنه يرتكب كافة الجرائم من قتل ، وفسق ، وفجور ، و . . . لماذا ؟ لأنَّه مسلم في الظاهر ، ولكنه لا يلتزم بالتعاليم الإسلامية ، وسيتضح هذا الأمر جلياً في الآيات الأخيرة من (سورة الحجرات) .

وخلاصة القول إننا يجب أَنْ لا ننجر وراء أي كلام نسمعه ، بل علينا أَنْ نتأكد أولاً من صحة الكلام ، ومن ثم نأخذ الموقف المناسب ، فهل هناك تحريف أسوأ ممّا قاله وليد في حقّ (بني المصطلق) ، عندما ادّعى بأنّهم خرجوا عن الإسلام ، وامتنعوا عن دفع الزكاة ، وأرادوا قتله ؟!

استشهاد العلماء :

إنَّ النتائج السلبية ، والويلات التي تسببت بها تلك الأكاذيب ، عديدة ومتنوعة ، فهناك دماء هدرت ، وأموال سلبت ، وعائلات تشرَّدت ، لماذا ؟ لَأنَّ هذا الحسود ، أو ذاك اللئيم ، رمى فتنة ، ولطخ بها سمعة أناس شرفاء ، أو تسبب بهذا الأمر ، أو ذاك ، العلماء العظام ، الذين ذهبوا ضحية ألسنة الناس ، العالم الكبير محمد بن مكي ـ أعلى الله

مقامه ـ (الشهيد الأول) ، والقاضي ، نور الله شوشتري ـ أعلى الله مقامه ـ .

سنضرب مثلاً آخر في هذا المجال :

التهمة المنسوبة إلى الإمام في عهد منصور الدوانيقي :

عندما تسلم منصور الدوانيقي ، ثاني خلفاء العباسيين ، منصبه ، أراد مقربوه أنْ ينالوا رضاه ، ليحصلوا منه على مكاسب ومناصب، فبدأوا بخلق الأكاذيب ضد الأبرياء والأتقياء ، وكل ذلك من أجل مصالحهم الشخصية . ووصلت الجرأة والوقاحة بأحد الأشخاص إلى أنْ زوّر إمضاء الإمام الصادق (عليه السلام) ، وطبع أوراقاً تحمل هذا الإمضاء ، ويحث الإمام ، من خلال هذه الأوراق ، الناس ، على الذهاب إلى (خراسان) وإجراء الإستعدادات اللازمة ، للقيام ضد الدوانيقي . كما زوّر إمضاء معلى بن خنيس ، المسؤول المالي لدى الإمام ، وطبع أوراقاً يؤكد فيها ابن خنيس ، بأنَّ الإمام يجمع المال من أجل تحقيق هذا الغرض . لم يترك منصور وسيلة ضغط أو ظلم ، إلا ومارسها ضد الإمام (عليه السلام) ، حتى وصل به الأمر إلى طلب الإمام للحضور إليه ، احترم منصور الإمام الصادق (عليه السلام) في بادىء الأمر ، ولكنه سرعان ما رفع صوته قائلاً : أتريد أنْ تخرج عليَّ وتقضي على حكومتي ؟ قال : كلا ليس صحيحاً والله ، قال منصور : عندي ما يثبت ذلك ، إنك تخالف حكمي ، وتدّعي بأنَّك أحق بالسلطة ، فتريد أن تقضي عليَّ ! قال الإمام بما معناه حسب الرواية المنقولة في (بحار الأنوار) ، والله أعلم : لقد وصلت إلى سنّ لا يسمح لي بذلك ـ كان الإمام (عليه السلام) قد تجاوز الستين ـ عندما كنت شاباً ، لم أفكر في ذلك ، فكيف أفكر بها ، وأنا في حالة الشيخوخة .
قال منصور للإمام بأنَّ الشخص الذي استولى على هذه الرسائل موجود وسيرسل في طلبه ، وافق الإمام (عليه السلام) على ذلك ، عندئذٍ أرسل المنصور في طلب ذلك الفاسق اللعين الذي أتى ، ووقف أمام الإمام (عليه السلام) . سأله المنصور عن مصدر الرسائل ، أجاب بأنها من

جعفر بن محمد (عليه السلام) ، قال (عليه السلام) بأنَّه لم يحرض أحداً على فعل هذا العمل ، ولم يكتب هذه الرسائل ، لأنَّ الخط المكتوب به ليس خطه ، قال اللعين : بلى إنها لخطك ، قال (عليه السلام) : هل تقسم ؟ قال : نعم أُقسم ، عندها اطمأن منصور بأنَّ الحقيقة ستتوضح إذا أقسم الرجل ، قال الرجل : « والله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الطالب الغالب » قال الإمام لا أريد أَنْ تقسم هكذا ، أقسم كما أقول لك ، وافق الرجل على ذلك ، قال له (عليه السلام) قل : « **برئت من حول الله وقوته ، إن لم يفعل جعفر كذا** » ، بدأ الرجل بالقسم ، ولكنه قبل أَنْ ينهي قسمه انتابته رعشة قوية ، فأخذ يلف حول نفسه ، شمالاً ويميناً حتى وقع على الأرض ، وأخذ يولول وينوح ، فاضطرب منصور من هذا المنظر ، وأمر بإخراج اللعين من الغرفة ، وجاء حرس المنصور ورموه خارجاً . وبقي على هذا الحال حتى فارق الحياة ، عندها عرف منصور الحقيقة ، وأخذ يعتذر إلى الإمام (عليه السلام) ، ويطلب المسامحة منه ، سأل منصور الإمام (عليه السلام) وقال له : لماذ غيّرت القسم ؟ قال (عليه السلام) : بأنَّ الرجل في قسمه الأوّل كان يؤكد على وحدانية الله عز وجل ، فخفت أَنْ يترحم الله عليه ، عندها لا تتبين الحقيقة .

ما ألطف وأعمق هذا الكلام ! إنَّ الشخص الذي يؤكد على وحدانية الله ، حتى ولو بلسانه ، يمكن أَنْ يرحمه الله . وبالمقابل البراءة من الله هي من أفظع الأعمال . وعندما أقسم الرجل بالبراءة من الله إنْ لم يكن الإمام هو الفاعل ، عندها اتضّحت الحقيقة .

عظمة كلمة التوحيد :

من هنا يتبين لنا عظمة كلمة التوحيد ، كلمة (لا إله إلا الله) ، فالإمام الصادق (عليه السلام) يقول بأَنَّ هذا الرجل الكاذب المخادع يمكن أنْ ينال رحمة الله إذا أقسم وأكّد على الوحدانية .

يا رب ، إنَّ هذا الملعون الشقي الذي تجرأ على الإمام واتهمه بتهم

باطلة ، كان من الممكن أنْ ينال رحمتك ، فكيف نحن الذين نؤكد دائماً ، رجالاً ونساءً شباباً وشيوخاً ، نؤكد على وحدانيتك ، ولا ننقطع عن ترداد كلمة (أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له) فارحمنا يا رب .

ويا أيّها المسلمون عندما تقفون أمام أهل القبور لا تنسوا أنْ تدعوا لهم : « السلام على أهل لا إله إلا الله ، من أهل لا إله إلا الله يا لا إله إلا الله ، بحق لا إله إلا الله إغفر لمن قال لا إله إلا الله ، يا إلهي بحق حرمة هذه الليلة المباركة ، ليلة الجمعة من شهر رمضان وبحق حرمة لا إله إلا الله إغفر لأهل لا إله الله ، إلهي بحق لا إله إلا الله الذي هو كما جاء في العديد من الروايات أعظم من سبع سموات ، يا إلٰهي أنعم علينا برحمتك وبركاتك » .

روى الشهيد الثاني في (شرح لمعه)[1] ما قاله رسول الله : «من قال آخر كلمة : لا إله إلا الله دخل الجنة » . ونحن لا نعرف كيف ستكون عليه آخرتنا ، وما هي آخر كلمة نقولها ، إذن على كل واحد منّا أنْ يفكر في نهايته وآخرته ، ويعمل لها . اطلبوا من الله ما شئتم في هذا الشهر الفضيل (شهر رمضان المبارك) لأنّه شهر المغفرة والرحمة . يا إلٰهي ، إرحمنا واجعل عواقب أمورنا خيراً ، واجعل أفضل ساعات عمرنا تلك الساعة التي نفارق فيها الحياة ، واطلق لساننا في تلك الساعة على كلمة أشهد أنْ لا إله إلا الله .

الموت مع حب الإمام المهدي (عج) :

نقل لي أحد الأصدقاء قصة أخيه التي ترجع إلى خمسين عاماً ، عندما كان أخوه في سنّ الثامنة عشرة ، يقول الصديق بأنَّ أخاه كان يحفظ (زيارة الجامعة) والأئمة الإثني عشر ، للخواجة نصير الدين ، عن ظهر قلب . يبتلي أخ صديقنا بمرض شديد ذوّبَ له لحمه ، وَحَوَّله إلى حالة أشبه

(١) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية : لزين الدين الجبعي العاملي (الشهيد الثاني) ط . دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٨٣ م .

بالهيكل العظمي ، والعجيب في الأمر أنَّه كان رغم مرضه الشديد ، يردد مع نفسه (زيارة الجامعة) والأئمة الإثني عشر ، وفي الساعة الأخيرة من عمره ، وعندما كان يردد مع نفسه الأئمة الإثني عشر ، عندما وصل إلى اسم الإمام المهدي (عج) قام من فراشه ووقف على رجليه ، ورمى بنفسه على عتبة باب الغرفة ، وقال : أهلاً بك يا سيدي ! عندئذٍ جاء أهله ، ورفعوه عن الباب ، ففارق الحياة بين يديهم .

إنْ دلّ هذا على شيء إنما يدل على الحب الحقيقي لأهل البيت (عليهم السلام) ، وللأئمة المعصومين . كل هذا كان في الماضي أما اليوم أصبحت القلوب حيّة ، وأصبح الإيمان ضعيفاً . يا إلهي كيف ستكون آخرتي أنا الحقير المسكين ؟

إبكِ على نفسك :

نقرأ في هذه الليالي ، ونقول : « أبكي لخروج نفسي » ، أي أبكي على أجَلي . عندما تموت لا أحد يبكي عليك ، زوجتك تقول لقد خسرت تاج رأسي ، إبنك يقول : لقد ذهبت عزتي وكرامتي ، والآخر يقول: لقد ذهب معيلي ، ولكن لا أحد يقول كيف مات هذا المسكين ؟ وكيف سيكون وضعه في القبر ، كيف سيواجه ربه ، « الله الله في أعزّ الأنفس إليكم » .

يقول الإمام علي (عليه السلام) : إبكِ لنفسك ، وادعُ لنفسك ، ومن الأفضل أنْ يكون الدعاء جماعياً . جاء في (وسائل الشيعة) عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما معناه بأنَّه إذا دعا أربعين شخصاً الله مرة واحدة ، سيستجاب دعاؤهم ، يا ألله عندنا اليوم حاجة واحدة إنْ استجبت لها ، نكون من السعداء ، وإنْ لم تستجب فيا ويل لنا .

يا الله ، إجعل عاقبتنا خيرا ، واجعل قلوبنا مليئة بالإيمان « أسألك الأمن والإيمان بك ، والتصديق بنبيك ، والعافية من جميع البلاء » يا رب ، إجعل الجمع الموجود في هذا المكان ، وفي هذه الليلة المباركة ، في

ليلة الجمعة من شهر رمضان ، إجعلهم من بين الذين تعفو عنهم ، وتخلصهم من نار جهنم ، إذ إنَّ الله يعفو في كل ليلة جمعة من شهر رمضان عن (٦٠٠,٠٠٠) شخص ويخلصهم من النار .

ماذا كان يقول الحسين (عليه السلام) في الساعات الأخيرة من عمره ، عندما كان مطروحاً على الأرض بعد إصابته كان يناجي ربه : « مالي رب سواك ، ولا معبود لي غيرك » .. يا حسين ، إنَّ بلاغة جراحك ، وعطشك ، وحرقة قلبك ، وفقدانك لأولادك ، إنَّ كل هذا لم ينسيك الله عز وجل ، فديتك روحي !

«٧»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ فأصلحوا ذات بينكم ﴾ .

يوم الجمعة هو يوم الإهتمام بالدين :

اليوم هو يوم الجمعة ، والتعطيل في هذا اليوم من المسائل المهمة التي اهتمّ بها الإسلام ، إذ يجب على كل مسلم أن يخصّص يوم في الأسبوع يتفرّغ فيه لدينه ، واليوم الذي خصّصه الإسلام من أجل ذلك هو يوم الجمعة ، إذن فـ « أفٍ لكل رجل مسلم لا يفرّغ نفسه لدينه يوم الجمعة » . أنت تعمل ستة أيام في الأسبوع ، خصّص يوم الجمعة من أجل الإهتمام بشؤون دينك ، إذهب في هذا اليوم إلى مجالس العلماء كي تستمع إلى كلامهم الذي ينوّر العقول ويجعلها تعي المسائل الدينية بشكل أعمق ، في يوم الجمعة حاول أن تقرأ في كتب العقيدة وأحكام الدين ، إذهب إلى الجامع وشارك في صلاة الجمعة لأنّ صلاة الجمعة إضافة إلى الفضيلة الكامنة فيها فإنَّ الخطبتين اللتين تسبقانها يذكّران الإنسان بمسائل كثيرة كانت قد فاتته .

إنّ هاتين الخطبتين يعمّقان في النفس الإنسانية معنى أصول الدين والتوحيد والعقيدة ويذكّرانه بما يجب أن يفعله خلال الأسبوع ، كما أنّهما

يـذكّران الإنسـان بالمسـائـل السيـاسيـة والإجتـماعيـة المحيـطة بـه ، ولكن للأسف ، الشيعة كما السنّة محرومين من صـلاة الجمعة ، لِأنّ الصـلاة التي يصلونها يـوم الجمعة في الجـامع لا تعتـبر صلاة جمعـة بالمعنى الحقيقي . إنّ صلاة الجمعة هي أن يتولّى العالم من خلال خطبتين توضيح مفهوم التوحيد من أجل إيقاظ القلوب التي كانت نائمـة طوال الأسبـوع تحلم بالـدنيا وبما فيها . خلال خطبتَيْ الجمعة يعـرف الإنسان بـأنّ الحياة لا تختصر عـلى هذه الدنيا فقط ، إنّ هناك حياةً بعد الموت .

حديث علي في أحد أسواق البصرة :

وقف أمير المؤمنين في أحد أسواق البصرة يراقب اهتمام الناس بمسائل التجارة والعمل والبيع والشراءو . . . فهم يقسمون من أجل كسب الربـح أو بيـع سلعة أو . . . فبكى الإمـام (عليه السـلام) من رؤية هـذا المنـظر وقال : « إذا كنتم بالنهار تحلفون وبالليل على فراشكم تنامون فمتى تجهزون الزاد ليوم المعاد » ، إنهم يقضون نهارهم في الكسب والعمـل الدنيـوي وفي الليل ينامون فمتى إذن يعملون من أجل الآخرة . إنَّ الدنيـا لا تـدوم لِأحد لِأنّ أيـامها وليـاليها مهـما كثرت فهي سـوف تنتهي ، ولكن علينا أن نفكّـر بالآخرة الذي يبلغ كل يوم فيها خمسين ألف سنة .

لاحظ أحد التجار بكاء الإمام (عليه السلام) ، فـاقترب منـه وقال له بأنّه مضطر على العمل وكسب المال ، قال له الإمام (عليـه السلام) مـا معناه : بأنّ العمل من أجل الدنيا لا يتنافى مع العمـل من أجل الآخـرة ، تستطيع أن تعمل لدنياك ولآخرتـك معاً ، أمـا إذا كنت تطمـع في الحصول على الكثير الكثير من هذه الدنيا فهذا شيء آخر .

نعم ، نحن لا نـطلب منكم أن لا تعملوا من أجـل دنيـاكم ولكن طلبنا هو التوفيق بين العمل من أجل الدنيا والعمل من أجل الآخرة ، فكّر بغيرك ، شاركهم أفراحهم وأحزانهم ، فشـارك مثلاً في زيـارة المرضى أو إيفـاء الـديون ومسـاعدة المؤمنـين ، حـاول أن تتخلص من الحـرص والـطمـع ،

عندها تستطيع أن توفّق بين الدنيا والآخرة .

يجب أن نشكر الله ونحمده على نعمائه وخيراته :

عندما تجلس على مائدة الطعام يجب أن تشكر الله وتحمده على نعمائه ، على ما رزقك من مال حلال تصرفه في الحصول على الرزق الحلال ، يجب أن نشكر الله الذي خلق كل شيء وسخّر كل شيء من أجل خدمة الإنسان ، إنّ اللقمة التي تأكلها يجب أن تعرف قيمتها وأهميتها . وويل لذلك المسكين الذي يضع على مائدته المشروبات الروحية ، هنا نذكركم بأنّه من الحرام الجلوس على مائدة وضع عليها مشروبات روحية حتى ولو لم تشرب منها قطرة واحدة ، وبقية المأكولات الموجودة على تلك المائدة تصبح أيضاً محرمة .

لا نطيع أوامر الله ونعصيه أيضاً ، فهل معقول هذا ؟ الويل ثم الويل لنا حينئذٍ ، عندما تجلس على المائدة وتمسك لقمة الطعام بيدك يجب أن تقول بسم الله ، عندما تبلع اللقمة يجب أن تقول الحمد للّه . الهدف من كلامي هو التركيز على الشكر ، على شكر الله ، يجب أن نذكّر دائماً بعضنا البعض بمسألة الشكر ، يجب أن نشكر الله دائماً حتى عندما نواجه مصيبة عظيمة ، في مثل هذه الحالة يجب أن لا ننسى نِعَم الله اللامتناهية .

عندما يبدأ الخطيب بخطبته يوم الجمعة ، يجب أن نستمع إليه دون التفوّه بأي كلمة ، فالإمام (عليه السلام) يقول بأنّ ذلك الوقت أي الوقت الذي يقرّب الخطيب أذهان الناس إلى الله تعالى والناس تستمع إليه ، هو وقت استجابة الدعاء .

التركيز على التقوى في خطبة يوم الجمعة :

لقد أجمع العلماء والفقهاء على أنّه من شروط خطبة الجمعة هو التركيز على معنى التقوى ، أي اقتراب أذهان الناس من معرفة الله تعالى والتقيّد بأوامره والأخذ بعين الإعتبار يوم القيامة ، يوم الحساب والجزاء .

إنّ التركيز على معنى التقوى يعني إفهام الناس على أنّ الله واحد أحد ، هنا من الممكن أن تتساءلوا مع أنفسكم وتقولوا بأنّ المسلمون لا يشركون بالله أحداً ، هذا صحيح ولكن هناك الشرك المخفي . كل مسلم يتّبع هواه يعتبر مشركاً ، التقوى هو التقيّد بأوامر الله وليس الركض وراء النفس والهوى .

التقوى في الحبّ والكراهية :

هناك مسألة مهمة تعتبر ضرورة من ضرورات التقوى ولا يلتزم بها المسلمون أبداً وهي مسألة مراعاة التقوى في الحبّ والكراهية ، إنَّ عدم مراعاة هذه المسألة كلفت المسلمين غالياً ، فعانوا من مختلف أنواع التشتّت والتفكّك والحرمان والحروب و . . .

إنَّ الله سبحانه وتعالى والذي هو ربّنا وخالقنا ومالكنا ورازقنا وإلهنا . . . أمرنا بضرورة الترابط الأخوي والرابط هنا هو الدين . إنَّ من يؤمن بشهادة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله مع الإيمان بمسألتي الولاية والمعاد يعتبر أخاً لك في الدين سواءً كان موجوداً في غرب الكرة الأرضية أو في شرقها ، إنَّه أخاً لك ، يجب أن تفرح لفرحه وتحزن لحزنه لِأنّ « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً » والرابط الأخوي هنا كما قلنا هو الدين والإيمان .

أما في مسألة الكره والعداوة فإنّكم يجب أن تكنّوا الكره والعداء لعدو الله ولعدو الرسول . وهذا أمر إلهي أمرنا الله به في كتابه المجيد لِأنّه هو عدوكم الحقيقي . ولكن المسلمون اليوم يعملون عكس ذلك تماماً ، إنهم ينظرون إلى الشخص الذي يراعي ميولهم وأفكارهم المادية ومصالحهم الشخصية ويتماشى مع أهوائهم وغرائزهم ، إنَّهم ينظرون إليه بأنّه الصديق حتى لو كان فاسقاً أو حتى كافراً وأما العدو فهو الشخص الذي يعارضهم في كل هذا ، يعتبرونه عدوهم حتى ولو كان مؤمناً طاهراً .

يجب أن لا نجعل من المصالح الشخصية معياراً للصداقة أو

العداوة ، مثلاً إذا كان أحد المؤمنين بارداً في التعامل معك أو إنَّه لم يـدخل معـك في تجارةٍ مـا أو لم يـوفي لـك ديـونـك ، يجب أن لا تتضـايق منـه أو تكرهه . صحيح أنّه لم يحسن معـاملتك ولكنـه إنسان مؤمن من شيعـة علي (عليه السلام) لذلك يجب أن تحبّه وتحترمه ولو أنّه ألحق بك الأذيـة في أمرٍ ما أو لم ينفعك في أمرٍ آخر .

إيَّـاك أن تعادي مسلماً مؤمناً بالله ، لِأنّ المعـاداة حرام ، لا يمكن أن يكـون المسلم عـدواً لمسلم آخـر ، العـداوة فقط لأعـداء الله . يجب أن لا تتضايق من كلام تفوّه به أخوك في الدين بـل يجب أن تتضايق من المعـاصي ومن المحـرمات التي تـراها وتسمعهـا ، يجب أن تتضـايق عنـدمـا تـرى في مراسم العرس الرجال والنساء يرقصون ويلهون مع بعضهم البعض . نعم إنّ هـذه الأعمال الـدنيئة وهـذه المعاصي الكبـيرة هي فعـلاً مـدعـاة للكفـر والمضايقة لِأنّ المؤمن عليـه أن يتضايق فقط من ارتكـاب المعاصي وليس من أجل مصلحة شخصية تعود إليه .

جـاء في باب الحقـد من كتاب « القلب السليم » بـأنّ المسلمين يجب أن يتعرفوا عـلى واجباتهم الـدينية . إنَّ الكـره والمضايقـة من أجل مسـائل شخصية غير جائز في الإسلام ، إنَّه من المحرمات .

جاء في أصول الكافي بأنّـه إذا تشاجـر شخصان مسلمان مـع بعضهما البعض وطالت القطيعة بينهما أكـثر من ثلاثـة أيام فـإنَّهما سوف يخـرجان من ربقـة الإسلام . واليـوم نلاحظ بـأنّ القطيعـة تدوم أحيـاناً مـدة أسبوع أو شهر وهذا مخالف للتقوى ، إنَّه عمل حرام .

الإصلاح بين المسلمين هو من الواجبات الإسلامية :

جـاء في أول سورة الأنفـال الآيـة الكـريمـة التـاليـة : ﴿ **واتّقـوا الله وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ . هل أقـدمتم في حياتكم عـلى فعل الإصـلاح ؟ هـل تبتم ولو مـرة واحدة عـلى عدم الـتزامكم بهذا الـواجب الشرعي . إنَّ معـاداة المسلم لأخيه المسلم عمـل حرام لِأنّـه يعتبر استجـابة لنـداء النفس

والهوى ولكن في هذه الحالة يجب على البقية أن يتدخلوا كي يصلحوا بين هذين الشخصين . وإنْ لم يصلحوا لا يؤججوا على الأقل نار الفتنة بينهما . عندما يدبّ الفتور بين شخصين تتدخل النفوس المريضة لتعمّق الخلاف بينهما ، فينقلون كلاماً عن لسان هذا إلى ذاك وبالعكس . عندما يتشاجر الزوجان يتوجب على كبير العائلة أو أي شخص آخر من هذه العائلة أن يصالحهما لا أن يقول ما شأني أنا في ذلك ، إنَّ القرآن الكريم يقول : ﴿ أصلحوا ذات بينكم ﴾ إنَّ هذا أمر إلهي يجب أن نتقيد به وتقول الآية أيضاً : ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾ ، نعم إنَّهما ارتكبا المعصية وتشاجرا مع بعضهما ، أنت على الأقل لا ترتكب المعصية ، لا تقف جانباً ، بل أدخل وأصلح بينهما .

في ليلة الواحدة والعشرين من شهر رمضان المبارك كان من جملة وصايا مولانا أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) هو الإلتزام بالتقوى : « أوصيكما ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله وإصلاح ذات بينكم فإنّي سمعت جدكما رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول إنَّ إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » ـ ١ ـ . إذن علينا أن نلتزم بالتقوى وأن لا نتبع أهواءنا ، فنتشاجر مع هذا ونعادي ذلك ونصاحب هذا ونختلف مع ذاك ، إنَّ كل هذه العلاقات يجب أن تنظم في إطار التقوى . يجب أن نتقيّد بأوامر الله تعالى ونصفح عن الآخرين من أجل الله عزّ وجل « فاعفوا واصفحوا » .

يجب أن تصلح بين زوجين اختلفا أو صديقين تشاجرا ، إنَّ الإصلاح هنا هو أفضل من عامة الصلاة والصيام . يروى عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بأنّ أفضل عمل عند الله تعالى بعد الفرائض الواجبة هو الإصلاح . ومهما أنفقت من مال في هذا السبيل يكون في محله . حتى أنّ الكذب الذي يعتبر من الكبائر يجوز من أجل الإصلاح ، إذا اضطررت أن تكذب من أجل الإصلاح بين شخصين ، يمكنك أن تفعل ذلك ، لِأنّ الكذب في هذا المقام يعتبر صدقاً عند الله تعالى . أبذل

ما لديك من جهد ومن إنفاقٍ للمال وإقامة للولائم كي توفّق بالإصلاح لِأنّه من أهم العبادات . وبالأخص يجب أن تولّوا عملية الإصلاح بين الرجل والمرأة أهمية كبيرة .

إصلاح زوجين بواسطة أمير المؤمنين :

جاء في بحار الأنوار أنّه في أحد أيام الصيف عندما كانت الشمس ترسل في ساعات ما قبل الظهر أشعتها الحارقة على الأرض ، خرج أمير المؤمنين أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من بيته وأخذ يمشي في الشارع والعرق يتصبّب من جبينه ، فرآه أحد الأشخاص وقال له بأنّ هذا الوقت هو وقت البقاء في المنزل تجنباً من الحر ، فلماذا خرجت يا أمير المؤمنين من بيتك ، أجاب أمير المؤمنين بأنّه خرج من بيته كي يساعد مسكيناً يكون في حاجة إليه ، فسمعت امرأة كانت في ذلك المكان كلام أمير المؤمنين ، فأسرعت إليه وقالت له : يا أمير المؤمنين إنَّ زوجي طردني من المنزل وقال بأنّه سوف لن يعيدني إليه أبداً ، وأنا أحوج الناس إلى مساعدتك ، فأنقذني يا سيدي ، سألها الإمام (عليه السلام) عن منزلها وعندما دلّته على المنزل ذهب الإمام معها رغم الطقس الحار وبعد المسافة وخلاصة الأمر أنّ الإمام (عليه السلام) أعاد المرأة إلى بيتها وأمر زوجها أن يحسن معاملتها ويعطف عليها .

الأشخاص الذين لا يستفيدون من بركة شهر رمضان المبارك :

إنَّ الأشخاص الغير مستفيدين من بركة شهر رمضان المبارك وفضائله التي لا تعدّ ولا تحصى وبالأخصّ ليالي القدر ، إنَّ هؤلاء ينقسمون إلى ثلاث مجموعات : أوّلهم : شاربي الخمر الذين لا يتوبون في شهر التوبة ـ شهر رمضان المبارك ـ . ثانيهم : عقوق الوالدين ، نتمنى أن لا يكون هناك مسلماً عاقّ لوالديه ، فيا ويل لشخصٍ عاقّ والديه .

يروى أنّه في بعض الأحيان يمكن أن يكون هناك إنساناً يحترم والديه ويحسن معاملتهم ولكن بعد موت الوالدين يصبح هذا الإنسان عاقّ

الوالدين ، كيف يمكن هذا ؟ سألوا أحد الأئمة (عليهم السلام) عن ذلك أجاب (عليه السلام) ما معناه بأنّ هذا الإنسان لم يعد يذكر والديه بشيء بعد موتهما .

إذن حاولوا أن تفكروا بموتاكم ، تذكروا هؤلاء المساكين الذين تركوا الدنيا وذمّتهم مشغولة بالفرائض والواجبات ، حاولوا أن تقضوا عنهم الصلاة والصوم أو أن تدفعوا المال لِأحد يستطيع أن يقضي عنهم . حاولوا أن توفوا لهم ديونهم ، حاولوا أن تعتذروا عنهم من أرحام وأقارب لم يحسنوا معاملتهم ، ولا تنسوا والديكم من الخيرات ، إقرأوا لهم القرآن واهدوهم أجرها وثوابها ، أدعوا لهم ، قولوا : « ربي اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واجزهما بالإحسان إحسانا وبالسيئات عفواً وغفراناً » .

المجموعة الثالثة المحرومة من بركة شهر رمضان المبارك ، تلك المجموعة التي يأتي شهر رمضان ولا تزال تحتفظ بالبغض والكراهية اتّجاه أحد الأقرباء أو أشخاص آخرين . يجب على كل إنسان يكره شخصاً ما ، يجب عليه عندما يأتي شهر رمضان المبارك ، أن يطرد هذا الكره من قلبه ، يجب عليه أن يغفر لكل شخص أساء إليه ، يجب أن يأخذ له الهدايا ويعتذر منه ، عسى أن يغفر الله بلطفه وكرمه الجميع .

قال (عليه السلام) بأنّه عندما يتشاجر شخصان مع بعضهما البعض ، فإنّ الشخص الذي يبدأ بالمصالحة يدخل الجنة قبل الشخص الآخر ، فإذا تشاجرت مع أحد ، حاول أن تكون البادىء في المصالحة ، وحاول أيضاً أن تصالح بين شخصين دبّت القطيعة بينهما حتى ولو كلفك ذلك بذل المال . ـ من أجل إيضاح هذه المسألة بشكل أفضل راجع باب الحقد في كتاب ـ « القلب السليم » .

مال الإمام (ع) من أجل الإصلاح :

يروى عن أبو حنيفة سابق الحاج (غير أبو حنيفة المشهور) قوله بأنّه كان هناك خلافاً بينه وبين صهره حول مسألة الميراث وذات يوم التقيا في

سـوق الكوفـة وأخذا يتشـاجـران والـظاهـر بـأنّ الإرث كـان يتعلّق بـإبنـة أبو حنيفة ، وعندما كان الخلاف في قمتـه ، وصل المفضـل النائب الخـاص لكشّـاف الحقائق الإمـام جعفر الصـادق (عليه السـلام) إلى ذلـك المكـان وسألهما عن سبب الشجار والنزاع ، فدعاهما إلى منزله وسأل كل واحد منهما عن مقدار المال الذي يريده من الآخر ، حتى صالحهما بمبلغ قـدره أربعمائـة درهم ، فتباوسنا وتعاهدنا على الصلح .

عندما تريد أن تصلح بـين شخصين اختلفـا من أجل مـال الدنيـا ، إدفـع المال وصـالحهما وذلـك من أجل مـرضـاة الله لِأنّ أفضـل المصـاريف وأزكى الأموال هو المـال الذي يُصرف في سبيـل الله . ثمّ قال المفضـل لهما بأنّ المال الـذي أعطاهمـا إيّاه ليس لـه بل يعـود إلى الإمام (عليـه السلام) الذي أمره بأن ينفق هذا المال من أجل الإصلاح بين المسلمين .

ظهور إمام العصر والزمان من أجل الإصلاح :

يا أيّها الذين تنتظرون ظهور الإمام المهدي (عج) ، إنَّ الإمـام سيأتي من أجـل الإصـلاح ، ففي زمن الإمـام سيعمّ الإصـلاح الـدنيـا ويصبـح الجميع من عباد الله الصالحين ، فإذا كنت تنتظر زمن الإمام المهدي (عـج) إبدأ بالإصلاح .

إنَّ أهل الصلح والإصلاح هم الذين ينتظرون ظهور الإمام المهـدي (عج) والذين لا يهتمون بمسائـل الصلح والإصلاح فـإنّهم مهما قـرأوا دعاء الندبة لا يعتـبرون من الذين ينتـظرون ظهور الإمـام المهدي (عـج) . أنت تسـأل عن المصلح الذي سيمـلأ الأرض عدلاً بعـد ملئت فسقـاً وجـورا ، فلماذا أنت لا تحـاول قدر الإمكـان أن تصلح بـين النـاس ؟ لمـاذا لا تصلح أمورك مع زوجتك ، مع أخيك أو صديقك ؟ ماذا يحصل اليوم في المحاكم الشرعية ، من كان يتصور بأن ترفع الزوجة شكوى ضد زوجها في المحكمة أو يرفع الزوج شكوى ضد زوجته ، أين هم أزواج أيام زمان ليتكلموا عن تجربتهم . نحن نتذكـر بأنّـه كان يقـال بأنّ المـرأة يجب أن تدخـل إلى بيت

زوجها بعباءة سوداء ولا تخرج منها إلاّ بالكفن الأبيض . كانت الزوجات في تلك الفترة يحترمون أزواجهن ويحافظون على سمعتهم .

قال لي أحد الأصدقاء بأنّه قرأ في الجريدة قضية شكوى رفعت إلى قسم حماية العائلة في المحكمة وفي نصّ الشكوى تطلب الزوجة الطلاق من زوجها لِأنّه اشترى لها سيارة موديل كذا وهي تريدها موديل كذا عندما رفض الزوج طلبها لِأنّه غير قادر على شراء سيارة من ذلك النوع ، طلبت الزوجة الطلاق قائلة بأنّها لا تريد زوجاً من هذا النوع .

يجب أن نسعى من أجل الإصلاح ، عندها نقول : يا ربّ أين هو المولى الذي يملأ الأرض عدلاً ؟ أين هو المولى الذي يصلح بين الناس جميعاً ؟ فيصبح الجميع أخوة لبعضهم البعض ، إنَّ ذلك الزمان هو زمان ظهور الحجة بن الحسن (عج) ، في ذلك الزمان تنضج العقول ويزداد الإيمان ويقوي التقوى ، فتبتعد الناس عن الأنانية وحبّ الذات .

إنَّ طعم الحياة وحلاوتها سوف لن نذوقها إلاّ بمجيء الحجة (عج) لِأنَّ الحياة التي نعيشها الآن ليست الحياة المثلى التي نطمح بها ، إنّها حياة مليئة بالمصالح والنكبات ونبذ الواحد للآخر ، لقد قرأت في إحدى الجرائد منذ عدة سنوات بأنّه في بعض الدول عندما يصل الإنسان إلى سن الشيخوخة ـ سواءً كان رجلاً أو امرأة ـ يصبح في حالة يرثى لها ، حتى أنّ أولادهم وأقربائهم لا يعطفون عليهم ولا يعتنون بهم . لذلك فقد تمّ تأسيس دور العجزة من قبل الدولة لرعاية الأشخاص المسنين المنبوذين من قِبَل أهلهم وذويهم ، وإنْ كان هناك بعض الراحة وهداوة البال فإنّها موجودة في الدول الإسلامية وذلك بفضل بركة الإسلام وبفضل التعاليم الإسلامية . ولكن من الظاهر أن نجاسة الكفر هي في طريقها إليكم ، ولكنني أتمنى عليكم أن لا تدعوا تلك الأفكار الكاذبة تتسرب إليكم ، حاولوا أن تصلحوا أنفسكم وتزكوها وتهيّئوها لظهور الحجة (عج) وذلك من أجل أن تكونوا مستحقين أن تحملوا إسم أنصار الحجة (عج) .

ماذا تعني كلمة أنصار إمام الزمان ؟ هل تعني ذلك أن تحمل السيف

والمدفع والبـارود ؟ كلا إنّها ليست كـذلك ، إنّها في الصـلاح والإصلاح ، إصـلاح الـذات والـغـير ابتـداءً مـن الـزوجـة والأولاد ووصـولاً إلى غـيرهم . إنَّ العبد الصـالح هـو من أنصار إمـام الزمـان (عـج) « عبـادي الصـالحون » . إنّ أنصـار الحجة (عـج) يجب أن يتحرروا من حبّ النفس والهـوى لِأنّ حبّ النفس والهوى هـو الفساد بعينـه ، إنَّ الشجار والقـطيعة التي تحصل بين الناس هي نتيجة حتمية لكل من اتّبـع شهواتـه وغرائـزه ، هذا أيضاً فساد كبير ، إنَّ الخلافات الحادة التي تؤدي إلى سفك الـدماء هي أيضاً فساد وفساد عظيـم و . . .

إنَّ الصلاح يجب أن يكون لـوجه الله تعـالى ، إيّاك أن تنقـل كلاماً سمعتـه من هذا عـلى ذاك ، إيّاك تنقـل الكلام وتشعـل نار الفتنـة . إنّـك بـالصلح والإصلاح تكسب دنيـاك وآخرتـك وباتّبـاع النفس والهوى تفسـد دنياك وآخرتك .

في سورة الشمس يقسّم كل فساد في الدنيـا والآخرة أربعـة عشر مرة ثمّ يقـول : ﴿ **قد أفلح من زكّـاها وقـد خـاب من دسّـاهـا** ﴾، حـاول أن تتغلب عـلى نفسك عنـدها سترى كيف تكون النتيجـة . إذا استطعت أن تتغلب على نفسك ، على شهواتك وغرائزك فإنّ ذلـك سيؤثر بشكـل إيجابي عـلى شخصيتك وسمعتـك ، إذن تغلّب على الشيـطان ولا تـدع وسـاوسه تتسرب إليك .

إنَّ العــزة للّه تعـالى ولكـــل من اتّبـــع هـــداه . عنــدمـا يقــترب الإنسان من الله تعالى يصبح سعيداً ، شريفـاً ، عزيـزاً . . . ولكن عندمـا يقـع في أحضـان النفس والهـوى يصبـح تعيسـاً ، سـافـلاً ، منكـوبـاً ، ذليـلاً . . . سيتضح هـذا الموضـوع بشكل أفضـل بسرد روايـة في القـرآن الكريم .

الذئاب المتوحشة أم النجوم البراقة :

حلمان متضـادان واحد رآه النبي يـوسف (عليه السـلام) في منـامـه

والآخر رأته خالته في منامهها ، أما النبي يوسف فإنّه رأى في نومه أحد عشر كوكباً منيراً والشمس والقمر له ساجدين . وفي نفس الوقت رأت خالته إحدى عشرة ذئباً يهجمون على يوسف ويمزقونه إرباً إربا . ما هو تفسير هذين الحلمين ؟ بلا شك فإنَّ الذئاب الإحدى عشرة التي رأتهم الخالة في منامها هم أخوة يوسف الأحد عشرة الذين هاجموه في الصحراء وبالنهاية رموه في البئر ، والكواكب المنيرة التي حلم بها يوسف (عليه السلام) هي أيضاً إخوته الأحد عشرة ، إنّهم يظهرون أحياناً على شكل الذئاب وأحياناً أخرى على شكل كواكب منيرة والذئاب تمثّل الأخوة وهم في حالة ارتكاب المعاصي .

ولو كنت ابن نبي وارتكبت المعصية فإنّك ستبدو كالذئب المفترس وسيبدو وجهك خشناً ، مخيفاً ، مظلماً ، ولكن إذا تبت وقلت : إلهي العفو ، أستغفر الله ، وأصلحت نفسك واعتذرت من كل شخص أسأت إليه ، ستصبح عندئذٍ كوكباً منيراً .

إنَّ أخوة يوسف عندما ارتكبوا المعصية وأساؤوا إلى أخوهم أصبحوا كالذئاب المفترسة ، ولكن بعد عدة سنوات ندموا على عملهم وجاؤوا إلى يوسف مطأطيء الرأس واعتذروا منه وقال لهم يوسف : ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم** ﴾ .

إستفيدوا من التوبة :

أعود وأوصيكم بالتوبة ، فاستفيدوا منها وحاولوا أن تتوبوا قبل أن يسبقكم الموت حاولوا أن تدخلوا من باب التوبة إلى عالم المغفرة والرحمة ، لِأنّ باب التوبة هو باب الرجوع إلى الحق ، لِأنّه باب يغير سير حياة الإنسان تغيّراً كلياً ، باب ينقلب بواسطته الأبيض إلى أسود والنار إلى ورد والظلمة إلى نور . إذا ذهبت إلى القبر وأنت مثقل بالذنوب ستشعر بأنّ القبر بركان من نار تشتعل كل دقيقة وثانية ، أما إذا تبت فسينقلب الأمر إلى رحمة وبركة .

إنَّ يـوسف (عليه السـلام) هو نبي وابن نبي ، ولـذلك فهـو يتمتع بصفـات إلٰهية ، وقبـول العذر هـو واحد من تلك الصفـات ، قبل يـوسف عـذر أخـوتـه لِأنّ الله عـزّ وجـل يقبـلِ العــذر . تقـترب من الله وتب عن أعمالك ، إعترف للّه بأنّك كنت جاهلاً غافـلاً عن الحقيقة ، أسيـراً للنفس والهوى ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى سوف يقبل عذرك وتوبتك .

«٨»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ يا أَيُّها الذين آمنُوا إنْ جاءكم فَاسِقٌ بنبأ فتبيَّنوا أَنْ تُصيبوا قوماً بجهالةٍ ، فتُصبحوا على ما فَعَلْتُم نادمين ، واعلموا أَنَّ فيكم رسول الله ﴾ .

حول نزول هذه الآية الشريفة ، تحدثنا عن قصة وليد ، ذلك الرجل الفاسق ، مع قبيلة بني المصطلق ، وقلنا بأنَّه على الرغم من أَنَّ العديد من المسلمين ، كانوا يصرون على الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، كي يبعث بالجنود من أجل محاربة هذه القبيلة ، ولكن الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) كان ينتظر أمر الله عز وجل ، حتى نزلت هذه الآية ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا . . ﴾ وهذه الآية تحذر من الإنسياق وراء الأقاويل قبل التأكد منها . ﴿ أَنْ تصيبوا قوماً بجهالةٍ . . ﴾ عندما أتاكم وليد بذلك النبأ لا يحق لكم أَنْ تصدقوه ، وترسلوا الجيوش ، وتسببوا في سفك الدماء ، بل ﴿ فتبيّنوا ﴾ ، عليكم أن تتأكدوا من صحة ذلك ، وتبحثوا عن الحقيقة ، لأنَّ القائل يمكن أَنْ يكون قد فعل ذلك لأسباب ومصالح شخصية .

إرسال خالد من أجل التأكد من صحة الخبر :

جاء في التفسير : بأنَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) كلف

خـالداً لكي يبحث ، ويحقق في الأمـر ، ويتأكـد من وضـع هـذه القبيلة ، ومدى التزامها بالتعاليم الإسلامية ، وهل صحيح ما يقوله وليد عنها .

انـطلق خالـد يؤدي مهمته هـذه ، وعند وصـوله دخـل عـلى القبيلة بشكـل لم يلاحظ وجـوده أحد ، تعجب خـالد عنـدما سمـع صوت الأذان يرتفع في أوقات الصلاة ، والمسـاجد تعـج بالمصلين ، فـوجىء خالـد بهذه الحقيقة ، وعـاد مسرعاً إلى الرسول (صلّى الله عليـه وآله وسلم) ، يخـبره عما رأى . عندها انفضح أمر وليد الفاسق ، أما الـذين كانـوا يصرون على إرسال الجيوش من أجل محاربة القبيلة فطأطأت رؤوسهم . فجاء حكم الله عز وجل ، وهو حكم عام ، يجب أَنْ يتبعه حتى يـوم القيامـة ، وهو عـدم قبـول أي كلام نسمعه قبل أَنْ نتأكد من صحـة . لأنَّ الكلام الـذي يطال هذا المسلم أو ذاك ، يمكن أَنْ لا يكون صحيحاً ، والموقف العـدائي الذي نأخذه ضد هذا المسلم أو ذاك ، يمكن أَنْ يجرَّنا إلى مخاطر عـديدة ، كـما أَنَّ قبول الأقاويل والتهم التي تحاك ضد أناس ، ربما كانـوا أبريـاء ، توقعنـا في المعصية .

إستغلال معاوية لعدم وعي الناس :

كان معاوية يستفيد من عـدم الوعي عنـد الناس ، فكـان يعمل مـا يحلو له ، دون أَنْ يحاسبه أحد على ذلك ، فمثـلاً أشاع في الشـام بأَنَّ علياً (عليه السلام) لا يصلي ، وأنّه (عليه السلام) رجل كاذب ، يكذب على نبي الله ، أما أهالي الشام فصدقوا هذه الشائعات التي لا تمتّ إلى الحقيقـة بصلة ، وأنتم لـو كنتم آنذاك في الشـام لصدقتم تلك الإشـاعات ، فـأنتم اليوم تصدقون ما تسمعونه ، فكيف لا تصدقوا كلاماً صـدقته أهـالي الشام كلها . إذنْ عندما تبني على عدم التحقيق ، تقع في الخطأ ، لأنَّك صـدقت الكلام دون أَنْ تبحث فيه .

يكذبون عن لسان الإمام في حضور الإمام :

يـروى بأنـه ذات يوم وفي مسجـد كشـاف الحقـائق ، الإمـام جعفـر

الصادق (عليه السلام) ، جاء عدد من أصحاب الإمام برجل مسافر ، كان يدَّعي بأَنَّه ملم بالأحاديث إلماماً تاماً ، ويقول بأنَّه يتعلم في أيّ بلد يزوره الأحاديث الموجودة في تلك البلدان ، وأَنَّه يعرف آلاف الأحاديث ، عن لسان الكبار ، وحتى عن لسان جعفر بن محمد (عليه السلام) ، دون أنْ يعرف الرجل بأَنَّه يتكلم مع الإمام نفسه ، قال له الإمام (عليه السلام) : ماذا تعرف عن أحاديث جعفر (عليه السلام) ؟ قال : أعرف الكثير ومنها ، إنَّه (عليه السلام) يقول بأَنَّه يجوز في السفر المسح على الخفين (أي عدم خلع الحذاء) عند الوضوء ، قال (عليه السلام) : ممن سمعت هذا ؟ قال: سمعته من شخص قال لي بأَنَّه سمعه من الإمام الصادق (عليه السلام) . قال (عليه السلام) : لو قلت لك بأَنَّ الإمام لم يقل هذا الكلام ؟ قال : لا أصدق ، قال (عليه السلام) : أنا جعفر بن محمد ، يقول لك بأَنّي لم أقل ذلك ، قال : لا أُصدق ، لأنني سمعت ذلك من رجل صادق أكّد لي بأَنَّه سمعك تقول هذا الكلام !

هذا هو مستوى العقل والإدراك عند العديد من الناس .

هل إنَّ أصحاب الرسول (ص) كانوا جميعهم عادلين ؟:

من جملة المآخذ التي تأخذها السنة وبالأخص (الوهابية) على الشيعة هي أنهم يقولون بأَنَّ الشيعة يوجهون الإهانات إلى أصحاب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) مع أَنَّ أصحاب الرسول جميعهم يتصفون بالعدل . نجاوب أهل السنّة ونقول لهم : بأَنَّه لا يجوز أَنْ يتهموا الشيعة بتلك الإتهامات الباطلة ، أستغفر الله أَنْ يكون الشيعة هكذا ، لعنة الله على من يهين أصحاب الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلم) !

إنَّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) يصلي على أصحاب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) في الدعاء الرابع ، الموجود في (الصحيفة السجادية) . نعم نحن نصلي على أصحاب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بعد أَنْ نتأكد من حقيقة كل واحدلا منهم ، إنّنا نصلي على أصحاب الرسول الحقيقيين الذين وقفوا معه . إنّنا نردد وراء إمامنا الإمام

زين العابدين (عليه السلام) ونقول : « اللهم أصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة » .

لا يمكن أَنْ نسمي كل شخص دخل المسجد مسلماً ، أو من أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فالشخص الذي يليق به هذا الإسم هو الشخص الذي اتّبع الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وابتعد عن الأهواء ، والتزم بواجباته ، وتخلى عن المحرمات . لو أخذنا هذا الرجل الذي يعتبره الله فاسقاً ، من خلال النص القرآني ، هل يجوز لنا أَنْ نصلي عليه لأنَّه كان من أصحاب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ؟!

يتهموننا بأنَّنا نهين أصحاب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، كيف لا نهين شخصاً مثل وليد ، ادّعى بأَنَّه من أصحاب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، ولم يترك مفسدة لم يقم بها بعد الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ؟ . هل يمكن أَنْ نعتبر وليد من أصحاب الرسول ؟ كلا إنَّه من أصحاب الشياطين .

أَخْذُ الأوامر من الرسول (ص) :

إنَّ هذه الآية واضحة جداً ، فهي تخاطب الجماعة ﴿ واعلموا . . . ﴾ إنَّ وليد لم يكن وحده ، بل شاركه في كذبته هذه جماعة من المسلمين الذين أيدوه ، وحرضوا الرسول على إرسال الجيوش ، من أجل محاربة القبيلة ، وبالتالي إشعال نار الفتنة ، وسفك الدماء . إنَّ الله عز وجل يخاطب في هذه الآية المسلمين جميعاً ﴿ **واعلموا أَنَّ فيكم رسول الله** ﴾ أنتم تعيشون مع محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) الذي هو رسول الله ، يجب أَنْ تعرفوا كيف تتعاملون معه ، يجب أَنْ تأتوا إليه لتأخذوا الأوامر منه ، وتنفذوها ، لا لتحرضوه على عمل ما ، وتعينوا له ماذا يجب أَنْ يفعل ﴿ **لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** ﴾ لو سمع الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ما تقولونه من تحريض ، وتكفير ، ودس ،

و . . . وعمل بها ، لأدّى ذلك إلى تفكك الجماعة ، واندلاع الحروب ، وسفك الدماء ، والظلم ، وبالتالي الهلاك . إنَّ محمداً (صلّى الله عليه وآله وسلم) هو رسول الله ، وأنتم تؤمنون بذلك إذن يجب أنْ تطيعوه لأنَّ الإطاعة تلازم الإيمان ، وأتباع محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ومطيعوه يجب أنْ يبتعدوا عن المعاصي ، وعن ارتكاب المحرمات .

الإيمان بالله عز وجل :

إنَّ الله أغدق بلطفه وعنايته ، على البعض منّا ، ﴿ **ولكن الله حبّب إليكم الإيمان** ﴾ صحيح أنّه يخاطب بشكل جماعي ، ويقول (إليكم) ولكن المقصود هو البعض منكم ، كما جاء في آخر الآية ﴿ **أُولئك هم الراشدون** ﴾ (حبّب إليكم ـ يعني إلى بعضكم ـ الإيمان وزيّنه في قلوبكم ، وكرّه إليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، أولئك هم الراشدون) إنَّ المسلم الراشد ، المهتدي ، الصالح ، السعيد ، الصادق ، و . . . هو الذي دخل الإيمان إلى قلبه ، وتوغل في أحشائه ، هو الإنسان الذي تمسك بالآخرة ونبذ الدنيا وأهوائها ، والملذات فيها ، هو الإنسان الذي يقدم روحه في سبيل الحفاظ على دينه وإيمانه. ولكن ماذا يمكن أنْ نسمي وليداً وأمثاله ، وليد الذي كفّر قبيلة بأكملها كي ينتقم لحقد دفين في قلبه ، إنّه إنسان يرجّح الدنيا على الآخرة ، وهذا أمر مرفوض ، لأنَّ المسلم الحقيقي يجب أنْ يلتزم بالتعاليم الإسلامية الحقّة ، ويقدم روحه في سبيلها . وقد شهد الزمان رجالاً كانوا يقدمون دماءهم رخيصة في سبيل الإيمان والإسلام .

سمية نموذج للمرأة المجاهدة :

إنَّ المرأة ضعيفة بشكل عام أمام الرجل ، ولكنها بقوة الإيمان تستطيع أنْ تقاوم أقوى الرجال ، والمثال على ذلك سُميَّة ، زوجة ياسر ، وأُم عمار التي كانت أوّل امرأة قدمت نفسها شهيدة في سبيل الإيمان بالله ورسوله . فعندما كان اللعين أبو جهل ، وأبو سفيان ، وغيرهما من

المشركين ، يجرونها وزوجها خارج مكة ، ويلحقون بهما أشنع وأبشع أنواع التعذيب لكي يكفّا عن تكرار كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، كانت سمية ، وزوجها ياسر ، يقاومان بكل قواهما ، وعندما هددوهما قائلين بأنَّهم سيقتلوهما أجابا بأنّهما مستعدان لتقديم روحيهما في سبيل الإيمان ، والحفاظ على دين محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) . وكانت النتيجة أنهما قضيا شهيدين في سبيل الإسلام بعد أنْ تعرضا لأبشع أنواع التعذيب ، وبالأخص سمية التي قتلوها بشكل مفجع ، بعد أنْ أحضروا جملين ، وربطوا كل رجل من رجليها بقوائم الجملين ، وبضربة واحدة انقسمت سمية إلى نصفين ، فاستشهدت بعد أنْ أكّدت للجميع حرصها وإصرارها الشديدين على الدفاع عن كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

هذه الحادثة توضح لنا بشكل واضح الفرق بين أصحاب الرسول الحقيقيين ، وأصحابه المزيفين ، هذا هو الفرق بين سمية وياسر وأمثالهما ، ووليد وأمثاله .

المؤمن يكره المعاصي :

تمعَّنوا في الآية التالية : ﴿ **وكرَّه إليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيان** ﴾ يعني الله في هذه الآية بأنَّ المؤمن الذي حظي بالسعادة ، والعظمة، والبلوغ ، هو الذي ساعده الله ، وجعل الذنب مرّاً في مذاقه . تنطبق هذه الصفة على أصحاب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فيستطيع الإنسان بامتلاك هذه الصفة أن يصبح من أصحاب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ولو بَعُدَ الزمن . عليك أَنْ ترتقي إلى مرتبة بحيث يكون الإيمان عندك عزيزاً ، والذنب مرّاً ﴿ **وكرَّه إليكم الكفر** ﴾ ، الكفر : يعني الإنكار ، والفسق : يعني الخروج عن الطاعة ، وارتكاب الذنوب الكبيرة ، أما العصيان : فهو الذنب المطلق أي آخر درجات الذنب .

هنا يجب أَنْ لا نظن بأنَّ هناك جبراً في المسألة ، إبحث قليلاً في هذا

الأمر : الله يذوّق الإنسان حلاوة الإيمان ، إنّ عزّة مكـانة الإيمـان عند الإنسـان هي من الله ، لا يستطيع الإنسان أَنْ يرتقي لوحده إلى مرحلة يكون الإيمانَ عنـده عزيـزاً ، إلا إذا منّ الله عليـه ، وأذاقـه حـلاوة ذكـر اسمـه ، ولـذة التـوحيد . عنـد ذاك سوف يتشبث بـالإيمـان أكـثر وأكـثر ويـذكـر إسم الله « أذقني حلاوة ذكرك » ، لكي يصبح الإيمان محبوباً غالياً أغلى من الـروح ، يجب أن يكون فيه فضـل من الله ، وكذلـك يكون كـره الذنـوب والإبتعاد عنها لأنَّه كيف يمكن لطبع الإنسـان أنْ يكره الـذنوب ؟ فـالنفس الإنسانيـة بـطبعها تحب الـذنوب ، إذن متى يصبـح الذنب مـراً في مـذاق الإنسـان ؟ عندما يمنّ الله بفضله ﴿ فضـلاً من الله ونعمته ﴾ هـذا الفضل الـذي يجعل الإيمان حلواً ، والذنب مراً .

لذة الإيمان عند طالبيه :

يمكن أَنْ يقول الإنسان بأَنَّ هناك جبراً في المسألـة ، إذا كان الله هـو الذي يجعل الذنب مراً ، ويقرب الإيمان من قلوب الناس ، وغير ذلـك من الإقتراحات ، والجـواب على ذلـك هي الآية التـالية ﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ إنَّه لن يمنح أيّ شخص لذة الإيمان وكره الذنب ، ولن يحصل الإنسان على ذلك إلا بالجهاد . الجهاد مـع النفس ، والإستغاثـة إلى الله تعالى والإبتعـاد عن الذنوب والمناجاة في شهر رمضان : « إلهي أسـألك الأمن والإيمـان بك والتصديق بنبيك » . إلهي امنحني الإيمان « أسألـك إيمانـاً تباشر بـه قلبي » إمنحني الإيمان الذي يدخل أعـماق قلبي ، ولا يتغير ، ولا يتبـدد . الإيمان الـذي هو أعـز من أي شيء عندي ، فتهيئـة الذات لـذلـك واجب شرعي ﴿ **حبّب إليكم الإيمـان** ﴾ لا يعطي الإيمـان رغم أنف الأشخـاص ، إنْ لم تمدَّ يدك ، سوف لن تحصل على أي شيء منه .

مع الإرادة تتحقق الأشياء :

في أحد الأخبار الواردة في (أصول الكـافي) ، يقول الإمـام الصادق (عليه السلام) لميسر : « يـا ميسر أدعُ ، ولا تقل إنَّ الأمـر قد فـرغ منه ،

إنَّ عنـد الله منزلـة لا تنال إلا بمسـألته، ولـو أنَّ عبـداً سـدَّ فـاه ، ولم يَسـأل، لم يُعطَ شيئاً » . على الإنسان أَنْ يتوجه بالدعاء إلى الله ، ويطلب منه ، ومثل الإنسان المهيأ لتلقي الرحمة والمنّة من الله عز وجل ، كمثل الإنسان الظمآن الذي لا يبرح يطلب الماء ، فلا بدّ إلاّ وأَنْ يجد الماء . فمن دون أَنْ يـطلب الإنسان من الله عز وجل ، سوف لن يحصـل على الإيمـان ، عند الـطواف حول الكعبة يردد المؤمنون هذا الدعـاء : « اللهم حبّب إليَّ الإيمان ، وكـرّه إليَّ الكفر ، والفسوق ، والعصيـان ، » ، أي إجعل مكـانة الإيمـان عزيـزة لدي ، وامنحني الإرادة ، يجب أن أفدي بكـل شيء ، ومن أجل الحصـول عـلى الإيمان ، ولا أُبـدله بـأي شيء آخر ، اللهم اجعـل الفسق مرّ المـذاق عندي ، وابعد الذنب عني ، وساعدني كي أصل إلى النضج .

على الإنسان أنّ يتهيأ من أجل الإبتعاد عن المعاصي ، ويثبت جدارته في هذا العمل ، ليرتقي إلى المقام الشامخ . هـذه الصفة هي أعـظم هديـة يهبهـا الله سبحانـه وتعالى ، لـلإنسـان ، يبعث من عنـده نـوراً ينـير عقـل الإنسان الجديـر بذلـك . وهنا نـلاحظ بأنَّ هـذه الصفة ليست جـبرية بـل تكتسب بـالسعي والإرادة وعنـد الإرتقـاء إلى هـذه المـرتبـة سيسـاعـد الله الإنسان بحيث لا يشعر بذلك ، ويتم إنقاذه بشكل يُثير الحيرة والدهشة .

يهدي اللص عند ارتكاب الذنب :

يروي (الكافي) في كتـابه الـدعاء ، نقـلاً عن الإمام زين العـابدين (عليه السلام) القصـة التاليـة : ركب في أحد الأيـام تاجـر مع عـائلته في سفينة ، للسفر بقصد التجارة ، ورحلوا بعرض البحر ، هبّ طوفان عظيم في نصف الطريق ، مما سبّب في غـرق السفينة ، فغـرق التاجـر وأولاده مع بقية المسافرين ، ولم يبق سوى زوجة التاجـر التي تمسكت بخشبة عـائمة ، واستـطاعت أَنْ تصـل إلى السـاحـل من دون أذيّـة . فـوصلت إلى مكـان مقفـر ، لا وجود للعمـران فيه ، وخـالٍ من البشر ، ولا يوجـد في المكـان سوى الشجر والخضار ، فقضت أياماً عديدة تأكل أوراق الشجر والنبـاتات

الوحشية ، لتسدّ جوعها د وتنام على أغصان الأشجار كي تتقي أذية الحيوانات ، وفي أحد الأيام ظهر لص في الغابة ، كان في طريقه من مدينة إلى أخرى ، وصدف أن رأى المرأة ، فشعر بأنّه حظي على فرصة ثمينة لا تعوّض ، لأنّه وجد امرأة وحيدة في الغابة ، فهجم عليها ، وأمسك بها ، ورماها بحركة عنيفة على الأرض بقصد الإغتصاب ، صرخت المرأة ، واستغاثت ، وانتابتها رجفة شديدة . وقالت : كيف أستطيع تحمّل إرتكاب هذا الذنب ، وأنا التي لم أفعل مثل هذا العمل أبداً خاصة وأنّه لا يوجد أحداً ، والله وحده هو الشاهد ، وأنا لا أعصي الله ؟! لاحظوا هنا أنّ شعور هذه المرأة هو كره الذنب ، والإشمئزاز منه ﴿ **كرَّه إليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيان** ﴾ الرادع هنا بالدرجة الأولى هي الكراهية وليس فقط الخوف من عقاب الله ، هذه الصفة هي عطاء من الله لا تمنح لأي شخص مجاناً .

أثّرت هذه الكلمات في اللص ، بحيث أنّه استطاع أنْ يترك المرأة وحيدة في الغابة ، ولا يرتكب المعصية ، إعتذر الرجل منها وقال لها : بأنّه هو المذنب ، وليست هي ، فتركها ورجع نحو المدينة ، وفي نيته التوبة والصلاح .

بينما هو في الطريق ، إلتقى بشخص تبدو عليه علامات التقوى والإيمان ، فمشيا معاً إلى أنْ وصلا إلى صحراء قاحلة ، حرارة الشمس فيها عالية نظر العابد إلى اللص قائلاً له : تعال ندعو إلى الله كي يبعث لنا ظلاً يحمينا من الشمس ! أجاب اللص بأنّه لا يملك منزلة عند الله تعالى كي يستجيب له . المذنب يشعر بالذلة أمام الله . ولكن لا بدَّ من أَنْ نذكر هنا بأَنَّ العابد يجب أنْ لا يصاب بالغرور ، ويعتبر نفسه بأَنَّ صاحب فضل على الله ، وأَنَّ دعاءه مستجاب ، نلاحظ بأَنَّ البعض في بداية حياتهم يعتبرون أنفسهم بأَنَّهم خداماً للحسين (عليه السلام) ، وبعد فترة يصابون بالغرور فيعتبرون أنفسهم بأَنَّهم أصحاب فضل ، وعلم ، ووعظ ، وفقه ، و . . . ويتصرفون وكأنهم يمننون الناس بأعمالهم ، خسئت

هذه العبادة ، العبادة التي تؤدي إلى الغرور !

بناء على هذا حسب العابد نفسه بأَنَّ دعاءه مستجاب ، فقال للّص أنا سأدعو الله ، وأنت قل آمين . رفع العابد يديه إلى السماء قائلاً : إلهي إبعث لنا سحاباً يظلانا ويحمينا من حرارة الشمس في هذا لصحراء القاحلة ، ردّ اللص قائلاً : آمين ، فجأة ظهر السحاب وألقى بظلاله عليهما ، شكر الرجلان الله عزّ وجل على هذه النعمة ، ومضيا معاً في طريقهما ،حتى وصلا إلى مكان كان عليهما أنْ يفترقا كل إلى جهة مخالفة ، فكان الظل يتحرك فوق اللص ، عزّ ذلك على العابد إذ كان يظن نفسه بأَنَّه إنسان مقدس ، وخاشع ، وخاضع لأوامر الله عز وجل ، ولكن الظاهر هو غير الباطن والمصيبة في أنْ لا يعرف الإنسان نفسه .

أقوال الإمام زين العابدين (ع) لعبد الملك بن مروان :

دخل الإمام (عليه السلام) على عبد الملك ، وكانت عيناه غائرتين ، من شدة البكاء ، أما لونه فقد اصفرّ من سهر الليالي ، والجبين متورّم من كثرة السجود ، أما الجسم فنحيل ، وضعيف .

تأثّر عبد الملك كثيرفا عندما رأى الإمام في هذه الحالة الناتجة عن كثرة العبادة ، فبكى ونزل من العرش ، وحضن أرجل حفيد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) سائلاً عن السبب في الأكثار من العبادة ، فالجنة هي لكم ، والشفاعة بيد جدكم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ؟ أجاب الإمام بما معناه ، قال جدي رسول الله : « أفلا أكون عبداً شكوراً » فعلى العبد أنْ يكون شكوراً . لو أنّي عشت الزمن كله ، منذ بدء الخليقة إلى يوم القيامة ، وأدّيت فريضة الصيام في هذه الأيام كلّها ، وبقيت ساجداً بحيث انكسرت عظام رقبتي ، وبكيت بحيث تساقطت الأهداب من جفوني ، ولم آكل إلاّ التراب والرماد ، من أجل التزهّد ، والتقرب إلى الله عزّ وجل ، فلا أكون قد شكرته على جزء بسيط من نعمة واحدة من أصل نعمه اللامحدودة . أُنظر إلى عظمة نعمة العين ،

واللســان ، إلى أنّ تصل إلى نعمــة الخبز ، والقمـح ، وغيرهـا من الخيرات التي هي من بركاته ، ونعمه .

كلمة (آمين) عند المذنب أحسن من دعاء العابد :

تعجب العابد كثيـراً لسير السحاب فوق المذنب ، هذا المذنب الذي اعترف بذنبه ، وكان منكسراً ذليلاً أمـام الله عز وجـل ، أما العـابد الـذي ظـن بـأنّ مجيء السحـاب هو نتيجـة دعائـه اكتشف بأنّـه كان نتيجـة لتفوه المذنب بكلمة (آمـين) ، هذا المـذنب التائـب الـذي وجّه وجهـه نحو الله تعالى . أما العـابد فـرجع ليلحق بـالمذنب ويسـأله عن مـا في الأمر ، قـال اللص بأنّه ليس أكثر من مجرد مذنب ، ولكن العابـد لم يصدق ذلـك ، هنا قال اللص الحقيقة ، وذكر قصته مع المرأة ، ونيّته في التوبة إلى الله تعالى .

رجعة حُر في يوم عاشوراء :

يقـول الشيخ شـوشتري بـأنّ وقفة حـر بن يزيـد الريـاحي ، في يوم عاشوراء ، لم تكن أقـل أهمية من وقفـة حبيب بن مظاهـر ، لقد قـطع الحر الطريق أمام الحسـين (عليه السـلام) ولكنه يـوم كربـلاء كان يـرجف من شدة الخوف ، هل سمعتم بذلك !!!

لقـد كـان الحـر قـائـداً لمجمـوعـة يبلغ عـدد أفـرادهـا أربعـة آلاف شخص ، وكانت جميع المغريات الدنيوية موجـودة عنده من مـاء الفرات ، إلى المـال ، والجاه ، و . . . ولكن الحـر هذا رجف عنـدما سمـع الحسـين (عليه السلام) يوعظ ابن سعد ويقول له : « أتقتلني وأنا ابن من علمت ! سأل الحر بن سعد بما يريد أنْ يفعله في حق الحسين (عليه السلام) ، قال إبن سعـد : أريد أنْ أحـاربـه حـربـاً تقـطّع فيهـا الأيـادي عن الأجسام ، والرؤوس عن الأكتاف ! عنـدما عـرف الحر بـأنّه مصمّم فعـلاً على محـاربة الحسين (عليه السلام) أخذته رجفة قوية فأخذ عهداً على نفسه بأَنْ يسـاند الحسـين (عليـه السـلام) . سـار في وسط جيشـه بشكـل طبيعي كي لا يـلاحظوا إلى أين يسـير ، حتى وصل إلى المكـان الذي يـوجد فيـه الحسـين

(عليه السلام)ولم يستطع من شدة الخجل أنْ ينظر في عيني الحسين (عليه السلام) ـ هذا الخجل له قيمة وأهمية كبيرتين ـ عندما وصل إلى الحسين (عليه السلام) رمى بنفسه أرضاً يقبل رجلي الإمام (عليه السلام) ، قال له الحسين (عليه السلام) : إرفع رأسك يا شيخ من أنت ؟ أجاب الحر ، بينما كان لا يزال مرمياً على قدمي الإمام (عليه السلام) : بأنّه ذلك المذنب الذي قطع الطريق أمامه ، ولكنه لم يكن يعرف بأنَّ الأمور ستصل إلى هذا الحد ، ثم قال : هل لي من توبة ؟ قال (عليه السلام) : نعم .

إنَّ هذا الشهر هو شهر رمضان المبارك ، شهر التوبة والمغفرة ، يجب علينا جميعاً أنْ نتوب إلى الله تعالى ، « أنْ تغفر لي ما سلف من ذنوبي ، وتعصمني في ما بقي » .

«٩»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ واعلموا أنَّ فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتّم ، ولكن الله حبّب إليكم الإيمان ، وزيّنه في قلوبكم ، وكرّه إليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، أولئك هم الراشدون ، فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم ﴾ .

الدين أعزّ من الروح :

يسمي الشخص الذي يؤمن بالتوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، مسلماً ، وإذا آمن بالعدل والإمامة أصبح شيعياً ومؤمناً ، المؤمن العاقل الراشد الذي يحتل الدرجات العالية ، والمقامات السامية . إنّ أفضل المسلمين وأخصهم هم الذين زيّن الله تعالى الإيمان في قلوبهم ، وجعله عزيزاً عندهم ، إلى درجة التضحية والفداء ، حيث يقدمون أرواحهم رخيصة شرط أنْ يبقى دينهم سليماً معافى .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « أفي سلامة من ديني ؟» إنْ دلّ هذا على شيء إنما يدل على أنَّ سلامة الدين هي أهم شيء وفي هذه الدنيا . إنَّ الجسد يتلاشى عند مفارقة الحياة ولكن المهم أنْ يبقى الدين سليماً ، أنْ يموت الإنسان مؤمناً .

كره المؤمن للمعاصي :

من هو المؤمن الراشد ؟ إن المؤمن الراشد هو الذي يكره الكفر ، والفسوق ، والعصيان . ما الفرق بين الكفر ، والفسوق ، والعصيان ؟ الكفر : يعني إنكار مبدأ التوحيد والمعاد . يقولون مثلاً : تتحدثون عن القبر ، وعن المعاد في هذا القرن الذي هو قرن تسخير الفضاء ، والوصول إلى كرة القمر .

والفسق : يعني ارتكاب المعاصي ، إنَّه أقل شقاوة من الكفر لأنَّ الإنسان الفاسق يؤمن بالله ، وبيوم القيامة ، والحساب ، والجنة ، والنار ، ولا يستهزىء بها ، ولكنه لا يلتزم بواجباته الإسلامية ، ولا يطيع أوامر الله عز وجل . إذن الفسق هو الخروج عن إطاعة الله عز وجل .

أما العصيان : فهو أدنى من الفسق إذ يعتبر البعض الفسق من الكبائر وبالأخص الكذب ، ولكن العصيان هو مطلق معصية سواءً أكان من الكبائر أم من الصغائر . والإنسان العاقل ، الراشد ، المحب للّه عز وجل ، هو الإنسان الذي يكره الكفر ، والفسق ، والعصيان ليس على نفسه فقط ، بل على الآخرين أيضاً . يكره مثلاً أَنْ يشتم أحداً ، أو يسمع الشتائم من الآخرين ، ليس لأنها موجهة إليه ، بل لأنَّ الشَّتْم بحدِّ ذاته عمل حرام . يكره الإنسان المؤمن أنْ يرى امرأة سافرة سواءً أكانت هذه المرأة ابنته أم أخته أو أي امرأة أخرى .

عندما يكره الإنسان أَنْ يرتكب المعاصي يكون قد وصل إلى درجة الرشاد والصلاح ﴿ **أولئك هم الراشدون** ﴾ وكما قلنا مراراً فإنَّ المؤمن الحقيقي هو الشخص الذي يكره ، ويتجنب الوقوع في المعاصي ، والله سبحانه وتعالى ينعم بفضله على عباده ﴿ **فضلاً من الله ونعمة** ﴾ والله سبحانه وتعالى ﴿ **يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى** ﴾[1] . والإنسان الفاسق لا يمكن أَنْ ينعم بنور الإيمان لأنَّ النعم لا تعطى لأيٍ كان . إنَّ الله عز وجل ينعم

---

(١) سورة طه : الآية ٧ .

على عباده المؤمنين ، الصالحين ، الراشدين الذين يطيعون أوامره ، ويمتنعون عن معاصيه ، وإلا ما الفرق بين شخص يسعى في دنياه من أجل آخرته ، وشخص آخر يركض وراء الماديات ، ويسعى من أجل الحصول على المال مثلاً ، أو أيّة ملذّة مادية أُخرى ؟

إنْ لم يحاول الإنسان أَنْ يكون مؤمناً ولم يحاول الإبتعاد عن المعاصي ، لا يمكن أَنْ يكره المعاصي وينبذها ، مثلاً : كيف يمكن لشخصٍ ما أَنْ يكتسب صفة الخلوق إذا لم يسعَ إلى أَنْ يكون خلوقاً ، أو يكتسبً صفة الكريم إذا لم يصرف المال ، ويتصدق على الفقراء ، ويقيم الولائم . إذن المسألة تتطلب التصبر أي أَنْ يعوّد الإنسان نفسه على الصبر ، من أجل بلوغ أهدافه . إذا لم يصبر مثلاً على بذل المال كيف يمكن أَنْ يكتسب صفة الكريم مثلاً .

ربط الآيتين بما قبلهما وما بعدهما :

لقد تطرق المفسرون إلى هذا الموضوع مراراً ، ولكنني سوف أشرح لكم بشكل مختصر وموجز عن موضوع الرابط هذا . تبدأ الآية بـ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنْ جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا** ﴾ هذه الآية تشمل أيضاً المؤمنين الذين يتظاهرون بالإيمان ، أي المسلمين جميعاً . وكما نعرف جيداً بأنَّه يوجد بين المسلمين منٍ هو مؤمن ، ومن هو فاسق ، ولا تظنوا أبداً أَنَّ جميع المسلمين سواء ، لأنَّه لا يكفي أَنْ يكون الإنسان مسلماً ، بل يجب أَنْ يصل إلى مرحلة ﴿ **وحبَّب إليكم الإيمان** ﴾ ، والوصول إلى ذلك ، يتطلب جهداً وسعياً كبيرين . كيف يمكن أَنْ نصل إليها ، ونحن نركض وراء الدنيا وملذاتها ؟ فركض وراء المال ، والجاه ، والشهوات ، وغير ذلك من الأمور الدنيوية ، التي أصبحت عندنا أعزّ من الله ورسوله ؟ إنَّ المؤمن الحقيقي هو الذي ينبذ الدنيا ، ويتمسك بحبل الله .

إنَّ جملة ﴿ **وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان** ﴾ تذكر المؤمنين بضرورة السعي وراء الرشد ، والصلاح ، والتعقل ، ﴿ **أولئك هُمُ**

الـراشـدون ﴾ لأنَّ الإنسـان المؤمن ، الـراشـد ، لا يمكن أنْ يكـذب ، أو يفتن ، أو يحرض على الفساد والعصيان ، وكما قلنا سـابقاً بـأَنَّ العديـد من الأشخاص الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من المؤمنين ، حـاولوا أَنْ يحـرضوا الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) على القتـال ، وسفك الـدماء ، فهـل يمكن لشخص ما أَنْ يكون مؤمنـاً ومفتناً بنفس الـوقت ؟ إنَّ عدد المسلمـين اليوم يبلغ ثمانمئة مليون شخص ،كنّا نتمنى لو كـان بين هـذا العدد الكبـير مليـون شخص فقط ، وصلوا إلى مـرحلة حبّ الإيمـان ، وكـره الكفـر ، والفسق ، والعصيـان ! إنَّ حب النفس والهوى يؤدي إلى ضعف الإيمـان ، وإنَّ التفرقة والتنازع والتحارب تؤدي إلى حب النفس والهـوى ، وهذا أمـر طبيعي .

عندما قالت الملائكة للّه عز وجل منذ اليوم الأول من بدء الخليقـة : **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾**[1] لم يكن ذلك الكلام عبثاً ، بل كان له معنى ، أن البشر من أجل الحصول على الماديات ، والتفرد بها ، مستعدون للقيام بأي عمل ضد بعضهم البعض ، من كذب ، إلى سرقة ، وسفك دماء ، و . . . ، كل ذلك لأنَّهم لم يصلوا إلى مرحلة حبّ الإيمان ، وكره المعاصي ، هـذه المرحلة التي تجعـل منهم مؤمنين ، راشـدين ، واعيـن لأمور الدين والدنيا ، فهم لا يعطون لماديات الدنيا أية أهمية كي يتشاجـروا من أجلهـا . إنَّ معظم المشـاكل الإجتـماعية ، والعـائليـة ، والأسريـة التي نـلاحظهـا اليوم ، نـاتجـة عن ضعف الإيمـان وبـالتـالي عن حبّ النفس ، والهـوى ، والشهوات ، والسعي وراء كسبهـا ، والتفرد بهـا . أما المؤمن لا يأبه بكـل ذلك ، لِأنّـه عرف الله عـز وجل ، وسعى إلى تـأمين آخـرته لِأنّ الآخرة ﴿ خير وأبقى ﴾ .

عظمة جيش الإمام :

أمر ذات يوم المتوكل العباسي في (سامراء) بإحضار الإمامين الهادي

---

(١) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

والعسكري (عليهما السلام) وعند مجيئهما ، أمر المتـوكل جيشـه بأَنْ يحمـل كـل واحد منهم كيسـاً مملـوءً من الرمـل ويفرغـه في مكان معـين . شكلت الـرمال المتراكمة فـوق بعضها البعض تـلاً عظيـماً ، اشتهر بتـل المخـالي . عندها قـال المتوكـل للإمـامين بـأَنْ ينظر إلى مـا فعله جيشه ، ظنـاً منه أنَّـه يستطيع بذلك أنْ يـدبَّ الرعب في قلبيهـما ، ويجعلهما يخـافان من قـدرته ، وقوة جيشه ، ولكنه نسي بأَنَّ الإمـام المعصوم لا يمكن أنْ يخـاف من القوى البـاطلة . قال الإمـام (عليـه السـلام) للمتـوكـل : أُنـظر أنت أيضـاً إلى جيوشنا ! ولم يكد المتوكل يرفع رأْسه حتى كـانت الملائكـة تملأ المكـان شرقاً وغرباً ، وتحمي الإمـامين بـأسلحتها . يقـال بأَنَّ المتـوكل أُغمي عليـه عند رؤيته هذا المنظر . وقام يقبل يدي الإمامين ويعتذر منهما !

يروى عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السـلام) بأَنَّ هنـاك صنف من الملائكة ، يملك كل واحد منهم أكتافاً واسعة حيث يبعد كـل كتف عن الكتف الآخر مسافة (٧٠٠) سنة وتقضي قسم من هذه الملائكة أوقاتهـا في الركوع ، والقسم الآخر في السجـود .

وهنـاك صنف من الملائكـة تمد دائـماً أيـديهـا نحـو الله عـز وجـل ، والأغـرب من ذلك مـا جـاء عن أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) في (نهج البلاغة) ما معناه بأَنَّ هناك صنفاً من الملائكة تبكي من خشية الله وهيبته ، لدرجة لو أرادت السفن أنْ تسبح في بحـر دموعهـا لاستطاعت ! إذن يجب أنْ لا نبخـل بدمـوعنا ، يجب أنْ نـذرف الدمـوع ، ونقف خاشعـين أمـام عظمة الله عز وجل .

إنَّ الله يتباهى بعبادة القائمون في السحر :

إنَّ الله كريم يتعطف على عباده رغم عظمته ، وقـدرته ، وجـلاله . إنَّه رحيم يقبل التوبة فإذا اتَّجهنا إليه بقلب خاشـع ، وعين دامعـة ، ولسان مستغيث ، وسجدنا طالبين المغفرة والتوبة ، لاستجاب إلينا بإذنه تعالى .

يقال بأَنَّه لو قام المؤمن في منتصف الليل (يفضل أنْ يكون من ليـالي

شهر رمضان المبارك) وسجد إلى الله تعالى ، وأخذه النوم وهو في حالة السجود ، يرتفع صوت في العالم الأعلى ويقول للملائكة بأنْ ينظروا إلى هذا العبد الصالح ، أي صحيح أنكم تسجدون دائماً ، ولكنكم لا يوجد في خلقكم وضعاً متضاداً ، ولكن الإنسان الذي يميل بطبعه إلى الراحة ، وقام في منتصف الليل ليسجد ، له أجر كبير . انظروا أيتها الملائكة إلى هذا العبد الذي حرم نفسه من لذة النوم ، وقام يطلب التقرب منّا ، قولوا لي كيف أتعامل معه ؟ تقول الملائكة : يا ربِّ إغفر له . يقول لقد غفرت له ، ماذا أفعل بعد ، إنَّ الله غفور رحيم ، تقول الملائكة : يا ربِّ إجعله في جنتك ، يقول عز وجل : بأنّه سيدخله الجنة ، فماذا بعد ؟ تقول الرواية الشريفة بأَنَّ الملائكة تقول يا ربِّ نحن لا نعرف ما هو أعلى من الجنة ! يقول : « نحن نعرف ما هو أعلى من الجنة ، أبحته زيارتي وأُريه وجهي » وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء ، سنريه جمال آل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، سنحشره مع أهل البيت ، سنريه آيات جمالنا التي هي أساس الجنة ، بل هي بانية للجنة . ألا تعرف بأَنَّ الجنة هي من نور الحسين (عليه السلام) ألا تعرف بأَنَّ الحسين (عليه السلام) من صانعي الجنة؟ إلهي إنّي أُقسم عليك بقدرتك وعظمتك، أنْ تجعلنا من أنصارك، وتبعدنا عن مفاسد الدنيا وملذاتها ، إلهي إغفر لنا واحشرنا مع الأخيار والأبرار ، إنك على كل شيء قدير .

أنين المذنبين أحبّ إلى الله من تسبيح المسبحين :

في أيام شهر رمضان المبارك ، وقبل الإفطار ببضعة ساعات ، نكون قد وصلنا شيوخاً وشباباً إلى حالة التعب ، والعطش ، والجوع ، لو نادينا الله عز وجل ونحن في هذه الحالة لارتفعت أصواتنا عن أصوات الملائكة ، وهذا يتطابق مع الحديث القدسي الذي يقول بأَنَّ أنين المذنبين أحب إليَّ من تسبيح المسبحين ، صحيح أنَّ الملائكة تسبح دائماً للّه عز وجل ، ولكن الملائكة لا تملك قلباً حزيناً ، إنَّ المصائب والإبتلاءات تصيب البشر ، من هنا كان أنين البشر ، حتى المذنبين منهم ، أحب إلى الله من تسبيح

الملائكة . إنَّ الله الذي يحب أَنْ يسمع أنين حتى المذنبين منا فيا ويل لنـا لو سكتنا ، ولم نرفع أصواتنا بطلب المغفرة والتوبة .

إلهي العفـو ، أستغفـر الله الـذي لا إلـه إلا هــو الحي القيـوم ، ذو الجلال والإكرام ، من جميع الذنوب والآثام .

«١٠»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ ولكن الله حبّب إليكم الإيمـان وزيّنـه في قلوبكم وكـرّه إليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيـان ، أولئك هم الـراشدون ، فضـلاً من الله ونعمة ، والله عليم حكيم ، وإن طائفتـان من المؤمنين اقتتلوا ، فـأصحلوا بينهما ، فإنْ بغت إحـداهما عـلى الأخرى ، فقـاتلوا التي تبغي ، حتى تفيء إلى أمر الله ، فإنْ فاءت ، فأصلحوا بينهما بـالعدل ، وأقسـطوا إنَّ الله يحب المقسـطين ، إنما المؤمنـون أخوة ، فـأصلحـوا بـين أخـويكم ، واتقـوا الله لعلّكم ترحمون ﴾ .

الجمـع بين الآية :

هنـاك نقطة رائعـة تعبر عن كـمال البلاغـة في القـرآن الكـريم ، إنَّ الخالق العظيم يعبر عن بعض المسائل المتعلقة بـالبعض ، بشكل جمـاعي ، وذلـك من أجل مصـالح معينـة **﴿ حبّب إليكم الإيمان ﴾** ، لـو نـظرنـا إلى المسلمـين جميعاً نـلاحظ بـأَنَّ عـدد الأفـراد الـذين يحبـون الإيمـان عن حق وحقيقة ، ويفضلونه على أي شيء آخر ، ويكرهون المعاصي ، هم قلائل، ولكن الله عز وجل لو قال حبّب إلى بعضكم ، فإنَّ هذا يتنافى نوعـا ما مـع وحدة المسلمين ، وكـما أَنَّ الله سبحانـه وتعالى لا يـريد أَنْ يفضـح محبّيه في هذه الدنيا ، بل يريدهم أنْ يكونوا جميعاً معزّزين مكرّمين ، لأنَّ كل واحد

يفكر بأَنَّ الله تعالى يحب الآخر لأنَّ هذا الآخر هو من محبي الله ، وهكذا . كما أنَّه لو جاءت الآية بمعنى البعض حبّب إلى بعضكم الإيمان ، يمكن أَنْ يحزن بعض من الناس ، ويعتقدوا بأَنَّ هذه الآية لا تشملهم .

آخر الآية تقول : ﴿ **أولئك هم الراشدون** ﴾ أي الذين يحبون الإيمان ، ويكرهون الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، هم من الراشدين ، الصادقين ، الصالحين ، وأهل الرشد كانوا منذ بدء الخليقة حتى يوم القيامة يشكّلون القلّة والباقون يركضون وراء الدنيا ، ليكسبوا المزيد من تفاهاتها .

الإصلاح بين مجموعتين :

هنا نقول للّذين وصلوا إلى مرحلة الرشد ، والتعقل ، وابتعدوا عن الأهواء والشهوات ، وأنهوا الحروب والخلافات فيما بينهم ، نقول لهم بأنَّهم لو رأوا مجموعتين من المسلمين يتحاربان ، ويشهران السلاح على بعضهما البعض ، عليهم أَنْ لا يقفوا مكتوفي الأيدي بل عليهم أنْ يصلحوا فيما بينهما ، وهذا الأمر ينطبق أيضاً على الخلافات الصغيرة التي تقع بين الأهل ، والأقرباء ، والأصدقاء .

هنا أيضاً علينا أَنْ نقوم بدور المصلح ، وتتم عملية الإصلاح أولاً بمعرفة السبب الذي أدّى إلى الخلاف ، ومن ثم نحاول أَنْ نعرف مَنْ مِنْ طرفي النزاع معه حق ، وعند معرفة ذلك ، يجب أَنْ نوقف المعتدي عند حدّه ، فنبدأ أولاً بالكلام معه ، فإن لم يقبل نستعمل معه القوة ، حتى لو وصل الأمر إلى الضرب ، أو أكثر من ذلك ، حتى ننهي النزاع . إذن أهم خطوة في عملية الإصلاح هي معرفة سبب النزاع ، لأنّه في بعض الأحيان يكون السبب سخيفاً جداً .

نزاع الأوس والخزرج حول بول الحمار :

جاء أحدهم يخبر الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بأَنَّ النزاع

عاد ليدبّ بين مجموعتين من المسلمين ، الأوس والخزرج ، وكان الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) قد استطاع في السابق ، وبعد جهد كبير أنْ يصلح بينهما ، ولكن الجهل عاد ليسيطر من جديد على عقولهما ، وعادا إلى الخلاف والنزاع من جديد . جاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بنفسه إليهما ، وسأل عن السبب الذي أعادهما إلى النزاع من جديد . وبعد البحث والتدقيق تبيّن بأنَّ رسول الله عندما كان راكباً على حماره بوَّل الحمار ، فارتفع صوت رجل يدعى عبد الله بن أُبي ، وكان رجلاً منافقاً ، يدّعي الإسلام في الظاهر ، ولكنه في الباطن كان كافراً ، خسيساً ، كذاباً ، رفع صوته وقال لرسول الله بأنَّه اختنق من رائحة البول ، وقال أيضاً بأَنْ يبعد الحمار عن هذا المكان . عندها أجاب عبد الله بن رواحة الذي كان من قبيلة الخزرج ، وكان يكن حباً شديداً لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، قال للرجل : إخرس يا وقح ! إنَّ بول حمار رسول الله هو أحسن منك أنت الوسخ ، المتعفن ، المهترىء ! أجابه الرجل المنافق بكلمات مهينة ، كلمة من هذا ، وكلمة من ذاك ، دبَّ العراك بينهما ، عندئذٍ جاء أقرباء الطرفين وأخذ النزاع شكلاً كبيراً ، حتى جاء رسول الله وفرّق بينهما .

صحيح أنّ الرجل تفوَّه بكلام غير لائق ، ولكن أنت ، اتركه ، ليس من الضروري أَنْ تتهجم عليه حتى يصل الأمر إلى العراك . إنَّ المصلحين هم تماماً مثل رسول الله لا يقفون مكتوفي الأيدي عند نشوب الخلاف بين المسلمين .

حروب حيدر ونعمة الله في إيران :

تتحدث الكتب كثيراً عن النزاعات التي كانت دائرة منذ ثلاثمائة سنة بين سلطان حيدر في (تبريز) الذي كان جدّ سلاطين الصفويين ونعمة الله الذي كان زعيماً لفرقة من المتصوفين، وقبره موجود في (كرمان) وقد انقسمت الناس في تلك الفترة إلى مجموعتين : مجموعة تساند هذا ، ومجموعة تساند ذاك ، وكانت الخلافات تزداد بينهما يوماً بعد يوم ، وتصل

إلى ذروتها في أيام عاشوراء ، التي هي بطبيعتها أيام ثورة وحماس .وفي بعض الأحيان كان يموت من المجموعتين عدد كبير ، بقوا هكذا حتى عهد ناصر الدين القاجار الذي طالت فترة حكمه أربعين سنة ، واستطاع خلالها أنْ يطفىء الفتنة بين المجموعتين ، وينهي الحرب بينهما .

فتنة المشروطة والإستبداد :

صحيح إنَّ الحرب انتهت بين حيدر ونعمة الله ، ولكن حرباً أُخرى أشد ضراوة بدأت بين مجموعتين أخريين . يمكنْ أَنْ تكونوا قد سمعتم بقضية فتنة المشروطة والإستبداد فمنذ ثمانين سنة ، تمّ قتل العديد من السادة ، والعلماء ، والمصلحين ، والتجار وغيرهم والمرحوم الحاج شيخ علي أكبر أصطهباناتي الذي عرف بالشهيد الثالث ، والسيد أحمد دشتكي الذي أُعدم على أبواب إحدى الحسينيات ورُمي بعظامه في إحدى الآبار ، هم من ضحايا تلك الفتنة ، وغير ذلك من الجرائم ، والفساد ، والإنقسامات التي خلقتها هذه الفتنة ، والتي عبر عنها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في إحدى أخباره الغيبية التي يقول فيها بما معناه معاذ الله من فتنة تقوم حول كلمة العدل .

إذن من واجبنا الشرعي أَنْ ندخل كمصلحين بين طرفي النزاع ، وإنْ لم يُعمل حتى الآن بهذه الآية ، يعود ذلك إلى أَنَّ عدد المصلحين قليل جداً ، وهذه القلة لم تكن تملك القوة والقدرة الكافيتين حتى تصلح بين الناس .

يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) إنَّ حبيبك الحسين قام في الناس ليصلح بينهم وقال (عليه السلام) « إنّي لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا مفسداً ، ولا ظالماً ، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي » لم يخرج من أجل المال ، والجاه ، والسلطة ، بل خرج من أجل الإصلاح ، والقضاء على فساد بني أمية ، وقتل الشيعة ، التي روجها معاوية ، ورفع صوته منادياً : هل من ناصر ينصرنا ؟ ولكن لم يجد أحداً ينصره فقتل شهيداً .

وقبله كـان أمير المؤمنـين الإمـام عـلي (عليـه السـلام) وهـل هنـاك شخص أعظم منه ، لقد استطاع في (معركة الجمل) أنْ ينتصر ، ويصلح بين الناس ، ولكن يا أسفاه لقد قضى مرة ثـانية ثـمانيةعشر شهـراً في الجبهة ولم يدحر الباطل .

الشخص الصالح يستطيع بقوته أن يصلح بين الناس :

إنَّ الإصـلاح بين النـاس يتـطلب أمـرين : أولاً أَنْ يكـون الإنسـان مصلحاً عن حق وحقيقة،وأنْ تكون لديه القدرة الكـافية، وهـذا لا يتحقق إلا بظهور الإمام الثاني عشر ، الذي يجتمع فيه الأمرين معاً ، لأنَّنا نـلاحظ في هـذه الأيام بـأَنَّ المصلح ليس لديـه القدرة الكـافية ، والقـوي لا يتمتع بصفة المصلح ، أي إنَّ شهواته وغرائزه طاغية على عقله وإيمانه ، فعليه أَنْ يصلح نفسـه أولاً ، ثم يبدأ بـالآخرين ، حتى لا يصبـح كالـطبيب الـذي يداوي الناس وهو عليل . إنَّ الإمام المهدي (عج) ، وبفعل قدرته القاهرة التي منحهـا الله له ، يستـطيع أَنْ يصلح بـين الناس ، ويمـلأ الأرض عدلاً بعد أَنْ ملئت ظلماً وجوراً .

انتبهوا إلى هذه الآية ﴿ **وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ والمقصود من المؤمنـين جميع المسلمـين ، حتى ولو كـانوا يـدّعون الإسـلام بالـظاهر ، وليس فقط ذلك المؤمن الحقيقي الذي يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويقرأ القرآن ، ويصـلي ، ويصلح بين طـرفين متنـازعين ويبحث عن سبب النـزاع ، ويحاول أَنْ يـردّ المعتدي ﴿ **فـإن بغت إحداهمـا عـلى الأخـرى** ﴾ ﴿ **فقـاتلوا التي تبغي** ﴾ بكـافـة الأسلحـة شرط أَنْ تكـون تلك الأسلحـة موجودة لديه ﴿ **حتى يفيء إلى أمـر الله** ﴾ وإذا عادوا عن نـزاعهم ، وتابـوا إلى الله تعـالى ﴿ **فـأصلحـوا بينهـما بـالعـدل والقسط** ﴾ ﴿ **إنّ الله يحب المقسـطين** ﴾ وعند إنتهـاء النزاع ، واللجـوء إلى التوبـة ، يجب أَنْ تعـوض الخسارات : إعادة المال المنهوب ، الإفراج عن الأسرى ، و . . .

الأخوّة والمساواة بين المسلمين :

إنَّ تشريع مسألة الأخوة في العالم الإسلامي هو حكم جعلي ، فالله سبحانه وتعالى الذي هو خالق الكون والبشر ، أراد أنْ يجعل المؤمنون أخوة ﴿ **إنّما المؤمنون أُخوة** ﴾ .. إنَّ الأخوّة النسبية تتعلق أحكامها بمسائل النكاح والإرث ، أما الأخوة في الرضاعة ﴿ **وأخواتكم من الرضاعة** ﴾ تتعلق فقط بمسألة النكاح ، أي إنّ الفتاة مثلاً لا ترث من أخيها بالرضاعة ، ولكنها لا تستطيع أنْ تتزوج منه ، أما الأُخوة بالإيمان وهي أخوة جعلية ، جعلها الله سبحانه وتعالى ، لا يوجد فيها أحكام الإرث والنكاح ، فهي تتعلق فقط بمسألة « المؤاساة والمؤاخاة » أي أن يساند المؤمن أخاه المؤمن ، يحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، يفرح لفرحه ، ويحزن لحزنه ، لا أَنْ يحب نفسه فقط ، ويريد الخير له . يذكر أخاه المؤمن بعيوبه ، ويتقبل منه ما يوجهه له من نصائح ، أي أَنْ يكون المؤمن مرآة لأخيه المؤمن . أصلح بين أُخوتك في الإيمان سواءً أكان الخلاف بين رجل وزوجته ، أم بين أخ وأخيه ، أم أب وابن أم . . . حاول أنْ تعرف سبب النزاع لتحل المشكلة ، إذا كان السبب مادياً تولى أنت ذلك حيث أَنَّ الدفع في هذا المقام يكون من أفضل الحسنات ، والصدقات ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخيّرة التي تجمع بها بين قلوب أخوتك في الإيمان . ﴿ **واتّقوا الله لعلّكم ترحمون** ﴾ إذا كنتم تريدون أنْ يرحمكم الله ، يجب أنْ تبتعدوا عن الأهواء والشهوات وتتقوا وتساعدوا بعضكم البعض .

رواية عن استجابة حاجة المؤمن :

يروي أحد كبار علماء الشيعة السيد أحمد بن حسن بن خالد البرقي صاحب كتاب (المحاسن) وكان هذا العالم موجوداً في أوائل الغيبة الكبرى لولي العصر الحجة (عج)، يروي حادثة حدثت له فيقول : بأنّه كان عنده أراضٍ في منطقة (كاشان) وكانت الدولة تأخذ منه كل سنة ضريبة قدرها (عشرة آلاف درهم) ، وكان أحد موظفي الدولة السيد أبو الحسن

المـادراني وباتّفـاق معه ، كـان يحسب الراتب السنـوي الذي كـان مخصصاً للعالم ، وكان يبلغ قيمته عشرة آلاف درهم بمثابة الضريبة المتـوجبة عليـه . وفي إحـدى السنوات نسي أَنْ يفعـل ذلك . فجـاء وفد من الـدولة يـطالبه بـالضريبة وبـالعشرة آلاف درهـم ، لم يكن العالم يملك المبلغ في بيتـه ، قال بأنّه سوف يرتّب الأمـر ، ذهب في اليوم التـالي إلى المادراني ليـطلب منه أَنْ يفعل هذه السنة أيضاً ما كان يفعله في السنوات السابقـة ، وفي الطريق إلى المادراني يرى العالم رجلاً ضعيف الجسم نحيله ، تبدو عليه آثـار الضرب ، وعنـدما رأى الـرجل العـالم ركع أمـامه وقـال له : إرحمني إنّـك من شيعـة آل محمد، وأنا أيضاً من شيعته ، قال له العالم : مـا بك ؟ قـال الرجـل : لقد اتّهموني بأنّني أنشر الأوراق والمناشير ضد الدولة ! فـأرسل المـادراني إليَّ الرجال ، وضربوني ضرباً شديداً ، وصادروا جميع أموالي وأملاكي . يقـول العالم بأنّه رجع إلى بيته وأخذ يفكر في الأمر ، إنّه ذاهب إلى المادراني ليقول له عن قضيته ، والآن استجَدَّت قضية هـذا الرجـل أيضاً . هـل يمكن أنْ يحـل مشكلته ويـترك مشكلة هذا الـرجـل عـالقـة ، إنَّ هـذا يتنـاقض مـع التعاليم الإسلامية . أخذ يفكـر في إيجاد حـلّ لهذه المشكلة ، فجـأة وقعت عيناه على كتاب كان في غرفته ، كُتب على أوّل صفحة منه ما معنـاه : جاء في روايـة عن الإمام جعفـر الصادق (عليـه السلام) بـأنّـه عنـدمـا يسعى شخص ، ولـوجه الله تعـالى من أجل حـل مشكلة أخيه المؤمن ، فـإنَّ الله يحلّ له مشكلته أيضاً ، ويقضي له حوائجه . بعد قـراءة الكلام الـوارد عن الإمام (عليه السلام) قرّر العـالم أنْ يذهـب إلى المـادراني ، ويحلّ مشكلة الرجل المسنّ .

دخل العالم على المادراني فاحترمه هـذا الأخير كثيـراً (لأنَّ ذلك العـالم كان من أكبر علماء عصره) ، عنـدما جلس العـالم أخذ يقـرأ للمادراني هذه الآيـة ﴿ وابتغِ فيـما أتاك الله الـدار الآخرة ، ولا تنسَ نصيبـك من الدنيـا وأحسن كـما أحسن الله إليك ، ولا تبـغِ الفسـاد في الأرض إنَّ الله لا يحبّ

المفسدين ﴾(1) إنَّ هذه الآية العظيمة لها وقع كبير على النفس ، وخاصة أَنَّ المادراني كان رجلاً متعلماً فقال للعالم : هل عندك طلب يا سيدي ؟ هل إنَّ بقراءتك لهذه الآية تريد أَنْ تطلب مني شيئاً ؟ إني تحت تصرفك ، فاطلب ما تريده ، روى العالم للمادراني قصة الرجل المسكين الذي اتّهم بتهم باطلة ، وصودرت أمواله كلها ، قال العالم بأَنَّ الرجل من شيعة أهل البيت ، فيجب أَنْ نحلّ مشكلته . أرسل المادراني في طلب الرجل ، فأعاد له كل ما تمّ مصادرته ، بالإضافة إلى هدايا شخصية قدمها للرجل . ثم نظر المادراني إلى العالم وقال له بأَنَّه قد حسب ضرائب هذه السنة من راتبه السنوي ، تعجّب العالم كثيراً لأنَّه لم يتكلم أي شيء عن مشكلته ، ثم أراد أَنْ يشكر المادراني الذي اعتذر وقال بأَنَّه هو الذي يجب أَنْ يشكره ، ويعتذر منه ، لأنَّه تأخّر هذه السنة في أداء عمله اتّجاه العالم ، وطلب المادراني من العالم بأَنْ يسمح له كي يقبِّل يديه لِأنَّه فتح له بصيرته ، ونبّهه إلى العمل الحرام ، والظلم الكبير الذي قد ألحقه إلى ذلك الرجل المسكين . ثم أعطى للعالم مبلغ عشرة آلاف درهم كمكافأة له .

كثرة الفساد يقلّل من البركة :

إذنْ إنَّ الشخص الذي يعمل لوجه الله تعالى ، فإنَّ الله يسدّد له خطاه ، ويوفقه في حياته ، ويقضي له حاجاته ﴿ واتّقوا الله لعلّكم ترحمون ﴾ بالصلاح نصل إلى الخير ، وبالفساد نملك أنفسنا ، تأكدوا بأَنَّ الله لا يهلك قريةٍ ما طالما أنّها صالحة ، أما إذا دبَّ فيها الفساد ، فإنها سوف يُنزّل عليها البلاء ، البلاء الظاهري والباطني ، فتشح المياه ، وتقل المزروعات ، وتصاب الحيوانات بالمرض ، وغير ذلك . . . أي إنَّ البركة تقلّ ، ونلاحظ اليوم أنّه بفعل المعاصي التي كثرت نفت البركة عن الأعمار ، ففي القديم كانت الأمراض كالسكتة القلبية ، والجلطة ، والذبحة ، يصاب بها المسنون ، أما اليوم فنلاحظ الشباب في العشرين

---

(1) سورة القصص : الآية ٧٧ .

والثـلاثين ، يصـابون بهـذه الأمراض ، لأنّـه حتى في أيام حيـاتـه لم يفعـل شيئاً ، كانت أيامه خالية من العمـل والعطاء ، أيـام شحيحة غـير مثمرة ، على الإنسان أنْ يعمل من أجل تحسين وضعه ، أَنْ يكـون غده أفضـل من اليوم الذي هـو فيه « مَنْ تسـاوى يومـاه فهو مغبـون » نحن اليوم في شهـر رمضان المبارك ، يجب أنْ نحاول في كل يوم من أيام هذا الشهر أنْ نخفف من الأعـمال غير المستحبـة ، أو الذنـوب التي كنا نقـترفهـا ، نقـرأ في شهـر رمضان المبارك دعاء أبي حمزة الثمالي ونقول (لا حول ولا قوة إلاّ بـالله ، ولم يزل ولا يزال ملك كريم ، يأتيك عنّا في كل يوم بعمـل قبيح ، فـلا يمنعك ذلك من أَنْ تحوطنا بنعمك ، وتتفضل علينا بالآئك) .

يا ربّ بحق حرمة شهر رمضان المبارك ، بحق بركة صيام المصلحين الذين في مقدمتهم صاحب العصر والزمـان (عج) ، ومنّ علينـا ببركتـك ، واهدنا إلى الصراط المستقيم ، وجنبنا من الوقوع في المعاصي .

«١١»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ إنّما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتّقوا الله لعلّكم ترحمون ﴾ .

المعذرة وتقبّل العذر هو أمر واجب :

لقد عُرض عليّ عدة أسئلة حول هذه الآية الشريفة ، وأرى نفسي مضطراً لِأن أجيب عليها ، من على هذا المنبر .

قال لي أحد الأصدقاء بأنّه عندما سمعني أركز على ضرورة الصلح بين الناس ، ذهب فوراً ليصالح زميلاً له ، كانت القطيعة قد دبّت بينهما منذ عدة سنوات ، ولكن الزميل رفض مصالحته .

والسؤال هنا : هل عليه أنْ يكرر المحاولة ويعود لمصالحة زميله مرة ثانية ؟

علينا أنْ نؤكّد في هذا المقام ، بأنّ الواجب الشرعي يقع على عاتق الطرفين ، فكما هو واجب عليّ أنْ أُصالح صديقاً ، أو زميلاً ، أو قريباً لي ، على الطرف الآخر أنْ يقبل ذلك مني ، ويتجاوب معي ، حيث جاء عن خاتم الأنبياء (صلّى الله عليه وآله وسلم) قوله : « من لم يقبل العذر

من متنصب ، صادقاً كان أم كاذباً ، لم تنله شفاعتي » .

إنَّ القرآن الكريم يأمر بقبول العفو ، وفوراً (فاعفوا) لأنَّ العفو من المسائل المهمة في الإسلام .

عندما تسمع كلاماً غير لائق من أحد الأشخاص ، تصرَّف وكأنك لم تسمعه ، أو إذا قال لك بأنّه لم يكن يقصدك بكلامه ، إقبل منه ذلك ، كي يغفر الله لك .

(**ألا تحبون أنْ يغفر الله لكم**) : كيف لنا أن نطلب العفو من الله ، في أيام وليالي شهر رمضان المبارك ، ونقول : « العفو العفو » ونحن غير قادرين على أنْ نعفو على شخص أساء إلينا .

يجب أنْ يكون الكلام الذي يصدر عن ألسنتنا ، مطابقاً لما تحمله قلوبنا من شعور وأحاسيس ، فإذا كنّا بالقلب لا نستطيع أنْ نغفر لأحد ، أو نرحم أحداً ، كيف يحقّ لنا أنْ نطلب المغفرة والرحمة من الله عزّ وجل ؟

إذا كنّا لا نرحم الفقير والمسكين ، كيف يمكن للّه أنْ يرحمنا ؟ كما نردّد في صلاة الليل ونقول : « إلهي العفو العفو » أي عندما نطلب العفو من الله ، هذا يعني بأننا نحب أنْ يعفو الله عنّا ، إذن يجب أنْ نكون قادرين بأنْ نعفو عن غيرنا ، مهما كان حجم الإساءة التي وجهت إلينا ، وإلاّ لما نلنا شفاعة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

إنَّ مسألة عدم قبول المعذرة ، والإستخفاف بالصلاة ، أمران يَحرِمان الإنسان من شفاعة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) إذ يقول (صلّى الله عليه وآله وسلم) : ليس مني من استخف بالصلاة لا يرد على الحوض ، لا والله !

إنَّ الله يقبل التوبة :

إنَّ الله تعالى عندما أمر عباده بالتوبة ، إعتبر نفسه بالمقابل مضطراً لقبول التوبة ، لِأنّه لا يمكن أنْ يرد سائلاً لجأ إليه ، كيف هذا . وهو

الغفور الرحيم ؟ هل يمكن أنْ يخيب أمل عبد لجأ إليه تائباً ، (أستغفر الله العظيم ما هكذا الظن بك). إنّ ما أوجبه الله على عباده أوجبه أيضاً على ذاته . إذن عندما يدب الخلاف بين طرفين يجب أنْ يكون أحدهم سباقاً ، ويسرع لمصالحة الآخر ، والطرف الآخر يجب بدوره أنْ يقبل العذر فوراً والطرف السباق يكون أيضاً سباقاً إلى الجنة .

الأخوة في الإسلام لها معنى عام :

تعتبر هذه الآية الشريفة ﴿ **إنَّما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ . بأنّ المؤمنين عموماً ، يجب أنْ يكونوا أخوة لبعضهم البعض . وكلمة المؤمن لها معنيان : معنى عام ، ومعنى خاص .

المؤمن بالمعنى العام هو المسلم ، أي كل شخص نطق بالشهادتين ، وآمن باليوم الآخرة ، واعترف بالأحكام الإسلامية الضرورية ، من صلاة ، إلى صوم ، إلى زكاة وحج . . . أصبح مسلماً إلى أي فرقة انتمى ، أي سواءً أكان سنياً أم شيعياً . وعلى الجميع أنْ يقيموا معه علاقة أخوة .

ننتهز هذه الفرصة لنقول لإخواننا السنة والوهابيين : أليس الشيعة من أهل لا إله إلاّ الله ؟ هل يملكون نبياً غير محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ؟ هل عندهم كتاب غير القرآن ؟ هل . . . .

إذن لماذا تعتبرونهم مشركين ؟ لماذا الشيعة ينظرون إليكم على أساس أنكم أخوة لهم في الدين ، وأنتم تتهمونهم بالشرك ؟ كل ذلك من أجل فتاوى أحمد بن تيمية الذي اعتبر منذ (١٥٠) أو (٢٠٠) سنة بأن زيارة أهل القبور غير جائزة ، وكل من يزور القبور يكون من المشركين ، وبما أنّ الشيعة يزورون القبور ، إذن هم مشركون !

نقول لِأخواننا السنة : ما هو الدليل الذي ارتكز عليه أحمد بن تيمية في فتواه هذه ؟

ستتحدث إنْ شاء الله فيما بعد عن الآية ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان** ﴾ .

في مسجد الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، كان أحد المؤمنين الشيعة يقبِّل ضريح النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، عندما تأهّب شرطي المراقبة للهجوم عليه . أخرج الرجل الشيعي قرآناً صغيراً من جيبه ، وأعطاه للشرطي ، أمسك الشرطي القرآن ، وراح يقبّله ، قال له الرجل :

إنّك أشركت بالله عز وجل !قال الشرطي أنا ؟! قال الرجل : نعم ، لِأنّك تقبل قطعة من الجلد ، قال الشرطي : هذا غلاف القرآن قال الرجل : إنَّ تقبيل الجلد مثل تقبيل الفضة . قال الشرطي : كلاّ ، إنّ هذا الجلد هو جلد جليل عظيم ، لِأنّه يحوي القرآن !

قال الرجل : هذه القطع الفضية هي أيضاً عظيمة وجليلة لِأنّها تحوي على جسد الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) !!

لا أحد يتجرأ ويسأل السنّة عن سبب عدائهم للشيعة ! إنَّ الشيعة كانت موجودة منذ صدر الإسلام ومثّلت دوراً كبيراً في نشر التعاليم الإسلامية والكتب التي تمّ تأليفها من أجل الدفاع عن عقيدة الإسلام ، قام بها علماء مسلمون وبالأخص إيرانيون ، لماذا كل هذا العداء ؟

يجب عليهم أنْ ينظروا إلى الشيعة على أساس أنّهم أخوة لهم .

ما أروع موسم الحج ، يقول القرآن الكريم : ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾ .

في أيام الحج يشعر المسلمون جميعاً ، أنّهم وحدة متكاملة ، كلهم ضيوف الرحمٰن الذي لا يفرق بين عربي وأعجمي إلاّ بالتقوى .

الدفاع عن أرض الإسلام هو واجب إسلامي :

﴿ **إنّما المؤمنون أخوة** ﴾ : لا يحق لِأي إنسان شيعي أن يكره أخاه السني ، فكل من نطق بالشهادتين اعتبر مسلماً ، وأصبح واجب الأخوة ، وحسب فتاوى علماء الشيعة ، فإنّه لو تعرّض ، لا سمح الله ، أي بلد

إسلامي لاعتداء أجنبي ، علينا أنْ نساند ذلك البلد ، بغضّ النظر عمّا إذا كان أهلها من الشيعة ، أو السنة .

مثلاً : إنَّ اليهود يحتلون أرض فلسطين ، والفلسطينيون هم من أهل السنّة ، هنا لا يحق لنا القول بأنّه لا دخل لنا بهم . هذا لا يجوز لِأنّهم مسلمون ، ولا فرق بيننا وبينهم : القبلة واحدة ـ القرآن واحد ـ الدين واحد ـ النبي واحد ، ولكن الفرق هو أنّهم يستمدون أحكامهم الفقهية من أحد الأشخاص الأربعة : أبو حنيفة ـ أحمد بن حنبل ـ مالك ـ الشافعي .

وأما نحن فإنّنا نستمد أحكامنا الفقهية من الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) .

نسألهم عن سبب اتّباعهم لهؤلاء الأشخاص ؟ هل لأنّ السلف فعل ذلك ؟ هل لِأنّه تمّ تعيينهم من قِبَل خلفاء ذلك الوقت ؟

إننا نتبع الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لِأنّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) عيّنه ، نحن لا نكفّ عن تأييد تعاليم العترة الطاهرة .

هذا هو الفرق بيننا وبينهم ، يا ويلتاه هل إنَّ أصحاب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يستحقون كل هذا الكره والعداء ؟!

لا توجّهوا الإهانات إلى خلفاء السنّة ، أو رؤساء مذاهبهم :

يجب أنْ نذكِّر الشيعة هنا بخطأ يرتكبونه ، وهو أنّهم يوجهون الإهانات إلى أصحاب المذاهب الأربعة عند السنة ، أو إلى خلفائهم ، وهذا لا يجوز ، لأنّ الواجب الإسلامي يفرض علينا التقية في هذا المجال .

نحن نعرف بأنَّ أتباع عمر كثر ، فإذا أهنّا عمراً يمكن أنْ يتجرأ هؤلاء ، ويوجهون الإهانة إلى أئمتنا ، وكذلك الحال بالنسبة لإبن حنيفة .

نحن عندما نتحدث عن أهمية الدور الذي مثّله أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وبقية الأئمة (عليهم السلام) في ترسيخ دعائم الإسلام ، ونذكر فضائلهم ، نكون بذلك قد أدّينا الدور المطلوب منّا ،

وأزحنا أبو حنيفة وأمثاله ، عن الساحة .

حفظ حقوق الأخوة :

المسألة الثالثة التي نريد أنْ نتطرق إليها اليوم ، هي حفظ حقوق الأخوة .

هذه الحقوق تبتني ممّا جاء في الآية الشريفة : ﴿ **إنّما المؤمنون أخوة . . .** ﴾ .

وهذه الأخوة لها إلتزامات عدة ، مثلاً عندما يتعرض أخ لنا لِأزمة معينة يجب علينا مناصرته ، والدفاع عن حقوقه ، وهذا أدنى درجات الإلتزام ، وتحمل المسؤولية من أخ لأخيه .

إنَّ هذه المسألة مهمة جداً ، الدفاع عن حقوق أخوتنا ، والإصلاح فيما بينهم ، مع التذكّر بأنَّ هذا الدفاع ، وهذا الإصلاح ، يجب أنْ يكونا ضمن الإمكانات المتاحة لنا ، من أجل ذلك ، أي أنْ لا نرمي بأنفسنا إلى التهلكة في سبيل الإصلاح .

مثلاً إذا كان هناك شخصان يتشاجران فيما بينهما ، وهما متأهبان بالسلاح ، تحسباً لِأي طارىء وأنت تعرف بأنّك لو دخلت للإصلاح بينهما ، ستتعرض لأذية ، يسقط عنك هذا الواجب الشرعي الذي يدعوك للإصلاح .

سنروي لكم ما حصل لإبن رفيق لنا :

لقد نقل لي أحد الأصدقاء ، ـ وهو موجود بيننا ـ حادثة عن إبنه المتديّن الذي سبّب لنفسه مشكلة كبيرة ، لِأنّه كان يحاول أن يصلح بين شخصين .

يقول الصديق بأنّه منذ شهرين ، وعندما كان إبنه ماراً في أحد الشوارع ، رأى شخصين يتشاجران بطريقة وحشية ، فتدخل من أجل الإصلاح والفصل بينهما ، ولكنِ لكمة قوية من أحدهما أفقدته وعيه ،

وبعد نقله إلى المستشفى تبيّن بأنّ الضربة ألحقت الأذى بالدماغ ، وحالته خطيرة !

عندما علم الشخصان بالمسألة خافا على أن تسبّب حالة المريض مشكلة لهما ، عندها رفعا دعوى ضد المريض ، وادّعيا بأنّه حاول ضربهما ، والإعتداء عليهما ، وأنّهما كانا في حالة الدفاع عن النفس ، خاصة وأنّهما كانا يعرفان بأنّه عندما يخرج من المستشفى سيكون قد فقد ذاكرته ، ولا يستطيع الدفاع عن نفسه .

ما كاد الشاب المريض يخرج من المستشفى حتى جاءت الشرطة وزجّته في السجن وهو الآن في السجن يعاني الأمرّين !

فقد ضربت لكم هذا المثل كي أوضّح هذه المسألة أي متى يجب أنْ نتدخل من أجل الإصلاح . عندما تتشاجر النمور هل يمكن للغزلان أن تفصل بينهما ؟!

رواية حول حقوق الأخوة :

إنَّ حقوق الأخوة كثيرة وكثيرة ، يقول الإمام . في إحدى الروايات ، بأنّها تبلغ الثلاثين ، ويقول في رواية أخرى بأنها تبلغ السبعين .

يقول الراوي بأنّه أصرّ على الإمام (عليه السلام) كي يذكر له حقوق الأخوة ، أجابه (عليه السلام) بأنّه يخاف بأنْ يقولها له ، ولا يعمل بها ، فيا ويل ثم الويل لشخص يعرف واجباته تجاه أخوته في الإيمان ولا يؤديها .

جاء في رواية بأنّه : أحد حقوق الأخوة أنْ لا يرد الأخ أخاه الذي لجأ إليه في مسألةٍ ما خائباً ، خاصةً إذا كانت المسألة تتعلق بسمعته بين الناس ، فإنَّ لم تلبِّ طلبه ، ستذهب من هذه الدنيا وأنت ذليل ، وفي يوم الحشر تظهر بشكل مخيف ، حيث يكون وجهك دون لحم ودم ، وكتب على جبينك علامة الذل .

إذن يجب أن يكون المؤمن سنداً لأخيه المؤمن ، يساعـده في كل شيء « يحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه » .

إعمل حسناً مع كل من يعاملك بالمثل :

لقد وضّح العلماء هذه المسألة ، مسألـة مسانـدة الأخ لأخيه المؤمن . يمكن أنْ يقول أحدهم بـأنّه لـو أراد الإلتزام بـواجباتـه تجاه أخيـه المؤمن ، وإحدى هذه الواجبات هي إعطاء القرض لكل مؤمن يحتاج إلى القـرض ، فإنّه لو فعل ذلك ينتهي النهار ، ولا يبقى في جيبه قرشاً واحداً ، بالإضافـة إلى أنَّ أحداً لا يلتزم في هذه الأيام بإرجاع الدين إلى صاحبه .

إذن ماذا يمكن أنْ نفعل ؟ الجواب هنا ، هـو أنّك لست مضـطراً أنْ تفعل هذا مع أي كان ، عليك أنْ تساند أخاك في محنته ، إذا كنت متأكـداً بأنّه يساعدك أيضـاً في محنتك ، مثـلاً : تعطي قـرضاً لشخص تعـرف بأنّـه يعـطيك القـرض إذا أردت أنت ذلك ، وإلاّ فـإنك ستخسر كـل شيء لِأنّ هناك العديد من أصحـاب النيات السيئة الـذين لا يلتزمون بـأي شيء تجاه أخوتهم .

تقول إحدى الروايات : بأنّه جاء أحدهم إلى الإمام (عليه السلام) يقول له : يا سيدي لقـد استعار مني أحـد الجيران سجـادة ، وأعادهـا إلي محروقة فهل يحق لي أنْ لا أعود إلى إعـارته مـرة ثانيـة لو طلب ذلـك مني ؟ أجابه (عليه السلام) : بلى يحق لك .

من واجبنـا أنْ نعير جـارنا الغـرض الذي يـريده ، ولكن من واجب الجار أيضاً أنْ يحافظ على الغرض الذي استعاره .

عندما تريد أن تعطي القرض لشخص لا تعرفه جيـداً ، يحق لك أنْ تطلب منه ورقة : تضمن بها أنّه سوف يرجع لـك القرض ، أو تـطلب منه رهناً ، مثلاً تطلب منه أنْ يرهن بيته . إذ يقول القرآن الكـريم : « فرهـان مقبوضة » .

عندها تتأكد بأنّه سوف يرد لك دينك . صحيح أنّ واجبك الديني يفرض عليك أنْ تساعد أخاك ، ولكن الأشخاص الموثوقين هم قلائل في هذه الأيام .

إذا كانت الأخوة والصداقة قائمة بن الناس على أساس الدين والتقوى ، فإنّها سوف تدوم ، أما إذا كانت قائمة على أساس نواحٍ مادية ، فإنّها زائلة ، ولا يوجد فيها التزام بالواجبات الشرعية .

الأصحاب الأوفياء في الدنيا وبعد الموت :

لقد كان صفوان بن يحيى ، وعبد الله بن جندب ، وعلي بن نعمان ، من أصحاب أئمتنا المعصومين : الإمام الصادق ، والإمام الكاظم ، والإمام الرضا ، عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وكانوا من الأخيار الأبرار ، وكانت تجمعهم في هذه الدنيا وحدة الفكر ، والعقيدة ، والهدف ، والطريق ، والإيمان الراسخ بالله الواحد الأحد ، وبرسوله محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

وفي يوم من الأيام ، ذهب الرفاق الثلاثة إلى مكة المكرمة ، وهناك قطعوا وعداً فيما بينهم على أنْ يبقى كل واحد منهم وفياً لصديقه في حياته ، وبعد مماته .

فإذا مات واحد منهم ، قام الإثنين الآخرين بأداء كل ما كان يقوم به صديقهما في حياته ، من أعمال وعبادات .

وإذا مات الثاني ، تكفل الصديق الوحيد الباقي أن يؤدي عمل الصديقين الراحلين .

بعد هذه المعاهدة بوقت قصير ، مات الصديقان عبد الله بن جندب ، وعلي بن نعمان ، وبقي صفوان بن يحيى على قيد الحياة ، وهنا عليه أنْ ينفذ وعده ، الوعد الذي قطعه على صديقيه ، ماذا عليه أنْ يفعل هنا ؟

يصلي كل مؤمن خلال الأربع والعشرين ساعة (٥١) ركعة : (١٧) منها عائدة للصلاة الواجبة : (الصبح - الظهر - العصر - المغرب - العشاء) ، و (٣٤) ركعة عائدة للنوافل ، حيث يزيد عدد ركعات النوافل مرتين عن عدد ركعات الصلاة الواجبة .

ماذا كان يفعل صفوان بن يحيى ؟ كان عندما يأتي وقت صلاة الظهر مثلاً ، يبدأ بنفسه أولاً ، فيصلي ثمانية ركعات نافلة الظهر ، من ثمّ أربع ركعات صلاة الظهر ، ثم يصلّي النافلة والصلاة لِأحد صديقيه ، وثم لصديقه الآخر ، وهكذا ، يبلغ ركعات صلاِة اليوم الواحد ونوافله (١٥٣) ركعة ! ما هي المكانة التي يحتلها رجل كهذا عند الله عز وجل ؟!

أما بالنسبة للصيام ، فكان صفوان بن يحيى يصوم في شهر رمضان عن نفسه ، وفي شهري رجب وشعبان ، عن صديقيه .

يمكن أنْ يقول البعض هنا ، بأنّه ماذا كان يفعل بالنسبة للخمس ، والزكاة . والمال هو أكبر إمتحان للإنسان في هذه الدنيا ؟ هل يعقل بأنّه كان يدفع الخمس والزكاة ثلاث مرات ؟ نعم لقد كان يدفع الخمس والزكاة ثلاث مرات على عكس ما نراه اليوم ، ففي هذه الأيام يتضايق الإنسان من دفع الخمس العائد لنفسه فقط ، فيدفعه بالقوة ، ويحاول أنْ يقلل مْن قيمته ، أو يدفع جزءاً منه ، ويقول بأنّه سوف يرسل الباقي فيما بعد ! . أما صفوان ، فكان يدفع الخمس عن نفسه ، وعن صديقيه . كان يحج ثلاث مرات ، ويذهب للعمرة ثلاث مرات أيضاً . لقد كان مثالاً للإنسان المؤمن المسلم المخلص الواعي .

صفوان يستأذن من الجمّال :

لقد استأجر صفوان بن يحيى جملاً من أحد الأشخاص ليرجع إلى بلاده من مكة المكرمة ، وقبل أنْ يركب الجمل ، جاء أحدهم وأعطاه قطعة من الذهب ليوصلها إلى بغداد ، ويعطيه لصاحبها .

جاء صفوان إلى صاحب الجمل وقال له بأنّه عندما استأجر الجمل

منه ، لم تكن في حوزته هذه القطعة ، أما الآن فقد ازداد على أغراضه قطعة من الذهب ، فجاء يطلب منه إذناً بذلك ، ولم يركب الجمل إلاّ بعد أن أخذ الإذن من صاحبه !

وأنتم الذين تملأون السيارات حملاً ، هل فكرتم يوماً أنْ تأخذوا إذناً من صاحب السيارة ؟. وعندما مات صفوان بن يحيى ، جاءت الناس تخبر الإمام الجواد (عليه السلام) بذلك ، تخبره بموت الرجل الورع ، التقي ، المؤمن ، الصالح . . . .

عندما سمع الإمام (عليه السلام) الخبر ، أمر بأنْ لا يدفنوه حتى يحضر بنفسه ، فجاء (عليه السلام) إلى البقيع ، وشارك في تشييع جنازة صفوان . فكانت نهايته هكذا ، نهاية ما أروعها وما أسعدها !

أما نحن ، فلا نعرف كيف نترك هذه الدنيا ، هل هناك صديق يذكرنا بعد موتنا ؟ إنّ الناس اليوم لا تفكر حتى بنفسها ، فكيف يمكن أنْ تفكر بصديقها ؟ هل يمكن أنْ يكون هناك صديق يجلس على قبرنا ، ويدعو لنا : (اللهم إنَّ هذا عبدك وابن عبدك ، نزل بك ، وأنت خير منزول به) أو حسب قول الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) يقرأ لنا سورة (إنّا أنزلناه) سبعة مرات .

جاء في (وسائل الشيعة) : عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) بأنّه ، عندما تزور قبر صديقك إدعِ له وقل : (اللهم سلِّ وحدته ، وارحم غربته ، وآنس وحشته ، وأدخل عليه من رحمتك رحمة يستغني بها عن رحمة من سواك) .

«١٢»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ إنَّما المؤمنون أخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتّقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ .

المؤمن هو جزء لا يتجزأ من أخيه المؤمن :

تقول الآية الشريفة : ﴿ إنَّما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ : هنا يجب أن نوضّح بأنَّ الأخوة من الناحية الشرعية لا تعني فقط الإصلاح ، أي إذا رأيت شخصين أو جماعتين ، في حالة نزاع ، وخلاف ، أنْ تصلح بينهما . إنَّ مسألة الإصلاح هي واحدة من الواجبات التي تفترضها علينا الأخوة .

ولكن الأخوة بمعناها الواسع والشامل ، تعني بأنْ يشعر المسلمون جميعاً بأنّهم أخوة لبعضهم البعض ، تماماً مثل الأخوة الحقيقيين .

فمثلًا عندما يلتقي أخ بأخيه ، يشعر بأنَّ هذا الشخص منه ، كذلك عندما يلتقي بأحد المسلمين ، يجب أنْ يكون شعوره تماماً كذلك الشعور ، يجب أنْ يشعر بأنَّ هذا المسلم قريب منه ، يخصّه .

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) ما معناه بأنّ علاقة المؤمن بأخيه المؤمن ، يجب أن تكون كعلاقة كل عضو في جسم الإنسان بالعضو

الآخر ، فإذا أصيب أحد الأعضاء بمرض ما ، فإنَّ هذا المرض يؤثر أيضاً على الأعضاء الأخرى .

مثلاً عندما يلتهب سن من أسناننا ، نلاحظ بأنّ الإلتهاب يؤثر على الرأس ، فيصاب المريض أيضاً بوجع في رأسه والحرارة ترتفع أيضاً نتيجة الإلتهاب ، وبالتالي فإنَّ الجسم كله يصبح مريضاً . فإذا فكّرنا في الأمر نلاحظ بأنَّ الإلتهاب أصاب السن ، ولكن بما أنّ جميع أعضاء جسمنا مرتبطة ببعضها البعض فإنّ المرض طال الجسم كله .

هكذا يجب أن يكون الحال بالنسبة للمسلمين ، فإذا أصيب أحدهم بمصيبةٍ ما ، يجب على الآخرين أن يعتبروا أنفسهم شركاء في هذه المصيبة وهذه ضرورة من ضرورات الوحدة والأخوة .

نعم عندما يبتعد الإنسان عن أهوائه وغرائزه يصبح مؤمناً حقيقياً ، عندها يستطيع أنْ يتّحد مع الآخرين بقلبه .

قال أحدهم للإمام (عليه السلام) بأنّه يشعر أحياناً ومن دون سبب ، بالحزن والكآبة ، يجاوبه الإمام (عليه السلام) بما معناه بأنّ المؤمنين متحدين ، فبالتأكيد هناك يوجد مؤمن يعاني من الحزن والكآبة ، وأنت لا تعرفه ، ولكنك تشعر معه لِأنّ قلبك متّحد مع قلبه .

ومن أجل حفظ هذه الحالة من الإتحاد يوجد في باب أداء الحقوق ، شرح مفصل حول هذا الموضوع ، وذلك من أجل تعميق وتثبيت هذا الإتحاد في قلوب المؤمنين .

أداء التحية :

من ضرورات الأخوة في الإسلام : إلقاء التحية ، فالسلام هو حق المسلم على أخيه المسلم ، فعندما يلتقي المسلم بأخيه المسلم يجب أنْ يسلم عليه ، حتى إنّه قبل البدء بأي حديث ، يجب أنْ يسلم أولاً .

يقول الإمام (عليه السلام) بما معناه بأنّه إذا سألك شخص سؤالاً

ما ، دون أنْ يسلّم أولاً ، ليس من الضروري أن تجاوبه .

مثلاً يسألك شخص ما ، عن منزل أحد الأشخاص إذا سلّم عليك قبل أنْ يسألك جاوبه ، أما إذا لم يسلم ، فليس من الضروري أنْ تجاوبه لعلّه يفهم خطأه .

إنَّ إلقاء التحية هو مستحب مؤكد عليه « سلام عليكم » ، أما الجواب « عليكم السلام » هو واجب ، ولكن ثواب التحية هو أكثر من ثواب الردّ مع أنّ الأول مستحب ، والثاني واجب .

وهذا من المسائل الإستثنائية المطروحة في باب الثواب .

يقول الشهيد الثاني في كتاب (القواعد) بأنّه لا يوجد بصورة عامة أي عمل مستحب ، له أجر وثواب ، أكثر من العمل الواجب ، إلاّ في ثلاث مسائل ، واحدة منها هي الإبتداء بإلقاء التحية ، مع أنّه ذلك عمل مستحب ، ولكن أجره وثوابه أكثر من الرد على التحية مع أنّ هذا الأخير أمر واجب .

فثواب التحية هو (٩٠٪) ، وثواب الرد على التحية هو (١٠٪) . إذن يجب علينا أن نكون البادئين بإلقاء التحية .

هنا يطرح السؤال التالي : إذا التقى شخصان ، وبادر كل شخص بإلقاء التحية على الآخر في الوقت نفسه ، فما العمل هنا ؟ هنا يجب أن نراعي الإحتياط أي يجب على كل واحد منهما أنْ يردّ التحية على الآخر ، كي لا يبقى السلام دون جواب ، فكل واحد منهما نوى أنْ يكون البادىء في إلقاء التحية . وهذا يعمّق الوحدة والترابط بين المسلمين .

ضرورات الأخوة إذن تبدأ بالسلام ، وتسير في منحى تصاعدي .

شكر الله :

جاء في كتب بعض علماء الأخلاق بأنّه في صدر الإسلام ، عندما كان المسلم يلتقي بأخيه المسلم ، كان يلقي عليه التحية أولاً ، ثم يسأله

عن حـاله ، وذلـك من أجل أن يقـول الطرف الآخـر ـ الحمد للّه ـ أي أنْ يجعله يشكر الله ، ويحمده على نعمائه .

من هنا جاءت عادة السؤال عن الصحة ، والأحوال ، ولكن الظاهر أنّه في هذه الأيام لا نستطيع أنْ نقوم بهذا العمل المستحب ، لأننا إذا سألنا أحداً عن أحواله وصحته ، يبدأ فوراً بالشكوى والتذمر .

المصافحة والمعانقة :

من ضرورات الأخوة أيضاً المصـافحة ، فمن يضـع يده في يـد أخيه المؤمن مصافحاً إيّاه بإبتسامة أخوية دافئة ، ويصلي عـلى محمد وآل محمـد ، يتخلص من ذنوبه ، إذ إنَّ المعـاصي تسقط عنها كسقـوط أوراق الشجر في فصل الخريف .

بعـد المصافحـة تأتي المعـانقة أي أنْ يعـانق أخوه في الـدين ، ويقبّل جبينه .

وحـول مجالسـة المؤمن وزيارتـه جاء في كتـاب العشرة من (وسـائـل الشيعـة) وأخبارهم بـأنّ من يخرج من بيتـه من أجل زيـارة أخيـه المؤمن ، وفـي سبيل الله فقط ، ومن دون أي هدف مـادي ـ لِأنّ أكثر الـزيارات في هذه الأيام تكون من أجل أهداف مادية بعيدة عن الأجـر والثواب ـ يـرافقه سبعون ألفاً من الملائكة يقولون لـه طوال الـطريق : طبت ـ طبت . وهناك قول يقول « من زار مؤمن في بيته كمن زار الله في عرشه » .

هنيئاً للإنسان المسلم الذي يزور أخاه ، ويتحـدث وإياه عن الله عـز وجل ، وعن فضائل أهل البيت (عليهم السلام) .

يقـول رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه وسلم) لـلإمـام عـلي (عليه السلام) ما معناه بأنْ يمشي في سبيل الله مسافة كيلو مـترين من أجل زيارة أخ في الإيمان ، أو عبد من عباد الله .

جاء في آداب الزيارة بأنّه يجب أولاً أنْ تكون الزيارة من أجل مرضاة

الله ، ودون أي غرض مادي ، ومن ثمّ الجلوس في المكان الذي يحدّده صاحب المنزل سواءً أكان المكان في صدر المجلس أم لا ، ثم قبول المحبة والإكرام منه مثلاً إذا طلب منك صاحب المنزل أنْ تجلس على الكرسي الثاني لِأنّه مريح أكثر ، يجب عليك أن تقبل هذه المحبة ، وهذا الإكرام ، وأيضاً يجب أنْ تحرص على أن تكون الزيارة غير مكلفة بالنسبة لصاحب المنزل .

ضيافة صفية للرسول (ص) :

ذهب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم إلى بيت صفية ، إبنة عمته ، وزوجة عمار : فأحضرت فوراً هذه السيدة الهاشمية الجليلة كل ما كان عندها في المنزل ، أحضرت رغيفاً من الخبز ، ومقداراً من زيت الزيتون ، وقليلاً من الخل ، واعتذرت من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قائلة بأنّها مخجولة من هذه السفرة المتواضعة ، إعترض (صلّى الله عليه وآله وسلم) على كلامها وقال لها بأنها أحضرت له طعام الأنبياء ، فرغيف الخبز مصنوع من القمح ، والقمح هو طعام الأنبياء ، وكذلك الخل ، أما الزيت ﴿ **شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ .

ونحن من عاداتنا السيئة ، عندما نحضر المائدة نقول للضيف : عفواً ، إنَّ هذا الطعام ليس من شأنك ، إنّنا بكلامنا هذا نحقّر الطعام الذي هو من نعم الله ، نحقّره أمام عبد من عباد الله ، يجب أنْ نشكر الله على نعمائه ، يجب أنْ لا نحقّر الزنود الجبارة التي تقضي أشهراً كثيرة تعمل في الحقل ، تزرع وتحصد ، كي نتمتع نحن بالطعام اللذيذ .

إذن يجب أنْ لا نحقّر الطعام ، وإذا كنّا نريد أنْ نجامل الضيف بشيء نعتذر عن تقصيرنا ، وعدم تحضيرنا لِأنواع أكثر من الطعام .

أبو ذر وسلمـان :

عنـدما تنـزل ضيفاً عـلى أحد الأشخـاص عليك أن تنتبـه لكلامـك وتصرفـاتك ، كي لا تسبب إحـراجاً للمضيف ، سـأروي لكم روايـة عن أبو ذر وسلمان ، وذلك من أجل أنْ تفهموا قصدي بشكل أفضل .

نزل ذات يوم أبو ذر ضيفاً على سلمان ، فأحضر سلمان سفـرة تحتوي على كل ما كان عنـده في المنزل من طعـام أي الخبز والملح ، لاحظ أبـو ذر بأنّه لا يوجد بصل على السفرة ، هنا كان عليه أنْ يلتزم الصمت ، لِأنّـه لو كان هناك بصـل في المنزل ، لكـان سلمان قد وضعـه على السفـرة ، ولكن أبـا ذر سأل سلمان عن البصـل ، أما سلمان الـذي لم يكن عنـده المـال كي يشتري البصل ، أخذ إبريقـاً كان في منـزله ، ووضعـه رهناً عنـد البائـع ، وأخذ منه البصل ، وجاء إلى المنزل .

أمسك أبو ذر لقمة من الخبز ووضـع عليها قـطعة من البصـل وقليلاً من الملح ، ووضع اللقمة في فمه وقال : الحمـد للّه على القنـاعة . أجـابه سلمان بأنّه لو كان قانعاً لما كان الإبريق الآن رهناً عند بائع البصل !

إذن يجب أنْ لا نسبب إحـراجاً للمضيف بـل يجب عـلى الضيف أنْ يضبط نفسه قدر الإمكان وعندما يشعر بالملل عليه أنْ ينسحب .

الغـرض من كل ذلـك ، هو الـوصول إلى الإتحـاد في القلوب . إذن يجب أنْ نبتعد عن كل عمل يؤدي إلى النفور والتنافر ، هـذا بالإضـافة إلى أنّ بعض الزيارات يجب أنْ تكون مختصرة كزيارة المريض ، لِأنّ المريض لا يستطيع أنْ يمضي وقتاً طويلاً يستمع إلى كـلام الضيف ، خاصـة وأنّه ـ أي المريض ـ يجب أن يأخذ دواءه ، أو يأخذ إبرة أو . . . ، ووجود شخص في الغرفة يحرج المريض ، إلّا إذا كـان المريض نفسـه يريـد أنْ يبقي أحداً إلى جانبه كي يسليه ، ويخفف عنه .

وعندما تجلس في مجلس مـا ، حاول أنْ تنـادي كل شخص بـأفضل لقب تعرفه به ، وعندما تذهب إلى زيـارة شخص ما ، حـاول أنْ لا تكون

فضولياً فتسأله مثلاً عن عدد الغرف الموجودة في ذلك المنزل ، أو تسأل عن هـذا ، أو عن ذاك وغير ذلك من الأسئلة التي لا علاقة لك بها ، لِأنّ زيارتك هي من أجل الله فقط ، وليس من أجل أنْ تعرف ، أو تكتشف خصوصيات ذلك المنزل . وإياك ثمّ إيّاك أنْ تنظر إلى ابنته أو زوجته !

عدم النظر إلى المرأة :

كان ربيعة ابن حضيم ـ من سكان المدينة ـ يذهب كل يوم إلى بيت ابن مسعود الذي كان عالماً وفقيهاً ، كي يتعلم منه علم الفقه والقرآن .

توقف ابن حضيم عن الذهاب إلى ابن مسعود عدة أسابيع ، فسألت زوجة ابن مسعود زوجها عن عدم مجيء الصديق الضرير منذ عدة أسابيع . تعجّب ابن مسعود من كلام زوجته ، ولم يعرف من تقصد ، وقال لها بأنّه ليس لديه صديقاً ضريراً ، أجابته زوجته عن صديقه الذي كان يأتي ليتعلم الفقه والقرآن ، أجابها زوجها بأنّ ذلك الرجل ليس ضريراً ، فتعجبت المرأة وقالت بأنّها كلما نظرت إليه وجدته مغمض العينين !

هكذا يجب أنْ يكون المرء عندما يدخل ضيفاً على أحد ، يجب أنْ لا يتدخل في ما لا يعنيه ، وأنْ لا ينظر إلى شيء خاصة إلى الحريم ، لِأنّ ذلك يؤدي في كثير من الأحيان إلى خراب البيوت ، وتفكّك العائلات .

إذن يجب أنْ تكون الزيارة التي نقوم بها سواءً أكانت للمريض ، أم للمسافر ، أم زيارة عائلية من أجل الله فقط ، وليس من أجل تحقيق مصلحة ما .

وفي كل زيارة يجب أنْ نراعي أصول الزيارة ، وكل ذلك من أجل اتّحاد أكبر في القلوب والنفوس .

مراعاة الآداب في مجلس المؤمن :

جاء في باب آداب وحقوق الأخوة ، بأنّه عندما يتكلم المؤمن يجب

أنْ لا نتكلم وسط كلامه ، وإذا كان لنا جواب على كلامه ، يجب أنّ ننتظر حتى ينهي كلامه ، ثم نجاوبه ، وكما أنّه إذا رأينا شخصاً في حالة غضب وغيظ ، يجب أنْ نخفف عنه ، ونهدىء من روعه ، لا أنْ نزيد في غيظه وغضبه ، وكما أنّه عندما تكون في مجلسٍ ما ، لا يحق لك أنْ تنقل ما رأيته في هذا المجلس ، أو ما سمعته عن أحدهم ، إلى مجلس آخر ، وشخص آخر .

التظاهر بالطرش :

جاء في وصف الشيخ حاتم الأصم ـ الذي كان عالماً معروفاً ـ فأرسلت له سيدة جليلة من أهالي (خراسان) رسالة تقول له فيها بأنّها تريد أنْ تراه على انفراد ، لِأنها تريد أن تسأله وتشاوره في أمر مهم ، فحدّد الشيخ وقتاً لملاقاتها ، وتأتي السيدة في الموعد المحدد ، وتبدأ بطرح الأسئلة ، وفجأة ، ومن دون أنْ تدري ، تهوي أمام الشيخ ، فتظهر بعد ذلك في منظر ، وكأنها تريد أن تموت من الخجل ، فيلاحظ الشيخ وضعها ، ويحاول أنْ يخفف عنها ، فيتظاهر بالطرش ، ويقول لها بأنْ ترفع صوتها عندما تتكلم ، لأنّه مرّ عليه وقت طويل ، وقد خفّ فيها سمعه ، عندها فرحت السيدة ، وظنّت بأنّ الشيخ لم يسمعها ، وحتى بعد فترة من هذه الحادثة بقي الشيخ يتظاهر بالطرش حتى لقب بالشيخ الأصمّ .

إذن يجب أنّ لا نفشي أسرار غيرنا ، يجب أن نكون أمينين على ما نسمعه ، يقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « المجالس بالأمانة » حتى إنَّ الشخص الذي يغسّل الأموات ، إذا رأى في جسد أحدهم عيباً ، أو نقصاً ، يجب أنْ لا ينقله إلى أحد .

المقصود من كل هذا هو حفظ الرابط الأخوي بين الناس ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ « المؤمن أخ المؤمن ، عين المؤمن » ، نعم يجب أن تكون العلاقة كذلك ، إذا استغاث أحدهم يسارع الآخرون لنجدته ، ويقال إذا نادى أحدهم طالباً النجدة ، يجب أحن ينهض الجميع لنجدته ، وإنْ لم يفعلوا ليسوا بمسلمين .

مسلمو الجن :

سأروي لكم رواية جاءت في (الأصول من الكافي) : جاء في (أصول الكافي) أنّه مرّ عدد من الأشخاص الذين كانوا في طريقهم إلى السفر ، في إحدى صحاري أفريقية الحارة ، وكان التعب والعطش قد سيطر عليهم لدرجة انهارت معها قواهم ، ولم يعودوا قادرين على متابعة المسير ، فقط كل واحد منهم على الأرض يترقب أجله ، فجأة سمعوا صوت رجل يرتدي زياً أبيض ، وقف فوق رؤوسهم ويقول لهم : إنهضوا واشربوا الماء ، أخذوا أوعية الماء من الرجل ، وشربوا حتى شبعوا ، واستعادوا قواهم ، عندها سألوا الرجل عن هويته : من أنت أيها الرجل الذي أتيت لنجدتنا في هذه الصحراء القاحلة ؟ أجابهم الرجل بأنّه واحد من مسلمي طائفة الجن .

فطائفة الجن مثل طائفة الإنس يوجد فيهم المسلم كما يوجد الكافر ، يوجد اللئيم كما يوجد الرحيم ، وأنا واحد من المسلمين وقد سمعت بأذني رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول : « المسلم أخ المسلم لا يخذل ، ولا يغش » ، فأنتم أخوتي في الدين ، وشعرت بأنّكم عطاشى ، لذلك أجلب لكم المال . قال هذا واختفى .

لقد أردت من هذه الرواية أنْ أوضح لكم بأنّه حتى أنّ مسلمي الجن قد آمنوا بالأخوة بين المسلمين ، وعملوا بها ، فكيف لمسلمي الإنس ؟ ألستم جديرين بأنْ تؤمنوا بهذه العلاقة ﴿ إنّما المؤمنون أخوة ﴾ ، تساندوا بعضكم البعض ، وتخففوا عن بعضكم البعض .

قضاء حاجة المؤمن :

جاء في المجلد السادس عشر من (بحار الأنوار) : عن الإمامين الباقر ، والصادق (عليهما السلام) ، عن ثواب الطواف ، فمن يطوف حول الكعبة سبعة مرات ، سيزيد على حسناته ستة آلاف حسنة وسيمحو عن معاصيه ستة آلاف معصية ، ثم يقولان (عليهما السلام) بأنّه من ينقذ

مسلماً ، أو يقف بجانبه عند محنته ، كأنه طاف وطاف وطاف (حتى عد عشرة) حول الكعبة ولكن ذلك بالتأكيد يكون حسب أهمية الحاجة ونوعيتها .

وذات يوم كان الإمام الحسن المجتبى معتكفاً في مسجد الحرام ، وعند الإعتكاف لا يمكن الخروج من المسجد قدر الإمكان ، جاء أحد المسلمين الشيعة ، وقال للإمام (عليه السلام) بأنّه مقروض ، وصاحب المال لا يريد أنْ يمهله ، وطلب المساعدة من الإمام (عليه السلام) ، قال الإمام (عليه السلام) للرجل بأنّه لا يستطيع مساعدته الآن لأنّه لا يملك المقدار المطلوب من المال ، طلب الرجل من الإمام (عليه السلام) أنْ يأتي ويشفع له عند الدائن كي يمهله بعض الوقت . نهض الإمام (عليه السلام) من مكانه وخرج من المسجد ، فرآه أحد الأصحاب ، وقال له : أين أنت ذاهب يا ابن رسول الله ؟ أجاب (عليه السلام) : بأنّه ذاهب كي يساعد ذلك الأخ ، فذكر الرجل الإمام بأنّه معتكف في المسجد ، قال (عليه السلام) بأنّه سمع من أبيه أمير المؤمنين يقول ، عن لسان الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) الذي قال ، بأنّ من يقضي حاجة مؤمن أفضل من الذهاب إلى الحج والعمرة والإعتكاف مدة شهرين . ذهب الإمام (عليه السلام) ولبّى حاجة المؤمن ثم عاد إلى المسجد .

إذن أعود وأوصيكم بضرورة الوحدة والأخوة ، لأنّكم في ذلك سوف تصلون إلى السعادة وإلى حلّ المشاكل .

يقال بأنّ الشخص الذي ساعد أخاً له في هذه الدنيا ، عندما يأتي يوم القيامة ، يرفع رأسه من القبر ، فيرى وجهاً جميلاً يقف أمامه ، ويساعده في الخروج من القبر ، وعلى المرور عند الصراط ، ويدخله الجنة ، وعندما يريد أنْ يودعه ويرجع ، يقول له الرجل : من أنت ؟ أين الصراط ؟ يجاويه بأنّه قد عبر الصراط ، يتعجب الرجل ويقول : لقد كنت فرحاً بمرافقتك ، لذلك لم أشعر بشيء ، فمن أنت ؟ يجاويه : ألا تذكر

ذلك الرجل الذي ساعدته في الدنيا ، وأنقذته من محنته ، لقد جئت لنجدتك من أجل ذلك العمل الخير الذي قمت به في الدنيا !

المواساة :

جاء في كتاب (الوسائل العشر) مئات الروايات ، يا ربّ إنّي في حيرة من أمري ، لمن هذه الروايات ، وهذه الأحكام ، إنَّ الواجب يفرض علينا أنْ نروي تلك الروايات ، وتلك الأحكام ، ونطبقها ، لِأنّها جاءت من أجل أنْ تطبق .

فمن جملة الأبواب التي جاءت في (الوسائل العشر) والتي تتحدث عن حقوق الأخوة وباب المواساة الذي هو ضرورة من ضرورات الأخوة ، فإذا كنت تريد أنْ تعرف إنْ كان هذا الشخص ، أو ذاك جديراً بالأخوة عليك أنْ تعرف إنْ كان يواسي الأخرين أم لا .

أخوة محمد لعلي :

قبل أنْ نتكلم عن مسألة المواساة ، أذكر في مجال الأخوة ، أخوة النبي لِأسد الله الغالب ، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

بناءً على الروايات المتناقلة عن الشيعة والسنة فإنّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) إختار لكل مسلم أخاً له ، وجعل كل واحد منهما أخاً للثاني وواضح كيف يكون اختيار محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فاختار أبا بكر وعمر ليكونا أخوة لبعضهما ، كما اختار طلحة والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف وعثمان ، وسلمان وأبا ذر ، والمقداد وعمّار و . . .

ويجب أنْ يكون الأخ بمستوى المسؤولية ، يتمتع بحسن النية والاخلاق الحسنة ، فإذا ذهب واحد منهما إلى الجبهة مثلاً ، يجب أنْ يبقى الآخر ليهتم بعائلة أخيه ، ويدير شؤونهم .

إذن اختار الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) لكل مسلم أخاً له في الدين ، والشخص الوحيد الذي لم يختر له أخاً هو علي بن أبي طالب !

وهنـا وبنـاءً عـلى الـروايـات المنقـولـة عن الشيعـة والسنـة ، فـإنّ الإمــام (عليـه السلام) حـزن وسأل الـرسول قـائلاً : لماذا لم تختر لي أخـاً ؟ قـال (صلّى الله عليه وآله وسلم) : أنت تركتك لنفسي ، فصعد المنبر وأخذ بيد علي قائـلاً : أيها النـاس هذا أخي ، يـا عمر ، إنَّ أبـا بكر هـو أخوك ويـا عثمان إنَّ عبد الرحمٰن هو أخوك ، أما علي فإنّ أخاه هو المصطفى (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) « أنت أخي ، ووصي ، ووارثي ، لحمـك من لحمي ، ودمك من دمي » .

إنَّ الإمام (عليه السـلام) كان أحيـاناً يعـاتب الناس ويقـول : أيها المسلمـون ، من هو الشخص الـذي اختـاره النبي (صـلّى الله عليـه وآلـه وسلم) ليكـون أخـاً لـه ؟ ألست أنـا ؟ فهـو هنـا يخـاطب الـذين رجحـوا أشخاصاً آخرين عليه ، فيـا ويلهم ، كم هي كبيرة درجـة الظلم والفسـاد التي ارتكبوها .

إستحباب اتّخاذ أخ في الدين :

لقد فسّر فقهاء الإسـلام ، وكبار المفكـرين ، مسألـة الأخوة هـذه ، التي عيّنهـا الـرسـول (صـلّى الله عليـــه وآلـه وسلم) ، فـــاعتـبروهـــا من المستحبـــات ، لـذلـــك جـاء في الـــروايـــات المنقـــولـــة عن أهـــل البيت (عليـه السلام) بـأنّه يستحب اتخـاذ أخ في الله ، فأنت تنـظر لترى مَنْ مِنَ المؤمنـين يستحق أكثر من الآخـرين موآخـاتـك ، فيصبـح أخـاك حتى يـوم القيامة ، وليس حتى أنْ يفـرق الموت بينكـما ، فتعيشان في هـذه الدنيـا يداً بيد ، تساندان بعضكما البعض .

نعم ، يجب أنْ تـرى من يتسحق مؤاخاتـك ، لِأنّ الإنسان الـذي لم يصل إلى درجة الإبتعاد عن النفس ، والهوى ، ونبـذ الشهوات والملذات ، لا يمكن أنْ يكـون أخـاً لِأحـد ، لِأنّـه ولمجـرد أنْ يـلاحظ بـأنّ مصـالحـــه الشخصية تتعارض مع المؤاخاة ، سـوف ينسف كل شيء ، ويـركض وراء مصلحته .

وطالما الإنسان يركض وراء تحقيق أنـاه ، ويقول أنـا . أنا ، لا يمكن أنْ يصبح أخاً روحانياً لِأحد .

وعنـدما يصبـح الأنا ، نحن ، ويصبـح الحب والفداء لـلآخـرين ، عندها يمكن عقد رابطه الأخوة بين شخصين .

يعين الإمام علي (عليه السـلام) في أحد الـروايات عـلامتين لهؤلاء الأفراد ، أي الذين يستحقون المؤاخاة ، فيقول (عليه السـلام) : إختبروا شيعتنـا بخصلتين : محـافظة لأوقـات الصلاة ، والـبر بـالإخـوان في العسر واليسر .

وقد تطرّق الإمام الباقر (عليه السلام) إلى هذا فقال : « من استفاد أخاً في الله على إيمان بالله ووفاء بإخائه طلباً لمرضاة الله ، فقد استفاد شعاعاً من نـور الله . . . »[1] ومثـل ذلـك قـول الـرسـول الأعــظم (صـلّى الله عليه وآله) : « مـا استفاد امـرؤ مسلم فائـدة بعد فـائدة الإسـلام مثل أخ يستفيده في الله »[2] .

نماذج من إيثار المؤمنين :

جـاء في تفسـير (مجمـع البيـان) بـأنّـه تلقّى رسـول الله (صـلّى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم هديـة ، كانت عبـارة عن قطعـة من القماش ، أرسل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) القماش إلى جاره ، نظر الجار إلى القماش فتذكر بأنّ لـه جاراً يحتـاج إلى هذا القـماش أكثر منـه ، فأرسـل القـماش إلى جاره ، وهكـذا دارت قطعـة القـماش من بيت إلى بيت ، حتى وصلت إلى سـابع بيت . تلقّى صـاحب البيت السابـع الهديـة ، وقـدمهـا لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، نعم ، عادت قطعة القـماش إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

(١) بحار الأنوار : ج ٧٨ ، ص ١٧٥ .

(٢) تنبيه الخواطر : ص ٤١١ .

جـاء أيضاً في تفسـير (مجمـع البيـان) عن هشـام إذ يقـول بـأنّـه في (غزوة أُحد) ذهب ليطمئن عن صحة ابن عمه ، عندما وصل إليـه وجده يلفظ أنفاسه الأخـيرة ، ولا يستطيـع الكلام أبـداً ، ولكن هشام فهم بـأنّه عطشان ، فجاءَه بالماء ليشرب ، ولكن ابن عمه أشار إلى جريح آخر كـان بجانبه ، ذهب هشام إلى الجريح ليعطيه الماء ، فـأشار الجـريح إلى شخص ثـالث ، ذهب هشام إلى الشخص الثـالث فـوجـده ميتـاً ، عـاد بـالمـاء إلى الشخص الثاني فوجده أيضاً ميتاً ، عاد سريعاً إلى ابن عمه وجده أيضاً قـد فارق الحياة .

ما أروع الإيثار عندما يصـل إلى هذه الـدرجة ، إلى درجـة التضحية بالروح من أجل الآخرين ، من أجل مواسـاتهم ، كيف تكون معـاملة الله عز وجل لأشخاص من هذا النوع ؟ كم هو كبير الفرق بين هؤلاء وبين مـا نجـده اليـوم من حب وأنـانيـة ، أنـا أكـون بخـير ولا يهمني من الآخـرين شيء .

* * *

«١٣»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ إنّما المؤمنون أخوة ، فأصلحوا بين أخويكم واتّقوا الله لعلكم ترحمون ، يا أيّها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أنْ يكنّ خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ .

النواحي المادية المعنوية في حياة الإنسان :

إنَّ الإنسان ، ومن أجل تأمين حياته في الدنيا وفي الآخرة ، يحتاج إلى التعاون وإلى التنسيق مع الآخرين ، وإلى الإتحاد معهم .

ومن أجل تأمين الحياة الدنيوية وجعلها حياة سعيدة ، يحتاج الإنسان إلى الأكل ، والشرب ، واللباس و . . . كما يحتاج إلى شريك لحياته ، ولا يستطيع أنْ يؤمن كل ذلك بمفرده ، بل يجب أنْ يتعاون مع العديد من الأشخاص ، وإذا كان هذا التعاون تعاوناً صادقاً ، مخلصاً ، فالنتيجة تكون إيجابية ، وتصبح الحياة سعيدة .

وبالنسبة للآخرة أيضاً ، فإنّ الإيمان والتقوى والعمل الصالح و . . . يحتاج أيضاً إلى التعاون ، والتنسيق ، والإختلاط مع الآخرين . وهذا الإختلاط يجب أنْ يكون على مستوى واسع ، يجب على الإنسان أنْ

يعاشر الآخرين قدر المستطاع ، حتى يستفيد منهم ، من عملهم ، من إيمانهم وتقواهم وإلاّ كيف له أنْ يتعلم وينمي عقله ، وإيمانه إذا انعزل عن الآخرين ، وقبع في منزله ؟

جاء في (أصول الكافي) أنه قيل ذات مرة في مجلس الإمام الصادق (عليه السلام) كلام في مدح شخص يلتزم بيته دائماً ، وينكبّ على العبادة ، فقال (عليه السلام) : « من أين يتفقه في دينه ؟» .

والكلام هنا موجّه للأشخاص الذين يجافون المساجد ، ولا يجالسون العلماء ، ولا يطالعون الكتب الدينية ، فكيف ينمي هؤلاء إيمانهم وعلمهم ؟

إنَّ الإيمان الراسخ هو الإيمان الذين يأتي عن طريق التحصيل ، وبذل الجهد والسعي ، للوصول إلى العلم والمعرفة ، يخرجان الإيمان من إطاره التقليدي إلى حقيقي ينوّر القلب .

وساوس الشيطان تصبح أكثر قوة عندما يكون الإنسان وحيداً :

إنَّ الشيطان وبوساوسه الدنيئة . له حضور دائم ، يدور حول الإنسان ليزرع الشك في نفسه ، ويزعزع الإيمان في قلبه ، ويقف بالتالي بينه وبين الراحة النفسية والسعادة الحقيقية ، ويتجاوز الإنسان ، ومن خلال وساوس الشيطان ، مسألة الشك في الأعمال ، إلى الشك في العقيدة .

وهناك قول جميل عن صاحب كتاب (العروة الوثقى) إذ يقول بما معناه : إنَّ أصغر وسوسة يقوم بها الشيطان هي التشكيك في عدالة أئمة المساجد ، كي لا يشترك أحد في صلاة الجماعة .

وعندما يكون الإنسان وحيداً يتغلب عليه الشيطان ، أما إذا اجتمع مع غيره ، يصبح أكثر قوة ، ويمكّنه من مقاومة وساوس الشيطان .

هناك مثل معروف يقول بأنّ العصا يمكن أنْ نضغط عليها ونكسرها

من الـوسط ، أمـا إذا وضعنـا القسمـين فـوق بعضهـما البعض ، فيصعب كسرهما ، فكل إنسان يمكن أنْ يقوّي نفسـه إذا اتحد مـع غيره من المؤمنـين والعلماء والمصلحين .

فالوحـدة إذن هي التي تؤدي بالإنسـان إلى الإنجـرار وراء وسـاوس الشيطان ، فتصبح عنده وسوسة في الطهارة ، أو في النظافـة ، أو في ضبط ركعـات الصلاة ، أو . . . والإتحـاد هـو الـذي يبعث القـوة في النفـوس ، ولكن هذا الإتحاد يجب أنْ يكون محكماً ، نـابعاً من القلب ، لِأنّ الشيـطان يقف دومـاً بـالمـرصـاد ، وإذا وجـد شخصـينَ متفقـين ، يحـاول جـاهـداً وبوساوسه ، أن يفرق بينهما .

جـاء في (أصول الكـافي) بأنّ الشيـطان يكون في راحـة تامـة طالمـا المؤمنـون يعانـون من التفرقـة والتشتت ، وإذا اجتمع شمـل هؤلاء ، يمرغ الشيطان وجهه في التراب ، ويصرخ من شدة غضبه وكيده .

هنيئـاً للشخص الذي يصـل بدرجـة إيمانـه ، وقوة وعيـه ، إلى الحد الذي يتغلب على الشيطان ، فيمرغ هذا الأخير وجهه في التراب ، ويصرخ من شدة انكساره وهزيمته .

وهذه القوة العظيمة لا تكتسب إلاّ بالتعاون والإتحـاد بين المؤمنـين . فالإنسان في حياته يحتاج إلى رفيق روحاني ، خاصة عند الموت .

يُـروى عن خاتم الأنبيـاء ، محمـد المصـطفى (صـلّى الله عليـه وآلـه وسلم) قوله الشريـف ، بما معناه بأنّه عند الموت يرى الإنسان كـل الوجـوه التي كان يحبها في الدنيا فإذا كانت تلك الوجوه خيِّرة ، يتجلى الخير أمامه ، وإذا كانت شريرة ، يتجلى الشر أمامه .

فيا ويل لـك إذا كنت في دنياك تحب الشيـطان وتتعامـل معه ، فـإنّه سوف يظهر أمامك عند المـوت ويغريـك حتى في تلك اللحظة الأخـيرة من حياتك . فطوبى لك لو كان صديقك في الدنيا روحانياً ، صـالحاً فـإنّ تلك الروحانية هي التي تسعفك عند الموت وبعده أيضاً ، لِأنّ الإنسـان في تلك

اللحظة يكون بأمسّ الحاجة إلى المساعدة .

فحاول أنْ تبني في هذه الدنيا علاقات قائمة على الصدق والروحانية ، لتعمّق بها إيمانك ولكن تلك الرابطة ، وتلك العلاقة القيّمة ، أصبحت قليلة في هذه الأيام ، فمن الصعب أنْ تجد شخصاً يحبّك من أجل الله ، ويغضّ النظر عن المصالح الشخصية .

إنَّ الله عزّ وجل أمر بضرورة القيام بكل عمل يؤدي إلى وحدة الجماعة :

إذن ، إنَّ سعادة الدنيا والآخرة تتجلّى في ذلك الإتحاد الذي تحدثنا عنه وبناءً على ذلك ، فإنَّ الله تعالى ، وبحكمته البالغة ، أمر ، وبلسان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، والأئمة الأطهار ، أمر بضرورة القيام بكل عمل يمكن أنْ يؤثر إيجاباً على هذا الإتحاد ، ونهى عن كل ما يمكن أنْ يؤدي إلى الكره والنفور بين الناس ، وذلك تجنباً للتفرقة والتشتّت اللذين قد يؤديان بهم إلى الهلاك ، وإلى خسارة الدنيا والآخرة .

ولكن وللأسف نلاحظ في هذه الأيام بأنَّ المسلمين لا يختلفون في نمط حياتهم ، وطريقة عيشهم ، عن الكفار ! مثلاً شخصان مسلمان شيعيان ، يصلّيان ويصومان مثل بعضهما البعض ، ولكنهما يختلفان على كيفية إرضاء الرغبات والشهوات ، كل واحد يريد أنْ يرضي رغباته وشهواته حسب طريقته التي تتعارض مع رغبات وشهوات صديقه ، تماماً مثل الكفار .

إنَّ إصرارنا الدائم من على المنبر ، وتأكيدنا المتواصل على الوحدة والتعاون ، هو من أجل الوصول إلى السعادة ، سعادة الدنيا والآخرة وإلاّ لخسرنا دنيانا وآخرتنا .

على الأقل إنَّ الكفار لديهم قوة في هذه الدنيا ولكن نحن لا نملك حتى تلك القوة الدنيوية ، فهذه (إسرائيل) إستطاعت بثلاثة ملايين نسمة أن تتغلب على أمة بكاملها ، أُمة مسلمة ، الأمة العربية .

ضرورة المحافظة على الشعارات الإسلامية :

إذن يجب أنْ نضع دائماً مسألة إتحاد القلوب نصب أعيننا ونحاول القيام بأي عمل يؤثر على هذه الوحدة إبتداءً من إلقاء التحية على الآخرين ووصولاً إلى المواساة ، والتضحية ، والفداء .

عندما تلتقي بصديق لك ، حاول أنْ تسلّم عليه ، قل له (السلام عليكم) إنَّ كلمة السلام تأتي من السلم . سلام عليكم : أي إنّني أطلب لك السلامة من الله تعالى .

والسلام الذي نردده في الصلاة ونقول (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، إنَّ هذا السلام له أصول وآداب ، فعندما نقول : (السلام عليكم) فإذا كنّا في المسجد ، نؤدي صلاة الجماعة ، فالسلام هنا يكون مهدى إلى جميع المصلين ، أما إذا كنّا نؤدي الصلاة بانفراد ، فنهدي سلامنا إلى الكرام الكاتبين ، إلى الأنبياء والمؤمنين .

فما أحلى أنْ يقف أكثر من مائة شخص في المسجد ، يصلّون صلاة الجماعة ، ويهدون سلامهم إلى بعضهم البعض ، وبالأخصّ إلى إمام الجماعة ! وفي السلام الأوّل نشير بإصبعنا إلى اليمين وفي السلام الثاني نشير إلى اليسار .

أعود وأؤكد على ضرورة الإتحاد والتعاون مع بعضكم البعض ، ولا يتم ذلك إلّا بالتعاون ، والإبتعاد عن الأهواء والملذات ، والركض وراء المصالح الشخصية .

بعد السلام تأتي التهنئة ، فإذا عطس مثلاً أحد الأشخاص في مجلس ما ، فمن المستحب أنْ تدعو له وتقول : (يرحمكم الله) وعليه أنْ يجيب بالقول : (يغفر الله لك) ، إنَّ عملية التعطيس هي رحمة من الله عزّ وجل فهي تفتح الدماغ ، وتريح الرأس ، حتى إنّه روي عن الإمام المهدي (عج) قوله بما معناه إنَّ العطسة تحمي صاحبها من الموت لمدة ثلاثة أيام ،

ويمكن أن يكون المقصود هنا الموت الفجائي مثل السكتة ، أما ما تطلق العوام على العطسة بأنّها صبر ، فإنّ هذا الكلام خالٍ من الصحة لِأن العطسة هي رحمة .

وفي علاقتكم مع أخوانكم من المسلمين والمؤمنين ، حاولوا أنْ تكونوا لطفاء بشوشين مهذبين ، حاولوا أنْ تقيموا الولائم لِأنّ ضيافة المؤمن لها أجر كبير ، حتى إنَّ الإمام الصادق (عليه السلام) يقول حول ذلك بما معناه إنّه لو جعل الدنيا بما فيها لقمة واحدة ووضعها في فم مؤمن ، فإنّه يشعر بأنّه لا يزال مقصراً .

أنهوا عن كل عمل يؤدي إلى التفرقة :

إنَّ الإسلام نهى عن القيام بأي عمل يؤدي إلى التفرقة والتشتت ، فعلينا إذن أنْ نتجنب الوقوع في أي عمل يجرح الآخرين ، ويؤذيهم كالإستهزاء والسخرية مثلاً ، لِأنّ ذلك يؤدي إلى التفرقة . هذه الآية الشريفة التي هي موضوع بحثنا تقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ، لا يسخر قوم من قوم** ﴾ ، نعم أنا أعني بكلامي : أنتم أصحاب الدين ، والقرآن والإسلام ، ولا أعني اليهود والنصارى ، ويكفي عينتك أنت ، أنت الذي تقول بأنّ القرآن حق ، والقيامة حق ، ومحمد حق ، نقول لك أنت أيها المؤمن ، بأنّ السخرية حرام ، لِأنّ السخرية تؤدي إلى التفرقة ، والتشتت ، تؤدي إلى تمكّن الشيطان منّا ، إذن يجب أنْ لا يستهزىء أحد من الآخرين ، ولا الرجال من الرجال ، ولا النساء من النساء ، لِأنّ في الإستهزاء تصغير وتحقير للآخرين .

معاملة عائشة وحفصة مع صفية :

كانت صفية إبنة حي ابن أخطب ، من كبار اليهود ، قد تزوجت من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، بعد أنْ تمّ فتح (قلعة خيبر) على يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) وموت والدها فيما بعد ، فهي طلبت من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنْ يمنحها هذا

الشرف ، ويتزوج منها ، وعندما حازت على هذا الشرف ، ودخلت منزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، تعرضت لمضايقات كثيرة من عائشة وحفصة ، فكانتا تستهزئان بها ، وتقولان لها : بأنّك يهودية ، وأبوك يهودي ، فشكت صفية إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وأخبرته عن المضايقات التي تتعرض لها ، غضب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وقال لها : هلاّ قلت أبي هارون ، وعمّي موسى ، وزوجي محمد المصطفى ـ لقد كانت صفية من سلالة هارون ـ . هذا مثال على السخرية والتنابز بالألقاب .

إذن إنَّ الإستهزاء ، والنيل من كرامة المؤمن ، أمر حرام ومرفوض ، كما أنَّ إلصاق لقب غير لائق بالإنسان المؤمن المسلم يعتبر أيضاً من الأعمال المحرمة ﴿ عسى أنْ يكونوا خيراً منهم ﴾ ، أنت ترى الظاهر ولكن لا تدري ماذا يوجد في الداخل ، في الجوهر ، لِأنّ الشخص الذي تستهزىء منه ـ لِأنّ ظاهره غير ملفت للنظر مثلاً ـ يمكن أن يكون أفضل منك عند الله عز وجل .

هناك العديد من الأشخاص الذين يعيشون في غرفة واحدة ، ولا يحصّلون من هذه الدنيا سوى القليل القليل ، ولكن شأنهم عند الله تعالى كبير وكبير جداً .

عبد الغفار الغير معروف والصلاة وراء الإمام المهدي(عج) :

سأروي لكم رواية عن المرحوم عبد الغفار الذي مات قبل ثمانين ، أو تسعين سنة . لقد كان يعيش في مدرسة (خان شيراز) ويلبس ثياب الجندية ، ولم يكن أحد يعرفه ، أو يعرف بأنّه صاحب كرامات .

وكان هذا الرجل قد وُفّق للصلاة وراء الإمام صاحب الزمان (عج) ، والشخص الوحيد الذي كان يعرف ذلك في (شيراز) كلها هو المرحوم شيخ مهدي كجوري ، ـ أعلى الله مقامه ـ .

والشيخ كجوري هذا، كان ملمّاً بعلوم لا نعرف نحن شيئاً عنها، ومن

خلال معرفته بتلك العلوم إستطاع أنْ يتعرف على عبد الغفار ، وبعـد وفاة عبـد الغفار أتى الشيـخ كجوري إلى مـدرسة (خـان شيراز) وأخـذ يشرح للنـاس عن مقام وأهميـة ذلك الـرجـل ، ثم قـال لهم بـأنّـه كـان جـوهـرة مصقولة .

ولا يـزال قـبره حتى الآن في مقـبرة دار السـلام بـ (شـيراز) حيث أصبح مكاناً لاستجابة الدعاء . وقد كتب الشيخ كجوري على قبر المـرحوم عبد الغفار العبارة التالية : (الذي تشرّف بلقاء الحجة) .

نعم لقد اجتمع الـدين والتقوى في ذلـك الثوب العسكـري الذي لا يعتني بـه أحـد ، ولقـد أردت هنـا أن أضرب مثـلاً حـول ﴿ **لعله خـير منكم** ﴾ ، الـظاهر هـو ثوب عسكـري لا يهتم به أحـد ، أما البـاطن فهـو عظيم وعظيم جداً .

الإستهزاء من أولياء الله وأحبائه :

يمكن أنْ يكون الشخص الذي تستهزىء به من أحباء الله ، فيا ويل لك إنْ تعرضت لشخص يتمتع بمنزلة عالية عند الله عز وجل ، فإنَّ عقابك سيكون كبيراً حتى ولو لم تكن تعرف بأنّ الشخص الذي توجه إليه الإهانـة هو من أحباء الله ، لِأنَّ الله وحده يعرف حقيقة عباده .

من هنا يتوجب عـلى الإنسان أنْ يحـترم الجميع ، وأنْ لا يحكم عـلى أحد من خلال مظهره ، لِأنّ المظهر لا يدل على شيء ، العمامة لا تـدل على شيء ، كـما أنّ البذلـة أيضـاً لا تـدل عـلى شيء . إنَّ من يؤذي حبيب الله يكون بذلك قد أعلن الحرب على الله وأصبح منبوذاً من قِبَل الله .

عليكـم بالتوبـة :

لنقـرأ آخر الآيـة ونستخلص منها النتيجـة ﴿ **ومن لم يتب ، فأولئـك هم الظالمون** ﴾ : وفي آخر الآية هناك بشارة ودعوة إلى التوبة ، فهيا بنا إلى التـوبـة ، نحن الـذين قضينـا عمـرنـا نستهـزىء من الآخـرين ، ونجـرّح

قلوبهم ، حان الوقت لنتوب ، لِأنّه لا يوجد أحد يستطيع أنْ يدّعي بـأنّه لم يـرتكب أية محـرّمة في حيـاته ، لم يستهـزىء من أحد ، ولم يلصق الألقـاب الغير لائقة بأحد .

هيـا لنتوب إلى الله تعـالى ونقسم عليه تعـالى بحـرمـة شهـر رمضـان المبارك ، أنْ يغفر لنا كل ذنب ارتكبناه بلساننا ، أو بغيره أولاً ، ثمّ يُـرضي عنّا الأشخاص الـذين تعرضنـا لهم بالكـلام الجارح ثـانياً . إلٰهي إنّي أقسم عليك بعزتك وجلالـك ، أن تغفر لي إذا كنت قـد أهنت أحد المؤمنـين في حياتي ، أو استهزأت منه ، إلٰهي إغفر لي ، وارضه عني ، لِأنّه إذا لم يرضى عني سيأتي يوم القيامة ويـطالبني بحقه ، ويقـول لي : أنت الذي أهنتني في الدنيا ، والآن أريد أنْ آخذ حقي منك .

إنَّ أبـواب الرحمـة واسعة ، أنت عليـك أنْ تتوب والله سـوف يقبلها ﴿ **ومن لم يتب فـأولئك هم الـظالمون** ﴾ . لنقـرأ دعاء التـوبة لـلإمـام زين العـابدين (عليـه السـلام) إذ يقـول : « اللهم إنّي أستغفـرك من كـل مـا خـالفت إرادتـك ، أو أزال عن محبتـك ، من لحـظات عيني ، وخــطرات قلبي ، وحكايات لساني ، وحركات جوارحي . . . » .

يقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : بأنَّ الشخص الـذي يستهـزىء بإنسـان مؤمن ، يصبح مبغـوضاً من قِبَـل الله تعالى . فيـا ويـل لهؤلاء الـذين استهـزأوا بـالحسـين (عليـه السـلام) ، وظلمـوه إلى أبعـد الحدود ! يا ويلهم من عقاب ربهم ! لقد قالوا له : أنظر يا حسين إلى مـاء الفرات ، كيف تتلألأ ، ولكننا لا ندعك تشرب منها ولو قطرة واحدة !!

«١٤»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ يا أيّها الـذين آمنوا ، لا يسخـر قوم من قـوم ، عسى أن يكونـوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء ، عسى أنْ يكنَّ خيراً منهن ، ولا تلمـزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب ، فأولئك هم الظالمون . يا أيّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنَّ بعض الظنّ إثم ﴾ .

اليـوم هو يـوم الجمعة ، وقـد مضى النصف الأوّل من شهر رمضـان المبـارك ، نشكـر الله الـذي وفقنـا للصيـام في النصف الأوّل أنْ يـوفقنـا للصيـام ، وتلاوة القـرآن ، ودفع الصـدقة ، وفعـل الخيرات ، في النصف الثاني من هذا الشهر المبارك أيضاً .

لكـل شيء ربيع ، وربيـع ذكر الصـلاة هـو يـوم الجمعـة ، **﴿ إنَّ الله وملائكته يصلّون عـلى النبي ، يا أيّهـا الـذين آمنـوا صلّوا عليـه وسلّمـوا تسليما ﴾** .

جـاء في كتـاب (كشف الغمـة) : عن الإمـام الحسن المـجتـبى (عليه السلام) ، صاحب هذا اليوم ـ وُلد الإمـام الحسن (عليه السـلام) في اليوم الخامس عشر من شهـر رمضان المبـارك ـ ، عن والده العـظيم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، عن نبي الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قوله :

« حيث ما كنتم فصلّوا عليَّ ، فإنَّ صلاتكم تبلغني » .

وبنـاءً على هـذه الآية الشريفـة ، فإنَّ ﴿ من جـاء بالحسنـة فله عشر أمثـالها ﴾ ، فمن يصـلي على الـرسـول مـرة واحـدة ، يتـذكـره الـرسـول عشر مرات ، ويدعو له ، حقيقة إنّها تجارة رابحة !

الصلاة على محمد وآل محمد ، عند الشدائد :

يروى بأنّه ذات يوم في (مكـة) ، كان هنـاك رجل مؤمن ، يـطوف حول الكعبة ، ويصلّي على النبي ، بدل الدعاء ، وبعد صلاة الطواف كان أيضاً يصلي على النبي ، وفي السعي بين (الصفا والمروة) ، كان يصلي على النبي ، وفي الوقوف بين (المشعر وعرفات) ، وفي (منى) أيضاً كان يصلي على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) . سأله أحـدهم بأنهم لم يسمـع منه سوى الصلاة عـلى النبي (صلّى الله عليـه وآله وسلم) ، فـما هي القصة ؟ فسرد لهم الرجل ما جرى لـه ، وهو في طـريقه إلى (مكـة) ، قال : بـأنّه كان آتياً إلى مكة المكرمة ، برفقة والده ، ولكن الوالد مـرض في الطريق ، وساءت حالتـه الصحيـة ، فاسودّ لونه ، وأخذ يئن ويقول : إنّني أحترق ، النار تلتهمني ! يقول الرجل بأنّه لجأ إلى الله تعالى ، وطلب منه أنْ لا يموت والده ، وهو في هذه الحالة ، فجأة تغيّر شكل الوالد ، فابيضّ لونه ، وترك الدنيا ، وهو في حالة من الهدوء والراحة . تعجب الرجل من هـذه المسألـة وقال : يا ربّ ماذا حصل حتى تغيّر حال أبي ؟

وبعد عدة أيـام رأيت أبي في المنام يقـول لي بأنّ حـالته المـتردية عنـد الموت كانت نتيجة أعماله في هذه الدنيا ، ولكن النداء ارتفع من عند النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول : يـا أيها الـذين أكثرتم في حيـاتكم من ذكري فإنّي سوف أساعدكم عند الموت . وكانت تحسّن حالتي بمثابـة هديـة تلقيتهـا من رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه وسلم) ومنـذ ذلـك اليـوم صممت على أنْ أُكثر من الصلاة على محمد وآل محمد (عليهم السلام) .

وأنا أتمنى عليكم يا أيها المؤمنون والمؤمنات أنْ تكثروا من الصلاة على

محمد وآل محمد ، كي يشفع لكم يوم القيامة .

من أين جاء وكيف ؟ وإلى أين ؟

هناك أسئلة ملازمة للفطرة الإنسانية أسئلة تتردد في الصدور ، ما الهدف من الحياة ؟ ما الهدف من وراء الخلق ؟ ما هو الطريق إلى السعادة ؟ إنَّ أكثر الناس خنقت هذه الفطرة واتجهت نحو مسائل أخرى ، وإلاّ فإنّ كل واحد يسعى إلى معرفة كل شيء .

إنَّ معرفة الهدف والغاية من الحياة ، ومن خلق الكون ، لا يستطيع أنْ يجاوب عليها غير ربِّ العالمين ، لو وضع الناس جميعاً عقولهم فوق بعضهم البعض ، لما استطاعوا الإجابة على هذه الأسئلة . وحول هذه المسألة أيضاً فإنَّ العقلاء والمفكرين لا يختلفون عن سائر البشر لِأنّ عقولهم في هذا المجال تبقى جزئياً . إذن يجب أنْ نسأل صاحب الكون ، لِأنّه هو الذي يستطيع أنْ يجيب على كل شيء .

الهدف من الخلق هو معرفة الله وعبادة الله :

لقد وردت هذه المسألة وبشكل صريح في القرآن الكريم ، إذ تقول الآية الشريفة : **﴿ وما خلقت الجنّ والإنس ، إلاّ ليعبدون ﴾** .

وكما جاء في الحديث القدسي ، فإنَّ الله تعالى خلق كل شيء من أجل الإنسان . خلق الأنواع المختلفة من الفواكه والأثمار ، وخلق الحيوانات . . . كلها من أجل الإنسان وخلق الإنسان من أجل الله ، من أجل الحياة الطيبة في الآخرة ، في جوار الله ، ومن أجل لقاء الله ، لقد خلق الله الإنسان من أجل معرفة الله ، ومحبة الله ، وعبادة الله .

هذا هو الهدف ، وهذه ، هي السعادة البشرية . لو قطع الإنسان هذه المسافة ، فإنّه سوف يصل إلى كمال السعادة ، وكل ما يصل إليه الإنسان في هذه الحياة ، يكون نتيجة السير في الطريق الصحيح ، طريق المعرفة والعبودية ، فإذا لم يخرج الإنسان عن الخط المستقيم فإنّه سوف يفهم

معنى الحيـاة ، ويتذوق حـلاوتها . أمـا إذا انحـرف عن هـذا الخط ، فـإنَّ التعـاسة والشقـاء سيكونـان من نصيبـه ، وتصبـح حيـاتـه أسـوأ من حيـاة الحيوانات .

إذنْ يجب أنْ لا نبتعـد عن الهـدف الحقيقي ، يجب أنْ لا نبتعـد عن الله سبحانه وتعـالى ، يجب أنْ نبقى دائماً في حـالة من الـترابط مع الله عـز وجل ، نعلم أنّه معنا ، يساعدنا عـلى الخوض في هـذه الحياة ، ويـدبّر لنـا أمورنا ، يجب أنْ نتوكل عليـه في أي عمل نقـوم به ، لِأنّـه خلقنا ، فـأنت المخلوق وهو الخالق ، إيّاك ثم إيّاك أنْ تعتبر نفسك شريكاً للّه عزّ وجل .

إنَّ لـذة الحياة وسعـادة الـروح ، تتحققـان عنـدمـا تعـرف بـأنّ الله معك ، يدبّر أمورك ، ويساعدك على كل شيء .

فيا ويل لكل شخص يبتعد عن الله تعالى ، ويفكر بـأنّه يستـطيع أنْ يـدير أمـوره وحده ، عنـدها يستسلم للوسـاوس ، وتأكـل الغصة والحسرة قلبه ، ويفقد قواه ، ولا ينعم بتذوق طعم الحياة .

أينما توجهت فثمّ وجه الله :

عندما يـأتي مثلاً فصـل زراعة الأرز ، تنـظر من بعيد ، فـترى روعة المنظر ، روعة المساحة المزروعة بالأرز ، إنَّ هذه المسـاحة المـزروعة بـالأرز هي المائدة التي فـرشها الله تعـالى ليستفيد منهـا عباده ، مـائدة يستفيـد منها ملايين البشر ، في الربيع الأرز ، والقمح ، والشعير ، وغير ذلك من أنواع الحبوب . وفي الصيف الأنواع المختلفة من الفواكه .

عنـدما تمسـك وردة بـين يـديـك ، حـاول أنْ تقبلهـا وتضعهـا عـلى عينيك ، لِأنّها نعمة من نعم الله تعالى ، عندما يشرب المؤمن الماء ، يتجلى بشربه الفرح والسرور ، عندما تمسكل بيدك كـوباً من المـاء كي تشرب منه حاول أنْ ترشفها أولاً ، وخلال شربك للماء ، توقف عـدة مرات ، واحمـد الله عز وجل على نعمائه .

كما أنَّ أكل الخبز فيه لذة فائقة ، عندما يمسك المؤمن قطعة من الخبز في يديه ليأكلها بشهية ، حاول أنْ تتقيد بآداب الأكل والشرب التي هي الوسيلة الرئيسية للوصول إلى الصحة والعافية . حاول أنْ تؤمن على صحتك بالشكل التالي : لا تجلس إلى الطعام قبل أنْ تجوع ، واترك الطعام قبل أنْ تشبع تماماً . وممّا جاء أيضاً في آداب المائدة : تصغير اللقمة ، والمضغ الشديد ، لِأنَّ اللقمة إذا بقيت فترة أطول في الفم ، ومضغت بسهولة ، فإنَّ ذلك يسهل عملية الهضم ، كما أنَّ الأكل الممزوج بلعاب الفم يفيد الجسم كثيراً .

إذن حاول أنْ تراعي آداب المائدة في تناولك للأكل ، وفي جلوسك إلى السفرة ، إجلس إلى السفرة بشكل مؤدب ، وابتعد عن البدع الجديدة التي نراها اليوم ، وهي تناول الطعام وقوفاً ، أفرش السفرة على الأرض ، وتناول طعامك عليك أنْ تحترم الخبز ، إذا وضعوا شيئاً على الخبز ، إرفعه وقبّل الخبز ، إحترم نعمة الله ، عز وجل ، كما أنّه مكروه أنْ تقطع الخبز بالسكين .

فإذا راعى الإنسان هذه المسائل ، والتزم بآداب المائدة ، واحترم نعم الله عز وجل ، فإنَّ ذلك ينعكس إيجاباً عليه ، على دنياه ، وعلى آخرته ، على جسمه وروحه .

وإنْ لم يعتن بكل هذا ، يصبح كالحيوان ، يأكل كما يأكلون ، كيف يأكل الحمار الشعير ، فهم كذلك يجلسون إلى السفرة ، ويأكلون حتى التخمة ، فيصابون بالأذى في معدتهم ، وتتدهور صحتهم لعدة أيام .

وعلاج التخمة حسب قول الشيخ الرئيس أبو علي إبن سيناء هو عدم الأكل لعدة أيام ، وشرب المعطرات كماء الزهر ، وماء الورد و . . . .

السعادة البشرية تأتي من خلال التعرف على الله عز وجل :

لو سلك الناس طريق الإنسانية لعرفوا معنى السعادة الحقيقية ، لِأنَّ

هذا الطريق هو الذي يعطي للحياة معناها ، ورونقها ، لِأنّه الطريق الذي يعمّق الرابطة بين الخلق والخالق ، إذ يشعر الإنسان بأنّه يعيش في حالة من الحب ، والصفاء ، والرضى ، والروحانية مع الله عز وجل ، يقبل بقضائه ، ويستسلم لِأوامره . وبسلاح العلم يستطيع الإنسان أنْ يمشي في هذا الطريق . وعندما تنظر إلى نفسك ، أو إلى غيرك ، تشعر بأنّك مقهور أمام عظمة الله عز وجل .

أنظر إلى البعيد البعيد ، إلى خمسين سنة أو مائة سنة خلت ، أين كنت أنت ؟ ستقول بأنّك كنت تراباً ، وفي الصحراء هل كان هناك شيء آخر غير التراب ، نعم التراب أنتج الأرز ، والحمص ، والفاصوليا ، و . . . وأكل منها الآباء والأمهات ، فتجمعت الخلايا ، وأنتجت إنساناً . من خلق كل هذا ؟ من جمع الذرات من قلب الصحراء ، وأتى بها من ظهر الرجل إلى رحم المرأة فأنتج هذا الرحم إنساناً ؟ من يعمل كل هذا ؟ هل أنت الذي تقوم به ؟ ما هي القدرة التي تحافظ على سلامة الجسم ؟ عندما ينقص شيئاً من الجسم تنشط بقية الخلايا لتعوّض ما نقص .

إنَّ الله تعالى لم يبخل علينا بشيء ، أعطانا كل شيء ، لاحظ وجود الأسنان في الفم ، إنّ الإنسان عند ولادته لا يستطيع أنْ يأكل المآكل ، إنّ الله تعالى خلق له ثديين يشرب منهما ، الحليب ، وهل هناك طعام ألذّ من الحليب في مثل هذا العمر ؟ ثمّ حلمتين ثُقبا ، بطريقة لا ينزل منهما الحليب إلّا عند المص !

الساقي يعرف الله من خلال القربة :

يروى بأنّ ساقياً كان يحمل كل يوم قربة من الماء ، وراء ظهره ، ويأتي إلى بيت الحكيم الكبير ، المدعو باشا ، ويجلب له الماء ـ نحن نعرف بأنّه في تلك الأيام لم تكن المياه تصل إلى البيوت ـ ، ذات يوم سأل الرجل الحكيم ، الساقي وقال له : كيف عرفت الله ، أجاب الساقي قائلاً : بأنّه عرفه من خلال قربته !

قال الحكيم : كيف ؟ أجاب الساقي : بأنَّ قربته لها فم واحد من أجل إدخال وإخراج الماء إليها . وأنا أسكّر كل يوم رأس القربة وأربط حوله الحبل وأحكمه بشدة ، ولكني لا أستطيع أنْ أمنع الماء من التسرب إلى الخارج . وعندما أنظر إلى نفسي فأرى بأنني أملك ثقبين : واحد في الأعلى ، وآخر في الأسفل ، ومع أنّ بطني مملوء بالماء والطعام ، ولكن الماء لا يتسرب ، ولا يتقطر ، لا من الفوق ، ولا من التحت ﴿ **تبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .

والثدي المملوء بحليب الأم ، لا يتقطر الحليب منه أبداً ، لماذا ؟ لكي يبقى الثدي في خدمة الوليد، يمصّ منها ما يشاء ، وعندما يكتفي يختزن الحليب في داخل الثدي .

إنَّ الظن بالله ظن السوء ، يقود البشر إلى الهلاك :

إذن ومن أجل الوصول إلى السعادة ، يجب أنْ نكون قريبين من الله تعالى ، واثقين من أنَّ الله يحبنا ، ويريد الخير لنا ، وأنْ نكون من الشاكرين لنعمائه ، مقرّين بإحسانه ، وإذا فقدت هذه الثقة سنقع في الهلاك .

إنَّ حالات الحزن ، والأسى ، والشعور المتزايد بالتعاسة والشقاء ، التي نلاحظها اليوم ، هي نتيجة حتمية لذلك الإبتعاد الذي حصل بيننا وبين الله عز وجل . واليوم نلاحظ بأنّ الناس يسلكون أي طريق كان ما عدا طريق الله ، ويعتمدون على أي شيء ما عدا على الله ، ويتحدثون عن كل شيء ما عدا عن الله ، لذلك ليس غريباً أنْ تكون حياتهم هكذا بل ستصبح أسوأ من هذا أيضاً .

على سبيل المثال نقول إنَّ المعروف عن (سويسرا) هي أكثر بلدان العالم حرية ، وأمناً ، وراحة ، وبناءً على هذا يجب أنْ يكون الشعب السويسري أكثر شعوب العالم سعادة ، وراحة في البال ، وهدوءاً في الأعصاب . ولكن حسب ما جاء أخيراً في المجلات ، نلاحظ بأنّ معدّل

الإنتحار في (سويسرا) هو أكثر من معدل الإنتحار حتى في (أمريكا) .

إذن إنَّ ضغط الحياة هو الذي يقود البشر إلى اليأس والشقاء ، وبالتالي إلى الإنتحار . حتى ولو توفرت جميع أسباب الراحة ، لِأنّ هذه الراحة ستكون ظاهرية طالما أنّ الإنسان بعيد عن الله تعالى .

إذن إنَّ الإبتعاد عن الله تعالى ، هو الذي يسبب الأزمات النفسية ، وليس ضغط الحكومات مثلاً ، أو ديكتاتوريتهم .

إنَّ الإنسان البعيد عن الله يشعر بالوحدة والفراغ ، ويظن سوءً بالآخرين ، يشعر بأنّهم يقفون في طريقه ، ولا يدعونه يتحرك ، يشعر بأنّه ليس لديه سند يستند عليه ، فيفقد ثقته بكل ما يدور حوله ، ويصبح دون هدف في هذه الدنيا ، وكما جاء في القرآن الكريم فإنَّ ﴿ **الظانين بالله ظنَّ السُّوء ، عليهم دائرة السوء** ﴾ ، وبفقدانه الثقة بالله ، وبأنبيائه ، وبالعالم ، وحتى بنفسه ، يصبح كالحيوان ، يهمه إشباع بطنه ، وإشباع غرائزه ، والركض وراء ماديات الدنيا ، وبالتالي فإنّهم وكما يقول القرآن الكريم : ﴿ **ونسوا الله فأنسهم أنفسهم** ﴾ .

وفي مقام الحديث عن الظن ، سأضرب لكم مثلاً حول ذلك .

شاب يُضْحي بقرة :

يُروى أنّه في عهد عضد الدولة الديلمي ، أُصيب شاب من الديالمة ، ـ والذي كان من المقربين من البلاط الحكومي ـ بمرض نفسي ناشيء عن مرض جسمي ، وهذا المرض يدعى (ماليخوليا) وهو مرض نفسي ، له وقع سيّيء على صاحبه ، فكل ما يفكر به المريض في خياله ، يتهيأ له ، وكأنّه واقع موجود .

مثلاً : يكون المريض جالساً في حديقةٍ ما ، وتكون أمامه الأزهار الجميلة ، والأعشاب الخضراء ، والفراشات التي تحوم فوق الأزهار ، فجأة يتخيّل النار ، فتبدو له المناظر الخلابة التي أمامه وكأنها نيران مشتعلة .

وكأن هذا الشاب المسكين يتصور نفسه أحياناً وكأنّه ثور ، وكان يصرخ ويقول : أنا ثور أنا ثور ، وكان يجعل صوته كصوت الأبقار ، حيث كان قد تعلّم هذا الصوت جيداً ، وكانت عوارض المرض تشتد فيه يوماً بعد يوم حتى أصبح عن حق وحقيقة يعتبر نفسه ثوراً . وكانوا إذا دعوه إلى الغداء يقول أنا لست إنساناً كي آكل ، يجب أنْ تقطعوا رأسي ، وتطبخوا لحمي ، أو تشووه على النار .

ومع استمرار امتناعه عن تناول الطعام ، ومع اشتداد مرضه ، قرّر أهله أنْ يخبروا عضد الدولة بمرض إبنهم ، فيرسل عضد الدولة واحداً من كبار الأطباء ليتولى معالجته ، وطريقة معالجته لطيفة جداً :

طلب الطبيب من أهل المريض بأنْ لا ينادوه بالطبيب أمامه ـ أي أمام المريض ـ بل ينادوه باللحام لِأنّ الشاب المريض يطلب دائماً أنْ يأتوا باللحام من أجل ذبحه ، وأكل لحمه ، فعندما آتي أنا قولوا له : بأنّ اللحام جاء كي يذبحك ، عندها أعرف أنا كيف أتصرف .

فرح الشاب كثيراً عندما قالوا له بأن اللحام سيأتي اليوم كي يذبحه ، وأنّهم سوف يقسمون لحمه إلى قسمين ، وسيطبخون منهما اليخنة ، واللحم المشوي !

دخل الطبيب إلى المنزل متظاهراً بأنّه اللحام ، حاملاً بين يديه السواطير ، وما أنْ دخل إلى المنزل حتى قال : أين هي البقرة كي أذبحها ؟ فسمع صوتاً شبيهاً بصوت البقرة يرتفع في المنزل، قال الطبيب: أجلبوا هذه البقرة وضعوا رأسها على حافة الحديقة كي أذبحها ، عندما سمع الشاب هذا الكلام جاء بنفسه ووضع رأسه على حافة الحديقة ، قال الطبيب أربطوا يديه ورجليه ، لِأنّ بعض الأبقار تلبط كثيراً عند الذبح ، ربطوا يدي الشاب ورجليه ، وجلس الطبيب بالقرب من الشاب وأخذ يفحص جسمه بيديه ، ثم نظر إلى والد الشاب وقال له : أنت صاحب هذه البقرة ، وبقرتك ضعيفة جداً ، لا يوجد في جسمها أثر اللحم ، فعليك أنْ تغذيها أولاً ، ومن ثم تذبحها .

إقتنع الشاب المريض بالفكرة ، وقال لهم : سآكل منذ هذه اللحظة كل شيء ، كي أسمن ويصبح عندي اللحم الكثير ، عندها يجب أنْ تذبحوني وتأكلوا من لحمي .

تأكّد الطبيب بأنّ خطته قد نجحت ، وطلب من أهل المريض بأنْ يضعوا الأدوية التي وصفها له في طعامه ، ومع مرور الأيام شفي المريض ، وعرف نفسه بأنّه إنسان ، وليس حيوان !

أكثر البشر مصابون بهذا المرض :

ومن الملاحظ اليوم بأنّ هذا المرض قد أصاب أكثر الناس في هذه الأيام وإنْ كانت بأشكال متفاوته ، ولكن في النهاية ، فإنَّ كل أكثر الناس أصبحوا كالحيوانات ، همهم أنْ يلبوا رغباتهم وحاجاتهم المادية ، دون الإعتقاد بأيٍ شيء يتعلق بالآخرة وهم في مثل هذه الحالة لا يختلفون عن الأبقار ، إنَّ الأبقار والحمير تعيش حرة ، وتفعل ما تشاء ، تتجول الحمارة أينما تشاء ، فيأتي الحمار ويقع عليها ، ويحدث ما يحدث تماماً كبعض الشبان الذين نلاحظهم اليوم ، يقفون في الشوارع وعلى أبواب دور السينما ، وينادون بحرية الإنسان .

إنَّ هذا الإنسان لا يختلف عن الحمار هل الحمارة عندها حجاب ؟ هل هي تغطي رأسها وجسدها ؟ إنَّ النساء السافرات اللواتي نلاحظهن اليوم في الشوارع ، هل يختلفن عن الحيوانات ؟ نعم لقد دبَّ في الناس المرض النفسي الذي تحدثنا عنه (ماليخوليا) فنسوا أنفسهم ونسوا السبب الذي خلقوا من أجله .

لقد وصل الأمر إلى درجة يعتبرون فيها بأنَّ الراقصة التي ترقص أمام الرجال فنانة رائعة ! إنَّ القرد أيضاً يرقص فهل هذا هو الكمال ؟ وهل هذا هو الهدف الذي خلق من أجله الإنسان ؟ يا أيها الناس لماذا انحرفتم عن الخط الصحيح ؟ لماذا جعلتم مرض (الماليخوليا) يتسرب إلى أحشائكم ؟ يجب أنْ تجدوا علاجاً لهذا المرض الخطير الذي ابتليتم به ، وأنا سأكون طبيباً لأعالجكم .

نسـأل هؤلاء عن سبب ارتيـادهم لـدور السينـما ، ولـلمـلاهي والبـارات ؟ يقولـون بأنّهم لا يختلفـون عن الحيوانـات ، إنّهم يـريـدون أنْ يكونوا أحراراً ، يلهون ، ويفرحون كما يشاؤون ، يشـاهدون التلفـزيون ، ويخرجون للنزهة ، والملاهي و . . . نحن وفي جوابنـا لهم نقول بـأنّه معكم حق ، أنتم بحاجة إلى الترويح عن النفس ، وإلى تخصيص وقت تبتعـدون فيـه عن جدل الـزوجة والأولاد ، وغـيرهم و . . . وأنتم بحاجـة إلى نزهـة تنسيكم مشـاكل العمـل ، والشغـل ولكن التخفيف عن الـذات لا يكـون بارتيادكم الأمـاكن المحرمـة ، أنتم بشر ، ولستم حيوانـات ، أنتم مقيدون بقوانين الأدب والأخلاق .

إنَّ الإحساس بالفرح الذي تشعرون به عند ذهابكم إلى تلك الأماكن، هـو إحساس مؤقت ، ولكن في الحقيقـة فإنَّ هـذه الأماكن تجلب المشـاكـل والمآسي ، فالسينما مثلاً في ظـاهرهـا ، الأنس والفرح ولكنهـا تحرّك المشـاعر الجنسية بشكل سلبي ، فالمتزوج يكره زوجته لِأنّ المرأة التي رآها على شاشة السينما هي أكثر جمالاً من زوجته ، فيتّجـه تفكيره نحـو امرأة مشـابهة لتلك الممثلة ، وبالتالي فإنّ هذا الرجل سوف يقع في الفسـاد ، سوف يخسر دفء العـائلة التي ينتمي إليها ويـرتمي في أحضان نسـاء غير شريفـات ، النسـاء اللواتي تـركن بيوتهن من أجـل إرضاء أهـوائهن وشهواتهن حتى وصـل بهن الأمر إلى التخلّي عن كل القيم الروحية والخلقية .

كل ذلك كان نتيجة وسـائل الفسق والفسـاد الذي يسمـونها وسـائـل التسلية والفرح .

إرتكاب الجرائم نتيجة الأفلام المجرمة :

لقـد قرأت في الصحف قبـل عـدة أشهـر بـأنَّ ولـداً في العـاشرة من عمـره ، قتل أختـه الصغيرة البـالغـة من العمـر ثـلاث سنـوات ، بسكـين حادة . ترفع القضية إلى المحكمة التي تلاحق القصة ، وتستجوب الـولد ، وتبحث في الأمر وتصل إلى النتيجة وهي أنَّ الولد كان قد شاهد قبل ليلة ،

من على شاشة التلفزيون فيلماً عنيفاً فيه قتل ودم وسكين و . . . فولّد لدى هذا الطفل البريء رغبة العنف ، وتحركت فيه غريزة الشر ، فأمسك بالسكين وقتل أخته !

فيا أيّها الآباء اشتروا التلفزيون وبأسعار باهظة كي تربوا أولاداً مجرمين !! إنَّ القيام ، أو مشاهدة الأفلام التي تثير الإنسان ، وتحرك فيه الرغبات والغرائز ، لا تعتبر فرحاً ، أو ترويحاً عن النفس ، تريد أنْ تروّح عن نفسك يجب أنْ تبحث عن تسلية سليمة ، يقول القرآن الكريم : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ .

نعم ، نفرح بالنعم التي لا تعد ولا تحصى ، والتي أنعم الله تعالى بها علينا .

عندما نجلس إلى المائدة لنأكل نفرح ، عندما ننظر إلى النعم الموجودة على السفرة نفرح ، عندما ننظر إلى الخبز اللذيذ الشهي الذي ننعم بأكله ، نفرح . هل تعرف بأنّ هناك آلاف الأيدي التي ساهمت حتى أصبح العجين خبزاً ، ونحن أكلنا الخبز ؟

نعمة الحياة الزوجية :

عندما ترى زوجتك إفرح بها ، إفرح لوجودها معك ، إفرح لإنّك تقيم معها علاقة جنسية محلّلة ، إنّها زوجتك التي تحفظ لك دينك ، إنَّ الله تعالى جعل الزوجة شريكة تسكن وترتاح إليها ﴿ لتسكنوا إليها ﴾ ، وعلى النساء أيضاً أنْ يفرحن عندما يرين أزواجهن ، لِأنّ الزوج يعتبر سنداً كبيراً لزوجته ، يحفظ لها دينها وعفتها ، وكرامتها . إنّه شريك حياة يخرج المرأة من وحدتها ، وعلى النساء أنْ يعتنين بأزواجهن ، يخففن عنهم ، ويقفن معهم ، يتزيّن من أجلهم ، حيث إنَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) لعن كل امرأة لا تتزين ولا تتبرج من أجل زوجها .

يجب أنْ تعامل المرأة زوجها بطريقة ، كي لا يلتفت إلى امرأة غيرها ، يجب أنْ تعامله بحبّ وحنان ، يجب أنْ تهتم بشؤونه ، أنْ تتزيّن

وتتبرّج من أجله . وهناك أحاديث كثيرة حول فرح الزوج بزوجته ، وفرح الزوجة بزوجها .

والأولاد أيضاً هم نعمة من الله تعالى يخرجون الإنسان من وحدته ، ويملأون البيت فرحاً وسروراً ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾ .

إنَّ طريق الإنسانية تصبح سهلة السلوك إذا تقيّدنا بأوامر الله عز وجل ، وبأوامر رسوله المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلم) ووليّه بالحق علي بن أبي طالب (عليه السلام) عندما نصل إلى هدفنا ، نصل إلى السعادة الحقيقية لِأنّنا آمنّا بالله وأحسنّا الظن به ، وبرسوله ، وبأوليائه .

عندما تجلس إلى مائدة الإفطار لتفطر بعد ساعات طويلة من الجوع والعطش ، فترى البطيخ الأحمر البارد موضوعاً على المائدة ، إنَّ مقدار فرحتك في هذه الحالة لا تعدّ ولا تحصى ، عندها يجب أنْ ترفع صوتك عالياً ، وتشكر الله على نعمته ، يجب أنْ تدعو للفلاحين ، والمزارعين ، وغيرهم من الأيدي العاملة التي تعبت ، وعملت كثيراً ، حتى حصدت البطيخ ، كي نأكله نحن ، ونتلذذ بأكله ، يجب أنْ تدعو لكل هؤلاء بالخير والسعادة .

عندما يتعرض الإنسان لمشكلةٍ ما ، ينسى جميع النِعم الأخرى ، ويبدأ بالشكوى والتذمّر من الوضع السيّء الذي يعاني منه ، ويصبح من الظانين بالله ظنّ السوء ، فبدل أنْ يذكر آلاء الله ، يذكر ويتكلم دائماً عن مشكلته ، وعن المصيبة التي حلّت به ، وهذا لا يجوز أبداً ، لِأنّه يعتبر ظناً بالله .

تقول إحدى الروايات بأنّه قيل للإمام زين العابدين (عليه السلام) بأنّ قيمة الخبز قد ارتفع يجاوب (عليه السلام) : (ما عليَّ غلاّها !) إنَّ الله تعالى سوف ينعم علينا بالمزيد .

عندما كانت قيمة كيلو الطحين تبلغ قرشاً واحداً ، كان الله تعالى يعطينا قرشاً واحداً ، وعندما أصبحت عشرة قِروش ، أعطانا الله عشرة

قروش ، والآن مهما يبلغ قيمة كيلو الطحين ، فإنّ الله تعالى سوف يعطينا بالقدر الذي نلبّي فيه حاجاتنا .

إذن يجب أنْ تعالجوا أنفسكم من مرض (الماليخوليا) الذي تحدثنا عنه والعلاج هو في يدكم ، يجب أنْ تداووا أنفسكم بطب القرآن ، بطب الروحانية والإسلام ، وإلاّ فإني أصغر من أنْ أحملكم على معرفة الله ، وحسن الظن به وبالنظام الذي وضعه للكون وبخلقه وبأنفسكم ، أنتم يجب أنْ تتوصلوا إلى ذلك .

أسنان الكلب البيضاء والقوية :

تقول إحدى الروايات بأنّ الحواريين التقوا ذات يوم بكلب بشع ، مرعب ، مخيف فأبدوا اشمئزازهم وقرفهم من هذا الكلب . فقال لهم النبي عيسى (عليه السلام) : لماذا لا تنظروا إلى أسنانه ؟ إنَّ أسنان هذا الكلب جميلة وبيضاء تلمع كالثلج ، إنّها أسنان قوية تحطم العظام اليابسة ، وتجعلها مادة يأكل منها هذا الكلب .

يجب أن تشكر الله على كل شيء ، يجب أنْ لا تنظرِ فقط إلى النواحي السلبية ، لِأنّ النواحي الإيجابية أيضاً كثيرة وكثيرة جدا سواءً أكان في المظهر ، أم في الجوهر . عندما تنظر إلى شخصٍ ما ، ولا يعجبك شكله ، أو مظهره لا تحكم عليه بسرعة ، لا تقلِ فوراً بأنّه إنسان بشع ، لِأنّك لو تمعنت فيه أكثر لرأيت في كنهه جمالاً مخفياً غير ظاهرٍ للعيان .

إذا ارتكب أحد الأشخاص غلطة معينة ، لا تحكم عليه بأنّه إنسان سيّىء لِأنّه يمكن أنْ يكون قد قام بأعمال أخرى إيجابية .

فإذن إذا رأيت خطأً ما صدر عن أحد الأشخاصِ ، لا تتذمر ولا تقل : أنظر يا ربِّ ماذا خلقت ! صحيح أنّه ارتكب غلطةً ما ، ولكن من الممكن أنْ يكون قد قام بأعمال إيجابية أخرى ، وتكون منزلته عند الله أكبر من منزلتك أنت ﴿ **عسى أن يكونوا خيراً منهم** ﴾ .

لا تنظر إلى أحد نظرة مهينة ، حتى ولو كان كافراً ، أو نصرانياً ، أو

يهودياً . . . حاول أنْ تنهي عن المنكر . وتريه الحقيقة ، ولكن أنْ تعتبره بأنّه يمثل الشر المطلق فلا يجوز ذلك . أنت مثلاً تفترض بأنّك أفضل من صديقك لِأنّك تقرأ كل يوم زيارة عاشوراء ، بينما صديقك لا يقرأها ، صحيح أنّك تقوم بعمل كبير ، فيه أجر عظيم ، ولكنك غفلت عن العمل الذي يقوم به صديقك ، وهو أنّه يدفع المال للفقراء فأيهما أهم ؟

يمكن أنْ تكون منزلة الشخص الذي تعتبر نفسك أحسن منه ، أكبر عند الله تعالى . وهذا المعنى يبدو جلياً في العديد من الروايات .

الكافر السخي أفضل من المسلم البخيل :

جاء ثلاثة من المشركين إلى مكة المكرمة ، ووقفوا أمام الصنم الكبير ، وأقسموا بأنّهم سوف يقتلون رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فتركوا مكة المكرمة قاصدين المدينة المنورة ، من أجل قتل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) . أخبر جبرائيل (عليه السلام) الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بالأمر ، وأخبر الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بدوره المصلين في المسجد ، وسألهم عما إذا كان باستطاعة أحد منهم أنْ يتصدى لهؤلاء ، ولكنه (صلّى الله عليه وآله وسلم) لم يسمع جواباً من أحد ، فسأل (صلّى الله عليه وآله وسلم) عن الإمام علي (عليه السلام) ، قالوا له بأنّهُ مصاب بألم في عينه ، أمر (صلّى الله عليه وآله وسلم) بأنْ يرسلوا في طلب الإمام . أتى الإمام علي (عليه السلام) ، ولبس لامة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وحمل السيف ، واتّجه يفتش عن هؤلاء القتلة حتى وجدهم في أحد المنازل . عرَّف الإمام عن نفسه بأنّه علي بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) عندها تقدم واحد من هؤلاء الثلاثة ، والذي كان أكبرهم حجماً ، وأقواهم قدرة ، وقال : إنّنا أتينا كي نقتل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) والآن سوف نقتلك أنت ، لِأنّه لا فرق بينك وبين ابن عمّك ، نقتلك أنت كأننا قتلنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، قال هذا ، وتقدم نحو الإمام وضربه بسيفه ، ولكن

السيف انحرف ، ولم يصب الإمام بالأذى فجأة وكما جاء في آخر الرواية ، شعشع نور في المكان ، ووصل إلى أذن الإمام (عليه السلام) صوت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول له بأنْ يضرب ذلك الرجل في رقبته لِأنّه (صلّى الله عليه وآله وسلم) قد أزاح قبة اللامة عن رقبته . فضرب الإمام ذلك الرجل بالسيف على رقبته وطرحه على الأرض ، ثم ارتفع الصوت ثانية يقول : يا علي ، إضربه على فخذه ، ضربه الإمام على فخذه ، فانهارت قواه كلياً وفارق الحياة . عندها تأكّد الإثنان الآخران بأنّ هذا الرجل هو أسد الله الغالب ، إنّه علي ، أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقالوا له : يا علي نحن لا نضمر لك الشر ، لقد سمعنا بأنّ ابن عمك رحيم ، عطوف ، خذنا إليه ، فربط أمير المؤمنين يدي الرجلين ، وأخذهما معه إلى المدينة ، إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

روى الإمام علي (عليه السلام) كل ما جرى إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فتقدّم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلى واحد منهما وقال له : إبتعد عن الشر وأعلن إسلامك ، قل لا إله إلّا الله محمد رسول الله . أي إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) طلب من ذلك الرجل أن يصبح من أهل السلم وليس من أهل الحرب والقتل .

انظروا إلى الجهل الذي كان مسيطراً على العقول بقول الرجل : « يا محمد ، إنّ حمل الجبال على كتفي أسهل عندي من ترك الأصنام ، واعتناق الإسلام والنطق بكلمة لا إله إلّا الله » .

عندها أمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بأن يقتلوه لِأنّه مفسد ، وسيقف في طريق نشر الإسلام .

نظر الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلى الشخص الثاني وقال له : أنت ، هل تريد أنْ تدخل في الإسلام ؟ فكّر الرجل قليلاً ثم قال :

يا محمد ، ألحقني بصاحبي ، لِأنّي بعد صاحبي لا أحبّ أن أبقى في هذه الدنيا ! .

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : يا علي إنّه يريد الإلتحاق بصاحبه ، فما أنْ همّ الإمام (عليه السلام) كي يأخذ الرجل ويقتله ، حتى نزل جبرائيل (عليه السلام) وقال : يا محمد ، لا تقتله لِأنّ عنده صفتين يحبهما الله :

أولاهما : الجود والسخاء ، إنَّ الله تعالى يحبّ الكريم السخي أي أنْ يشعر كل إنسان بأنَّ ما لديه ليس لنفسه فقط ، بل عليه أنْ يساعد الآخرين أيضاً ، يفرح عندما يرى الآخرين يستفيدون من ماله ، يفرح عندما يرى الآخرين جالسين إلى مائدته .

يقول الوشا ، قال : سمعت الرضا (عليه السلام) يقول : « السخي قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس . والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس » .

ثانياً : حسن الخلق ، إنَّ الله عز وجل يحب الخلوقين ، يجب على الإنسان أنْ يتمتع بحسن الخلق في علاقاته مع الآخرين ، في علاقته بزوجته وأولاده ، في علاقاته بجيرانه وزملائه ، في علاقاته التجارية ، في بيعه وشرائه .

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي (عليه السلام) بأنْ يترك الرجل ، فما أنْ ترك الإمام (عليه السلام) الرجل حتى قال الرجل : ماذا حصل يا علي ؟ لماذا لم تقتلني ؟ قال (عليه السلام) بأنّه نزل وحي كي لا نقتلك ، سأل الرجل عن السبب ، قال (عليه السلام) بأنّ الله تعالى قال بأنّك تتمتع بصفتين ومن أجل هاتين الصفتين لن نقتلك ، أما الصفتان فهما : حسن الخلق والجود .

إندهش الرجل وقال : هذا صحيح ، إنَّ عالم الغيب والحق قال ذلك ، إنَّه يعرف بأنّي لم أحتفظ في حياتي بقرش واحد لنفسي ، لم أعتبر

نفسي مالكاً على أي شيء ، كنت أعتبر بأنَّ مالي هو للجميع ، إنَّ هذا يدل على أنَّ محمداً يتكلم كلاماً صحيحاً « أشهد أنْ لا إلـه إلاّ الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله » .

إنَّ هذا الرجل ، وبحسن خلقه ، وبكرمه ، وصل إلى الجنة ، فيا ويل لرجل يقوده سوء خلقه إلى النار !

إذن يجب أنْ لا ننظر إلى بعضنا البعض نظرة مهينة ، وأنْ لا نظن ببعضنا البعض سوء الظن **﴿ لا يسخر قوم من قوم ، عسى أنْ يكونوا خيراً منهم ﴾** .

رئيس شرطة دمشق شيعي :

يقول السيد الجزائري ، ـ أعلى الله مقامه ـ بأنّه سمع من عدة أشخاص من تجار العراق ، بأنَّ هؤلاء التجار وصلوا في رحلتهم التجارية إلى دمشق ، واستأجروا نزلاً ليناموا فيه ، وفي منتصف الليل يترك هؤلاء النزل من أجل الذهاب إلى الحمام والوضوء ، ومن ثم الذهاب إلى المسجد .

في الطريق يتعرض لهم أحد رجال الشرطة ، ويقودهم إلى دائرة الشرطة ، ينظر رئيس الشرطة إلى وجوه هؤلاء ، ويسألهم عن جنسيتهم ، يجاوبون بأنّهم من أهل العراق ، يرفع رئيس الشرطة صوته بالقول : إنهم رافضيون ، ويأمر بأنْ يأخذوهم إلى المنزل كي يتم إعدامهم في اليوم التالي .

إقتاد رجال الشرطة التجار إلى منزل رئيسهم ، وأمضى التجار الغرباء المساكين ليلتهم في خوف ورعب ، حتى جاء وقت صلاة الصبح ، فرأوا رئيس الشرطة يفرش سجادة الصلاة ، ويضع السجدة الكربلائية فوق السجادة ، ثم رأوه يتوضأ كالشيعة تماماً ، وعندما انتهى من الصلاة ، أخذ يقرأ القرآن والدعاء وتعقيبات الصلاة حتى طلع النهار .

وعندما جاء وقت الفطور أحضر رئيس الشرطة المائدة ودعا التجار كي يتناولوا الفطور معه . عندما جلسوا إلى المائدة قال لهم رئيس الشرطة بأنّه شيعي مثلهم ، وأنّه ينتمي إلى عائلة عريقة تملك الأملاك الكثيرة ، وأنّه لا يحتاج إلى الراتب الشهري الذي يأخذه بل يدفع من جيبه مبلغاً من المال كل سنة كي يبقى في منصبه ، كي يساعد الشيعة المظلومين الذين يقعون في فخ السنة ، لأنّ السنة يكرهون الشيعة كثيراً . ومن ثم طمأنهم بأنّه لا يضمر الشر لهم .

تناول التجار الفطور ، وتركوا منزل رئيس الشرطة مستغربين من هذا الأمر ، إنّ هذا الرجل يبدو في ظاهره رجلاً شريراً ، ولكنه في الحقيقة رجل صالح .

رسالة الإمام جعفر الصادق (ع) إلى أحد المقربين من المنصور :

جاء أحد الأشخاص إلى الإمام جعفرالصادق (عليه السلام) وقال له بأنّ عنده مشكلةً ما مع المنصور وطلب المساعدة من الإمام ، قال له (عليه السلام) بأنّه يعرف شخصاً في بلاط المنصور يستطيع أنْ يساعدك ، فاذهب إليه ، وقل له بأنّ جعفراً هو الذي أرسلني إليك .

ذهب الرجل في اليوم التالي إلى بلاط المنصور ، واهتدى إلى الشخص الذي كان الإمام قد دلّه عليه ، وكان ذلك الشخص رجلاً تبدو عليه علامات القوة والشجاعة ، وكان من المقربين إلى المنصور ، إقترب منه وهمس في أذنه قائلاً بأنّ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) هو الذي أرسله إليه وما أنْ ذكر إسم الإمام جعفر الصادق حتى تفتحت ملامح الرجل وقال بأنّهُ مستعد لأية خدمة ، فقال له بأنّ عنده مشكلة مع المنصور لأنّ بعض الأشخاص اتّهموه بارتكاب عملٍ ما ، قال له : لا تخف أنا سأحلّ لك مشكلتك .

فذهب فوراً إلى المنصور وطلب منه أنْ لا يتعرض لذلك الرجل ، وانحلّت المشكلة .

عاد الرجل إلى الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) فرحاً مسروراً ، وروى القصة كاملة إلى الإمام (عليه السلام) وقال للإمام (عليه السلام) بأنَّ هذا الرجل من المحبين والمخلصين له ، فمن الحرام أنْ يخدم عند المنصور .

أجاب (عليه السلام) بأنّه هو الذي قال لذلك الرجل أنْ يبقى هناك من أجل مساعدة المساكين .

تعالوا لنتوب عمّا مضى :

لقد أردت من كل ذلك أنْ أؤكد على ضرورة احترام الآخرين ، وعدم النظر إليهم بطريقة مهينة ، لِأنَّ الشخص الذي نحتقره يمكن أنْ يكون إنساناً خيِّراً ، يقوم بأعمال حسنة لا يعرفها غير الله تعالى ، فهو عند الله يمكن أنْ يكون أحسن منك ﴿ **عسى أنْ يكونوا خيراً منهم** ﴾ .

واليوم هو يوم الجمعة ، وقد مضى خمسة عشر يوماً من شهر رمضان المبارك ، تعالوا لنتوب عمّا مضى ، لنجعل هذا اليوم يوم التوبة والمغفرة ، لنطلب من الله تعالى أنْ يغفر لنا ، أنْ يغفر لنا كل ذنب ارتكبناه ، وكم هي كثيرة ذنوبنا ، إنّنا في بعض الأحيان ، وخلال الأربع والعشرين ساعة ، نتنفس عشرين ألف مرة ، ومع كل نفس من أنفاسنا نرتكب معصية ما ، كم أسأنا الظنّ بالله ، وبخلق الله ، وهذه تعتبر معصية كبيرة ، تعالوا لنتوب ، تعالوا لنتخلص من كل هذا .

يجب دائماً أنْ نرى الموت قريباً منّا ، يجب أنْ نتوب عمّا مضى ، ونعاهد الله تعالى على أنْ لا نعود إلى المعصية في المستقبل .

تعالوا لنضع سوء الظن جانباً ، ونصبح من عباد الله الخاضعين والراضين بقضائه .

أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم ، ذو الجلال والإكرام ، وأتوب إليه ، هذا شهر التوبة ، هذا شهر الإستغفار ، إنَّ لشهر رمضان المبارك أسماءً عدة منها شهر التوبة ، لذلك يقول رسول الله (صلّى الله

عليه وآله وسلم) حسب القول الذي نقله الصدوق بأنّ « من أدرك شهر رمضان ، ولم يغفر له ، لا غفر الله له » .

إنَّ الإنسان يجب أنْ يعمل كل ما بوسعه ليتوب في هذا الشهر المبارك ، ولتحظى توبته بالإستجابة عند الله تعالى ، لأِنّ الشخص الذي لا يغفر الله له في هذا الشهر ، من الصعب أنْ يغفر له فيما بعد . فلا تتركوا هذه الأيام المباركة تفوتكم . إنّ هذه الأيام تحمل معها الخير ، والرحمة ، والبركة ، وبالأخصّ يوم الجمعة ، بعد صلاة الظهر ، بعد صلاة الجماعة ، في النصف من شهر رمضان المبارك الذي يصادف ولادة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) فاستفيدوا من هذه الأيام على أحسن وجه ، وتوبوا إلى الله تعالى ، إقرأوا استغفار الإمام زين العابدين (عليه السلام) إذ يقول : « أستغفر الله ربي ، وأتوب إليه . اللهم إنّي أستغفرك من كبائر ذنوبي ، وصغائرها ، وظواهر سيئاتي وبواطنها ، وحوادث زلاتي وسوابقها » .

يا الله إغفر لنا كل ذنب أذنبناه ، أعلناه أو أسررناه ، إغفر لنا زلّات لساننا ، وحركات أبداننا ، ونظرات عيوننا التي خانتنا وأوقعتنا في المعاصي . إغفر لنا كل ذنب ارتكبناه ، أو ارتكبناه ونسيناه الآن سواءً أكان ذلك استهزاءً وجهناه إلى أحد ، أو إهانةً وتحقيراً عنينا بهما أحداً . يا الله ، إنّي استغفرك وأتوب إليك .

نظرة الإمام المجتبى (ع) للمخلوقات :

جاء في (كشف الغمة) بأنّه جلس ذات يوم الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) إلى السفرة ليتناول طعام الغداء ، فما أنْ وقعت عينا كلب ـ كان موجوداً في ذلك المكان ـ على الأكل ، حتى أسرع وجلس بالقرب من السفرة ، فكان الإمام (عليه السلام) يأكل لقمة ، ويعطي اللقمة الثانية للكلب .

إقترب أحد الأصحاب وقال للإمام (عليه السلام) إسمح لي يا

سيدي كي أطرد الكلب بعيداً ، قال (عليه السلام) : لا ، أتركه جالساً هنا ، فأنا أخجل من ربّ العالمين بأنْ آكل الطعام بينما هناك مخلوق من مخلوقات الله يجلس أمامي وينظر إليَّ ، دون أنْ يأكل . نعم صحيح إنَّه كلب ولكنه مخلوق من مخلوقات الله ، ويجب أنْ لا نحتقره أبداً .

مرة أخرى ، كان الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ماراً من مكانٍ ما ، فرأى مجموعة من الفقراء جالسين على الأرض ، يأكلون الخبز اليابس ، عندما وقعت عيناهم على الإمام (عليه السلام) دعوه كي يأكل معهم ، قَبِل الإمام (عليه السلام) الدعوة فوراً ، فنزل من على دابته ، وجلس على الأرض يأكل مع الفقراء الخبز اليابس ، وعندما انتهى من الأكل دعاهم إلى بيته .

نعم ، إيّاك أنْ تتكبر على الآخرين ، أو تعتبر نفسك أفضل منهم ، إيّاك أنْ تقول بأنّك متعلم وغيرك أميّ ، إنّك ثري والآخر فقير ، إنّك تنتمي إلى عائلة عريقة والآخر ينتمي إلى عائلة فقيرة ، إنَّ هذه المسائل لا تشكل مادة جوهرية تجعلك تتفوق على الآخرين ، لِأنّ أكرمكم عند الله أتقاكم . . و ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم ، هو أعلم بمن اتّقى** ﴾ .

«١٥»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ يا أيّها الـذين آمنوا ، لا يسخـر قوم من قـوم ، عسى أنْ يكونـوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء ، عسى أنْ يكنّ خيراً منهن ، ولا تلمـزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ .

ثابت ، يوجّه إهانة إلى أم أحد المسلمين :

حول نزول هـذه الآية الشريفـة ، جاء في كتب التفـاسير والـروايات بأنّ واحداً من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلم) ، ويدعى ثابت بن قيس ، وكان هذا الرجل يواظب عـلى صلاة الجـماعة بـاستمرار ، وكان يجلس دائماً بجانب النبي (صلّى الله عليـه وآله وسلم) ، كي يسمـع كـلام رسول الله (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) ، لِأنّ سمعه كـان ضعيفـاً جداً .

ذات يوم وصل إلى الجامع متأخراً ، وكـان المصلون قد أنهوا الـركعة الأولى من صلاتهم ، فوقف وراء المصلين ، وتابع معهم الصلاة ، وعندمـا أنهوا صلاتهم أدّى ثابت الـركعة التي فـاتته ، وبعـد الإنتهاء من صـلاته ، أخذ يمشي بين المصلين ، وكـانوا هم يفتحـون له الـطريق ، لِأنّهم يعرفـونه بأنّه لا يسمع جيداً ، ويـريد أنْ يجلس بجـانب النبي (صلّى الله عليـه وآله

وسلم) كي يسمع الخطبة . تقدم ثابت بين الناس ولم يبقَ أمامه سوى شخص واحد ، كي يصل إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، ولكن ذلك الرجل رفض أنْ يفسح له كي يجلس قيس بجانب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قائلاً له : لقد وصلت هيا إجلس هنا ، جلس ثابت في ذلك المكان بإكراه ، ولم يقل أي شيء لِأنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) كان يخطب من على المنبر . ما أنْ أنهى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) كلامه ، حتى سأل قيس ذلك الرجل عمّن يكون ؟ ذكر الرجل إسم أبيه ، وقال بأنّه إبنه ، فعرف ثابت بأنّ هذا الرجل هو ابن تلك المرأة التي كانت قبل الإسلام سيئة السمعة ، فقال له ثابت : إذن أنت إبن تلك المرأة التي كانت تقوم بأعمال شنيعة ؟! خجل الرجل كثيراً أمام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأمام الحاضرين !

إنَّ ثابت ارتكب غلطة كبيرة ، عندما تصرّف بهذا الشكل ، صحيح أنَّ الرجل لم يساعده في الوصول إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، ولكن هذا لا يعني بأنْ يهينه أمام الحاضرين . ويقال بأنَّ هذه الآية نزلت حول هذا الموضوع .

لماذا الحكم موجّه إلى أهل الإيمان :

إنَّ الله تعالى أطلق حكماً عاماً ، سيبقى مستمراً حتى يوم القيامة ، وعنى في حكمه هذا المؤمنين ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ ، أوّل الآية والحكم الذي قبلها ، وبعدها ، حول سوء الظن ، يتعلق بالذين آمنوا ، لِأنَّ المؤمن يجب أنْ يتقيّد بالأخلاق الإسلامية .

فمثلاً إذا قيل للكافر بأنْ لا يسخر من هذا الشخص ، أو من ذاك ، لِأنَّ ذلك حرام ، فهو لا يفهم شيئاً من كل هذا ، لِأنّه غير مؤمن ، وغير معترف بيوم الآخرة ، والقيامة ، وبالثواب والعقاب ، لذلك فهو لا يعرف بأنَّ جميع المؤمنين سواسية ، وليس هناك مسلم أفضل من مسلم ، وأنَّ الجميع خلقوا من تراب ، وسيعودون إلى التراب ، إنّهم لا يعتقدون بكل

هذا بل يستهزئون من كلام من هذا النوع .

إنَّ الكلام إذنْ موجّه لِأهل لا إله إلاّ الله محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، إنَّ الساعة آتية لا ريب فيها ، القيامة دار جزاء وثواب وعقاب إذن ﴿ **لا يسخر قوم من قوم** ﴾ ، ولا فرقة من فرقة ، ولا رجل من رجل ، ولا إمرأة من إمرأة ، وهذا لا يعني أنَّ الرجل يستطيع أنْ يستهزىء من الإمرأة ، أو المرأة تستطيع أنْ تستهزىء من الرجل .

عكرمة ، إبن أبو جهل : مسلم حقيقي :

إنَّ عكرمة ، إبن أبو جهل كان مسلماً حقيقياً يلتزم بأوامر الله عزّ وجل ، ولكن بعض الجهلة كانوا يستهزؤون منه على أساس أنّه إبن أبي جهل ، وهذا لا يجوز أبداً ، لِأنّ المسلم شرفه بإسلامه حتى ولو كان أباه أبو جهل ذلك الإنسان الملحد ، الزنديق ، الشقي ، والجهنمي . . .

وهناك دليل منطقي يبرهن أنَّ عملية السخرية والإستهزاء والتنابز بالألقاب تخالف حكم العقل . ماذا تعني السخرية ؟ السخرية : هي أن تحقّر غيرك وتكرم نفسك ، عندما تستهزىء من الآخرين هذا يعني أنّك تعتبر نفسك عالياً شامخاً والطرف الآخر حقيراً ذليلاً .

يمكن أن يكون الشخص الذي تستهزىء منه خيراً منك :

يقول الله عزّ وجل في كتابه المجيد : ﴿ **عسى أن يكونوا خيراً منهم** ﴾ ، فيا أيُّها الجاهل ، على أي أساس تعتبر نفسك أفضل من غيرك ، على أي أساس تكرّم نفسك وتحقّر الآخرين ، إذا كان تقييمك للأمور يقوم على أساس المظاهر المادية فهذا خطأ ، نعم خطأ في أن تعتبر نفسك أفضل من أخوك في الدين ، لِأنّك جميل وهو غير جميل ، لِأنّك ثري وهو فقير . . . . إذا كنت بهذه الطريقة فنحن نقول لك بأنّ تفكيرك باطل والأساس الذي تبني عليه اعتقاداتك هو أساس مهزوز مخالف للحقيقة لِأنّ الله عزّ وجل لا يفرّق بين شخص وآخر على أساس المظاهر والماديات ، إنَّ الله تعالى لا يحب شخص أكثر من الآخر إلاّ بمقدار ما فعله هذا الشخص

من خير وصلاح وما التزم به من تقوى وإيمان بالله .

يروى عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ما معناه بأنّ هناك العديد من الأشخاص الذين يعيشون في بيوت رملية ترابية ويلبسون الثياب البالية ولكنهم كرماء عند الله عزّ وجل . إذن يجب أن لا ننظر ألى أي شخص نظرة احتقار واستهزاء لِأنّه يمكن أن يكون هذا الشخص من عباد الله الصالحين .

إنَّ الشخص الذي نعتبره ذليلاً حقيراً يمكن أن يكون عزيزاً كريماً عند الله عزّ وجل حتى أنّك لا تستطيع أن تستند إلى الأعمال والعبادات الظاهرية التي تقوم بها كي تعتبر نفسك أحسن من غيرك . فأنت مثلاً تلتزم بالطهارة ولكن لا تهتم بالإبتعاد عن المحرمات ، والشخص الذي تعتبره أنت جاهلاً لا يعرف شيئاً عن المسائل الشرعية فإنّه يبتعد عن المحرمات ويتجنبها أكثر منك ، فمن منكما أفضل عند الله . . . ، أنت أم هو ؟ أنت تطهر يدك عشر مرات وهو يطهرها مرة واحدة ولكنه يقاوم العمل الحرام أكثر منك .

يقال بأنّ هناك كذبة يعتبرها الشخص بسيطة ولكن رائحتها الكريهة تصل إلى أعالي السماء والملائكة جميعهم يلعنونه ، يعتبر نفسه مقدساً ، يتحمم في الصباح ، يلبس الثياب النظيفة ، يتعطر بالرائحة الزكية ولكنه لا يعرف بأنّ هناك رائحة كريهة تفوح من المعصية التي ارتكبها ، رائحة كريهة تفوح من بخله ، من هذه الصفة السيئة التي تقود الإنسان إلى جهنم . إنّ الشخص الكريم الذي يطهر يده مرة واحدة هو أفضل من الشخص البخيل الذي يطهر يده عشرة مرات متظاهراً بالإيمان .

إيّاك أن تعتبر نفسك أحسن من غيرك لِأنّك بذلك تجسّد الجهل بعينه . إنَّ الشخص الذي تعتبره أنت جاهلاً لا يعرف شيئاً عن أمور دينه ، يمكن أن يكون محباً لِأهل البيت لدرجة تنجيه هذه المحبة من النار وتدخله الجنة ، أو إنّه يتمتع بصفة الكريم وحب الآخرين فيقف بجانب الفقراء والمساكين ويمدّ يد العون إليهم ويساعدهم في مختلف أمورهم

الحياتية ، فهذه الصفة أيضاً يمكن أن تدخله الجنة ، على عكس الشخص الذي يعتبر نفسه مصلحاً ولكنه يحب المال مثلاً لدرجة العبادة فتدخله هذه المحبة إلى النار .

سقي الكلب :

جاء في المجلد الرابع من بحار الأنوار للعلّامة المجلسي بأنّ امرأة كانت تقوم بأعمال غير مقبولة ، ذات يوم وخلال سفرة كانت تقوم بها تلك المرأة إلتقت بكلب عطشان واقف أمام بئر من الماء ولا يستطيع أن يشرب منها لِأنّ الماء موجود في أسفل البئر ، وكان الكلب يمدّ لسانه من شدة العطش ، حزنت المرأة لوضع الكلب وقرّرت أن تساعده في الحصول على الماء . فأخذت تنظر إلى البئر وتفكّر بكيفية خروج الماء منه ، وبما أنّها لم تكن تحمل شيئاً يساعدها على ذلك ، أخذت تقصّ شعرها وتربط أطرافها ببعضها البعض حتى أصبح على شكل حبلة طويلة ثمّ ربطت طرف الشعر بحذائها ورمت الحذاء في البئر وأحضرت الماء للكلب ، ولم تتابع سيرها إلّا بعد أن تأكدت بأنّ الكلب قد ارتوى تماماً .

إنّ عملِ المرأة هذا أي رحمتها على الكلب ، جعل الله تعالى يغفر لها ذنوبها . إذن إنّ الشخص الذي تعتبره أنت من أهل جهنم يمكن أن يكون قد فعل أفعالاً خيّرة تشفع له عند الله تعالى ، فيهتدي ويوفق بالتوبة ويمكن للشخص الذي يعتبر نفسه مؤمناً صالحاً أن يصاب لا سمح الله بالغرور فينحرف عن الصراط ويبتعد عن الله تعالى .

وهناك قصص كثيرة حول تغيير وضع الإنسان من سيّىء إلى أحسن أو من حسن إلى سيّىء . وإذا أردنا أن نروي تلك القصص سندخل في تفاصيل أخرى ، ولكن سأروي لكم قصة عجيبة نقلها الدميري في كتاب « حياة الحيوان » وهذه القصة تسلط الضوء على الخطر المحدق بالإنسان .

شبان من النصارى يهتدون ببركة القرآن :

حسبما أتذكّر من القصة بأنّه كان هناك شخصين مسيحيين اعتنقا الإسلام ، وذات يوم وأثناء وجودهما في إحدى المدن الإسلامية التي تدعى « طليطة » وهي من مدن المراكش ، سألوهما عن سبب اعتناقهما الإسلام وانصرافهما في تحصيل العلوم الدينية ، قالا : بأنّهما كانا منذ عدة سنوات في إحدى السجون العراقية وهناك التقيا برجل عراقي مسلم كان يقرأ القرآن كل يوم وبما أنّنا كنّا مسيحيين لم نكن نفهم جميع الألفاظ والمعاني القرآنية حتى تعلمناها من ذلك الرجل المسلم وأصبحنا نفهم المعاني والألفاظ القرآنية . ذات يوم سمعنا الرجل يقرأ هذه الآية الشريفة : ﴿ **واسألوا الله من فضله** ﴾ ، ثمّ قرأ هذه الآية : ﴿ **أدعوني أستجب لكم** ﴾ ، هذه الآيات هي من كلام الله المجيد ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **إذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب** ﴾ ، إذا كنت تريد شيئاً من الله عزّ وجل نادِهِ بنفسك ، قل يا الله ، ليس من الضروري أن تذهب إلى الجامع أو تستغيث بالعالم والسيد لِأنّ الله ليس بعيداً عنك ، فاطلب حاجتك بنفسك ، أطلبها بلسانك لِأنّه سبحانه وتعالى يقول بأنّ اللسان هو أفضل طريقة للتعبير عن الدعاء .

عندما سمعنا هذه الآيات التفتُّ إلى صديقي وقلت له : أسمع ادّعاءات نبي الإسلام ! ذلك لِأنّ الدين المسيحي دين بروتوكولي لا يؤمن بوجود رابط بين الإنسان وربّه ، والمذنب يجب أن يأتي إلى رجل الدين أي الخوري ويطلب المغفرة منه (في حين أن الخوري نفسه لا يعرف طريقه إلى الله) . وعملية المغفرة هذه تتمّ في الكنيسة وفقاً لخطوات يجب اجتيازها .

لقد أخبرني أحد الأصدقاء بأنّه ذهب إلى إحدى الكنائس الكبيرة في مدينة باريس ليشاهد ما يجري هناك . يروي الصديق بأنّ قسم مغفرة الذنوب كان قسماً كبيراً يستحق المشاهدة فعلاً ، فهذا القسم موزع بدوره إلى عدة أقسام ، في القسم الأول منه يجلس المذنبون بخشوع وخضوع ويكتبون ذنوبهم على ورقة ويقدموها إلى هذا القسم ، ثمّ يذهبون إلى

القسم الثاني من أجل الحصول على الجواب فيقال لهم بـأنّه يتـوجب عليهم دفع مبلغ من المال من أجل الحصول عـلى المغفرة ، فيـدفع المـذنب المبلغ المطلوب منه ويأخذ ورقة الدفـع ثم يذهب إلى القسم الثـالث ويحصل عـلى ورقة العفو والمغفرة .

قال الرجلان المسيحيّان بأنّها عندما سمعا تلك الآيات القرآنيـة التي يخبر الله بها الناس عن طريق رسوله محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) بأنّه قـريب يجيب دعوة الـداعي إذا دعاه بـدون واسطة من أحـد ، فـإنّها ـ أي الـرجلان المسيحيـان ـ وقعا في حـيرة وتساؤل ، هـل أنّ محمـد (صـلّى الله عليـه وآله وسلم) يقـول الحقيقة : هـل أنّ مطلق أحـد يستـطيـع أن يقيم علاقة مباشرة مع الله عـزّ وجل ، بقينـا في حال التعجّب هـذه حتى انتابنـا ذات يـوم حالـة من العطش الشـديد في السجن الـذي انقطع المـاء فيـه ، فأخذنا نصرخ ونستغيث ولكن لم نحصل على مساعدة أحد ، وكـدنا نمـوت من شدة العطش ، فجأةً تذكرنا الآيات القرآنيـة وقلنا يـا الله إذا كنت أنت صـاحب الآيـة : ﴿ واسـألـوا الله من فضله ﴾، وإذا كـان محمـد صـادقـاً ﴿ أدعوني أستجب لكم ﴾ ، نجّنا من العطش الذي يكاد يقتلنا ، وما هي إلاّ ثـوان معدودة حتى أخـذ المـاء يتـدفق من جـدار السجن وأخـذنـا نحن نشرب منه حتى ارتوينا ، وفي تلك اللحظة قرّرنا أن نعتنق الإسلام ، وبعد خروجنا من السجن إنصرفنا إلى معرفة الآيات القرآنية .

المسلم الذي أضلّ :

أمّا ذلك الرجل المسلم الذي كان يقرأ القرآن وكان قد علّم الرجلين اللغة العربية . عندما رأى الماء يخرج من الجدار ، وضع القرآن جانباً وقال لهـما : بأنّـه يبدو بـأنّ دينكما هـو الـدين الحقيقي حتى حصـل معكـما هـذه المعجزة ، ثم وقع على رجليهما وقال بأنّه يريد أن يعتنق دينهما . جاوبوه بأنّه ببركة الله وبركة القرآن حصلت معهما هـذه المعجزة ، ولكنـه لم يقتنع بهـذا الكلام معتبراً بأنّهما يريدان أن يحرمانه من هذا الدين ، مصراً على أنّه يريـد

أن يصبح مسيحياً ومنذ ذلك اليوم إعتنق الدين المسيحي ، وكل ذلك لأنّـه فكّر بطريقة خيالية وهمية .

إنَّ الرجلين اللذين أسلما يدعوان إلى الله تعالى بحقّ القرآن وبحرمـة محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) أن يهديهما أكثر فيرون في منامهم شخص يقول لهم بأن يذهبا إلى سورية ليتعـرفا عـلى علماء الإسلام ويتعلما التعـاليم الإسلامية منهم وهذين الرجلين أصبحا فيما بعـد من عباد الله الصـالحين . نعم ، إنَّ الإنسان لا يعرف عـاقبته ومـا يخبئه لـه الدهـر ، المسيحي يصبح مسلماً بينما المسلم يصبح مسيحياً .

نقل لي أحد الأصدقاء بأنّه يعرف رجلاً كان يداوم على صلاة الجماعة وكان قد ذهب إلى حـجّ بيت الله الحرام في السنـين التي كان يصعـب فيـها الذهاب إلى الحج وكان هذا الرجل ملماً بالمسائل الشرعيـة ويتكلم في بعض الأحيان مع الناس حول تلك المسـائل . بعـد عدة سنـوات ذهبت إلى بيت ذلك الرجل الحاج فرأيت العمال عنده يرتبون الحديقة ويزرعـونها ، أمّا هـو فقـد كان واقفـاً بجهة القبلة يبـوّل ، ذهلت من رؤية هـذا المشهد وعنـدما سـألته عن فعلتـه هذه قـال : (بيعها يـا عمي) ، لقـد قضيت عمـري في المسـاجد أعـاشر الشحاذين وذهبت إلى الحـج وصرفت أمـوالي عنـد هؤلاء العرب ، عندها عرفت أنّه أضلَّ عن الطريق الصحيح .

اللهم اجعل عواقب أمورنا خيراً :

كـان طلبة العلم والعلماء الـذين كانـوا يريـدون أن يتشرفوا بـزيـارة الأئمة المعصومين (عليه السلام) كانـوا يأتـون إلى العلاّمـة حجّة الإسـلام والمسلمين الشيرازي ـ رضوان الله عليه ـ ، كي يـودعونـه ، كان يقـول لهم بأنّ يدعوا إلى الله كي يجعل عـواقب أمورنـا خيراً . نعم إننـا لا نعرف شيئـاً عن مستقبلنا ، عن غدنا ، حتى عن الساعـة التي تلي . ننـظر إلى أنفسنا فنـرى بـأنّنا مؤمنـين ملتزمين بـأوامر الله عـزّ وجل ولكن لا نعـرف كيف سيكـون وضعنـا بعد سنـة ، من الممكن أن تخـوننـا أنفسنـا ، فنـترك الـدين ونـترك المساجد ونترك قراءة القرآن .

﴿ عسى أن يكونوا خيراً منهم ﴾ أنت الذي تستهزىء من غيرك هل تعرف بأنّه يمكن أن يكون أحسن منك .

نستجير بالله من سوء العاقبة . ﴿ عسى أَنْ يكونـوا خيراً منهم ﴾ ، أي يـا من تسخر من أحـد الناس ، مـا يدريـك ربما كـان ذلـك الشخص أفضل منك ، وأنت لا تعرف قدره . ما يدريـك ربما كـان من أولياء الله . ويل لمن يسخر من ولي الله ، « أوليائي تحت قبائي ، لا يعـرفهم غيري » . لا أحد غير الله عز وجل يعرف ولي الله . وليس هناك ثمة موازين تدل على الشخص المقرب عند الله . ولا أحد يستطيع التعرف إليه إلا إذا عرفـه الله عز وجل بنفسه .

ثلاثة قد أخفيت في ثلاثة :

لقد أخفى الله عز وجل ثلاثة أشياء في ثلاثة أخرى :(1)

أولاً : لقـد أخفى وليه في خلقـه ، كي لا يبـادر أحـد النـاس غـيره بالإهانة ، ولا ينظر إلى الآخر بنظرات التحقير ، وذلك خوفاً من أنْ يكـون الـطرف الآخر أحـد أولياء الله . لقـد أخفى سبحانـه وليّه من أجـل حفظ كرامة هذا الإنسان .

ثانياً : لقد أخفى سخطه في معصيته ، بعض الذنوب هي من النوع الـذي يستـوجب سخط الله . وقـد ورد في كتـاب (أصـول الكـافي) أن النداء ، يصل قـائلاً « لا أغفـر لـك بعـدها أبـداً » . يـا من إرتكبت هذه المعصية ، لم تعدّ من الذين تنالهم المغفـرة . ويقول المـرحوم (المجلسي) في شرح هذا الحديث ، أي أنّك لا توفق إلى طلب التوبة بعـد إرتكـابك لهذه المعصية ، وليس بمعنى أنك تتـوب إلى الله ومع ذلـك لا تنال المغفـرة ، بل أنك لا توفق إلى طلب التوبة من الأساس . والآن ، ما هي هذه المعصية ؟

---

(1) « إنَّ الله أخفى ثلاثة في ثلاثة : أخفى وليّه في خلقه ، وأخفى سخطه في معصيته ، وأخفى رضاه في طاعته » .

لم يصرّح أي من الأئمة بذلـك ، ولا يعرف غـيرهم شيئاً عنهـا . إنها مخفية تماماً . إعلموا فقط أن من بين كافة المعاصي ، هناك ثمة معاصٍ إذا بدرت من أحد الأشخاص ، فإنّ هلاكه حتمي ، وسوء عاقبته أمـر مفروغ منـه . فعندها لن تشمله رحمة الله عز وجل .

أمـا بالنسبـة لتحديـد هويـة هـذه المعصيـة ، فـلا يمكنني أنْ أُضيف شيئاً . كما أَنَّ الأئمة لم يصرحوا عن هذه الهويـة ، لماذا؟ لكي يخـاف الخلق من جميع المعاصي والمحرمات ، وكي لا يدنو أحـدهم من إحداهـا ، مخافـة أنْ تكـون المعصية نفسهـا التي تستوجـب غضب الله وسخـطه ، فـلا ينـال بعدها سبل النجاة أبداً .

ثـالثـاً : إنَّ هنـاك بـين مجمـل أنـواع العبـادات ، ثمـة عبـادات إذا بدرت من أحد الأشخاص ، فهـو حتماً من أهل النجاة والدرجات العـلى . أما بالنسبة لتحديد ماهية هذه الـطاعة ، فلم يـذكر شيئـاً عنها . لا نعـرف شيئـاً عنهـا أبـداً ولا ينبغي أنْ نعـرف شيئـاً . إنها من الأمـور المخفيـة التي أسدل الستار عليها .

وبشكـل عام ، فـإنَّ ولي الله هـو فـرد مخفي ، لا يستـطيـع أحـد التعرف إليه ، لماذا ؟ لكي يقول في نفسه عندما يلتقي بأحـد الناس : ربمـا كان من أولياء الله . ومن نـافل القـول أنه لا يحق لأحـدنا أنْ يحتمـل بأنّـه واحد من أولياء الله عـز وجل . نسـأل الله ألاّ نكون من أوليـاء الشيطان ، قبل أنْ نفكر بأنْ نصبح من أولياء الرحمن . ولكن يجب أنْ يحتمـل ذلك في الآخرين . أنْ يحتمل وجود الرضا والتسليم لمشيئة الله عنـد الآخر ، وتـوفر الرضى لديه عن ربه ، وبالتالي أنْ يكون هذا الشخص أفضل منه . ﴿ **ولا نسـاء من نساء** ﴾ . أيتهـا النسوة ، لا يحق لكنَّ أنْ تنـظرنَ إلى غيرِكُن من النساء بنظرات التحقير أو أَنْ تسخرن منهنّ . ما يدريكُنَّ فربما نـالت بعض النسوة اللواتي إرتكبنَ معصيةٍ ما ، نصيباً من التوبة . وربمـا كُنَّ قد أقـدَمْنَ على خيرات جعلتهن ينلن رحمة من الله ومغفرة . ما يدرينا ؟ هذا بالإضافة إلى أنَّ ذلك لا يتنافى مع مسألة النهي عن المنكر . إذا رأيت امرأة سافـرة ،

تخرج إلى الحي والشارع من دون ستر أو حجاب ، إنهيها عن ذلك ، ولكن من دون إستهزاء . لا تعتبري نفسك أعلى منها درجة. فربما إهتدت هذه المرأة التي تنظرين إليها هكذا ، بالشاكلة التي هي عليها الآن ، بإذن الله إلى التوبة ، وأصبحت أفضل بكثير من بعض النساء العجائز اللواتي يخجلن من كشف شعرهن الأبيض أمام أحد من الناس . فهذه الحسناء التي كانت سافرة ، إذا تابت إلى الله ، سترت شعرها وجسمها ، وأخفت ساقيها ومفاتنها ، أتدرون كم هي أفضل عند الله سبحانه وتعالى من تلك العجوز ؟ فهذه المرأة العجوز نفسها التي كانت تسخر منها ، سوف تقف غداً في يوم الحساب والقيامة وراء ظهرها .

أولئك الذين يفوقون الناس حسرة :

هناك ثلاثة فرق تفوق جميع الناس حسرة في يوم الحشر .

الأولى : وهي تتألف من العلماء والوعاظ الذين يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، بينما لا يطبقون الكلام الذي يصدر عنهم . فأنت ترى أن تلك السيدة الوقورة تلح بنصحها إلى إحدى النساء كي تلتزم بالحجاب ، وتطيل عليها بالإرشادات ، حتى إقتنعت هذه الأخيرة بكلامها وأصبحت محجبة . . ولكن ما بال تلك السيدة (الوقورة) لا تراعي شروط التستر والحجاب أمام الأجانب ؟ غداً في يوم الحساب ، سوف تحترق في السعير ، بينما تتنعم المرأة الأخرى التي عملت بنصيحتها ، بالسعادة والهناء . إنَّ أشدّ ألوان العذاب والحريق هي من نصيب العالم الذي إستفاد الآخرون من علمه ، وإلتزموا بهذا العلم ونجوا من خلاله ، بينما أودى الناصح المسكين بنفسه إلى جهنم ، بسبب عدم إلتزامه بالكلام الصادر عنه .

الثانية : وهي تختص بالثري الذي لم يفِ بالواجبات المطلوبة منه تجاه أمواله وهو على قيد الحياة ، بل إهتم فقط بتكديس المبالغ فوق بعضها البعض . ثم مات فإنتقلت ملكية ثروته إلى وارثه الذي عمل على صرفها في

طريق الخيرات . وغداً في يوم الحساب ، تقع عين ذلك الثري على وارثه . يراه يتنعم في جنان الخلد لحسن تصرفه بالمال ، ولكن أموال من ؟ أموال والده التعس . الأب يصلى نار السعير ، الألم يعتصر قلبه ، والحسرة تنهش صدره .

لقد جعل من هذا المال وقوداً للنار التي أحرقته . أما الوارث النبيه ، فأي سعادة قد كتبت له عن طريق الثروة نفسها .

الثالثة : وهي تشمل المولى تجاه العبد ، السيدة تجاه الخادمة ، والسيد تجاه الخادم . أيها السيدات والسادة ، إتّقوا الله في الخدم والحشم . يا أرباب العمل ، إتّقوا الله في العمال ، الأجراء والصبيان الذين يعملون بإمرتكم . غداً في يوم الحساب ، قد يكون المأمور من أصحاب الجنة والآمر من أصحاب السعير ، السعير الذي لا يتسع المجال الآن لذكر أهواله . أيها السيد ، إنَّ خادمك الذي ترمقه بنظرات التحقير في هذه الدنيا ، سوف ترى غداً الدرجات السنية التي كتبت له ، كما سترى نفسك التعيسة في أي درك تقبع . ترى كم يحترق ويتألم ، كم يتحسر على ما فات . هذه الفرق الثلاثة التي حدثتكم عنها وشرحت لكم صفاتها ، تفوق الجميع بحسرتها القاتلة . إذن إيّاك أنْ تنظر نظرة إزدراء وتحقير إلى خادمك ، مأمورك ، أجيرك ، صبيك ، عاملك ، أو كل من كان أدنى رتبة وشأناً منك ، فربما كان أفضل منك ﴿ **عسى أنْ يكونوا خيراً منهم** ﴾[1] .

العظمة التي نُشِرَتْ عن طريق الخضوع والخشوع :

من المناسب أنْ أورد هنا رواية أخرى ، نقل الأستاذ سيد بن طاووس ـ عليه الرحمة ـ ، الرجل العظيم والعالم الإسلامي الجليل ، في كتاب يحمل إسم (مجموعة ورام) ، نقل أنَّ نبياً من أنبياء السلف قد سأل الله عز وجل أنْ يعرّفه إلى ولي من أوليائه ، أو على حدّ رواية أخرى أنْ

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١١ .

يعرِّفه إلى جليسه ورفيقه في الدار الآخرة . عندها أوحي إليه أنْ يقصد الإسكافي فلان . وهكذ دُلَّ على إسكافي معين على أساس أنَّه من أولياء الله . فما كان من ذلك النبي إلاّ أنْ قصد العنوان الذي أعطي له حيث إستدل على الشخص المطلوب . جلس إلى جواره في الدكان . أراد أنْ يتبيّن الخصوصية المميزة التي أهَّلته ليكون من أولياء الله . تجادب معه أطراف الحديث . سأله عن أعماله ومشاغله ، فتبيّن له أَنَّ الرجل لا يتمتع بعلمٍ وافر ، ولا بمعرفة جمّة ولا بعبادة فريدة . وبالرغم من إمعانه الشديد في شخصية الإسكافي ، لم يكتشف فيه خصلة غير إعتيادية ، إلى أنْ صارحه في نهاية الأمر بما مضمونه : يا صديقي ، أُريد أنْ أعلم ماذا يوجد في داخلك ؟ فأجابه قائلاً : سيدي ، أما لا أملك شيئاً . . . لا أفقه شيئاً ، ولا أقوم بعمل مميز . . . كما تراني أمامك ، فقال له النبي ما معناه : هذا غير ممكن ، لا بدّ أنّك تتمتع بخصلة حميدة . يجب أَنْ تحدثني عنها . قل لي الحقيقة ، ماذا يوجد في ذاتك ؟ بعد هذا الإلحاح قال : أنا لا أتمتع بفضل ولا معرفة . جُلُّ ما في الأمر هو أنّي « ما رأيت أحداً إلا وظننت أنّه خير مني » . أي أنّني ما رأيت أحداً إلا وظننت أنَّ كرامته عند الله هي أوفر من كرامتي . فقال له ما معناه : وهذا ما رفع بك إلى الدرجات العلى .

أنظر إلى هذا التواضع والخشوع والخضوع الكبير أمام الحق . أن يرى الإنسان نفسه حقيراً فقيراً ذليلاً عند ربّ العالمين . ولأنَّ الله عزّ وجل قد عَظُمَ في عينه ، فلا يقيم لنفسه وزناً أبداً . وكلما إلتقى بشخصٍ ما ، قال في نفسه : ربما كان أفضل مني ، ربما كان في معرض العناية الإلّهية . ولا يرى نفسه جديرة بأن تُشْمَلَ بتلك العناية . إنَّ من لا يحسب نفسه جديراً ومستحقاً للعناية ، هو الذي يستطيع الإنتساب إلى صفوف أولياء الله .

عندما أتى جبرائيل ليبشروا إبراهيم (عليه السلام) بنيله لمرتبة الخلة ، تعجب إبراهيم . . . أين أنا من مقام الخلة ؟! لم يكن إبراهيم

ليصدق بأنّه قد بلغ مستوى يؤهلّه كي يكون خليلاً للرحمن . قال له : بلى . بعد سماعه لتأكيد جبرائيل إذا قال له : بلى ، أنت خليل الرحمٰن ، أجاب إبراهيم بما معناه : أعمالي لا تكاد تذكر ، ترى ما الذي جعل ربي يتخذني خليلا لنفسه ؟! أجابه عندها جبرائيل بما مضمونه[١] : يا إبراهيم ، لقد أحب الله خصلتين تتمتع بهما . لذا فقد إتخذك خليلاً لنفسه (ولو أنهما توفرتا في شخصٍ ما ، فلا بدّ أنْ تتعطر أنفاسه بأريج المحبة الإلٰهية . مرتبة خليل الرحمٰن تختص بهاتين الخصلتين) :

أولاً : لم تطلب شيئاً من غير الله تعالى . مددت يد المسكنة والإستعطاء على عتبة بيته عزّ وجل فقط . لم تطلب حاجتك من المخلوق ، ولم تسأله شيئاً .

ثانياً : أنَّك لم ترد سائلاً عن بابك أبداً . لم تحرم أي إنسان مدَّ إليك يد الحاجة والمسألة .

إلهي ، لقد عرفنا أنَّك تحب منّا ألا نحرم أو نرد سائلاً عن بابنا . ونحن بدورنا قد مددنا يد التسول والإستعطاء على عتبة دارك ، فلا تحرمنا يا كريم .

يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعاء أبي حمزة الثمالي ما معناه : لقد أمرتنا يا إلهي ألاّ نرد السائل عن أبوبا بيوتنا . وكما ترى الآن ، لقد أتينا نحن المتسولون إلى باب بيتك . وأنت أحق بألا تردنا عن أعتابك محرومين خائبين[٢] . وحاجتنا هي ألاّ تدع ذنباً إلا ومسحته بممحاة العفو والرحمة بك يا الله ، إلهي العفو .

---

(١) لأنّك لا تسأل غيره ، ولم ترد سائلاً عن بابك .

(٢) « وأمرتنا أنْ لا نرد سائلاً عن أبوابنا . وقد جئتك سائلاً ، فلا تردني عن بابك . . »

(من دعاء أبي حمزة الثمالي)

«١٦»

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيُّها الذي آمنوا لا يسخر قوم من قـوم عسى أنْ يكونـوا خيـراً منهم . ولا نساء من نساء عسى أنْ يكنَّ خيـراً منهنَّ . ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنـابزوا بـالألقاب . بئس الإسم الفسـوق بعـد الإيمـان. ومن لم يتبْ فأولئك هم الظالمون ﴾ . ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إجتنبوا كثيراً من الـظن إنَّ بعض الظنّ إثم ولا تجسسوا ﴾ .

عندما يسخر أحدنا من الآخر لقصر قامته وطول لباسه :

خـلاصة البحث في هـذه الآية الشريفـة تدلنـا على أحكـام ثلاثـة . لقـد أوضـح الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ثلاثة أحكام حيث حرم علينا أن نقدم على التصرفات التالية :

أولاً : ﴿ لا يسخـر قوم من قـوم ﴾ : أي إنَّ يحـرم عـلى المسلم أَنْ يعمـل على تحقـير مسلم آخر ، وأَنْ ينـظر إليـه بنـظرات ملؤهـا التحقـير ، والخفة والهوان . أو أن يطلق كلمة من فمـه ، أو إشارة من لسـانه ، تبعث على الإستهزاء به ، وتضعه في موضع التعرض للضحك والسخرية . ومثال ذلـك عندمـا يشير أحـدنا بـإصبعه إلى شخص معـين كي يلفت الأنظار إلى قامته ، وكأنه يقول : كم هو قصير القامـة . ننقل هنـا ما ذكـر عن عائشـة وحفصة من أنهما كانتا تشيران إلى أم سلمـة للدلالة عـلى قصر قامتهـا . أيّ

أنهما كانتا تسخران منها بسبب قصر قامتها . مثال آخر على ذلك . يروى أنَّ أم سلمة لبست ذات يوم ثوباً طويلاً بحيث أنَّ أطرافه كانت متدلية على الأرض خلفها بينما كانت تمشي . فما كان من عائشة وحفصة إلا أن علقتا على ذلك بقولهما ما مضمونه : أنظري إليها ، لقد تدلّى الثوب من وراء ظهرها على الأرض كما يتدلى لسان الكلب من فمه إلى الخارج .

والإستهزاء والتمسخر محرمان ، سواءً نُفِّذا بواسطة اللسان أو اليد أو الغمزة المغرضة . ما يدريك ، فربما كان ذلك الشخص الذي تناوله بالسخرية ، أفضل درجة منك عند الله تعالى . فالأوهام التي تسيطر على رأسك ليست هي الموازين الصحيحة ، إستناداً إلى الشرح الذي مَرَّ معنا .

نبش عيوب الآخرين ، وهو الوجه الآخر لنبش عيوب الذات :

ثانياً : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ . اللمز بمعنى العيب . أي لا تنبشوا عيوبكم . المعنى دقيق للغاية هنا ، كونه إستعمل عز وجل عبارة (أنفسكم) ولم يستعمل عبارة (لا تلمزوا غيركم ، لا تلمزوا مسلماً ، لا تلمزوا قوماً) . يقول عزّ وجل : **﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾** : أي لا تنبشوا عيوب أنفسكم . وهذا يعني أنَّه إذا عملتَ على نبش عيوب أحد المسلمين ، فإنَّك قد نبشت معايب نفسك في الواقع . حسب الظاهر ، فقد عرَّفت عن الآخر بطريقة تعيبه . ولكن في الحقيقة ، لقد أصبحت أنت إنساناً تشوبه العيوب ، لماذا ؟ هذه المسألة دقيقة للغاية . لقد تدبّر أهل العقل ، القرآن ، الفصاحة والبلاغة اللتين يزخر بهما ، وشرحوا الحقائق الدقيقة التي تكتنزها آياته الشريفة ، (كلام الملوك ، ملوك الكلام) . إنَّه كلام ربِّ العالمين . . . إنّه كلام عظيم . ومن هنا قوله ما يفيد بأنَّه إذا نبش أحد الناس عيوب الآخر ، فلقد نبش عيوب نفسه في الواقع . فعندما يقول أحدنا في وصف شخص ما : (إنَّه بخيل وعديم الحياء) ، يجيبه القرآن الكريم ، لقد نبشت عيوب نفسك . لذا يجب أنْ نمتنع عن نبش عيوب أنفسنا . هناك ثلاثة وجوه لهذا المعنى ، سوف نفصلها تباعاً .

الكل ينتهون إلى شخص واحد ، إذن فهم وحدة متصلة :

الوجه الأول لعبارة ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ ، يشير إلى أَنَّ الجميع متحدون مع بعضهم البعض . والدهم واحد وهو محمد المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلم) . « إنّما المؤمنون أخوة » . أي إنَّ هناك نوعاً من الترابط والإتحاد بين أرواح جميع المؤمنين . فمن الناحية الروحية ، أبواهم هما محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) . أما من الناحية الجسدية ، فلديهم أب واحد وهو آدم (عليه السلام) ، وأم واحدة وهي حواء . إذن من الوجهة الروحية ، فإن للمؤمنين والداً واحداً وهو (محمد وعلي)[1] ، ذلك أنهما نفس واحدة (صلّى الله عليهما وآلهما) . وعليه ، فإنَّ عمل شخصٍ ما على نبش عيوب غيره ، فإنَّه قد نبش عيوب أخيه في الواقع . الفرق بينهما ينتفي هنا ، إذ إنَّ الجميع هم في منزلة شخص واحد كما أسلفنا .

هناك عدة روايات نقلت عن الإمام يقول فيها في وصف الشجرة الطيبة ما مفاده : جذورها وأصلها هو جدنا محمد المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وعدد أغصانها إثنا عشر غصناً ، أولها علي (عليه السلام) وآخرها المهدي المنتظر (عليه السلام) عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وأما أوراقها فهم عموم الشيعة . إذن فعموم المؤمنين والمؤمنات ، ما هم إلاّ أوراق هذه الشجرة الطيبة . الجميع متصلون ببعضهم البعض . الورقة بالغصن ، الغصن بالأصل ، الأصل بالغصن ، والغصن بالأوراق . إذن هناك إتحاد عام بين بعضهم البعض .

وفي رواية أخرى ، جاء ما مفاده أنَّه غداً في يوم القيامة ، تنبت جذور شجرة الطوبى في منزل علي بن أبي طالب (عليه السلام) . وكل بقعة من بقاع الجنة ، أي منزل كل شيعي ، منزل كل مؤمن ، ما هو إلا غصن ممتد من أغصان هذه الشجرة التي تطلع من بيت علي . وخلاصة كلامنا وغرضنا هي الوحدة . بعد أَنْ أدركنا أَنَّ المؤمنين هم وحدة متصلة ،

---

(١) « أنا وعلي أبوا هذه الأمة » .

نفهم أنَّه إذا إبتلي أحد المؤمنين بعيب ما ، فهذا الأمر هو بمثابة أنْ يبتلي الجميع بالعيب نفسه . إذا أردت أنْ تدرك جيداً معنى أنَّك إذا نبشت عيباً من عيوب أحد شيعة علي (عليه السلام) ، فقد ألحقت ضرراً بعلي نفسه إلى حدٍ ما ، خاصة إنْ كان شيعياً حقيقياً ، وإن كان يتمتع بتواصل روحي حميم ، فاعلم أنَّك عندما تسبّب له بعض الضيق ، فقد تسببت بالضيق لعلي أيضاً .

التواصل المعنوي للشيعة مع علي (ع) :

رميله هو أحد شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) في الكوفة . يقول إنَّه مرض ذات يوم ، حيث إرتفعت حرارته ، وإرتعش جسمه وعانى من هذا العارض لعدة أيام ، لم يتمكن خلالها من الحضور في مجلس صلاة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) . ثم يضيف : وعندما حلّ يوم الجمعة ، شعرتُ بأنَّ حالتي قد تحسنت ، وأنَّ حرارتي قد إعتدلت . فقررت عندها أَنْ أغتسل غسل الجمعة ، ومن ثم أذهب لأداء صلاة الجمعة ، خلف سيدي ومولاي علي (عليه السلام) . ذهبت إلى مسجد الكوفة ، وجلست بين صفوف الحاضرين . إعتلى أمير المؤمنين المنبر وبدأ بإلقاء الخطبة . بعد قليل بدأت أشعر بالحرارة والرعشة من جديد ، ولكني تحاملت على نفسي . إنتهت خطبة أمير المؤمنين ومن ثم أدّى صلاة الجمعة . بعد انتهاء الصلاة . أرسل علي في طلبي . ذهبت إلى منزله حيث بادرني بالقول : بما معناه : ماذا هناك يا رميلة ؟ ما هو العارض الذي إنتابك أثناء وجودي على المنبر حيث تتلوى من الألم . قلت بأنني أعاني من الحرارة والإرتعاش منذ فترة . وعندما شعرتُ بأنَّ حالتي قد تحسنت اليوم ، أتيت إلى المسجد . وبينما كنت تلقي خطابك على المحاضرين ، تجددت حالة المرض والإرتعاش مرة أخرى . فأجابني أمير المؤمنين بما مضمونه : لقد سرت حالة المرض والإرتعاش هذه منك إليّ . عندها سألته : وهل يختص هذا الأمر بالإفراد المتواجدين داخل المسجد ، أم يتعداهم إلى الناس الموجودين في الخارج

أيضاً ؟ فأجابني بما معناه : إذا إبتلي أحد شيعتنا الموجودين في شرق الأرض أو غربها ، فإنّ ذلك يؤثر فينا .

وما يدريك ، فربما كان هذا الشيعي الذي نبشت إحدى عيوبه وحطمت قلبه ، من النماذج التي تربطها بالإمام صلة وثيقة . وربما كنت قد تسببت بالضيق لسيدنا ومولانا إمام الزمان (عج) بفعلتك هذه ونبشك لعيب أحد المؤمنين .

لكل فعل هناك ردّة فعل :

نبينّ هنا وجهاً آخر للعبارة المعنية . رأى بعض المفسرين أنَّ عبارة (ولا تلمزوا أنفسكم) تشير إلى أنَّه عندما ينبش أحدنا عيوب شخصٍ ما ، فمن الطبيعي أنْ ينبري ذلك الشخص لنبش عيوبنا بالمقابل هذا هو وضع الخليقة . ومن هو الذي يطيق العفو والمسامحة يا ترى ؟ فمن بين مائة ألف من الناس ، لا تجد شخصاً واحداً يعفو ويسامح . إذن فقد ساهمت بنفسك في نبش معايب ذاتك ، أي لا تُشَهِّر بعيوب مطلق إنسان كي لا يُشَهِّر الآخر بعيوبك . لا توجه كلاماً نابياً لأحد كي لا تسمع منه كلاما مماثلاً . وشاهدنا على ذلك الرواية التي تفيد بما معناه : لعنة الله على من يشتم أمّه وأبيه . فقيل : سيدي ومولاي ، ومن هو الذي يشتم أمّه أو أبيه ؟ فكان الجواب بما معناه : عندما يسبّ أحد الناس والد أو والدة غيره ، فسوف يبادر الآخر إلى سبّ أمّ الأول أو أبيه . وهذه الحالة تشبه حالة من يبادر إلى سبّ أمّه أو أبيه . وما الداعي أنْ تقحم إسم والد الآخر في كلامك ، الأمر الذي يدفعه إلى إقحام إسم والدك أيضاً في سياق ردّه ؟ وما الداعي إلى أنْ توجّه إهانة إلى والدة الآخر ، الذي سيوجه الإهانة بالتالي إلى والدتك ؟ أودّ أنْ أضيف هنا وجهاً معبراً آخر .

كل ما تقدم عليه ، فهو بحق نفسك :

كل مصيبة تحل على رأس أي إنسان ، إنما هي من جنى عمله وتصرفاته ، وليست دخلية من الخارج أو موجهة من قبل الآخرين .

الإنسان هو الـذي يدفـع بنفسه إلى التهلكـة . العيوب التي يشـين بها الخليقـة ، إنمـا هي صورة معـبرة عنه والله أنـه حسب الحقيقة ، فـإنّـه يلحق العيـوب بنفسه في تلك الحالـة . ولكنه لا يـدري ما الـذي يفعله بنفسه في اللحـظة التي ينبش فيهـا عيوب النـاس . إنّه يـدخل نفسـه في مستنقع سـوء الظن والحسـد تجـاه الخلق . وهذه هي العيـوب في الـواقـع ، . إذ إنّـه في خضم حـالـة نبش عيـوب الخلق هـذه ، يـولـد في ذاتــه العـديـد من العيـوب والنقائص .

بمجـرد أنْ تقـول عن شخص معـين : (إنّـه قليـل الحيـاء) ، فقـد خدشت حياء نفسك في الحقيقة . وعـلى حد قـول السيدة زينب سـلام الله عليهـا ، عندمـا وجهت كلامهـا إلى يزيـد : (ومـا فـريت إلا رأسـك ومـا جزرت إلا جلدك) . أي أتظن أنّك قد قطعت رأس الحسين ؟ بل قطعت رأسك المشؤوم . لم تسلخ إلا جلد نفسك . لم تقطع إلا رأسك ورقبتـك . وإلا فالحسين بـات في رعايـة عرش الله . . . الحسـين بات شـامخ الـرأس مزهواً . . . الحسين بات سيداً في العالم الأعـلى . أما أنت ، فقـد أصبحت حانيَ الرأس ذليلاً . . . أصبحت مجرداً من الكرامة ومن كل فضيلة . أنظر جيداً إلى الحقيقة والواقع يا يزيد ، أيها التعس ، ماذا تعرف عن الحقيقـة ؟ أتظن أنّك قد مزّقت جسـد أخي بهذه السيـوف ، والسهام ، والنبـال ؟ بل مزقت بها جسدك العفن ، وأثخنت جسمك بالجراح ، وهويت بنفسك إلى درك الإنتفـاء . حياة الحسـين أشرقت وامتدت أكـثر ، وموتـك زاد ظلامـاً وإنحداراً .

أيّهـا المسلم ، عندمـا تنبش عيوب أي إنســان ، فقد نبشت معـايب نفسك . وعندما تؤذي أي إنسان ، فقد وجهت الأذية إلى نفسك . كل ما تقوم عليه ، فهو بحق نفسك ، وتنعكس آثاره على نفسك أيضاً[1] .

---

(١) ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ سورة البقرة : ٢/ الآية ٢٨٦ .

لا تطلقوا الألقاب القبيحة على بعضكم البعض :

﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾ . هذا هو الحكم الثالث : لا تتبادلوا الألقاب المشينة . أي لا تطلقوا الألقاب القبيحة على بعضكم البعض . فإنْ كان أحدهم يهودياً في السابق ومن ثم أسلم ، فلا يجوز أنْ نناديه بقولنا : يا سليل اليهود . أو إنْ كان شخص آخر سكيراً ومن ثم تاب عن شرب الخمرة ، فلا يجوز أنْ نقول له : يا سكير . ﴿ **بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان** ﴾ . أو إنْ كان شخص آخر يتمتع بالإيمان ، فهو يقول : لا إله إلا الله . حذار أَنْ ينسبه أحد الناس إلى الكفر . لتحل اللعنة على كل من يرمي أحد المسلمين بتهمة الكفر . إذ إنَّ كلمة الفسق على اللقب أو الخطاب الموجه إليه ، هو أمر محرم . بل نستطيع القول بشكل عام إنَّ أي لقب من شأنه أَنْ يحطّم قلب الطرف الآخر ، هو حرام . على سبيل المثال عندما تنادي أحد الناس بلقب الأصلع ، حتى وإنْ كان كلامك صحيحاً ، أي إنَّ رأس الطرف الآخر كان خالياً من الشعر تماماً ، فقد إرتكبت إثماً لأنَّ ذلك يضايق المنادى ويسبب له الألم والأسى . إنَّ توجيه الألقاب القبيحة التي من شأنها أَنْ تسبب الضيق والأسى لأحد المسلمين ، هو أمر ممنوع حتماً . في أي لحظة من اللحظات ، عندما تريد أن تنادي أحد المسلمين ، ينبغي أَنْ تناديه بأفضل الألقاب وأجملها . تحضرني الآن رواية مجملة عن شخص دخل على الإمام من دون أَنْ يكون إسمه معروفاً لديه فما كان من الإمام إلا أنْ بادره بالقول : (يا سعد كيف حالك) كلمة السعد هي إشارة إلى السعادة . وهكذا ترى أَنَّ الإمام قد خاطب المسلم الذي دخل عليه بكلمة السعد والسعادة . الهدف من ذكر هذه الرواية هو ذكر اللقب . يحرم مناداة المؤمنين أو ذكرهم بالألقاب الشنيعة . من جملة ذلك تعابير مثل : (أيها القصير ، أيها الطويل) ، أو غيرها من الألفاظ القبيحة التي يكثر التداول بها في أوساط الناس ونشدد مرة أخرى على أنَّها محرمة جميعاً .

إذن فالتوبة عن الذنب واجبة :

بعد أنْ بيَّنت الآية الشريفة حرمة هذه النقاط الثلاثة ، راحت توضح للجميع أنّه نظراً لتحريم هذه المسائل ، فإنّ المسلم الحقيقي هو الذي يلوذ بالتوبة عندما يعرف أنّه إرتكب ذنباً ما . والتوبة هنا واجبة ، وهي من الواجبات التي ألقيناها جميعاً وراء ظهورنا . وإذا لاحظ أحدنا على الآخر أنّه إرتكب بعض المعاصي ، فيجب عليه أن يأمره بالتوبة . على سبيل المثال ، إذا كنت حاضراً في إحدى المجالس وقام شخص ما بتوجيه لقب شنيع إلى أحد الناس ، عندها يتوجب عليك أنْ تشير عليه بطلب التوبة ، كما يتوجب عليه أنْ يوافق على طلبك ويقول : أستغفر الله . ولا يجوز أنْ تتركه على حاله ما لم تتأكد من توبته . يجب أنْ تدله على المسلك الصحيح ، أي أنْ يذهب إلى الطرف الذي ناله بسوء كي يطلب منه المسامحة . فأنت يجب عليك أنْ تطلب منه هذا الأمر ، وهو يتوجب عليه أنْ يقبل بذلك . أما إذا رفض القيام بذلك فـ﴿ **ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾ . إذن فمن الذي يصفه القرآن الكريم بأنّه ظالم ؟ الظالم هو كل من يرتكب أحد الذنوب ، ثم يعرض عن طلب التوبة ، من أي نوع كان ذنبه .

لقد ظلمت نفسي ! :

الحقيقة أنَّ عبارة (ظلمت نفسي) تعبر عن واقع الحال . أجل ، لقد ظلم نفسه ذلك الإنسان . من المفيد أنْ أذكر هنا قصة الخواجة ربيع الذي كان يسهر الليالي مع البكاء ، والتضرع ، والتأوّه . أمّه كانت تقول له ، ترى ما هو الذنب الفظيع الذي إرتكبته حتى يعتصر الألم قلبك هكذا ؟ إنْ كنت قد أقدمت على قتل النفس ، إنْ كنتَ قد قتلت أحد الناس ، قل لي ولا تخف . سأذهب إلى أولياء القتيل وأرضيهم بطريقةٍ ما كي يسامحوك . زبدة الكلام هنا هو جواب ربيع لأمّه . يا لهذا الجواب الرائع . قال لها : أماه ، لقد أقدمت على قتل النفس ، ولكن ليس نفساً غريبة عني . لقد أقدمت بنفسي على قتل نفسي ، وليس أي نفس أخرى .

وهنا تكمن المصيبة ، لقد أهدرت كرامتي وماء وجهي أمام عين الله ، لم يعد لدي ثمة سر أو نجوى على أعتاب الله كي أشعر بالفخر والإعتزاز . . . أردت أنْ أبين في هذا المقال عبارة قتل الذات . إذن فالإنسان المذنب قد ظلم نفسه أولاً ، ثم قتل ذاته ثانياً .

إساءة الظن بالإنسان المؤمن ، هو أمر حرام أيضاً :

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظن إثم ﴾ . الآية الشريفة تبيّن لنا ثلاثة أحكام أيضاً . هذه الآيات التي من الملاحظ أنّنا نأتي على ذكرها بصورة مفصلة ومتكررة ، يجب أنْ تلتفتوا إليها جيداً ، كما نبيغي ألاّ تنسوها في ساحة العمل والحياة . **﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾** . هذه الآية تخاطب المؤمنين وتقول لهم إنَّ من مستلزمات الإيمان ، إجتناب الوقوع في ثلاث مسائل أخرى وهي : أولاً سوء الظن ، ثانياً التجسس ، وثالثاً الإستغابة . وغالباً ما تكون هذه الأمور الثلاثة متصلة ببعضها البعض . إنْ نحن إجتنبنا سوء الظن منذ البداية ، فلن نقع في مطب التجسس والإستغابة لاحقاً . لذا فقد حرّم سوء الظن الذي يعتبر منبعفا لما يليه من أول الطريق ، كي لا تقع في مهاوي التجسس والإستغابة فيما بعد .

التجسس أيضاً لا يجوز :

جاء في كتب التاريخ الإسلامي أنَّه في منتصف إحدى الليالي ، قام عمر بجولة بين أحياء المدينة المنورة من أجل مراقبة الأجواء . وفي هذه الأثناء وصل عند باب منزل كانت تتصاعد منه أصوات الطرب واللهو . فما كان منه إلاّ أنْ تسلق جدار المنزل الخارجي ومدّ رأسه داخل حرم البيت ، ثم راح ينتهر صاحب الدار بلهجة خشنة وحازمة . . . وقال ما معناه : ماذا تفعل أيها الفاسق ؟ ألا تخجل ؟ ألا تستحي ؟ وعبارات أخرى من هذا القبيل .

عندما أجابه صاحب البيت الذي كان رجلاً يتمتع بالوعي

والإدراك ، بقوله : أيّها الخليفة ، إنْ كنتُ قد إرتكبتُ ذنباً واحداً ، فقد إرتكبت أنت عدة ذنوب .

أولاً : لقد نهانا الله سبحان وتعالى عن تسلق الجدران ودخول البيوت من ظهورها ، حيث قال : ﴿ **لا تدخلوا البيوت من ظهورها** ﴾ . فلماذا قمت بتسلق جدار منزلي ؟ لقد أمرنا الله عز وجل أنْ ندخل البيوت من أبوابها بقوله : ﴿ **وادخلوا البيوت من أبوابها** ﴾ .

ثانياً : يقول الله تعالى في محكم آياته : ﴿ **لا تدخلوا البيوت إلاّ بإذن أهلها** ﴾ ، أي إنَّه ينبغي أنْ تستأذن صاحب البيت قبل الدخول إلى منزله . إذ إنَّه يحرم عليك أنْ تسير على رسلك وتدخل بيوت الناس من دون إذن مسبق ، حتى لو كان الشخص المقصود من أقربائك . أكثر من ذلك ، حتى ولو كان ذلك الشخص أباك . عندما تقصد منزل والدك ، ينبغي أنْ تستأذن للدخول . فما يدريك ، ربما كانت زوجته تجلس إلى جانبه في وضع لا تحبذ معه أنْ تدخل عليهما فقد يكون الموقف غير مناسب للرؤية من قِبَل الآخرين . إذن لا تدخل من دون إذن مسبق إلاّ إلى بيتك الخاص . وحتى في هذه الحالة ، يستحب أنْ يدخل المرء إلى منزله بعد الإستئناس ، فربما كانت زوجته في حالة لا تحب أنْ يراها زوجها وهي عليها .

ثالثاً : لقد أمرنا الله تعالى في القرآن المجيد بأنْ ﴿ **فسلموا على أهلها** ﴾ . أي إنَّه يجب علينا عند دخولنا لأي منزل كان ، أنْ نسلّم على أهل ذلك المنزل . لقد أمرنا الله بذلك . وهذه المسألة تطبق حتى على منزلك الخاص . فيا سيدي ، عندما تدخل إلى بيتك ، يجب عليك أنْ تسلّم . لا تسأل نفسك : وهل ينبغي أنْ أسلم على زوجتي . وما الضير في ذلك ؟ أجل ، سلّم عليها . لا تقل إنَّ زوجتي هي أقل شأناً مني ، . دعك من هذه الأقاويل . إنْ كنت تنتسب إلى أمّة محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فاسمع قول رسول الله حين تفضل بما معناه : هناك ستة أمور لن أفرط بها حتى آخر العمر . إحداها كانت توجيه التحية إلى الصغار ،

إلقاء السلام على الأطفال ، أي الإبتداء بالسلام والتحية . إذن فرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) كان يسلم على كل من يلقاه ، كبيراً كان أو صغيراً ، وراكباً كان أم سائراً على قدميه . لم يكن يفكر بالطريقة التي أشرنا إليها سابقاً . لم يكن يتوقع من أحد أنْ يبادره بالتحية أولاً . وخلاصة القول إنَّه عندما تدخل إلى البيت ، سلم على زوجتك أو ولدك حتى وإنْ لم يبادراك بالتحية مسبقاً . يستحب أنْ يبادر الوارد إلى إلقاء التحية على المورود . فالشخص الذي يدخل إلى مجلس ما ، يجب أنْ يسلم على الحاضرين . ومن المناسب جداً أنْ أذكر القارىء الكريم بالمسألة التالية . إذا دخل أحد الناس إلى منزله فوجد أنَّ البيت خالٍ تماماً ، فينبغي أنْ يتصرف وفق إحدى هاتين الطريقتين . إما أنْ يضع نصب عينيه الكرام الكاتبين ، أي الملكين الشريفين اللذين يلازمانه في حلّه وترحاله ، فيقول لهما : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أو أَنْ يقول حسب ما تفيد إحدى الروايات التي تتناول هذه الحالة ، التالي : السلام علينا من ربنا ، أو : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وخلاصة الحديث ألّا يدخل إلى البيت بدون إلقاء السلام .

رابعا : يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ لا تجسسوا ﴾ أي لا تكن فضولياً ، ولا تلاحق شؤون الناس . لا تسترق النظر من ثقب القفل ، أو زاوية الباب . لا تراقب بيوت الناس من أعلى السطح كي ترى ماذا يفعلون . لتحل اللعنة على كل جاسوس . وماذا تعنيك حياة الناس حتى تحاول معرفة أسرارها ؟ كل إنسان حر في تصرفاته داخل منزله .

عندما يصاب الجاسوس في عينيه أثناء قيامه بالتجسس :

هناك مسألة فقهية تفيد بأنَّه إذا حاول أحد الناس التجسس على منزل معين ، وذلك بأنْ يطل عليه من أعلى السطح ، أو يسترق النظر من زاوية الباب . . . إذا حاول أنْ يطلع على أحواله بوحي من فضوله ، فيجوز عندها شرعاً أَنْ يُرمىٰ بحجر أو بشيء فيُرَدُّ على أعقابه . وإذا بادر صاحب المنزل إلى هذا العمل ، أي إنَّه رمى حجراً على الجاسوس فأصابه

في عينــه الآثمـة وأعمى بصره ، لا يهم . ولا تـترتب بنتيجـة ذلــك أي مسؤوليـة على عـاتقه ، فهـو قد قـذف بالحجـر كي يحـد من فضـول ذلـك الشخص . فالتجسس حرام كـما يفيدنـا بذلـك القرآن الكـريم . الإنسان المسلم ينبغي أنْ يشعر بالأمـان والإطمئنان في حيـاته . ومن أولى عـلامات ذلك أنَّه لا يرضى بأَنْ يشاهد أحد الناس ما يجري داخـل منزلـه . هب أنَّه يجلس إلى جانب زوجته ، فكيف يحق لـك أنْ تحاول التـطفل عليـه . هب أنَّـه يجلس بين أولاده يـداعبهم ويلاعبهم ، فمن الـطبيعي أنَّـه لا يحب أنْ يراه الآخرون وهو في هذه الحـالة وهـذه المسألـة تنطبق عليـك أنت أيضاً . وكل واحد منّا لديـه في أجواء بيتـه وأسرته بعض الأسرار العـائلية الخـاصة (التي لا تقتصر على المحرمات ، بل تشمل المباحات أيضاً) التي يفضل أنْ يبقيهـا بمنأى عن عيـون الآخرين . حتى طـريقة الأكـل ونوعيتـه ، والأعمال الإعتيادية الأخرى يريدها أن تبقى بمعزل عن الجميع .

سوء الظن ينتج عن خبث سريرة الإنسان نفسه :

﴿ إجتنبـوا كثيراً من الـظن ﴾ . أصلح أمـرك في بـدايـة الـطريق . سوف أتحدث بالتفصيل عن مسألتي التجسس والغيبة لاحقـاً إنْ شاء الله . إعمل على تهـذيب ظنك ، وتخـلَّ عن الظن السيِّء . هنـاك بعض الفئات التي تمكن منها سوء الظن بحيث أصبح بمثابة ملكة لديهـا . عندمـا يلتقي أحـدهم بشخص ما ، يغض النـظر تمامـاً عن الخصال الحميـدة التي يتمتع بهـا ، ويركـز فقط عـلى النـواحي السلبيـة . وإذا بـدر من ذلـك الشخص تصرف أو عمل في منتهى اللياقـة ، فإنَّـه يحمله على محمـل السوء . ويـبرر موقفه بقوله : لديه هدف معين ، لديه حاجة معينة ، لا تصدق هذه اللياقة الظاهرية . فأنت تراه يحمل أي عمـل حسن أو أية كلمـة طيبة تصـدر عن أحـد الناس ، عـلى محمل الهـدف المغـرض والظـن السيِّء ، بـدافـع من نفسه الشيطانية . ولأنَّه لا يحمل في ذاته بـذوراً طيبة ، تـراه يصف كل من تقع عيناه عليه بالتقلب ، والكذب ، والإنحراف وتصل به الأمـور تدريجيـاً إلى إساءة الظن حتى بزوجته وأهله ، وأقربائه ، وحتى بكل النـاس . وهذا

الإحساس هو الذي يدفعه إلى القيام بـالتجسس . والتجسس بدوره يقـوده إلى الإستغابة ، وبالتالي إلى تهيئة الأسباب التي تؤدي به في نار جهنم .

الحمل على الصحة : هو الضمان من الوقوع في سوء الظن :

﴿ إجتنبوا كثيراً من الظن ﴾ . إعمل على إصلاح ظنـك وتهذيبـه في بـداية الـطريق . إحمـل الأمـور عـلى الصحـة ، مـاذا تعـرف عن المسألـة الفلانية ؟ مجرد إحتمال ! هل أنت متيقن من أنَّ وجهة نظره كانت هكـذا ؟ يقـول إنَّه رآه بعينـه وهو يخـرج من منزل تلك العـاهرة . لا نقـول له أنت كاذب . حسناً ، لقد رأيته وهـو يخرج من عنـدها . ولكن هـل أنت متيقن من أنَّه قصد منزلها بنية الزنا . ربما كـان يبحث عن شقة للسكن . وعنـدما وصل إلى تلك النقطة أخبروه بأنَّ هذا المنزل شاغر ، فدخل إليـه كي يلقي نظرة فاحصة من أجل شرائه أو إستئجاره من صاحبه . أو أنَّه دخل المنـزل لإجراء أعمال الصيانة والتصليـح . وذلك دون علم مسبق بـأنَّ هذا المكـان مخصص للدعـارة . ألا تحتمل أبداً أنَّه أتى لإنجـاز بعض الأعمال ، فـدخل سهواً إلى ذلك المنزل المشبوه ؟ أي إنَّ العنـوان قد تشـابه عليـه . إذا رأيت أحـد الناس يـدخل أو يخـرج من مكان معـين ، ومن ثم عرفت بـأنَّ هـذا المكـان هو من مـراكز الفسـاد ، فهل ينبغي أنْ تحكم عـلى من رأيت بـأنَّـه إنسان فاسد ؟ للإجابه على هذا السؤال ، لنعد إلى الشهيد الثاني ـ أعلى الله مقامه ـ حيث يقول في كشف الريبة ما مفاده : إذا شممت رائحة الخمرة في أنفـاس شخصٍ ما ، لا يحق لـك أنْ تتهمـه بشربهـا ، فـأنت لم تـرَ ذلـك بعينـك . ربما كـان قد تنـاولها سهـواً . وحتى لو كـان مترنمـاً من السكـر ، تستطيع أنْ تحتمل بأنَّه كان موجوداً في مجلسٍ ما مع عدد من أصحابه ، فما كـان منهم إلا أنْ أمسكوا بيـديه ورجليـه وسكبـوا كؤوس الشراب في فمـه عنوة . هذا هـو الإحتمال الخفيف المؤنـة . أنت لا تستطيـع الإدلاء بشهادة تفيد بأنَّك قد رأيته وهو يتناول الخمر . أما عن الرائحـة المنبعثة من فمـه ، فهنـاك بعض المشروبات العـاديـة التي من الممكن أنْ تخلّف رائحـة شبيهـة برائحة الخمر ، بينما هي ليست خمرة في الواقع ، بل مجرد مشروب عادي .

وصف الكبار بالتصوف هو من علائم سوء الظن :

لقـد رأيته بنفسي وهـو يخرج من مـركز تجمـع المتصـوفـة ، إذن فهـو صوفي . وهل تعرف أساساً ماذا يعني التصـوف ؟ ترى هـل تعرف من هـو الإنسـان المتصـوف ؟ ثم بـأي دليـل تنسب أحـد المؤمنـين المـوحـدين إلى المتصـوفة ؟ ألا تخشى أنْ يعـترض سبيلك غـداً في يـوم الحسـاب ، ويقـول لـك : لماذا أسـأت الظن بي ونسبت لي هـذه الصفـة ؟ لنضرب مثـلاً عـلى ذلك . لنفرض أنَّ بعض الجهلة قد تطاولـوا على شخصيـة الشيخ البهـائي ـ أعلى الله مقامه ـ ونسبوا إليه سمة التصوف ، وذلك إستناداً إلى أنَّ الشيخ قد نقل في كتبـه مواضيـع معينة عن بعض العـرفاء ، أو أنَّـه ذكرها بتبجيل واحترام . لماذا لا تحمل هذه المسألة عـلى الصحة ؟ قـل إنَّ الشيخ البهـائي قد أيّد الشخص الفـلاني بالنسبـة للقاعـدة العلمية المعنيـة ، حيث توافقت وجهـة نـظره الشريفـة مـع وجهـة نـظر ذلـك الشخص . ومن أجـل دعم كلامه ، نقـل قول الشخص المـذكور . أو أنَّـه نظراً لتـطابق فكرة ذاك مـع إعتقاده ، قام الشيخ بدعمها وتأييـدها . إلا أنَّ ذلـك لا يعني أبداً أنَّ كـل مـا تحدث بـه ذلك الشخص السخيف ، مقبـول ومستساغ عنـد الشيـخ ، حتى يتطاول أحد الناس على مقـام الشيخ البهـائي الذي يعتـبر من مفاخر عالم التشيع ، ويعتبره واحداً من المتصوفة . ﴿ **إنَّ بعض الظن إثم** ﴾ .

قضية الإمام الكاظم (ع) وشقيق البلخي :

هنـاك حديث مشهـور عند الشيعـة والسنة حيث يعتـبر من معجزات الإمام السابع موسى بن جعفر (عليه السلام) ، قد ذكر في الكتاب الجليل (كشف الغمـة) الذي يعـد من الكتب المعتبرة ، بـواسطة الشيعـة والسنـة (مثل إبن الجوزي) . كما قام عـدد من كبار علماء العـامة بـنظمه شعـراً ، يتمتـع هذا الحـديث الشريف بفـوائـد متعـددة . يقـول شقيق البلخي مـا مفـاده : ذات سنة نـويت الحج إلى بيت الله الحـرام . إنطلقت القـافلة من مدينة الكوفة وكنت في عـدادها . في المحـطة الأولى ، كان الـطعام متـوفراً لـدى الجميع ، وكـان الحجـاج يتجـاذبـون أطراف الحـديث ويستعيـدون

ذكريات الحج الماضي عندما ذهبوا ضمن القافلة ، على الجمال وسيراً على الأقدام في هذه الأثناء ، لفت نظري أحد الشباب الموجودين معنا . كان يلبس ثياباً ذات مستوى متوسط وينتعل حذاءً عادياً في رجليه . ولم يكن يملك شيئاً أبداً . . . لا طعاماً ولا شراباً . . . لا مالاً ولا زاداً . . . لا شيء مطلقاً . وما أن وقعت عيناي عليه حتى ظننت به ظن السوء . . . قلت في نفسي يبدو أنّه واحد من المتصوفة . . . لماذا ؟ لأنّ شكله وثيابه وهيأته تدل على أنه ينتمي إليهم . ولم يكتف بالخروج من منزله وهو على هذه الشاكلة ، بل سافر وهو خالي الوفاض تماماً . لا بد أنّه يريد تقليد الدراويش الذين يهيمون على وجوههم ويعيشون كلاً على الخلق والعباد (أي أنه يريد التطفل على موائد غيره من الحجاج) . هناك بعض الدراويش الذين لا يكفون عن الإستجداء والتنقل من مكان إلى آخر ، ولا يقومون بأي عمل أو نشاط . قلت في نفسي لِأذهب وأقدم له النصح والإرشاد ، وأحثه على الخير والعمل المجدي ، وأبيّن له مساوىء هذا المسلك وهذه الطريقة . إن كنت تريد الحج إلى بيت الله الحرام ، فلا يحج الناس هكذا . أترضى لنفسك بأن تكون كلاً على الناس ؟ وما كدت أقترب من ذلك الشاب ، وقبل أن أتفوه بكلمة واحدة بادرني بالقول : (يا شقيق : ﴿ **إجتنبوا كثيراً من الظن إنّ بعض الظن إثم** ﴾ . ناداه باسمه فقال له يا شقيق . وكشف الوسوسة التي تولدت في قلبه . . . بمن أسأت الظن يا ترى ؟ فقال شقيق في نفسه ، وهل يكفي أن ألاحظ على أحد الناس بأنه يرتدي لباساً شبيهاً بلباس المتصوفة حتى أحكم عليه بأنه واحد منهم ؟ أيها الأحمق ، وهل يكفي أن يتفوه أحد الناس بكلمات يرددها المتصوفة في أحاديثهم حتى يصبح هو أيضاً في عدادهم ؟

أيها المسلمون . . . لا تطلقوا العنان لألسنتكم . التهمة والإفتراء هما من الذنوب الكبيرة . لا تلحقوا الضرر بأنفسكم . . . لا تشوهوا ذواتكم بالعيوب . لنعتبر من قصة شقيق الذي كاد يقع في الهوة السحيقة التي يقبع فيها أعداء أهل البيت ، لولا أنْ أدركته عناية الإمام ورعايته . . . لماذ ؟

بسبب سوء ظنه . ترى ، هل ترمي بنفسك إلى التهلكة هكذا فقط لأنَّ هيئة الإمام كانت شبيهة بهيئة المتصوفة ، وهذا على حدّ خيالك الواسع ، وليس كما يفيد الواقع ؟ ألا تخشى أَنْ يكون الشخص الذي تسيء الظن به من الأتقياء ، فيؤدي بك تأمله في نار جهنم وبئس المصير ؟ لا تكن جريئاً إلى هذه الدرجة . . . لنتابع القصة .

يضيف شقيق ما مفاده : عندها سألت نفسي ، من هو هذا الشاب الذي ناداني باسمي من جهة ، وأخبرني عما يدور في خلدي من جهة أخرى ؟ لا شك في أنَّه أحد أولياء الله . لأذهب وأطلب منه السماح . تبيَّن لي عندها أنه قد غاب عن ناظري . لم أشاهده بعدها أبداً .

وفي المحطة التالية ، لمحته من بعيد ، فقلت في نفسي لقد لاحت الفرصة الآن . لأقترب منه وأعتذر إليه ، وأتوب عندها إلى الله . وما كدت أقترب منه (كل من سار على درب التوبة ، شملته الرحمة والمغفرة) حتى بادرني الإمام بقوله : يا شقيق : ﴿ **وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾ . لقد وعدنا الله سبحانه وتعالى بأنّه سيغفر لمن تاب وعمل صالحاً . . . لمن يُقْبِلُ على طريق الهداية ، التي لا تُنالُ إلا بتقديم المعذرة إلى الخالق والمخلوق . هذا هو سبيل التوبة . . . التصميم على ترك الذنب ، والإصلاح . . . فيتحول بذلك مسلك سوء الظن إلى مسلك حسن الظن . . . ويتحول مسلك سوء الذكر إلى مسلك حسن الذكر . أي أنْ يذهب الإنسان إلى كل من تناوله بكلام معيب في غيابه ، ويعتذر منه ويقول له : لقد أخطأت في حقك . هذه هي التوبة ، وليس هناك من سبيل آخر إليها . أي إنَّ إصلاح علاج سوء الذكر والتوبة منه ، هي اللجوء إلى حسن الذكر . أخيراً يضيف شقيق ما مفاده : عندما بشرني سيدي بقبول التوبة ، وبعد أنْ اعتذرت منه ، إختفى من أمامي مرة أخرى . عندها لجأت إلى أعتاب الله وتبت إليه .

عندما يندم الشيطان على قيامه بإغواء المؤمن :

أودّ التطرق هنا إلى إحدى الروايات التي تثلج صدور الجميع . روي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) في (مستدرك الوسائل) أنّه قال ذات مرة ما مفاده : قد يحدث أحياناً أنْ يرتكب أحد الناس معصية معينة ، فيندم الشيطان لاحقاً على إغوائه حيث يقول : ليتني لم أحثه على ارتكاب هذه المعصية . فقيل له : وكيف يمكن أن يندم الشيطان على إغوائه ؟ فأجاب بما معناه : لأنّ هذا الإنسان المؤمن يتوب باستمرار (أو على حدّ تعبيري يحترق ويتألم) عن معصيته تلك ، إلى أنْ يصبح محبوب الله عزّ وجل .

فهذه الحالة ، يندب الشيطان حظه ويقول يا ليتني لم أحثه أساساً على إرتكاب هذا الذنب . فمن الممكن أنْ يجعل المؤمن ذنبه الذي يدعو إلى الحسرة والندامة ، منطلقاً يدفعه إلى التقرب إلى الله أكثر مع كل لحظة تمضي ، ومصباحاً يضيء قلبه بنور الهداية أكثر مع كل ساعة تمر ، من شدة ما يبكي ويتألم ويحترق لإرتكابه هذا الذنب . وشاهدنا على ذلك الآن هو شقيق . . . شقيق الذي إقترف في البداية إثماً وهو سوء الظن ، لكنه ما انفك يحترق ويتألم من اللحظة التي إفتقد فيها الإمام . وحتى بلوغه المحطة التالية ، إستمر هذا المسكين في التوسل والتأوّه على أعتاب الله عز وجل . وكانت النتيجة أخيراً ، وبعد كل ما وصفناه من الندامة والتوبة والإصلاح ، أنّه بلغ درجات عُلى من السعادة والهناء(١) .

---

(١) وهي رواية طويلة ، وقد ذكرت في (كشف الغمة) ، كما أنّها نقلت أيضاً في (منتهى الآمال) . وبقية الرواية كانت على الشكل التالي : قال هذه الكلمة ومضى . عندها قلت في نفسي لا بدّ أن يكون هذا الشاب من الحكماء والأبرار ، ذلك أنّه قد أخبرني عن سرَّين من مكنونات نفسي . وبعدها إختفى عن ناظري إلى أن وصلنا إلى المحطة التالية . هناك ، رأيته يحمل دلواً في يده ويقف أمام إحدى الآبار ، بقصد سحب الماء إلى الأعلى . وفجأة وقع الدلو من يده في البئر ، على غفلة منه . نظرت إليه جيداً ، فشاهدته وقد رفع رأسه تجاه السماء قائلاً : (أنت ربي إذا ظمئت إلى الماء وقوتي إذا أردت طعاماً) . ثم أضاف ما معناه : إلهي وسيدي ومولاي ، أنا لا

. . . .

أملك دلواً غيره ، فلا تأخذه مني . يقول شقيق عندها ما مفاده : قسماً بالله رأيت أنّ مياه البئر قد بدأت تفور وترتفع إلى أعلى . عندها ، مدّ ذلك الشاب يده إلى سطح البئر ، وتناول الدلو عنه حيث ملأه بالماء . ثم شرع بالوضوء حيث صلّى أربع ركعات . بعد فراغه من الصلاة ، قصد تلة قريبة وأخذ منها كمية من الحصى حيث رماها في الدلو وقام بخضه جيداً ، ثم شرب الماء الموجود فيه . عندما رأيت ذلك المشهد إقتربت منه وسلّمت عليه فبادرني بردّ التحية . ثم قلت له أسبغ عليَّ أنا أيضاً من البركات التي أنعم الله بها عليك . فأجابني بما معناه : يا شقيق . . . إنّ نِعَم الله عز وجل ترافقنا دوماً في الظاهر والباطن . لذا ، أحسن الظن دوماً من أجل التوفيق في سعيك . ثم ناولني الدلو حيث شربت منه جرعة فوجدت أنّ الماء أطيب من العسل . وأقسم بالله أنني لم أكن قد شربت بعد ماءً لذيذاً وعذباً كتلك المياه . عندها شعرت بالإرتواء التام ، إلى درجة أنني لم أشعر بميل إلى الطعام والشراب لعدة أيام . بعدها ، لم أشاهد ذلك السيد حتى وصولي إلى مكة المكرمة . في منتصف إحدى الليالي ، شاهدته في جانب قبة السراب ، منشغلاً بأداء الصلاة . لم ينقطع بكاؤه وتضرعه في تلك اللحظات أبداً . وبقي يصلي في حالة من الخشوع التام حتى طلع الفجر . عندها ، جلس على سجادة صلاته وراح يُسَبِّح ، ثم قام لتأدية صلاة الصبح . بعد ذلك ، طاف حول البيت سبعة أشواط ، ثم ذهب إلى الخارج . فما كان مني إلّا أنّ تبعته . بعد قليل ، رأيت حاشية من الخدم والحشم تحيط به ، على نحو يناقض الوضع الذي شاهدته أثناء فترات السفر . إذ أنني شاهدته في جو يعبق بالجلالة والإحترام الشديدين . وكانت أفواج الناس تتجمع حوله كي تلقي عليه التحية . عندها سألت أحد الموجودين عن هوية هذا الشاب . فأجابني بقوله : هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، (عليهم السلام) . فقلت حينها : لو أنّني شاهدت العجائب التي تحققت على يديه ، بواسطة شخص غيره ، لبدا الأمر غريباً حينها . ولكن بما أنها تحققت على يد هذا الإنسان العظيم ، فلا عجب في ذلك .

«١٧»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ يا أيها الذين آمنوا إجتنبوا كثيراً من الظن إنَّ بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾ .

تكليف ربّ العالمين ، مهم وعظيم جداً :

إنَّ الدستور الذي أنزله ربّ العالمين والذي يتمثل عبر القرآن المجيد ، لجليل وعظيم عند كل فرد موحّد ومؤمن . . . . فهو دستور ملك الملوك . لذا يتوجب على كل إنسان أنْ يفهم هذا الدستور ويحقق فيه ويستوعب تفسيره ، وعندها يلتزم بالمسائل الواردة عبر سطوره . حذار أن يكون دستور رب العالمين قد عمل به بطريقة غير سوية . يأمرنا الله عز وجل بقوله **﴿ يا أيّها الذين آمنوا إجتنبوا كثيراً من الظن ﴾** . إذن يتوجب عليكم أنْ تجتنبوا الكثير من أنواع الظنون . . . لماذا؟ لأنَّ **﴿ إنَّ بعض الظن إثم ﴾** . بناءً على إحدى وجوه تفسير هذه الآية ، لأنَّ بعض الظنون هي من الآثام . إذن إيّاكم والتلوث بالمعاصي . إستناداً إلى ما سبق ، وعملا بدستور ربّ العالمين الذي يلحظ شؤون كل واحد منّا ، يتوجب علينا أَنْ نفهم معنى سوء الظن جيداً ، وأَنْ نقف على كافة حالاته المحرمة بصورة دقيقة . وبالرغم من أنّنا قد تناولنا بالشرح بعض معاني هذه الآية فيما

سبق ، إلا أنّني شعرت بعد التدقيق فيها ، بأنّي لم أوفِ الأفكار التي تكتنزها حقّها من الشرح والتبيان . وقد تبادر إلى ذهني أنْ أعمل على شرح معنى سوء الظن عبر بيان جامع بالدرجة الأولى ، ومن ثم على تقسيمه إلى قسمين : سوء الظن تجاه الخالق ، وسوء الظن تجاه المخلوق .

الظن : المرحلة الوسطى بين الشكل واليقين :

الظن هو المرحلة الوسطى بين الشك واليقين . المرحلة التي تقف بين التردد والشك من جهة ، والجزم واليقين والتأكد من جهة أخرى ، وتتوسط هاتين المرحلتين ، نسميها بالظن . على سبيل المثال ، قد تلمح شخصاً يتوجه نحوك من بعيد ، فلا تعرف بالضبط أهو رجل أم إمرأة . وخاصة في هذه الأيام ، كثيراً ما يتعرض الإنسان لهذا الموقف ، حيث يشاهد الواحد منّا بعض الأشكال والوجوه الشابة ، فلا يعرف تحديداً أهي لفتية أم الفتيات . نستجير بالله من الأوضاع التي حلّت بنا في هذه الأيام . . . أي مصيبة قد حلّت بالبشر في هذا الزمان . ألا تعلمون أنَّ تشبّه المرأة بالرجل ، والرجل بالمرأة ، هو أمر حرام؟ الويل لهذه المجتمعات التي وصل بها الأمر إلى هذا الدرك الأسفل. خلاصة القول إنَّ هذا الشعور يسمى بالشك والتردد . تشك أَنَّ هذا الشكل وهذه الهيئة تعود لشاب أم لفتاة . وعندما يقترب ذلك الإنسان منك قليلاً، تنظر إليه فتلفت نظرك ضفيرة الشعر ، والخاتم الذهبي في الإصبع ، بالإضافة إلى القلادة التي قد تدلت على العنق . هنا ترجح أنَّ الهيئة التي تشاهدها تعود لفتاة ، ولكن دون الوصول إلى مرحلة اليقين ، لأنَّ هناك إحتمالاً بسيطاً بأَنْ تكون عائدة إلى شاب أيضاً . ولكن على الظاهر ، ترجح النظرة الأولى إلى ذلك الإنسان . هذا الشعور يسمى بالظن . أي إنّك بعد أَنْ لاحظت المعالم الأنثوية على تلك الهيئة ، ظننت بأنّها تعود لإحدى الفتيات . ولكن المسألة لا تتعدى حدود الإحتمال . ربما كانت الأوضاع قد تردّت في هذه الأيام إلى درجة بات الشباب معها يستعملون أدوات الزينة مثل الفتيات . ربما كان ذلك الشخص من الفئات المنحطة التي إعتادت على الظهور بمظهر الفتيات .

فأنت تحتمل خلاف النظرة الأولى ، ولكن إحتمال أنّها أنثى ، هو الأقوى والأرجح لديك .

بعد ذلك ، عندما يقترب ذلك الإنسان منك تماماً ، ويجلس بالقرب منك ، وتبدأ بالتحدث إليه ، وتسأله عن إسمه ، فتسمع الجواب : (الآنسة فلانة) ، يتبيّن لك بوضوح أنَّ الهيئة التي إحترت بشأنها إنما تعود لفتاة . فأنت بمجرد أنْ سمعت إسمها ، الآنسة فلانة ، خرجت من دائرة الشك والظن ، وتيقنت من أنّها فتاة حتماً .

هذا المثال الواضح البسيط الذي قدمناه ، يتعلق بالظن أي ترجيح تصور معين على تصور آخر . أما معنى حسن الظن وسوء الظن ، فيعرف على النحو التالي . أي عمل أو تصرف تلاحظ أنَّه قد بدر من أحد الأشخاص ، له وجهين كما نعرف . فهناك إحتمال بأنْ يكون عمله جيداً ، كما أنَّ هناك إحتمالاً آخر بأنْ يكون سيِّئاً . فإذا حملت عمله على محمل حسن ، يوصف ذلك بحسن الظن . أما إذا حملته على محمل سيِّىء ، فيوصف ذلك بسوء الظن . على سبيل المثال ، يتقدم شخص معين نحوك من مسافة بعيدة ، ويوجّه حديثه إليك قبل وصوله . هب أنَّ المكان كان مزدحماً بالناس فلم تتبيّن قوله بوضوح . في هذه الحالة هناك إحتمالان ، فإما أن يكون قد وجّه إليك كلاماً نابياً ، أو أنّه قد تجامل معك . هنا يبرز الحسن والسوء . فإذا رجحت الإحتمال القائل بأنَّه قد تجامل معك، وقلت في نفسك: (من المؤكد أنّه قد تجامل معي، فمن غير المعقول أنْ يبادرني بالسب من دون أي سبب) ، يوصف موقفك هذا بحسن الظن . ولكن إذا قلت في نفسك : (هناك سوء تفاهم قديم بيني وبينه ، لذا فقد بادر إلى سبّي وإهانتي الآن) ، أي إنَّك حملت كلامه على محمل سيِّىء ، وهو محمل السب والإهانة ، فيوصف موقفك عندها بسوء الظن .

مثال آخر على ذلك . إذا رأيت أحد المؤمنين يخرج من إحدى مراكز الفساد ، فمن الممكن أنْ يتبادر إلى ذهنك أحد إحتمالين . أولهما أنْ يكون قد قصد ذلك المركز لإزالة أسباب الفساد منه عن طريق النصح والموعظة .

وثانيهما أنْ يكون قد ذهب إلى هناك ليشارك المفسدين في غيّهم . فإذا قلت في نفسك ، لا بدّ أنّه قصد من ذهابه الإصلاح والقضاء على الفساد، فهذا الموقف يعبّر عنه بالحمل على الصحة وحسن الظن . أما إذا قلت ، لا بدّ أنّه أراد مشاركتهم في الغي والفساد ، فهذا الموقف يعبر عنه بالحمل على الفساد وسوء الظن .

ينقسم سوء الظن المحرم إلى قسمين . الأول ويختص بإساءة الظن تجاه الأفعال الإلهية . أي إنَّ يحمل الإنسان أفعال الله عزّ وجل على محمل السوء ، وهو ما يعرف بسوء الظن تجاه رب العالمين . مثل أنْ يتوهم أحدهم بأنَّ هذا العالم المترامي الأطراف ، خالٍ من النظم والإنضباط ومجرد من الحكمة . . . أي أنْ يعتقد بأنَّ الأفعال الإلْهية هي بلا معنى ولا فائدة والعياذ بالله .

المتعبد الجاهل ، والعمل القليل النفع :

نتذكر هنا حكاية ذلك المتعبد الذي تأمل الملكان في سجل أعماله ، فوجدا أنَّ أفعاله هي من الوزن الخفيف . وبالرغم من كثرتها وتنوّعها ، وجدا أنَّ أجرها قليل . فقرّرا عندها أن يخضعاه للتجربة ، فذهبا إليه وسألاه عن حاله ، وقال له ، كيف تسير الأمور هنا أيها العابد ؟ فأجابهما بقوله : الأوضاع تسير على أحسن ما يرام ، ولكن الإشكال الوحيد هو أنَّ الله قد أنبت في هذه الصحراء أنواعاً من العلف الذي يتلف دون إستفادة ترجى منه . فيا ليت أنَّ الله كان قد أرسل حماراً ليعلفها كي لا تهدر هكذا .

عند سماع هذا الجواب ، نظر الملكان إلى بعضهما باستغراب وصعدا إلى السماء . وقد تبينّ لهما بعد هذا الحوار أنَّ ذلك العابد لا يتمتع بوعيٍ كافٍ يمكّنه من أنْ يحسن الظن بنظام العالم ، ويزيل كل الإنتقادات التي قد تحاول الدخول إلى نفسه ، ويعتبر نفسه أصغر من أن يستطيع العثور على عيب ، أو نقص ، في النظام الأكمل وفي جهاز الخلق والتكوين . فإذا وجه إنتقاداً ما ، فهذا يعود إلى قصور في نظرته وبصيرته . يجب أنْ يعلم جيداً

بأَنَّه أصغر من أَنْ يستطيع الدخول إلى فلك الأسرار التي ينطوي عليها عالم الـوجود ، وأنَّ هـذا القدر المحـدود الذي يفهمـه ، إنما هـو من فضـل الله عليه . لذا يجب عليه أَنْ يستند إلى القدر الذي فهمـه ، ويتيقن من خلالـه أَنَّ صاحب هذا العالم قد أبدع نظاماً فريـداً متكامـلاً له ، ولـو إجتمع كـل العقلاء والمبدعين وأرادوه أنْ يبتكروا وضعاً أفضل ، أو نـظاماً أنسب لـه ، لاستحال عليهم ذلك .

لا ينبت عشب في الأرض عبثاً ، أو دون حكمة ، كما لا يوجد عرق في جسم أي من الحيـوانات قـد وضع في مكـانه دون حكمـة معينة . حتى هذا الجسم البشري المعقد ، مع كل الأجـزاء المتشابكـة التي يحتوي عليهـا حيث أَنَّ الأجـزاء الأسـاسيـة التي يتـألف منهـا تتجـاوز الألف ، والأجـزاء الفرعية التي تلحق بها تتجاوزأعدادها عدة مليارات . لم يستطع أي أستاذ، أو عالم ، أو طبيب مختص في علم التشريح ، في أي مرحلة زمنية سـابقة ، أو حاضرة،منذ اليوم الأول الذي دخـل فيه الإنسـان إلى حقل التشريـح ، وحتى يومنا هذا الذي وصل فيه هذا العلم إلى قمة شامخة لا تضـاهى ، أنْ يدعي بأنَّ الجسم البشري يحتوي على جهاز زائد غير ضروري أو على جـزء عديم الفائدة .

الزائدة أو بوق الخطر :

في الطب القديم ، عـرفت الزائـدة كإحـدى الأسباب التي تؤدي إلى آلام في البطن والأمعاء . وهي عبـارة عن معي صغير لا يتجـاوز مقدار ، رباطاً من ثلاثة أصابع ، ويعرف بالأعور أيضاً لأنَّـه لا يسمح بمـرور الغذاء من طرفه الثاني . تدخل المواد الغـذائية إلى ثنـاياه ومن ثم تعـود ، وأحيانـاً تبقى في الداخل فيصاب المرء عنـدها بـألم شديـد في بطنـه وأمعائـه . ومن المعروف بأَنَّ علاجه الـوحيد هـو اللجوء إلى عمليـة جراحيـة يُستأصَـلُ من خلالها . في السابق كان يطلق عليه إسم الزائدة ، أي المعي الـزائد . أمـا في هـذا القرن الـذي وصل فيـه علم الـطب إلى قمـة شـاهقـة من التـطور والتقدم ، وتطور إلى درجة كبيرة في مجال إدراك الحكم التي تقف وراء خلق

هذا البنيان الجسدي ، فقد تبدل إسم حيث بات يعرف كالتالي : لا يجوز تسمية هذا المعي بالزائدة ، فهو ليس جزءاً زائداً في الجسم بل عضواً مهماً يعمل في خدمة بقية الأمعاء . . . فما هو يا ترى ؟ لقد أطلق عليه اليوم إسم بوق الخطر . . . إذ إنّه لولا وجود هذا المعي البسيط ، لم تكن الإضطرابات التي تحل بوضع بقية الأمعاء لتعرف . فمن الممكن ألّا يشعر الجسم بالخطر الداهم الذي يتهدد الأمعاء ، على نحو يؤدي إلى هلاك المريض . إلا أنَّ وجود هذا القسم من الأمعاء الدقيقة ، الذي يتأثر ويلتهب بمجرد أنْ يحيط الخطر ببقية الأمعاء الأمر الذي يتسبب بآلام شديدة ، ينبّه الإنسان إلى وجود حالة مرضية ، فيذهب إلى طبيب مختص يعمد إلى إجراء عملية جراحية يستأصل من خلالها هذه القطعة الملتهبة . عندها يرتاح المريض من آلامه . لذا لا تقولوا عن هذا العضو بأنّه زائد . فقد إعتقد الطب مؤخراً بصورة كاملة؛ ، بضرورة وجود هذه القطعة الحساسة .

كل شيء يقوم بالمهام الموكلة إليه ، مفيد وجيد :

إذن فقد تبيّن لنا أنَّ نظام العالم هو نظام متكامل . ولو اجتمع كل العقلاء والعلماء ، وتعاونوا من خلال العلم الذي يتمتعون به ، وأرادوا أنْ يثبتوا مثلاً أنّه كان من الأفضل لوضعية الجسم البشري وبنيانه لو أنّهما أبدعا بطريقة أخرى ، لاستحال عليهم ذلك . فليس هناك من وضع يعادل وضعه الحالي في تناسقه وتكامله . . . أنظر إلى هذه الأجزاء المختلفة . . . أنظر إلى هذا البنيان العظيم . . . كل شيء قد وضع في المكان المناسب وهذا التكامل ينسحب على بنيان العالم الكبير المحيط بنا أيضاً .

أمعن النظر في كل الأشياء المحيطة بك لترى أنَّ كل واحد منها قد وضع في مكانه بحكمة وعناية . أنظر إلى نظام العالم الرحب والفضاء الواسع . . . هناك المليارات من الكريات العظيمة التي تتابع رحلتها وحركتها الدائبة في هذا الجو اللامتناهي في كبره ، من دون أنْ تصطدم

ببعضها البعض . ترى ماذا يحدث فيها لو إصطدمت كريّات منها ببعضهما البعض ؟ ترى ماذا يحدث فيها لو إصطدمت الكرة الأرضية التي نعيش على سطحها ، بالسرعة التي تسير بها الآن حيث تقدر حركتها الدورية الإنتقالية بأربعة فراسخ في الدقيقة الواحدة ، وحركتها الوضعية بأربعة فراسخ في الثانية الواحدة بإحدى الكريات الأخرى أثناء سيرها في الفضاء ؟ أكثر من ذلك إليكم هذه النبذة عن النظم الفريد :

الفضاء المحيط بالأرض ، هو حارس الحياة :

من جملة الإكتشافات الجديدة ، التقرير العلمي الذي يفيد بأنّه في كل يوم يمر ، ينفصل عن الكريات الأخرى حوالي العشرين مليوناً من الأحجار السماوية التي تتجه نحو الكرة الأرضية . ترى بأي سرعة تتجه هذه الأحجار مباشرة نحو الأرض؟يسير كل حجر من الأحجار التي ذكرت (العشرون مليون) بسرعةتصل إلى مائة ألف كيلو متر في الساعة . أي إنه يقطع في كل ساعة مسافة تصل إلى مائة ألف كيلو متر . لو إفترضنا بأنّها ستصطدم بهذه السرعة الهائلة بالكرة الأرضية ، فماذا يحل عندها بالأرض ومن عليها يا ترى ؟ ليس هناك من قنبلة نووية تعادل قوتها التدميرية ، القدرة التي تتمتع بها هذه الأحجار السماوية . إذ إنَّ قدرة هذه الأخيرة تعادل قوة عدة قنابل توويـة مجتمعة . إذن ، لو أكملت هذه الحجارة مسارها العادي المؤدي إلى الكرة الأرضية وإصطدمت بها . . . لو تعرضت الكرة الأرضية لمدة ساعة فقط ، لقصف مدمر من هذه الأحجار السماوية ، فماذا يحدث يا ترى ؟ . . . لن يبقى حجر على حجر في الأرض . . . لن يبقى بيت واحد . . . لن يبقى إنسان أو حيوان على قيد الحياة . . . كل شيء سوف يدمر . . . الكرة الأرضية نفسها سوف تتلاشى . . . ما هو سر هذا النظم الفريد ؟ . . . .

إنَّ إله هذا العالم . . . منظم هذا الكون ومديره ومدبر شؤونه ، هو الذي أوجد ذلك الفضاء أو الجو الفسيح الذي يحيط بالكرة الأرضية من جميع الجهات . ذلك الجو الذي يبلغ مدى سماكته وضخامته مائة كيلو متر،

له تأثير عجيب على حياة الكائنات التي تعيش على سطح الأرض . وتتجلى إحدى إثاره في التعديل الذي يجريه على حرارة الشمس إذ إنَّ وهج الشمس يتجمع في البداية داخل هذه المنطقة من الجو ، ولا يسلط بشكل مباشر على سطحِ الكرة الأرضية . فلو قدر لهذا الوهج أَنْ يصل بصورة مباشرة إلى الكرة الأرضية ، من دون مروره بالمحطة الجوية التي أشرنا إليها . . . من دون تعديل يطرأ عليه ، أتدري أي مصيبة كانت ستحل بالأرض ومن عليها ؟ كل البحار كانت ستغلي حينئذٍ حرارة الأرض كانت سترتفع إلى ما يفوق المائة درجة فوق الصفر . . . حتى الدم الذي يجري في عروقك كان سيغلي . . . حتى الحليب الذي تكتنزه صدور الأمهات كان سيصل إلى درجة الغليان . بالإضافة إلى ما ذكر ، لو قدر لتلك الحرارة الهائلة أَنْ تصل مباشرة إلى الأرض ، لم نكن لنعثر على قطرة ماء واحدة في الكرة الأرضية من أقصاها إلى أقصاها . . . إذ إنَّ المياه كلها كانت ستتبخر . . . كانت ستزول .

يضاف إلى ذلك أنَّه لولا وجود ذلك القسم من الجو . أي في حالة قدوم الحرارة الموصوفة مباشرة إلى سطح الكرة الأرضية ، لكانت برودة الهواء ستصل إلى مائة وستين درجة تحت الصفر أثناء فترات الليل . وعندها كان الصقيع والجليد سيلفّان العالم بأكمله . وفي كل ليلة تمر ، كانت الكرة الأرضية ستبتلي بموجة الصقيع والجليد ، التي تعمل على تجميد كافة الأجسام . الأيام كانت ستجر معها تلك الحرارة التي لا توصف ، والليالي كانت ستجر معها ذلك البرد المهول . في تلك الحالة ، ترى هل كان من الممكن العثور على كائن حي على الكرة الأرضية ؟ لذا فقد وكلت إلى هذا القسم من الجو ، مهمة حفظ حرارة الشمس ووهجها في داخله ، بالإضافة إلى تعديلها ثم إرسال الحرارة إلى الأرض خلال أربع وعشرين ساعة ، مما يحول دون بروز تلك البرودة أثناء الليل . إذ إنَّ الطقس يستمد من الحرارة التي قد ادخرت في الجو أثناء فترات النهار ، طاقة تمنع ظهور البرودة المذكور .

أضف إلى ذلك إنَّ الحرارة الشديدة المختزنة في طبقات الجو ، تسبب في ذوبان الأحجار السماوية المتقدمة نحو الأرض وإنحلالها .

هدفي من هذا العرض الموجز ، هو تقديم نبذةمختصرة عن النظم الذي يتمتع به العالم . ولنا أَنْ نتخيل كيف يحتار الإنسان في التفكير بأي قسم من أقسامه المتعددة .

إذن فكل أفعال الله عز وجل تستند إلى حكمة معينة :

بعد أنْ تعرفت إلى كل هذا النظم والدقة في الإبداع ، ألَمْ تتيقن من أنَّ كل أفعال الله عز وجل تستند إلى ترتيب معين ، وأنَّ كل أعماله تستبطن حكمة بالغة ؟ وعندما تتأكد من أنَّ كل أفعاله سبحانه وتعالى مبنية على حكمة عظيمة ، لا ينبغي أَنْ يتسلل سوء الظن تجاه الخالق إلى نفسك . كأن تقول في نفسك من باب الإعتراض : لقد أسبغت (يا ربي) نعمك على هذا الشخص ، بينما لم تمنح ذاك سوى النزر اليسير . أو أَنْ تقول : تبارك الله أحسن الخالقين ، ولكن ما هي الحكمة التي جعلته يسبغ نعمه على من لا يعرف قدرها ولا يستفيد منها ؟ أي إنَّ الله لا يحسن التصرف والعياذ بالله ، حيث ينبغي أَنْ يستشيرك أولاً قبل إتخاذ القرار . هذا معناه أنَّك تقول لله : رباه . . . إنْ كنت تريد إغداق المال ، فأغدقه عليَّ لا على الشخص الفلاني . كل هذه الإعتراضات والأقوال الفارغة تستمد جذورها من سوء الظن . . . أي إنَّ أعمال الله لا تستند إلى حكمة والعياذ بالله !

من الحالات التي يتجلى فيها سوء الظن بحكمة الخلق والتكوين ، نستذكر موت الأهل والأقارب ، حيث يسمح الإنسان لنفسه أحياناً بالجهر بما يضمر . فلو كان عزرائيل يرى بالعين ويلمس باليد ، فلا أظن أنَّه كان يستطيع الخروج سالماً من البيت الذي يدخل إليه ليقبض روح أحد أفراده ، إذ إنَّ أهل المنزل كانوا سيحملون عليه ليقطعوه إرباً إرباً .

عزرائيل له عين واحدة حسب إعتقاد اليهود :

من الخرافات التي يؤمن بها اليهود ، نشير إلى قصة قبض روح

موسى بن عمران ، التي تفيد بما يلي : عندما ذهب عزرائيل ليقبض روح موسى بن عمران ، بادره موسى بصفعة قوية على وجهه ، مما أدّى إلى فقده لإحدى عينيه . وعلى هذا الأساس ، يعتقدون بأَنَّ عزرائيل له عين واحدة . ولا بدّ أنهم يقولون لبعضهم : ليت عينه الثانية كانت قد أصيبت بالعمى أيضاً . . . عندها كنّا سنرتاح جميعاً من شره . مصدر كل هذه الأقوال والتفاهات هو الجهل . من المعلوم أنَّ الملاك ليس له جسم مثل الإنسان . الصفعة والضربة وما شابه ، تؤثر في الجسم المصنوع من لحم ودم . . والملاك ليس له لحم ودمن وجلد . . . . الملاك يتمتع بجنس نوراني ، فهو ليس جسماً له حجم ، أو مادة تشغل حيزاً معيناً . الجسد الترابي يرمز إلى الجسم الحيواني ، بما فيه من دم ولحم وجلد .

أردت أَنْ أُشير من خلال هذه الأحاديث إلى مسألة الإعتراض على مصدر الخلق والتكوين ، والشعور بالغضب تجاهه .

الموت . . . أو النعمة الإلهية الكبرى :

نتناول في هذه الفقرة موضوع الموت على سبيل المثال . الحقيقة أنَّ إحدى النعم الإلهية الكبرى التي تشتمل على حكم متعددة ، هو الموت نفسه . ولكن المفارقة هي أنَّ الناس عموماً لا يعجبهم هذا الموضوع أبداً . لنقدم الآن نموذجاً عن الكلام الذي نذكره . لو فرضنا أَنَّ مسألة الموت قد أُلغيت لمدة مائة سنة كاملة ، ترى أي وضع سيعاني منه البشر حينئذٍ ؟ . . . ماذا بوسع العجَّز من الرجال والنساء ، العاجزين عن العمل والحركة ، أَنْ يفعلوا في تلك الحالة ؟ . . . عندها لن يكف الأبناء والبنات والأحفاد عن خدمة أولئك العجز ، والإهتمام بطعامهم ولباسهم ، ونظافتهم ، ومسكنهم ، والسهر على راحتهم . وبعبارة صريحة أكثر ، أقول إنَّ الأبناء لن يكفوا عن الإنشغال بالأوساخ التي يخلّفها العجَّز ، وبالتنظيف والتطهير . عندئذٍ لن يبقى لديهم أي وقت إضافي . ترى متى بإمكانهم أَنْ ينصرفوا إلى أعمالهم وأرزاقهم ، وراحتهم وحياتهم الخاصة ؟ والأنكى من ذلك أنهم سيبتلون هم أيضاً بهذه المعاناة عما قريب . وبعد مضي فترة غير

طويلة ، نلاحظ أَنَّ عدد الفئات العاجزة عن العمل والمقعدة والخرفة ، يشكّل الغالبية العظمى من مجموع سكان الأرض . . . . حقاً إنَّ الحياة ستصاب بالخلل في تلك الحالة . عندئذٍ نرى أنَّ الجميع ، شباباً وكهولاً وشيوخاً ، يبتهلون إلى الله : ربّاه . . . . إعمل ما تراه مناسباً ، ونفذ الأمر الذي أودعت فيه الخير والصلاح .

وبالرغم من أنّنا جميعاً لا نرغب بالموت ولا نعجب به إلا أَنَّ المفارقة الجيدة هي أَنَّ سعادتنا جميعاً تكمن في الموت نفسه .

إساءة الظن بالقضاء والقدر . . . إساءة الظن بالنظام الأكمل ، هي من الأمور المحرقة . كل ما أتى به الله عز وجل هو الحق والصواب . تيقن أنَّ ما فهمته وعقلته ، ما هو إلا نموذج أو لمحة عن كل ما عجزت عن إدراكه وتحليله . وسواءً استطعت أَنْ تلم ببعض جوانب حكمته سبحانه وتعالى أم لا ، يجب أَنْ تتيقن أَنَّ الله الخالق المصور يتصف بالحكمة المطلقة ، أي إنَّه حكيم ﴿ **ألا يعلم من خلق** ﴾ . إنَّ الله عز وجل يعرف كل وجوه الصلاح والفساد . . . وبالتالي لا يحق لك أَنْ تعترض على حكمته أدنى إعتراض .

إنزع قناع التشاؤم عن وجهك :

نستطيع أَنْ نعبر عن الفكرة عبر مثال واضح وبسيط . إذا إنتعل أحدنا حذاءً في غاية الجودة . وضيقاً في الوقت نفسه ، ومن ثم راح يتمشى في شارع معبد ، وأنيق ، من أحسن طراز ، تغطي جانبيه صفوف من الأشجار الخضراء الوارفة الظلال ، قبيل الغروب أي عندما يكون الهواء عليلاً ، وأشعة الشمس قد خفت وطأتها . . . . فمن الطبيعي أنَّه بعد سير مسافة معينة ، سيشعر بالألم نتيجة ضغط الحذاء على قدميه وربما يصاب ، ببعض الجروح . عندها سيبدأ بإطلاق صيحات العضب والإستنكار : ما هذا الطريق الوعر . . . لقد أزعجني وآلمني . . . لقد أُصيبت قدماي بالجروح . . . لقد تورمت . . . بت عاجزاً عن مواصلة السير .

عنـدهـا ، ينبغي أَنْ نجيبـه عـلى النحـو التـالي : إخلع نعليـك أولاً . . . . لأنَّ ضيق الحذاء هو الذي يمارس ضغـطاً على قـدميـك، الأمر الذي يسبب لك الأذى . عنـدها ستستـطيع أنْ تمتـع بصرك بلذة النظر إلى المنـاظر الخـلابة ، وتثلج صـدرك بروعـة التجـول في ذلـك الشـارع المعبـد الأخاذ . إذن فالطريق ليس وعراً كما تدّعي ، بـل معبد ومجهـز على أحسن ما يرام . . . العيب موجود في ذاتك أنت .

يا من تنظر إلى أعمال الله عز وجل ، نظرة مصحوبة بجهل تام وعدم إدراك لا يـوصف . . . ما دمت لم تنـزع قنـاع التشـاؤم عن مـواطن الفهم والإدراك لديك ، فلن تقف أبداً على الحكم السنية والفوائد الجمة التي قـد أخفيت في كـل جزءٍ من أجـزاء الخلق والتكوين . أو بعبـارة أخـرى ، مـا دمت لم تخلعِ نعليك اللذين يسببان لك الألم والإزعاج بسبب ضيقهما ، فلن تستطيع أبداً أنْ تمتع قلبك بروعة التجول في ذلك الطريق الجميل .

نستـذكر هنـا الكلام الـذي أوردناه حـول حِكَمِ المـوت . . . . وأَنَّ إحـدى تلك الحكم تتجلى من خـلال توفـير إمكانيـة الحيـاة لمجمـل الجنس البشري . أوردنا هنا مثالاً آخر حول إحدى حكم الموت .

الموت هو المقدمة الطبيعية لإستضافة الإنسان عند رب العالمين :

لنفـرض أَنَّ أحد السـلاطين الكبـار دعا عـدة أشخـاص إلى مـدينـة عظيمة يمتلكها . . . مدينة مزدانة بحدائقهـا الغناء ، وقصـورها الفخمـة ، ومناظرها الخلابة . . . وقرر أنْ يجعـل هذه المـدينة من نصيب المـدعوين ، بكل ما فيها من أسباب الراحة ، والـرفاهيـة ، واللذة ، والسعادة . وقبـل وصول المدعوين إلى المدينة المرتجاة ، إختار لهم الملك ضاحية تقـع بالقـرب منهـا ، كي يقيمـوا فيهـا بصـورة مؤقتـة ، ريثـما ينتهي العمـل في الـزينـة و (الديكورات) الداخلية والخارجية في القصور إياها . وفي الوقت نفسه ، أوصى بحسن استضـافة مـدعويـه في محل إقـامتهم المؤقتة ، وتـأمـين كـافـة أسباب الراحة لهم .

فإذا قام الضيوف خلال فترة وجودهم في هذه الضاحية بالتنازع حول أمور ثانوية وهامشية ، فإنَّ ذلك سيكون مدعاة للسخرية والإستهزاء . . . . أنت أكلت في صحن أفضل من صحني . . . وأنت جلست في مكان أفضل من مكاني . . . وغيرها من الأمور التافهة . . . . في هذا الظرف الذي لا يحتمل ، ولا يستحق المشاحنة والنزاع ، إذ إنَّ المسألة تقتصر على يوم أو يومين ، وهو مدة سريعة المرور . . .

ما أرمي الوصول إليه هو أنَّ الموت ليس إلا نهاية لدورة الحياة في هذه الدنيا الفانية ، وبوابة للعبور إلى ضيافة رب العالمين التي لا تعادلها ضيافة . ما دمت في هذا القفص الدنيوي ، وفي هذه المحطة العابرة ، فلن تستطيع تصور بهاء الضيافة الإلهية بكل ما فيها من سعادة وحبور . . . . . إذ إنَّ عالم المادة ، ليس لديه السَّعة المطلوبة لإدراك تلك النِّعم الإلهية أو تصورها .

إنَّه لَمِنْ دواعي التعجب والإستغراب أَنْ يمتنع عدد من الضيوف المقيمين في الضاحية التي ضربنا المثل بها ، عن الذهاب إلى المدينة التي تحوي القصور ، والحدائق ، والمسرة؛ ، وأَنْ يقولوا التالي : إننا نفضل البقاء في هذا المكان . . . . لا نرغب في الإبتعاد عن هذه الضاحية قيد أنملة . . . وما السبب يا ترى ؟ لأنّنا لا نعرف شيئاً عن المدينة الأفضل والأمثل ، والأجمل ، والتي تتحدثون عنها .

أما الذين باتوا (يؤمنون بالغيب) . . . والذي استقام بصرهم واهتدت بصيرتهم . . . . وآمنوا بتعاليم الله وأقوال الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فيعلمون أنَّ نعماً سنية قد كتبت لهم ، حيث لا تدرك أي نفس شيئاً عن حقيقتها وروعتها[1] ، ولن تدرك شيئاً طالما هي في هذه الدنيا الفانية .

---

(١) ﴿ فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لها من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ سورة السجدة : الآية ١٧ .

والآن ، أما زال الموت الذي لا يعجبنا ذكره ، سيِّئاً ، أو مجرداً من كل حكمة ؟ . . . الحقيقة تجيبنا بالنفي ، إذ إنَّ الموت هو البوابة الرئيسية للدخول إلى ساحة تلك النعم والسعادة والملذات .

بعض الناس يعتقد خاطئاً أَنَّ هذه الدنيا هي مكان إقامته وإستقراره النهائي . كلا ، إنها مقر مؤقت . الحقيقة إنَّك قد استبقيت هنا كي تبني منزلك الدائم في الدار الآخرة ، ببركة الأعمال الصالحة التي ستؤديها خلال سحابة عمرك إنْ شاء الله . وعندما يشيد ذلك المنزل ، يقولون لك : تفضل بالدخول . . . . وحتى لو حاولت الإمتناع وقلت لهم : لا أريد الذهاب معكم . . . . فسوق يجروك عنوة . مهما كلّف الأمر ، يجب أنْ تذهب في النهاية . فهذه الدنيا ليست مستقرك النهائي .

مهما أوتي الإنسان من أسباب القوة ، والجاه ، والثراء ، والعظمة ، فإنَّ الموت سيسحبه في النهاية ويجره إلى القبر جراً . لقد أخطأت بعدم رؤية المحاسن التي يتمتع بها الموت .

الموت هو زينة للإنسان :

يقول الإمام الحسين (عليه السلام) : « خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة »[١] .

هناك رواية تفيد بأنَّه حين يحمل الميت إلى المكان الذي يغسل فيه ، وأثناء غسل بدنه ، يقال له : أيسرّك أنْ نردك إليه ؟ (أي إلى بدنك)[٢] . . . فيجيب بما معناه : هيهات ، كنت أنتظر لحظة التخلص منه بفارغ الصبر .

نكتفي بهذا المقدار من الشرح لحرمة سوء الظن بالله عز وجل . وسوف نحاول فيما يلي من الفصول أَنْ نتصدى لشرح حرمة سوء الظن

---

(١) نفس المهموم .

(٢) بحار الأنوار .

بالخلق ، إنّ شاء الله . . . إذن فالموقف الـذي يتوجب عـلى الإنسان المؤمن أنْ يتخذه تجاه الأفعال الإلهية برمتها ، يتلخص فيما يلي : حسن الظن بها ، وخـلاصة حسن الـظن بمصدر الخلق والتكـوين . الـويـل لمن يسيء الـظن بمصـدر الخلق . . . . . أي أن يحمل فعـل الله سبحانـه وتعـالى ، أو الشيء الـذي خلقه الله عـز وجل ، عـلى محمل السـوء . الـويـل لـذلـك الأعمى ﴿ الظانين بالله ظن السوء ﴾ . الويل لمن ينسب ظلماً أو عمـلاً غير لائق إلى الله عز وجل . . . . أستغفر الله العظيم . هـذا هو المجـال الخطر الـذي لا يجوز خوض غماره . يجب عليك أَنْ تدرك جيداً أنَّ كل ما أتى بـه الله ، هو عين الصلاح . ذلك الإنسان الـذي مات في عـز شبابـه . . . . ما يـدريك بشـأنه ؟ ربمـا لو بقي عـلى قيد الحيـاة وعاش عمـراً مـديـداً ، لكـان إبتـلي بمصائب وأهوال جعلته يفارق هـذه الدنيـا من دون إيمان . . . أي إنّـه كان سيـلاقي الضياع والهـلاك الذي مـا بعده هـلاك . إنَّ سعادة هـذا الشـاب ومصلحتـه كانت تكمن فيـما جرى لـه . . . . أي أنْ يفارق الحيـاة في هذه السن المبكرة . ترى ألديك فيض من المحبة ، والرأفة ، والرحمة ، أكثر من الله عز وجل ؟ . . . إنَّ المصدر الذي خلقـه ، يكن له محبـة ومودة ، تفـوق محبتـك ، ومودتـك ، تجاهـه . . . . . ويعرف مصلحتـه ، وسعادتـه ، أكثر منك .

علي (ع) كان مسروراً بذكر الموت :

يجب أَنْ يفهم الإنسان جيداً أَنَّ الموت ليس غولاً مفترساً ، ولا طـرفاً معتدياً ، لكي تتغير نظرته إليه على أنَّه نوع من أنواع الظلم والإعتداء . إنْ كنت قد أصبحت من أهل المعرفة . . . . إنْ كنـت قد أصبحت من شعية عـلي (عليه السـلام) . . . . فاسمـع لأمير المؤمـنين (عليه السـلام) حين يقول ما معناه : « قسماً بالله ، إنَّ أُنسي بالموت ، يفوق أُنس الرضيع بثـدي أمّه » . . هل رأيت ذات مرة رضيعاً مرتعباً لسبب ما؟ هل رأيته عندما كان منزعجاً من أمرٍ ما ؟ وهـل لاحظت كيف يهـدأ روعه ، ويـرتاح بمجـرد أَنْ يضع فمه على ثدي أمّه ؟

أي إنَّ علياً (عليه السلام) يقول ما معناه : عندما أكون مبتلياً بـأي نـوع من أنواع المصـاعب والمتاعب . . . بمجـرد أَنْ أتـذكـر المـوت ، يهـدأ روعي وتسكن خواطري وأرتاح . . . وأتذكر وطني عندئذٍ .

أسألك أنْ تنصر وصيّ محمد أو تتوفه :

ينقل سماحة الشيخ سيد إبن طاووس في كتاب (تنوير الخواطر) هذا الحـديث عن إسماعيـل بن عبـد الله الـذي كـان من صحـابـة رسـول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) . يقول هـذا الصحابي مـا مفاده : بعـد مقتل عثمان ، وعلى أثـر ظهور الهـرج والمرج بـين صفوف المسلمـين ، أردت أنْ أبتعد عن هذا البـلاء كي لا ألطخ يـداي بما يشينهـا ، فانـزويت بعيداً عن ساحة الأحداث وإخترت بقعة تقع في جوار ماء الفرات (ساحل البحر) . وهنـاك لم أختلط بـأحـد من النـاس . وفي الليلة التـاسعـة عشر من شهـر رمضـان المبارك ، وبينـما كنت جالسـاً إلى جـانب المـاء ، لمحت في الـظلام شخصاً يقف على الـطرف الآخر من المـاء وهو في حـالة المنـاجاة . ثم بـدأ صوت مناجاته يلامس أذناي ، حيث سمعته يقول جملتين أو ثلاثـة بحرقـة شديدة : « أللهم بديع السموات والأرض ، الحي القيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم . . . . اللهم أنت ولي محمد ، وناصر محمد ، أنْ تنصر وصي محمد أو تتوفّه » .

ثم رأيته وهو يسـير على سـطح الماء . قلت في نفسي لا بـدّ أَنْ يكون هــذا الشخص من العـظماء حتى يتمكن من العبـور فـوق المــاء . تبعتـه وأقسمت عليه أَنْ يدلني على الحق ، فأجـابني بقولـه : « الحق وراءك وصي محمد . . . » إنْ كنت تريد بلوغ الحق فانظر خلفك تجد وصي محمد . . . . إعـرض أمور دينـك عليه . . . (ربمـا كان هـذا الرجـل العـظيم ، الخضر عليه السلام) . عندها تـوجهت إلى مدينـة (الكوفـة) . وصلت إلى قرب بوابة (الكوفة) ليلاً . . . الظلام كان قد حلّ تماماً . . . المكان كان خالياً تمـاماً من المـارة . . . إخترت زاويـة منـاسبـة وتمـددت فيهـا . فجـأة رأيت شخصاً يخرج من المدينة . . . صـلّى ركعتين أو أربـع ركعات . . . ثم بـدأ

بمناجاة طويلة حتى وصل إلى المقطع الذي قال فيه ما معناه : رباه . . . بعد رحيل نبيك ، عملت بسنته بين هؤلاء الناس . . . ولكن هؤلاء الناس قد ملوني . . . لا يريدون علياً بعد . . . ماذا بوسعي أَنْ أفعل ؟ . . . عدل علي لا يتماشى مع أعمالهم . . . الحق لا يتماشى مع أعمالهم . . . (ملوني ومللت منهم) . . . . وأنا أيضاً قد ضقت بهم ذرعاً .

هؤلاء الناس الذين يعبدون هواهم ، ويقبلون على الدنيا بكل أوتوا من قوة . . . كيف يمكن أَنْ تتماشى أعمالهم مع طروحات علي الذي يمثل أروع تجسيداً للروح الطاهرة المنزهة ؟ . . . الذي هو عين الحق والحقيقة . . . كما أنه لا يمكن لمسلك علي أَنْ يتماشى مع طروحات تلك الفئة . . . أما تلك الروح المتعالية التي تسكن في العالم الأرحب والأعلى . . . روح إبن عمه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فهي التي تنسجم مع روح علي (عليه السلام) .

ثمّ تابع مناجاته قائلاً ما مفاده: رباه . . لقد وعدني إبن عمي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بشيء إذْ قال لي (ما معناه) : يا علي . . . . عندما تضيق ذرعاً بهذه الدنيا ، أطلب الموت من الله عز وجل ، فيحقق الله لك ما تريد . . . .

رباه . . . لقد ضقت الآن ذرعاً بهذه الدنيا . . . لا أُريد سوى شقاء إبن ملجم . . . لا أريد سوى الوصول ألى المقصود . . . سوى أنْ أُقتل في سبيلك .

أذكر لكم هنا مسألة هامة جداً . هناك رواية تفيد بأَنَّ الحزن كان يبدو على ملامح أمير المؤمنين (عليه السلام) في كل مرة كان يعود خلالها من جبهات الحرب والقتال . وعندما كان يسأل عن سبب حزنه ، كان يجيب بما معناه : ذهبت إلى ساحة الوغى على أمل أَنْ أستشهد في سبيل الله عز وجل . والآن عدت سالماً . أخاف ألّا أتمكن من تحقيق أمنيتي هذه حتى آخر المطاف .

من هنا نستطيع أَنْ ندرك مدى عظمة الإنسان الذي يستشهد في سبيل الله . فقد لاحظنا أَنَّ منتهى أمل علي هو أَنْ ينال الشهادة في سبيل الله . وقد عرف أَنَّ أُمنيته سوف تتحقق عندما بشرّه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) بأَنَّ عاقبة ذقنه ستكون التخضب بالدماء التي ستسيل من رأسه . أي إنّه سوف يستشهد في سبيل الله .

نتابع السرد بصورة مجملة . ثم يقول إسماعيل ما مفاده . لاحظت أنَّ ذلك السيد قد انتهى من مناجاته وذهب إلى (الكوفة) . فما كان مني إلا أنْ تبعته كي أتعرف إليه من جهة ، ولكي أعرف سبب دعائه ، وتضرعه ، وطلبه للشهادة ، من جهة أخرى . مشيت خلفه فرأيت أنَّه قد دخل إلى منزل أمير المؤمنين . عرفت عندئذٍ أَنَّه علي بن أبي طالب .

ذهبت إلى المسجد كي أقضي ليلتي فيه ، ومن ثم أتشرف في صباح اليوم التالي بلقيا أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وعند حلول الوقت المناسب ، إرتفع صوت الأذان عالياً . . . شرع علي (عليه السلام) بتأدية صلاته . ولم تمضِ فترة وجيزة حتى ارتفع الصوت الذي أعلن الخبر الفظيع : لقد قتل علي !

«١٨»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

إساءة الظن بالله هي بمثابة الكفر والشرك :

يجب أَنْ نذكر بأَنَّ إساءة الظن بالله ، بمصدر الخلق والتكوين ، هي بمثابة الكفر . وقد ذكر لنا القرآن المجيد في أكثر من آية من آياته الشريفة هذه المسألة ، حيث أشار إلى أَنَّ المشركين والكفار يظنون بالله ظن السوء[1]، ويحسبون أنَّ هذا العالم قد وجد عبثاً ، ومن دون جدوى[2]. أي إنَّنا أتينا إلى الدنيا من دون جدوى وأنَّنا نموت أيضاً من دون جدوى ، فنتحول بذلك إلى تراب . مرة أخرى يتحول التراب إلى إنسان ، ومن ثم يتحول الإنسان إلى تراب ، وهكذا دواليك ، من دون أيِّ هدف لهذا الخلق العظيم الذي أبدعه الله سبحانه وتعالى . أيّ ظنّ سيِّىء برب العالمين ، يقع فيه الإنسان ، عندما يحسب أَنَّ خلق البشر هو أمر عبثي لا جدوى منه ؟ هذا في الوقت الذي تنفي الحقيقة فيه هذا الأمر نفياً مطلقاً . إذ إنَّ الله عز وجل قد خلق العالم من أجل هدف عظيم . ألا وهو إبراز صفات الكمال لديه ، وإظهار صفة الربوبية التي يتمتع بها ، وذلك كي تبدو أوجه قدرته وإحسانه جلية واضحة .

---

(١) ﴿ الظانين بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء ﴾ سورة الفتح : الآية ٦ .

(٢) ﴿ أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً ﴾ سورة المؤمنون : الآية ١١٥ .

خلق البشر في سبيل محبة الله عز وجل :

يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الدعاء الأول من أدعية الصحيفة السجادية ، ما يلي : « وبعثهم في سبيل محبته » . أي إنّ الله قد خلق البشر في سبيل محبته . . . . ومن أجل أنْ يرى الإنسان بأم عينه ، ويتنعم بجوارحه بالألطاف والنعم الإلهية الموجودة في هذا العالم الفسيح ، كي يسعى إلى البحث عن أساسها ومنبعها وخزائنها[1] .

إنَّ كل ما تقع عينك عليه من جمال ، وتشعر به من بهجة ، وسرور ، وسعادة ، في هذه الدنيا ، ما هو إلا نموذج متواضع عن أصل السرور الموجود في عالم الغيب والملكوت ، في البرزخ ، والقيامة ، والآخرة . إنَّ كل ما تشاهده من أصناف الجمال في هذا العالم ، ما هو إلا قطرة في بحر الجمال الذي قد ادّخر للإنسان المؤمن . . . ما هو إلا قطرة من الأصل الموجود في الجنة .

جمال يوسف وحور العين :

الدنيا صغير وضيقة . لا يمكن للجمال أنْ يتجلى على حقيقته فيها . لقد تجلّت نسبة من الجمال تفوق الحد المتعارف عليه من خلال وجه النبي يوسف (عليه السلام) ، وطلعته البهية . وهذا ما جعل نساء مصر لا تتمالك نفسها ، فما كان من النسوة إلا أنْ قطّعن أيديهن بدلاً من الفاكهة ، دون أنْ يشعرن بذلك[2] . هذا هو واقع الحال . فما أنْ لمحت أعينهن جمال يوسف (عليه السلام) ، حتى فقدن السيطرة على زمام أنفسهن إلى درجة أنهنَّ قطّعنَ أيديهنَّ بالسكاكين التي كان في حوزتهن ، بدلاً من تقطيع الفاكهة . وذلك لأنَّ أعصابهن لم تكن لتتحمل رؤية جماله الذي لا يوصف . لهذا قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ما معناه : إذا أتت حورية من حواري الجنة إلى عالمنا هذا ، فسوف يهلك جميع البشر ،

---

(١) ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ سورة الحجر : الآية ٢١ .

(٢) ﴿ فلمّا رأينه أكبَرنَهُ وقطّعنَ أيديهنّ ﴾ سورة يوسف : الآية ٣١ .

لأنّهم لا يستطيعون تحمّل رؤية جمالها الساحر . إذا كان الوضع كذلك ، ترى ماذا سيصيبهم عند رؤية أساس الجمال وأصله . . أي محمد وآل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ؟ من المعلوم أنّ أرواح المؤمنين تكتسب بعد موتهم قوة تعادل مئات الأضعاف من قدرتها الأولى فطالما أنّهم يقيمون في عالم المادة وداخل أسوار هذه الأبدان ، فسوف تبقى قدرتهم ضئيلة للغاية . ولكن عندما يبتعدون عن قيد الأبدان ، فسوف يتمكنون من الوصول إلى أصل الجمال ، خاصة إنْ كانوا قد اهتدوا إلى فسحة وجودية مناسبة أيضاً . وخلاصة القول إنَّ كل آية من الآيات التي أبدعها الله سبحانه وتعالى ، ووضعها في هذا العالم ، ما هي إلا نموذج عن مقدار تفاعل الإنسان وإنجذابه نحو أصل تلك الآية . وهذا ما يحمل الإنسان العاقل عند رؤية كل هذه النعم البهية على القول : تبارك الله أحسن الخالقين . . . . تبارك الله الذي أغدق علينا نعمه هذه ، وأنزل علينا إحسانه العظيم .

رباه . . . إنْ كان هذا العالم ، عالم المادة ، والدنيا الصغيرة الضيقة ، يستطيع أنْ يعكس قدراً من قوتك اللامحدودة ، وعظمتك اللامتناهية ، حسب الفسحة الوجودية التي يتحلى بها . . . إذن ماذا هناك في الحياة الآخرة ، وفي العالم الأعلى ؟!

كل هذه البهجة ، كل هذا السرور ، كل هذا الجمال الذي نشاهده حولنا ، من كل الألوان والأشكال . . . ترى أي سر يختبىء خلف ستار أصله وأساسه ؟ . . . .

عطر الورود الدنيوية وأريج الجنة الفواح :

من المعلوم أنَّ رائحة زهرة الياسمين . . . رائحة الورد الأحمر ، تستطيع أنْ تنشر عطرها إلى مسافة تصل إلى عشرة أقدام تقريباً . فإذا ابتعدت عنها حوالي عشرين قدماً ، أو خمسين قدماً ، مثلاً ، فلن يصلك شيئاً من عطرها . إذن ماذا تقول في تلك الورود التي يصل مدى انتشار

أريجها إلى مسير ألفي سنة ؟ أريد أنْ ألفت نظرك إلى أصل تلك الروائح الزكية . إنَّ كلٍ ما تراه في هذه الدنيا الصغيرة والضيقة ، لا يشكّل أمراً ذي بال ، إذ إنّه لا يستطيع الظهور بمظهر أوضح وأكمل . أما أصل تلك العطور ، فهو في العالم الأعلى . . . . هو شذى عطر محمد وآل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

يقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ما مفاده : رائحة الأنبياء هي رائحة سفرجل الجنة . . . رائحة الملائكة هي رائحة الورد الأحمر الموجود في الجنة . . . رائحة الحواري هي رائحة زهور الياسمين الموجودة في الجنة . . . أما إبنتي فاطمة الزهراء ، فتتمتع بهذه الروائح السنية كلها مجتمعة[1] . هذه الرائحة الفريدة هي أريج الورد الجوري أو الورد المحمدي (صلّى الله عليه وآله وسلم)[2] أي إنّ المحاسن كلها قد اجتمعت في شخصية سيدة نساء العالمين (عليها السلام) .

وفي النهاية ، فإن الشيعة ، ومحبي أهل البيت (عليهم السلام) سوف ينعمون بتنشق أريج هذه العطور ، حتى ولو كانوا على بعد مسير ألف سنة من مصدر انبعاثها .

رحمة (رحمانية)[*] الله التي شملت كل شيء :

وهناك سورة في القرآن الكريم تدعى سورة (الرحمن) . ترى ، ماذا تعني كلمة الرحمن ؟ تعني أنَّ صاحب الرحمة العامة الشاملة قد بنى أساس العالم على الرحمة . أي إنَّ أساس الخلقة كان من أجل ظهور الرحمة والعطاء[3] . ماذا تعني الرحمة ؟ تعني أنّ الله عز وجل قد أعطى كل مخلوق ما يحتاج إليه . أي إنّ الخلقة هي واحة العناية ، والإحسان ، والكرم .

---

(١) رياحين الشريفة : الجزء الثاني ، ص ٦٠٨ .

(٢) الحاشية : كما يسمى في اللغة الفارسية .

(*) أول آية تطالعنا في القرآن المجيد هي آية ﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ .

(٣) ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ سورة هود : الآية ١١٩ .

وهي أيضاً عبارة عن تجلٍ لصفات الكمال عند الله . . . الحلم ، العفو ، الكرم ، العلم ، الحكمة ، والقوة .

الإنسان المؤمن الذي تعرّف من خلال القرآن المجيد إلى صفات الرحمة عند الله سبحانه وتعالى ، يجب أنْ يكون راضياً ومسروراً بحكمه وأفعاله . طالما أنَّ المؤمن يجب أنْ يدرك أصله وأساسه ، فينبغي أنْ يحاول الوصول إلى قرب ما يشتهي ، في العالم الأعلى ، عن طريق العبودية الصادقة . وعندها يناله نصيب أو نسمة من السلطنة الإلهية الحقة(١) .

النار ضرورية للمعاندين :

لقد خلق الله عز وجل الناس من أجل أنْ ينالوا الجنة . ولكن بما أنَّ هناك بين البشر مجموعات لا يمكن أنْ تدخل الجنة ، فقد وجدت النار . ما هي هذه المجموعات يا تُرى ؟(٢) . عذاب جهنم ، وما أدراك ما عذاب جهنم .(٣) .

هناك سلاسل جهنمية يبلغ طولها سبعون ذراعاً ، تلف حول أعناقهم وأيديهم(٤) .

يسحبون من رؤوسهم وأرجلهم ، ويكبلون من كل أطرافهم ، ويرمى بهم في نار جهنم وبئس المصير . . . . و . . . . . .

من الذي سيتعرض برأيكم لألوان العذاب هذه والعياذ بالله ؟

يا أولي الألباب ، إنَّ الله الذي هو أرحم الراحمين ، هو صاحب العفو تجاه أهل الإيمان .

أما النفوس الآثمة ، الشقية ، المعادية ، والمعاندة التي تتناول الله

---

(١) ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ سورة القمر : الآية ٥٥ .

(٢) ﴿ لا يصلها إلا الأشقى الذي كذّب وتوّلى ﴾ سورة الليل : الآية ١٥ - ١٦ .

(٣) ﴿ خذوه فغلّوه ﴾ سورة الحاقة : الآية ٣٠ .

(٤) ﴿ فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ سورة الرحمن : الآية ٤١ .

والآخرة بالسخرية ، فلا تتورع عن ارتكاب أي خيانة . إذ إنّها تدوس الحق برجليها مع علمها المسبق بأنّه الحق . هذه الفئات تستحق العقاب[1] .

من هنا ندرك أنَّ جهنم ، مع كل الأوصاف التي أعطيت لها ، تناسب وضعية هذه الفئات الآثمة . وهذا ما ورد في القرآن الكريم[2] .

عندما يأخذ أصحاب الجنة أماكنهم في الجنة ، وأصحاب جهنم أماكنهم في النار ، يرتفع الصوت عالياً بالقول : (الحمد لله) . الثناء والشكر هنا لله الذي أسكن كل إنسان في الدار التي يستحقها . ذاك الذي كان مؤمناً ومتقياً بحق ، ينبغي أنْ يذهب إلى دار السلامة . أما ذاك الذي كان مريضاً وآثماً ، فينبغي أَنْ يذهب إلى النار . الحمد لله تعالى على كلا الحالتين . لا يظنّن أحد أنّ جهنم قد أعدّت لتكون من قبيل ردة فعل إنفعالية ، أو إظهار لتشفي النفس والعياذ بالله . أولئك الذين لا يريدون الذهاب إلى الجنة ، يقفون في وجه الله ، والآخرة والحقيقة ، ويقولون : ها نحن هنا .

تلاحظ في (دعاء كميل) وجود هذه العبارة : « وأن تخلّد فيها المعاندين » . أي إنَّك يا (رب) تسكن الأعداء دوماً في نار السعير . كلمة المعاند هنا تفيد معنى العدو . إنَّه يسكن في جهنم على الدوام . ليس هناك من حلّ آخر له . إلى أين يمكن أخذه يا تُرى ؟ لا يمكن أنْ يرى الجنة أبداً . إذ كيف يمكن للمعاند أنْ يدخل الجنة التي يمتلكها علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الأساس ؟ ترى هل يمكن لعدو علي (عليه السلام) أنْ يذهب إلى الجنة التي هي ملك علي (عليه السلام) . حتى لو أراد الآخرون أنْ يأخذوه إلى الجنة ، فسوف يمانعهم ويعارضهم لأنَّه ينتمي إلى الأعداء . إنَّه مستعد لِأنْ يتحمل ويتعرض لِأي بلاء كان ، وبذلك يهرب من رحمة الله الواسعة .

---

(١) « أشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة » . (دعاء الإفتتاح) .

(٢) ﴿ وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ سورة الزمر : الآية ٦٩ .

عندما أعمى علي (ع) عيني العدو :

سأورد هنا قصة عن فضائل علي (عليه السلام) للدلالة على صحة الكلام الذي تقدم . يقول الشيخ المفيد ـ أعلى الله مقامه ـ ما مفاده : ذات يوم ، كان أحد أصحاب المكتبات في بغداد ويدعى جعفر ، قد أعلن عن تنزيلات على بعض أصناف كتبه . فذهبت إلى مكتبته واشتريت منه عدداً من الكتب . وعندما هممت بالخروج ، إستوقفني وطلب من الجلوس قائلاً : لقد رأيت شيئاً يصب في مصلحة مذهبك (أي المذهب الشيعي) . سأنقل لك تفاصيل المعجزة التي شاهدتها لأنَّها تساهم في تقوية مكانة مذهبك .

يتابع الشيخ المفيد سرده قائلاً ما معناه : جلست كي أستمع إلى كلامه ، فقال لي : لقد واظبت منذ مدة على الذهاب مع صديق لي إلى مجلس شيخ يدعى أبو عبد الله المحدث ، لمتابعة دروس الحديث ومطالعة الروايات . بعد مضي فترة معينة ، تبين لنا من خلال أحاديثه أنَّه من أعداء علي (عليه السلام) الألدّاء . وفي بعض الأحيان ، كان يستعمل بعض التلميحات المسيئة ، كما كان يتجرأ أحياناً أخرى على التطاول على علي بن أبي طالب (عليه السلام) . حاولنا نحن الإثنين أنْ نسدي له النصح ، وأنْ ندلّه على طريق الخير والصلاح ، ولكنه كان يبادرنا بالقول : (أنا هكذا دوماً) . إلى أَنْ تجرأ في إحدى المرات على التطاول على فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، حيث صممنا عندها على عدم الذهاب إليه أبداً . . قلنا لبعضنا وما الفائدة التي ترتجى منه ؟ ما هذا الشخص الذي نريد تلقّي العلم منه ؟

وفي الليل ، وأثناء خلودي للنوم ، شاهدت في المنام ملك الولاية وقمر الهداية وأسد الله الغالب علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، في منزل أبو عبد الله المحدث . بدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) بتوجيه الملامة إلى الشيخ ، حيث قال له ما معناه : ترى ما هي الإساءة التي وجهتها إليك ؟ (من الممكن أنْ يصادق إنسان إنساناً من دون سبب ، ولكن من

غير الممكن أَنْ يعاديه من دون سبب أيضاً) . ألا تخاف أنْ يعمي الله بصرك ؟ وما أَنْ تفضل أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه الجملة حتى أشار إلى عين الشيخ اليمنى . فرأيت في المنام أنَّ عينه اليمنى قد أصيبت بالعمى . نهضت عندها من نومي .

وعندما حلّ الصباح قلت في نفسي يجب أَنْ أذهب مع صديقي إلى بيت الشيخ كي نخبره بأمر هذا الحلم ، ونحذره بالتالي من غضب علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

وما كدت أخرج من منزلي حتى شاهدت صديقي متجهاً نحوي ، فقلت له ماذا هناك يا صديقي ؟ فقال: رأيت ليلة البارحة حلماً، أريد أنْ أطلعك عليه . قلت له وماذا رأيت ؟ فتبينّ لي أنَّه شاهد المنام نفسه الذي شاهدته . قال : أجل ، رأيت في المنام أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يشير إلى عين الشيخ اليمنى ، التي ما لبثت أنْ أصيبت بالعمى . وقد أتيت إليك كي نذهب سوية إلى هذا الشيخ ، لننصحه ونطلب منه الكف عن غيّه .

قلت لصديقي : أنا أيضاً شاهدت هذا الحلم بعينه . لقد شاهدنا نحن الإثنين المنام نفسه ليلة البارحة .

ذهبنا سوية إلى منزل الشيخ . إقتربنا من الباب وطرقنا عليه . ردّت علينا امرأة ، حيث وقفت خلف الباب وقالت لنا : ليس هناك ثمة دروس اليوم . قلنا لها : ولماذا توقفت الدروس ؟ لدينا عمل هام . نريد أَنْ نقابل الشيخ . فقالت لنا : صحة الشيخ ليست على ما يرام اليوم . إنَّه يتألم ويطلق الأنين إنَّه مريض .

أما نحن فلم نكف عن الإصرار حيث قلنا : يجب أَنْ نقابل الشيخ الآن بأي ثمن كان !

أجابتنا المرأة : وضعه الصحي متدهور اليوم للغاية . إذ إنَّه لم يكف

من اللحظة التي استيقظ فيها ، عن وضع يده على عينه اليمنى والصراخ عالياً : لقد أعمى عليٌّ عيني .

قلنا لها : إفتحي الباب لنا . لقد أتينا لهذا السبب بالذات . فتحت الباب عندها ، فدخلنا سوية إلى المنزل حيث شاهدنا ذلك الشيخ الشقي وقد إرتمى في إحدى الزوايا ، متألماً ومستغيثاً من شدة وجع عينه .

وما أنْ دخلنا عليه حتى قال : (لقد أعمى علي (عليه السلام) عيني) . أجبناه بقولنا : لقد شاهدنا بأنفسنا ليلة البارحة في المنام ، كل ما تقوله الآن . رأينا أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يشير إلى عينك اليمنى التي سرعان ما عميت . ينبغي أَنْ تتوب إلى الله وتكفّ عن أقوالك تلك ، عسى الله أنْ يشفيك ، وعسى أَنْ تشفى عينك ببركة أمير المؤمنين (عليه السلام) وعنايته .

فأجابنا بقوله الفظيع : حتى لو أعمى علي (عليه السلام) عيني الأخرى ، فلن أكف عن مناصبته العداء (أي درجة من الشقاء هذه) . وبعد طول نقاش ، عدنا أدراجنا . مرة أخرى ، شاهدنا الحادثة نفسها تتكرر في المنام . ولكن هذه المرة ، أعمى أمير المؤمنين (عليه السلام) عين الشيخ اليسرى . وعندما ذهبنا إلى بيته مرة أخرى ، وجدنا أنَّ كِلا عينيه قد أصيبتا بالعمى . إلّا أنَّ عداوته كانت قد ازدادت حدة وضراوة[1] . وفي النهاية ، غادر هذه الدنيا بعد أَنْ وصل به غيّه إلى الكفر والزندقة .

هذه الفئة من الناس ، هي وقود جهنم . يوجد بين البشر دوماً أفراد من هذا القبيل ، في الحاضر كما في الماضي . إنَّ نار جهنم ، مع كل حالات الحريق ، والعذاب ، والعقاب ، التي تتصف بها ، وخاصة حالة الخلود ، أي البقاء في سعيرها إلى الأبد ، قد إختصت بالنفوس الشقية . هذه النفوس التي انغمست في العناد والغي والشقاء ، إلى درجة أنَّها غير

---

(١) ﴿ لا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ سورة الإسراء : الآية ٨٢ .

مستعدة للخضوع والخشوع أمام الحق ، ولو بمقدار ذرة . إنّها لا تركن إلى الحق بالرغم من علمها بأنّه الحق .

من المناسب هنا أنْ أورد معجزة أخرى عن علي (عليه السلام) ، على غرار المعجزة التي ذكرت .

من يوجه الإهانة إلى علي (عليه السلام) ، يستحق القتل :

يروى في كتاب (الخرائج) للراوندي عن أحمد بن حمزة الموصلي ، أنّه قال ما مفاده : قررت ذات سنة الحج إلى بيت الله الحرام . وفي يوم المغادرة ، ذهبت إلى بيت جاري كي أودّعه ، وذلك بحكم الجيرة التي تجمع بيننا . قلت له : إنْ كنت تريد شيئاً من هناك، فأنا على استعداد لتلبية طلبك . قال لي : نعم . أريد أنّ أوصيك بمسألة ضرورية . قلت له : أُطلب . . . على الرحب والسعة . قال لي : عندما تصل إلى المدينة ، وبعد دخولك إلى حرم النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، قف في مقابل قبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وأبلغه عن لساني هذا القول : يا محمد . . . ترى هل انعدم الرجال في زمانك حتى زوجت إبنتك لعلي (عليه السلام) ؟

ما هذا الصهر الذي اخترته لنفسك ؟

وأتبع كلامه هذا ببعض الإهانات . . .

ألم تنظر إلى بطنه الكبيرة ؟

ألم تنظر إلى ساقيه الناحلتين ؟

عجباً لهذه النفوس الشقية . بعد مضي هذه السنين المديدة ، تريد أَنْ تبرز عداوتها وحقدها من جديد . وحيال أي قضية ؟! لماذا زوج النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فاطمة (عليها السلام) لعلي (عليه السلام) ؟

يتابع أحمد بن حمزة حديثه فيقول : لم أردَّ عليه بأية كلمة ، فقد وجدت أنّ الحديث معه لا يجدي . وعندما وصلت إلى المدينة ، لم يسمح

لي حيائي بترداد أقوال الكفر التي تفوه بها ذلك الشقي . وفي الليل ، وأثناء خلودي للنوم ، سمعت في المنام أمير المؤمنين (عليه السلام) بنفسه يقول لي ما مفاده : قل ذلك . عندما قلت الجمل الآثمة التي تلفظها ذلك الملعون بصورة مجملة . وفي الليل ، وبينما كنت نائماً في المدينة ، رأيت في المنام أسد الله الغالب، علي بن أبي طالب (عليه السلام)[1] . أمرني بالسير معه . قلت له سمعاً وطاعة . ذهبت بمعية الإمام (عليه السلام) من المدينة إلى (الموصل) . وفي عالم الرؤيا ، قصد الإمام (عليه السلام) منزل ذلك الجار الشقي . فما كان مني إلا أنْ تبعته . وعندما دخلت إلى منزله ، وجدت أن الرجل قد نام في غرفة موصدة الأبواب . عندئذ ، أخذ أمير المؤمنين سكيناً حاداً وقطع به رأس ذلك الرجل اللعين . وبعد ذلك مسح الدم الذي إلتصق بالسكين ، بطرف اللحاف . ثم مدّ يد الولاية حيث إرتفع سقف الغرفة إلى أعلى ، فوضع السكين الدامي تحت مرتكز السقف . ومن ثم أشار على السقف بالنزول إلى موضعه الأصلي ، فنزل . وبذلك إختفى السكين تحت مرتكز السقف . عندها نهضت من نومي وأخبرت رفاق السفر بهذا الأمر حيث قلت لهم : لقد شاهدت هذا الحلم العجيب .

دوّنا تاريخ تلك الليلة كي نتأكد عند رجوعنا إلى (الموصل) من صحة وقوع الحادثة المعينة ، في التاريخ المدون تحديداً .

بعد مدة معينة ، غادرنا المدينة متجهين إلى (الموصل) . وعند وصولنا إليها ، سألنا عن أحوال الجيران ، فأخبرنا بأنّهم قد إعتقلوا جميعاً ووضعوا في السجن . ثم سألنا عن أحوال ذلك الملعون ، فأخبرنا بأنّه قد قتل . قيل لنا بأنّه في التاريخ الفلاني ، قتل ليلاً وهو في فراشه . بعد أنْ دققنا في التاريخ الذي أُفدنا به ، وجدنا أنّه يطابق التاريخ الذي دونّاه في المدينة .

(١) « السلام على نعمة الله على الأبرار ، ونقمته على الفجار » (الزيارة السابعة لأمير المؤمنين (ع)) .

وفي هذه الأثناء ، تبلغت السلطة القضائية بالأمر . وبدأت مجموعة مكلفة من قبل هذه السلطة بالتحقيق في الحادث من أجل العثور على القاتل ، لكنها لم تتوصل إلى كشف هويته . فما كان من القضاء إلا إنْ ألقى القبض على جميع جيران ذلك اللعين ورماهم في السجن ، ريثما يعتقل القاتل . إلا أنَّ القاتل بقي مجهولاً حتى تلك اللحظة .

ثم يقول أحمد بن حمزة ما مفاده : تبين لي عندها أَنَّ عدداً من الأبرياء المظلومين قد رمي بهم في السجن . أما قاتل هذا الرجل الخبيث ، فهو سيد الرجال والأبطال ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) . من الذي يقوى على مواجهة علي (عليه السلام) ؟ وجدت أَنَّ التهمة قد وجهت إلى عدد من المساكين .

وفي النهاية ، قررت أَنْ أعمل على إنقاذ هؤلاء من هذه الورطة ، وتأمين خروجهم من السجن . لذا جمعت كل الشهود الذين كانوا معي في المدينة ، أي رفاق السفر ، وذهبت بمعيتهم إلى مجلس القاضي حيث سردنا له كافة وقائع الموضوع ، كما مرّ معنا . قلنا له إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي قتل ذلك الشقي . وقدمنا له الدلائل على صحة ما نقول . الدليل الأول الذي قدمته تلخص في قولي لهم بأني أعرف الطرف المعني من اللحاف ، الذي تلطخ عندما مسح علي بن أبي طالب (عليه السلام) السكين الدامي به . أما الدليل الثاني ، فكان معرفتي للمكان الذي أخفي فيه السكين الذي استعمله الإمام (عليه السلام) في قطع رأس ذلك اللعين ، ألا وهو تحت مرتكز السقف . عندها أتت مجموعة خاصة من قبل السلطة القضائية ، ودققت في أطراف اللحاف حيث تأكدت من صحة قولي . ثم أمرت عدداً من العمال بالعمل على إزالة السقف ، حيث عثرت تحت مرتكزه على السكين الدامي . السكين الدامي نفسه الذي شاهدت علياً (عليه السلام) يضعه تحت مرتكز السقف ، في المنام . عندئذٍ أمرت السلطات المختصة بإطلاق سراح جميع جيراني المعتقلين ، وأعلنت أنَّ قاتل ذلك الشقي قد عرف . إنَّه الإمام نفسه الذي

يوصف بأنّـه (نعمة الله عـلى الأبرار ، ونقمتـه على الفجـار) . إنّه الإمـام نفسه الذي قيل فيه بأنّه (قسيم النار والجنة) . هو الذي يسكن أصحـاب الجنة في الجنة ، وأصحاب جهنم في السعير .

وبنـاءً عـلى مـا تقـدم ، يجب أنْ نـدرك أَنَّ فئـات خـاصـة هي التي تتعرض لعذاب الله وسخطه وغضبه ، على غرار الفئة التي مرت معنا . أما ما عداهم من البشر ، أي الأفراد الذين يتوفر لـديهم الخضوع والخشـوع ، فلا شك في أنَّ رحمة الله عز وجل سوف تشملهم .

ربّاه . . . رحمتك هي كالبحر الزاخر :

سوف أورد هنا رواية منقولة في الجزء الثـالث من (بحار الأنـوار) ، لما تسببه من فرحة غامرة لقلوب المؤمنين .

تقول الرواية ما مفاده : أنّه غـداً في يوم الحسـاب ، تفيض رحمة الله الشاملة ، وتغمر الجميع ، إلى درجة تجعل الشيطان أيضاً يطل برأسه طامعاً بنيل الرحمة .

في البداية ينـبري الشفعاء إلى تقـديم شفاعـاتهم ، حيث ينجو عـدد كبير من الناس ببركة هذه الشفاعات .

وفي النهاية ، تقول الذات القـدسية الأحـدية مـا معناه إنّـه قد حـان الآن وقت عفوي ورحمتي . عندها يفيض برحمة غزيرة تجعل الشيطان يطمع في الحصول عليها .

الشيطان يقسم على الله عز وجل بحق علي (ع) :

من دواعي العجب أَنْ يتمتـع الشيطان بمعلومـات غزيـرة جـداً . ألم تسمـع بأنَّ ذلـك الإنسان المؤمن رأى الشيـطان في وسط مياه البحـر رافعـاً رأسه إلى أعلى وقائلاً ما معناه : إلٰهي ، لا تعـذبني بحق علي بن أبي طـالب (عليـه السلام) . . . . ؟ أشـير إلى أنَّ هذا الخـبر قد ورد في الجـزء الرابـع عشر من (بحار الأنوار) .

ذهب ذلـك الإنسـان المؤمن إلى الإمــام جعفـر بن محمـد الصـادق

(عليه السلام) ، وسرد له القصة بحذافيرها .

قال له ما مفاده : سيدي . . . . وقفت أشاهد هذا المنظر . ثم قلت له : وما الذي تعرفه عن علي (عليه السلام) حتى تستجير به ؟! كيف يمكن للشيطان أنْ يستنجد بعلي (عليه السلام)؟!

أجابني الشيطان بقوله : قبل ولادة آدم بستة آلاف سنة ، كنت في العالم الأعلى مع بقية الملائكة ، حيث كنت مطلعاً على أمور جمة . وإني أعرف أنّه منذ اللحظة الأولى وحتى الآن ، وفي جميع عوالم الوجود ، الشخص المحبوب ، العزيز ، المحترم ، وصاحب الإعتبار عند الله عز وجل ، هو أسد الله الغالب ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) . كما أعرف أنَّ الله يسامح ويغفر لكل من يقسم عليه بحق علي (عليه السلام) . لذا فإني أقسم على الله بحق علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

أما الفكرة التي تفضّل بها الإمام(عليه السلام) والتي تعتبر بمثابة زبدة الرواية الشريفة ، فهي أنّه قال ما مفاده : هذا الدعاء كان ينطلق من لسانه وليس من قلبه . لذا فإنَّ الشيطان لم ينتفع بشيء من علي (عليه السلام) . كان يدعو بلسانه فقط ، لأنّه لا يتمتع بالخضوع الذي ينبغي أنْ يتمتع به . فلو كان لدى الشيطان الخضوع المطلوب ، لكان سجد لآدم كما أمره الله سبحانه وتعالى . وفي تلك الحالة ، كان يمكن لكلماته أنْ تكون صادقة .

تتمة هذا الحديث شيقة وممتعة ، وجديرة بالمطالعة[1] . يتابع المؤمن حديثه فيقول : بعد أنْ سمعت هذه الجملة من الشيطان ، قلت له : يا إبليس . . . كنت معلم الملائكة . معلوماتك غزيرة جداً كما قلت . إسدِ لي نصيحة معينة . دعني أستفيد قليلاً من علمك الوافر . (من المفيد جداً أنْ يطلب الإنسان العلم دوماً ،

(١) إستعن لدنياك بالقناعة ، ولأخراك بحب علي بن أبي طالب (ع) . (بحار الأنوار الجزء ١٤) .

أجابني بقوله : سأقول لك كلمة تفيدك في دنياك ، وكلمة أخرى تفيدك في آخرتك .

الحقيقة أنَّه لو كان الشيطان قد تفوّه بكلمتي صدق فقط طوال حياته ، لاستطعنا القول أنهما هاتين الكلمتين .

أنت أيضاً أيها القارىء الكريم ، ينبغي أنْ تستفيد منهما . إنتبه لهاتين الكلمتين بشكل جيد . لعن الله الشيطان الرجيم . . . كم كان صائباً في قوله .

نصيحتا الشيطان من أجل الدنيا والآخرة :

أما بالنسبة للدنيا ،إذا أردت أنْ تكون سعيداً ومسروراً في حياتك ، فضع القناعة نصب عينيك واعمل بها ، فإنْ أنت أقدمت على ذلك ، تحلو الدنيا أمام ناظريك وتصبح حياتك مسرحاً للهدوء ، والإطمئنان ، والسعادة . لا تقرب الطمع ، لا تنظر ألى من هو أوفر حظاً منك في الدنيا ، والتزم الهدوء والسكينة . ومهما صادفت في حياتك من مصاعب ومتاعب وأحداث ، فلا تدعها تؤثر سلبياً عليك وتتلف أعصابك ، ذلك إنْ كنت تريد أَنْ تعيش حياة هانئة . أي إنَّك إذا لم تقنع بما كتبه الله عز وجل لك في هذه الدنيا ، ولم تلتزم الهدوء ، فلن تعيش في سحابة عمرك لحظة سعادة واحدة . لا تظن أبداً أنَّ أولئك الذين تبلغ ثرواتهم أرقاماً خيالية تصل إلى الملايين والمليارات ، يعيشون حياة ملؤها السعادة والهناء . إذ إنَّ اللذة التي يشعر بها أهل القناعة في حياتهم ، لا يمكن أن تشعر بها قلوب تلك الفئة من أهل المال والثراء . فأنت ترى أنَّ ذلك الإنسان يأكل الخبز اليابس ولكنه يتلذذ بأكله إلى درجة كبيرة ، وذلك لأنَّه قد اهتدى إلى القناعة . أما ذلك الشخص الذي قد حصل على كل ما يشتهي ، وتوفرت له كافة وسائل الراحة والرفاهية والبذخ ، فلا يشعر باللذة والإنشراح ، ولا يهدأ روعه ، ولا يستقر تفكيره ، وذلك لأنَّه قد ابتلي بآفة الطمع .

خلاصة القول أيها السادة هي أنني أتمنى عليكم أنْ تسمعوا جيداً لهذه النصيحة وتتدبروا مغزاها .

وأما بالنسبة للآخرة ، فمن أجل الإستعداد لساعة الموت ، ساعة النزول إلى ظلمة القبر ، ساعة الخروج من القبر في يوم القيامة ، في البرزخ ، في الحشر ، وعلى الصراط ، من أجل تلك اللحظات الصعبة ، تزود بحب علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، لأنَّه الميزان الذي لا يزل أبداً . ليكن علو علي (عليه السلام) وسموه نصيرك ومجيرك في كل الأحيان . فإنْ أخذت معك هذه المحبة وهذا الإخلاص ، يصبح علياً (عليه السلام) سندك وملاذك على الدوام ، وتشعر عندها بالأمن والسكينة(١) .

إلٰهي وسيدي ومولاي ، أبعد عن قلوبنا وجوارحنا كل الشوائب المعيبة واجعلها عامرة بحب محمد وآل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) فقط لا غير . أبعد عنها حب الدنيا ، حب الشهوات ، الأنانية ، وكل هذه المشاعر والأحاسيس البغيضة(٢) . لا تدع أي شيء غير حب محمد وآل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ينفذ إلى ساحة هذه القلوب . ومن نافل القول إنَّه من أولى مستلزمات الإيمان ، حسن الظن والنظرة الواثقة إلى مصدر الخلق والتكوين ، وحب مبدع السموات والأرض ، الله سبحانه وتعالى . أنصحكم هنا بكثرة قراءة (دعاء الجوشن) ، وترداد أسماء الله الحسنى . حاولوا أنْ تنظروا بتمعن ودقة إلى هذه الأسماء . حقاً إنَّ ذلك يشتمل على لذة كبيرة .

(يا من هو في عظمته مجيد . يا من هو في علوه قريب . يا من هو في قربه لطيف . يا من هو بمن عصاه حليم) . يرى ويعلم ، ولكنه يحلم . الحلم مع العلم هو من أفعال الله عز وجل . يرى كم يرتكب

---

(١) ﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

(٢) « سيدي أخرج حب الدنيا من قلبي » (دعاء أبي حمزة الثمالي) .

عباده الذنوب والمعاصي ، كم يجحدون بالنعم السنية التي أسبغها عليهم ، إنَّ الله عز وجل يحلم عن الجميع إلى حدّ لا يوصف ، وكأنهم لم يرتكبوا كل تلك الذنوب ، ولم يجحدوا بكل تلك النعم[1] .

الجحود بالنعمة وخطر حلول القحط :

في هذه الأيام ، نلاحظ تزايد الجحود بالنعم . عند عتبات البيوت ، نلاحظ وجود كميات من الخبز المرمي مع المهملات . كما نلاحظ وجود الأرز المطهي والفواكه النصف مأكولة ، بكميات كبيرة في الزاوية المخصصة للمهملات . إنَّه لأمر سيِّىء وخطير للغاية .

أشدد بالخصوص على مسألة الخبز . يجب أنْ تراعوا هذه المسألة على أكمل وجه . إذ إنَّ توجيه الإهانة إلى نعم الله عز وجل ، يجلب القحط والعياذ بالله . هناك روايات كثيرة . تفيد هذا المعنى . إذا بقي في أحد البيوت خبز فائض عن الحاجة ، ينبغي أنْ يحفظ في مكان معين . فإذا أتى بعض الناس الذين يشترون مثل هذه المواد ، يباع لهم . أو دعوا الحيوانات تأكل ما فاض عن الحاجة . المهم ألا تتركوا فتات الخبز مرمياً مع المهملات تحت الأرجل .

يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّه بينما كان يهمّ ذات مرة بالدخول إلى منزله ، لاحظ أنَّ هناك بطيخة نصف مأكولة قد رميت في الخارج عند إحدى الزوايا . تألم الإمام (عليه السلام) لذلك وقال لمن حوله ما معناه : تناولوا تلك البطيخة المرمية هناك . إنْ كنتم لا ترغبون بأكلها ، فهناك من يرغب ذلك . وما الداعي إلى هذا الإسراف ؟ وما الداعي إلى رمي الفاكهة مع المهملات ؟

أعود مجدداً إلى مسألة الخبز ، هناك خبر في (وسائل الشيعة) عن الإمام الحسن (عليه السلام) أو الإمام الصادق (عليه السلام) ، يفيد

---

(١) « الحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي » (دعاء أبي الثمالي) .

بأنَّ قطعة من الخبز كانت مرمية على الأرض ، فانتبه الإمام لذلك وتألم بشدة من جراء هذا الأمر . أخذ الإمام قطعة الخبز وأعطاها لعبده . بعد مضي فترة معينة ، طلب الإمام من العبد قطعة الخبز الموجودة في حوزته ، فأجاب هذا الأخير بأنَّه قد أكلها . فما كان من الإمام إلا أنْ قال له : (أنت حر لوجه الله) . ثم أضاف ما معناه : لقد احترمت نعمة الله عز وجل وأصبحت من أهل الجنة ، لا أحب أنْ أرى من أصبح محبوباً عند الله وبات من أهل الجنة ، بين العبيد . لقد أصبحت حراً تقديراً للعمل الذي قمت به .

هدفي من هذا الشرح هو تبيان مسألة الجحود بالنعمة . لو فكرنا قليلاً في كل هذه النعم التي نغرف منها من أول الصباح حتى آخر المساء ، ولو نظرنا إلى البركات التي تفيض علينا ، لأدركنا أنّنا ننكر جميل الخالق . ترى أي جحود أكبر من هذا الجحود بالنعم ؟

وفي مقابل ذلك ، يستمر الباري عز وجل في عطفه علينا[١] . دعونا نحكم العدل والإنصاف . يا أولي الألباب ، أليس الله جديراً بالمحبة والثقة والإخلاص ؟ . . . الخالق الذي يعاملنا بهذه الطريقة التي تنضح بالخير والإحسان .

يقول الإمام زين العابدين(عليه السلام) في الدعاء الأول من (الصحيفة) ما معناه أنّ الله عز وجل قد بعث البشر في سبيل محبته[٢] .

القرآن الكريم كذلك يعرف المؤمنين على أنهم يشكلون فئة تحب الله حباً لا يوصف[٣] .

كلنا يعرف كم يحب الناس أمهاتهم وآباءهم . أما المؤمنون ، فإنهم

---

(١) الحاشية : « ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنّا بعمل قبيح فلا يمنعك ذلك من أن تحوطنا بنعمك وتتفضل علينا بآلائك » (دعاء أبي حمزة الثمالي) .

(٢) « وبعثهم في سبيل محبته » (الدعاء الأول من الصحيفة) .

(٣) ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ سورة البقرة : الآية ١٦٤ .

يحبون الله عز وجل أكثر من ذلك . بأضعاف مضاعفة ، لأنهم يعرفون أنّ الخالق هو الذي سخر لهم الآباء والأمهات .

لقد أدخل الله حبّ الأبناء في قلوب الأمهات . إذن ينبغي أنْ تقول شكراً لله الذي جعل قلب أمي عامراً بحبي ، الأمر الذي دفعها إلى السهر عليَّ ، والمحافظة على نظافتي وصحتي ، ودرء المصاعب ، والمتاعب ، والأمراض عني .

بعد مضي فترة ملموسة في حياة الإنسان ، يجب أَنْ يسأل نفسه الأسئلة التالية : ترى ، هل بات حبّ الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلم) راسخاً ومستحكماً في فؤادي ؟

هل بتنا نتمتع بحسن الظن بجهاز الخلق والتكوين ؟

هل بتنا من عشاق الجنة والنعيم الذي لا يفنى ؟

هناك رواية يفيد مضمونها بما معناه أنَّ شبراً من الجنة هو أفضل من الدنيا بأكملها . أما بالنسبة لما تحتوي عليه من أوجه النعيم ، فقد وصفه الباري عز وجل بصورة مفصلة من خلال آيات القرآن المجيد .

بعد الإطّلاع على تفاصيل هذا الشرح ، ألا ينبغي لك أَنْ تشتاق إلى الجنة ؟ . . . ألا ينبغي أنْ تتلهف لنيل نعيمها ؟ . . . .

أيها الشباب ، بعد أَنْ وصف الله سبحانه وتعالى حور العين ، وجمالهن ، وسحرهن ، في القرآن الكريم ، ألم يحن الوقت بعد بالنسبة لكم كي تعشقوا حور العين ؟

عندما تنظر إلى إحدى نساء هذه الدنيا ، لا ينبغي أَنْ تتأثر إلى هذه الدرجة . عندما تسمع وصف الحور ، ينبغي أَنْ تنتقل إلى حالة لا تسمح لك أبداً النظر إلى هذه النسوة .

وخلاصة القول ، ألم يحن الوقت لكم بعد أيها الشباب ، كي تعشق

قلوبكم حور العين [1] ؟ . . . . إذ إنَّه مهما بلغت فتنة نساء الدنيا ، فكلنا يعرف وجود الدم ، والقيح ، والصديد والوسخ وراء نقاء البشرة الظاهري .

حور العين تذكر بالله عز وجل :

عندما تقول إنَّك لست من أهل اللذائذ والشهوات ، وإنَّك تريد أنْ تسلك الدرب المؤدي إلى الله ، فيجب أنْ تدرك معنى كلامك جيداً .

لا تظن أنَّ نساء هذه الدنيا ، هنّ مثل حور العين الموجودات في الجنة . فحور العين تذكر الإنسان بالله وتشده نحو الله تبارك وتعالى ، إنهن شيء مختلف تماماً . نساء هذه الدنيا تبعث على الغفلة ، أما الحور فهن عبارة عن تذكر ، ونصيحة ، وهداية هناك قسم من الحور خلقه الله ليكون الأكثر جاذبية ، وجمالاً ، ودلالاً ، وفتنة ، بين كل حور العين وسر ذلك أنَّه يوجد في وجوه هذا القسم من الحور أربعة نقوش رائعة . على الشفتين ، هناك بسم الله الرحمن الرحيم . على الجبين ، هناك أنوار إسم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) المباركة على الذقن ، هناك يا علي . وعلى الخدين اليمنى واليسرى ، هناك الحسن والحسين .

من المعلوم أنَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قد خير بين الموت أو البقاء على قيد الحياة . يقول النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ما معناه : لم يخير أحد غير محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) بين الحياة والموت .

عندما ذهب عزرائيل إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، إستأذنه أولاً حيث قال ما مفاده : إنْ كنت تأذن لي فسوف أقوم بقبض الروح ، وإنْ كنت تريد البقاء في الدنيا فكما تشاء . فاختار الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) الرحيل عن هذه الدنيا[2] .

---

(١) « ومن الحور العين فزوجنا » (دعاء الإفتتاح) .

(٢) بحار الأنوار الجزء السادس .

هنـاك رواية عن الإمـام الرضـا (عليه السـلام) تفيد بـأنَّه قـال مـا معناه :في الليلة التاسعة عشرة من شهـر رمضان،خيَّر الله جل جلاله جدّي علي (عليه السلام) بين الدنيا والشهادة ، فاختـار الشهادة بنفسـه وقال مـا مفاده : ربّاه ، كفاني بقاءً في هذه الدنيا .

إذن فعلي (عليه السلام) هو الذي عشق الإلتحاق بالعالم الأعلى .

من الطبيعي أنْ يقبل الإنسان على كل ما تعلق بـه قلبه . وبمـا أنّنا ، أنا ، وأنتم ، وسائر البشر ، لا نعرف شيئاً عن العالم الأعلى ، فقد أصبـح جل اهتمامنا ، وحبنا ، وشوقنا ، منصباً على عالم التراب الفـاني هذا . لـذا فإننا لا نـطيق مفارقـة الدنيـا ، ونكره المـوت وذكره . وهذا عـرفنا أنَّ عليـاً (عليه السلام) قال إنَّه مشتـاق إلى الموت ، نتعجب من قـوله : « إنْ كنت تعشق الآخرة حقـاً ، فتشوق للموت »[1] .

أمـا بـالنسبـة لـلإمـام الحسـين (عليـه السـلام) ، فينقـل صـاحب (الحدائق) أعلى الله مقامه في كتاب (الدرة النجفية) ، قول الإمام الرضا (عليـه السلام) في هـذا المجال الـذي يفيد بمـا معنـاه : لقـد خـيّر جـدي الحسين (عليه السلام) أيضاً ظهـر عاشـوراء بين الإنتصـار الظاهـري على الأعداء والقتل ، فاختار القتل في سبيل الله بنفسه . يضاف إلى ذلك أنَّه لو أراد الحسين (عليه السلام) الإطاحـة بأعـدائه في يـوم عاشـوراء ، لكانت كل الجيوش التي حاربته في كربلاء قد أبيدت عن بكرة أبيها . ومن تكـون تلك الفئـات البـاغيـة كي تستـطيـع إلحـاق أدنى أذى بـالإمـام الحسـين (عليـه السلام) ؟ فلو رفض الحسـين (عليـه السـلام) المـوت ولم يسمـح بحدوث ما حدث في تلك الواقعة ، فأي كائن كان يستـطيع أنْ يؤثـر عليه أدنى تأثيراً سلبياً ؟ . . . وأي سيف كان يقوى على سفك دمه الزكي ؟ . . . فـالحسـين (عليـه السـلام) هـو الـذي قـال : « رضى الله رضـانـا أهـل البيت »[2] .

---

(١) ﴿ إنْ زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صـادقين ﴾ سـورة الجمعة : الآية ٦ .

(٢) نفس المهموم : للشيخ عباس القمي .

«١٩»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

العطاء الحقيقي لا يسترد :

من المعلوم أنَّ عالم المادة قد طبع على الفناء والزوال . فالعطاء الذي يليق بشأن الذات القدسية ، أي بالله جلّ جلاله ، هو العطاء الثابت . أي أنْ تعطي الشيء من دون أن تسترده. هذا النوع من العطاء لا يمكن أنْ يتحقق في الدنيا . فكل من منح عطية معينة ، لا بدّ أَنْ تسترد منه هذه العطية . فلو نظرنا إلى أعضاء الإنسان ، لوجدنا أنَّ العين ، والأذن ، واليد ، والرجل ، كلها عبارة عن نعم حقيقية في فترات الشباب ، والصحة ، والسلامة . أما إذا قيض لك البقاء حتى تتعدى الخمسين ، أو الستين ، من العمر ، فسوف يبدأ الوهن بالتسلل إلى بنيتك رويداً رويداً. أسنانك تبدأ بالتساقط الواحدة تلو الأخرى ، قدرتك على الإبصار تشح ، قدرتك على السمع تتضاءل ، عضلاتك تلين ، ركبتاك ترتخي ، و . . . . . أي إنَّك تفقد كل شيء . وإذا لم تعش حتى مرحلة الشيخوخة ، فسوف تستقر في القبر حيث تغيرُ عليك الديدان ، لتنخر في جسمك العزيز عليك ، زاوية بعد زاوية . تبدأ بعينك ، وأنفك ، وصولاً إلى بقية أجزاء جسمك . إذن يستحيل تحقق العطاء الثابت والدائم في عالم المادة الذي نعيش ضمنه الثياب الجميلة البراقة التي تعطى لأي شخص كان ، لا بدّ أنْ تتلف في نهاية المطاف . الأولاد الذين هم أغلى ما يملك الإنسان ، لا

بـدّ أَنْ يسيروا نحـو الموت . وكـل وجه آخـر من أوجه المسـيرة والسعادة ، تتجسـد بصورة مؤقتـة دائـماً وهـذا النـوع من العـطاء، ليس مـن الصنـف الذي يناسب ذات الله عز وجل . إذ إنّ عـطاء الباري ، تبـارك وتعالى هـو عطاء أبدي ، عطاء يتجلى في الجنة .

ثلاثة نعم تفوق كل النعم الأخرى أهمية :

هنـاك رواية تفيـد بأنَّ هنـاك ثلاثـة نعم في الجنة يلتذ بـروعتها أهـل الجنة ، إلى درجة تفوق لذتهم ، وسعادتهم ، وفرحتهم بالجنة نفسها .

أولى هــذه النِعَم : هي البشرى التي تـزف إلى المؤمنـين . . . . يـا أصحاب الجنة ، يا من فزتم بالمقامات الرفيعة والمراكز العليا : أي هبـة قد أعطيت لكم ، لن تؤخذ منكم أبـداً . كل من أذن لـه بدخـول الجنة . لن يخرج منها أبداً .

أما النعمة الثـانية: فهي كـل مؤمن دخل إلى الجنـة ، سوف يتمتـع باتصال وارتبـاط بأصـل النعمة ومعـدنها ، أي محمد وآل محمـد (صلّى الله عليـه وآله وسلم) . سـوف يتمتع بلذة الإرتبـاط والجيرة . ومن هـو الجـار الـذي يعادل محمـد وآل محمد (صـلّى الله عليـه وآلـه وسلم) في العـظمـة والسمو ؟

أما النعمة الثالثة : التي تدخل البهجـة والسرور إلى قلوب أصحاب الجنة أكثر من كل النعم الأخرى ، فهي تتمثل بالكـلام الذي يخـاطبون بـه ومفاده : يا أهل الجنة ، لقد رضي الله عنكم(١) .

في دعـاء أبي حمزة الثـمالي نلاحظ وجـود العبارة التـالية : (مـواهبك الهنيئة)(٢) . المواهب وهي جمع الموهبة ، أي الهبة أو العطية . والهنيئـة أي

---

(١) ﴿ ورضوان من الله أكبر رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ سورة المائدة : الآية ١١٩ .

(٢) « أين عطاياك الفاضلة . أين مواهبك الهنيئة ، أين صنائعك السنيّة . أين فضلك العظيم . أين منّك الجسيم . أين إحسانك القديم . أين كرمك يا كريم » (دعاء أبي حمزة الثمالي) .

السائغة والمفرحة . أي المواهب أو العطايا التي تفرح القلوب وتثلج الصدور . مواهب الدنيا عابرة ومؤقتة . من الممكن أنْ تدخل السرور إلى قلوب بعض الناس ، ولكن بعد ذلك تستجد آلام الفراق ، وحرقة الفقدان الأمر الذي ينسف مباهج الموهبة من أساسها .

على سبيل المثال ، إذا منح أحدنا قصراً ، أو حديقة غناء أو جهازاً ثميناً ، أو جواهر نفيسة ، وشعر عند تملكه لإحدى هذه العطايا بالسعادة ، والفرحة ، ليعرف أنَّه قد وقع ضحية لسذاجته[1] . أقول ذلك لأنَّه بعد مضي فترة ، طالت أم قصرت ، سوف تطرد من قصرك ، أو حديقتك ، وتوضع في القبر المظلم الموحش . ترى أي شعور بالمرارة سوف ينتابك في تلك اللحظات ؟ عندها سوف تقول يا ليتني لم أحصل على تلك المكاسب من الأساس ، ولم أتنعم بها في الدنيا . ما هذه السعادة التي تتبعها كل هذه الآلام والصعاب ؟

إعلم جيداً إنَّ عطايا الدنيا ونعمها ، سيكون مصيرها الزوال والفناء .

ذكر الموت يبعد المرء عن المسرات الفارغة الباطلة :

الرجل الذي يتدبر أمر آخرته ويعد نفسه لها ، هو إنسان صالح ومبارك . إذا أمعنت النظر إلى الآخرة ، فلن تدخل السعادة العابرة إلى قلبك في هذه الدنيا أبداً . أما السعادة الظاهرية التي ترى أَنَّ بعض الناس يتمتعون بها ، فما هي إلا نتيجة الغفلة التي تسيطر عليهم . إذ إنَّ هذه الفئة لا تفكر بالآخرة أبداً . لا ترى أبعد من أنفها . لا تفكر إلا باللحظة الحاضرة التي تعيشها يفكر مثلاً بالسجادة العجمية الفاخرة التي اشتراها ، أو قطعة القماش الحريرية التي اقتناها ، أو محفظة الجلد الثمينة التي حصل عليها . . . وماذا بعد ؟ يجب أَنْ يستلقي الإنسان على تراب القبر الذي سيوضع فيه بعد الموت كي يعتبر . عندما يتذكر الإنسان الموت ،

---

(١) ﴿ لكيلا لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ سورة الحديد : الآية ٢٣ .

واللحد ، والقبر ، فلا بد أنّه سينسى السجادة والمحفظة وقطعة القماش الجميلة . ولكن كما أسلفت لكم ، فإنَّ الغفلة[1] لا تسمح للإنسان بالوقوف على حقائق الأمور وإدراك كنهها .

إلهي ، إفتح بصائرنا على الحقائق بنفسك . أطرد حبّ الدنيا وبريقها من قلوبنا بلطفك . إنني أسعى من خلال هذه السطور أنْ أعرض البراهين والأدلة العقلية عبر بيان سهل يسير وجمل في غاية البساطة ، كي تصبح في متناول فهم أي فئة من الناس . بالنسبة لبرهان المعاد ، فقد عرضته على النحو التالي . أي عطية أو نعمة توهب لمطلق إنسان في هذه الدنيا الفانية ، ليس لها قيمة حقيقية . إذ إنَّ نعم الدنيا لا تليق بذات ربّ العالمين ، التي تبقى بعد فناء كل شيء والإنعام التي يتفضّل بها ربّ العالمين يتجلى خلوده من خلال الحياة لا من خلال المادة .

هذه الدنيا لا تليق بكرم الله سبحانه وتعالى . أي إنَّه لا يمكن أَنْ تتجلى قدرة الله على المستوى الحقيقي الذي هما فيه ، على المستوى الذي تحتله عطاياه وهباته . إذ إنَّ الله ينبغي أنْ يمنح شيئاً باقياً أبداً . وبما أنَّ الله باقٍ لا يزول ، فينبغي أَنْ تكون عطاياه وهباته باقية لا تزول أيضاً . وهذا النوع من العطاء لا يمكن أَنْ يتحقق في الحياة الدنيا . لذا لا بدّ من وجود عالم آخر يستطيع أَنْ يكون مسرحاً للعطاء الثابت والأبدي .

إنكار وجود الرسالة يعني إساءة الظن بالله عز وجل :

من جملة أوجه سوء الظن الحرام ، سوء الظن الذي هو ظلم بحق الذات القدسية الأحدية ، هو سوء الظن الذي يبديه عدد من الناس المغرورين (كلما زاد جهل الإنسان ، زاد غروره) الذين ينكرون وجود الأنبياء والكتب السماوية . هذه الفئة من الناس تقول مامعناه : ماذا تعنون بوجود النبي ، والإمام ، والكتاب السماوي ؟ العقل الذي منحه الله للإنسان ، يكفي لكي يهتدي به البشر إلى السعادة والهناء .

---

(١) ﴿ إقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ سورة الأنبياء : الآية ١ .

نشير هنا إلى أَنَّ جذور هذا الكلام يعود إلى طروحات بعض الفلاسفة القدماء ، حيث أصبح بالتالي حجة يتمسك بها الآخرون الذي يقولون بأنَّ العقل البشري يكفي في مجال تمييز طريق السعادة والتقدم . وبالتالي ليس هناك من داع لوجود الأنبياء والأئمة .

هناك الكثير من الأجوبة التي تصدت للرد على هذه المقولة الخاطئة ، ولكن أفضل هذه الأجوبة على الإطلاق هو الرد الذي ورد في إحدى الآيات القرآنية[1] .

لتعلم تلك الفئة التي تنكر وجود الأنبياء والكتب السماوية بأنَّها قد اتهمت رب العالمين بالظلم . إتهمته بأنَّه قد ترك الخلق يعيشون في حالة التيه والحيرة والإضطراب . إذ إنَّه لولا وجود الأنبياء والأئمة والكتب السماوية ، لبقي البشر في حيرة من أمرهم ، ليس في الحياة الدنيا فقط ، بل في الحياة الآخرة أيضاً .

العقل عاجز عن إدراك المصالح والمفاسد :

تقول فئة من الناس إنَّ العقل البشري يتمتع بقدرة تؤهله لمعرفة كافة المصالح والمفاسد بما يطابق الواقع .

أولاً : من المعلوم لدينا أَنَّ عقول الناس ليست متساوية . فمن الممكن أنْ يعتقد أصحاب التفكير المحدود بصوابية بعض الأمور ، بينما يعتقد أصحاب العقول الراجحة ببطلانها وعدم صلاحيتها .

ثانياً : لو أخذنا أصحاب التفكير الواعي والرأي السديد ، بعين الإعتبار ، فلا يمكن لهذه الفئة أنْ تشخص المصلحة الكلية الشاملة حتى للحياة الدنيا التي نعيشها . وحتى لو أرادت هذه الفئة أَنْ تضم كل العقول الراجحة التي تحتوي عليها إلى بعضها البعض ، فسوف يكون ذلك بمثابة ضم ناقص إلى ناقص فمن أين لها أَنْ تدرك واقع الأمر وتتفهمه ؟

---

(١) ﴿ وما قدروه حقَّ قدره إذْ قالوا ما أَنْزَلَ الله على بشر من شيء ﴾ سورة الأنعام : الآية ١٩ .

لذا نلاحظ أَنَّ هناك تبديلاً متواصلاً في مجال وضع القوانين المكررة ، بالإضافة إلى وجود مصوبات ، ومتممات ، ومواد نقض ، لتعويض الثغرات التي تشوبها . وفي الوقت نفسه ، نلاحظ أَنَّه كلما عُمِلَ على إصلاح أقسام منها ، برز العيب والخلل في مواضع أخرى . لهذا السبب نجد أنَّ رجال القانون أنفسهم يلتفتون بعد مضي فترة من الزمن ، إلى الأخطاء التي وقعوا فيها من خلال القوانين التي سنت على أيديهم ، فيبادرون إلى وضع ملحق أو تصويب لتلك القوانين ، أويلغون بعضها من الأساس .

وبناءً عليه ينحصر حق سن الشرائع والقوانين بمصدر الخلق ، أي بالله عز وجل فقط ، لأنَّه يحيط بجميع مصالح البشر ومفاسدهم في كل الحقب والمراحل الزمنية . فالإنسان بحد ذاته أصغر من أنْ يستطيع تشخيص مصلحة نفسه أو غيره من الناس ، سواءً في المرحلة الزمنية التي يعيش ضمنها أو على امتداد كافة الحقب الأخرى . الإنسان ضعيف للغاية ، كما أنَّ مدى إدراكه محدود وضعيف أيضاً .

ليس هناك من مجال للإحتياط في وضع القوانين :

من الممكن أنْ تدلي إحدى الفئات بالرأي التالي : إذاعملنا على رعاية مسألة الإحتياط في مجال وضع القوانين ، فلن يعود هناك أي إشكال . الجواب على هذه المقولة يتلخص في أنَّ مسألة تشخيص الإحتياط وفهم مختلف إحتمالات القضية لا تعدو كونها مشكلة في حد ذاتها . حتى في الأمور التفصيلية والشخصية ، يقع بعض الأشخاص في أخطاء في مجال تشخيص الإحتياط ، حيث يجدون بالتالي إلى العمل بخلاف ما يمليه عليهم أي إنَّه من الممكن أنْ يسبب الإحتياط مشاكل إضافية للإنسان .

لذا نجد أَنَّه قد ذكر في الرسائل العملية ما مفاده : إنَّ من يريد الأخذ بمسألة الإحتياط ، يجب أَنْ يكون قادراً على تشخيص هذه المسألة . عندئذ يستطيع أنْ يعمل وفق ما يمليه عليه . يضاف إلى ذلك أَنَّ الأخذ

بالإحتياط يحتاج للرجوع إلى التقليد . إذ إنَّه يجب أَنْ يتوفر لـدى الشخص الـذي يريـد العمل بـالإحتياط ، إذْنٌ مسبق من المجتهـد الذي يعتمـده في مجال التقليد . أو أَنْ يبادر المجتهد الذي يقلده ذلك الشخص إلى القول لـه إنَّ الإحتياط في هذه المسألة هـو على النحـو التالي ، كي يستـطيع الإنسـان العـامّي العمل حسب مقتضيـات هـذا المبـدأ . من هنـا نـدرك أَنَّ العمـل بـالإحتياط في مجـال وضع القـوانين في الحيـاة الدنيـا التي نعيشهـا هـو أمـر خاطىء .

أما بالنسبة للآخرة ، والحياة بعد الموت ، فلا يستطيع العقل البشري أنْ يقدم ، أو يؤخر في هذا المجال ، أبداً . ليس هناك من إنسان يستطيـع الغوص في مجاهل الحياة بعد الموت . فهو لا يستطيـع أنْ يعرف مـاذا يجري هناك . . . أو أنْ يعرف المكـان الذي سيستقـر فيه بعـد الموت . لا يعـرف كيف تسير الأوضاع هناك . . . أين هو المكـان الذي خصص لـه ؟ . . . ما هي الأعمال التي توجب الفرح والسعادة هناك ، وما هي الأعمال التي تجلب الضرر والعذاب ؟ لا أحد يعرف هذه الأمور سوى الله عز وجل الـذي هو خالق الملك والملكوت ، ومالك الدنيا والآخرة . فالله هو الذي يشرح كافة هذه المسائل للأنبياء بواسطة الوحي الذي ينزله عليهم ، كي يقوموا بالتالي بإبلاغ الناس بها . وإلا حتى لو تضافرت جهود البشريـة جمعاء ، وإتحـدت قـواها لتعـرف الأسرار التي تخفى عليها من قبيـل معرفـة ماذا يحـدث بعـد المـوت ، وإدراك الأمور التي ينبغي أَنْ يـتزود بها الإنسـان ، والمسائـل التي تنفعـه في آخرتـه . . . فلن تصل إلى أيـة نتيجـة ولن تفقـه شيئـاً . إنَّ من يعيش على الأرض وفي عالم المادة ، يشبه الجنين الذي يقبـع في بطن أمـه ، حيث لا يعرف شيئاً عما يجري حوله في الخارج . يا من تعيش في رحم عالم التراب والمادة ، لن تـدرك شيئاً من الحقيقـة قبل الخـروج من عالمـك . . . وطالما أنَّك لم تنسلخ عن جلدك ، فلن تعرف ماذا يجري هناك .

الرؤيا لا تشكل دليلاً بالنسبة للواقع :

حتى في مجال رؤية الأحـلام ، لا نستطيـع البتّ في صحة دلالتهـا ،

فأحياناً لا تعدو كونها أضغاث أحلام ليس إلا . على سبيل المثال يرى أحدهم والده المتوفي في المنام وقد لبس ثياباً جديدة وأنيقة ، فيفرح لذلك ويقول : الحمد لله ، إنّه مرتاح وسعيد في تلك الدنيا . لكن هذه الرؤية ليست ميزاناً دقيقاً للأمور ، فمن الممكن أنْ يكون خياله الواسع هو الذي ألبس والده ثياباً جديدة . عداك عن ذلك ، فلو إفترضنا صدق رؤيته ، فمن الممكن أنْ يكون الولد قد شاهد والده في المنام ضمن اللحظات التي كان يتمتع فيها بقدر من الراحة وهدوء البال . ومن الممكن أنْ تتغير حالة الأب في اللحظات التالية . وذلك لأنَّ حالة الإنسان بعد الموت ، تتبدل بمقدار ساعات حياته . فهي ليست على نحو واحد دائماً في تلك الدنيا ، تماماً كما لم تكن على نحوٍ واحد في هذه الدنيا . ساعة كنت تراه في المسجد ، وساعة أخرى في المكان الذي لا أعرف ماذا يجب أنْ أسميه . أأسميه بيت الشيطان ؟ أجل . أليست السينما عبارة عن منزل للشيطان ؟ إذن فساعة كان يقضيها في هذا المكان ، وساعة في ذلك المكان . ساعة كان ينشغل فيها بتلاوة القرآن الكريم ، وساعة أخرى كان ينصرف فيها إلى السباب ، والشتائم ، والفضائح . وهكذا نرى أنَّ حياة الإنسان لا تنحصر ضمن حالة وحيدة فقط .

ولهذا أقول لكم : أنَّه عندما يموت الإنسان ، لا يستطيع أي شخص كان أنْ يطلّع بشكل تام على أحواله في تلك الدنيا. لقد أسدل الستار على المشهد . الله سبحانه وتعالى هو الذي أراد ذلك . عندما تذهب إلى هناك ، ستشاهد بنفسك ما يجري . وطالما أنّك ما زلت في هذه الدنيا ، فلن تعرف شيئاً عن الأموات ، ولن تطلّع على أحوالهم أبداً . أما الأحلام والرؤى والتنويم ، واستحضار الأرواح ، وغيرها من الأمور المشابهة ، فهي أساليب خاطئة . فإما أنْ تكون أضغاث أحلام كما أسلفنا ، أو أنَّها قد تمتاز بأوجه متعددة تحتاج إلى التفسير والشرح . وفي جميع الأحوال ، ليست بمثابة إطلاع تام . إذن فالحل لا يكون إلا عبر وحي الله عز وجل . وبعد ذلك يتفضل الأنبياء والأئمة علينا بالتوضيح ويقولون لنا . . . هذا عمل جيد ،

وهذا عمل سيِّىء . العمل السيِّىء يسبب لك المتاعب عند الموت ، وفيما بعد الموت .

عين النبوة والإمامة هي وحدها التي تبصر :

كانت هناك امرأة مؤمنة في مدينة (البصرة) وذات يوم ابتليت بألم حادّ في بطنها . وعندما راجعت عدداً من الأطباء أشاروا عليها بشرب خمرة معتقة من أجل الشفاء من هذا المرض . ولكنها أبت أنْ تشرب . ومن ثم ذهبت إلى المدينة المنورة وقصدت كشاف الحقائق الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ، حيث شرحت له ما جرى لها قائلة ما مفاده : سيدي . . . لقد ابتليت بآلام حادة في البطن حيث أشار عليَّ الأطباء بشرب الخمرة . وإنّي أعتبر أنَك الحجة بيني وبين الله عز وجل (شاهدنا هو هذه العبارة) . فإذا سمحت لي بالشرب فسوف أشرب . وغداً في يوم القيامة ، أقول : إنّ جعفر الصادق (عليه السلام) هو الذي أذن لي بالشرب . أما إذا نهيتني عن الشرب فلن أشرب . وتتلخص محصلة هذه الرواية الشريفة في قول الإمام (عليه السلام) لها ما مفاده : لا يمكن أنْ أعطيك إذناً من هذا القبيل . وإذا أقدمت على هذا العمل ، فإنّي أخاف عليك من الساعة التي تبلغ فيها القلوب الحناجر[١] .

وهذا يعني أنّ المشروب الذي تتناوله يترك آثاراً سلبية عليك في لحظات الموت ، حتى لو شربته بقصد المداواة . . ترى أي مظلمة قد ألحقت بنفسك من خلال الشرب ؟

ترى هل يتولّد شيطان في ذات الإنسان خلال تلك الساعة الرهيبة . . . . ساعة الموت ؟

بالعودة إلى رواية أخرى نجد أَنَّ الإنسان يصاب بعطش شديد عند

---

(١) يمكنك الرجوع إلى كتاب الذنوب الكبيرة ، من أجل المزيد من الإطلاع على سند الرواية وشرحها .

حلول ساعة الموت . ترى أي عطش يتملك من شارب الخمر في تلك اللحظات الصعبة ؟

عندما يتفضل الإمام (عليه السلام) بهذه الأقوال ، فإنّه يفعل ذلك عن معرفة ، ودراية ، ورؤية واضحة ، ونظرة ثاقبة . أما الآخرون ، فلا يعرفون شيئاً عن عوالم الملكوت . إذْ إنَّ المسائل التي تتعلق بالباطن وعالم البرزخ والقيامة ، لا أحد يعرف شيئاً عنها سوى الأنبياء والأئمة .

تُرى هل يمكن أنْ يسدّ الله سبحانه وتعالى هذا الطريق في وجه البشر الذين هم خلقه ؟ لتحل لعنة الله على كل الذين ينكرون وجود القرآن كرسالة سماوية . لو افترضنا عدم وجود الأنبياء ، والأئمة والقرآن ، فماذا سيحل عندها بالإنسان ؟ سوف يبقى في حالة من التيه والحيرة والضياع بلا شك . أولئك الذين ينكرون وجود القرآن والأنبياء ، هم ينكرون في الواقع عدل الله وحكمته . فلو أنَّ الباري عز وجل قد ترك الناس في حالة الحيرة والضياع ، فهذا الأمر كان سيعتبر بمثابة ظلم بحقهم والعياذ بالله . إذ إنّه ينبغي أنْ يدلهم على سواء السبيل .

سوف نعرض الآن جانباً آخر من جوانب سوء الظن تجاه مصدر الخلق والتكوين . وهذا الجانب الذي لطالما شاهدتموه أو سمعتم به على الأقل ، يتعلق بالصراع الدائم بين الحق والباطل ، حث يحقق الباطل نصراً ظاهرياً، بينما يمنى الحق بهزيمة شكلية دائماً أو في معظم الأحيان. وهذه المسألة تكررت كثيراً عبر التاريخ واستمرت حتى زماننا هذا ، حيث يمكننا التأكد منها عبر الرجوع إلى بطون الكتب التاريخية . فلو رجع أحدنا إلى صفحات التاريخ الغابر وطالعها بتمعّن ، فسوف يرى أنّه منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا ، مرّ عدد كبير من المظلومين والمضطهدين ، بينما لم تنزل أي عقوبة أو انتقام بحق الظَلَمَة والمعتدين . يلاحظ أَنَّ الظالم يضرب ، يسرق ، يغير ، ويقتل ، بينما لا تنزل به أي مصيبة ولا يحل به أي بلاء . من الممكن في هذه الحالة أنْ يتسلل قدر من الشعور بسوء الظن إلى نفوس الخلق ، كما حصل فعلاً لدى البعض . على سبيل المثال ،

عندما يقرأ الواحد منّا قصة معاوية وعلي (عليه السلام) أو يسمعهـا ، فمن الطبيعي ألّا يتمالـك نفسه ، فيقـول : ربّاه . . . كيف يحـدث ذلك ؟ عـلي (عليه السلام) قتل ، بينما بقي معاوية وعمرو بن العاص على قيد الحياة .

من المعروف أنَّ عبد الرحمن بن ملجم والحجاج بن عبـد الله المعروف بـبرك . وعمـرو بن بكـر التميمي ، كـانـوا يتميـزون بنفسيـات جـريئـة ، حاذقة ، ودموية . وكانوا يناصبون أمير المؤمنين (عليـه السلام) ومعـاوية ، وعمرو بن العاص ، أشد العداء . وذات مرة أقسموا على أَنْ يقوموا سويـة بالقضاء على أولئك الثلاثة ، بصورة متزامنـة . وكانـوا يفكرون عـلى النحو التـالي : إنْ قُتِلَ عـلي (عليه السـلام) ، وقُتِلَ معـاويـة ، وقُتِـلَ عمـرو بن العاص الذي هـو أستاذ معـاوية وشيـطانه أيضـاً ، فلن يبقى هناك أي أثـر للفساد . إذن يجب أنْ يقضى على هؤلاء الثلاثة .

وهكذا أقسموا على أنْ يقومـوا بقتل عـلي (عليه السـلام) في مسجد الكـوفة ، ومعـاوية في المسجـد الأموي في الشـام ، وعمرو بن العـاص في المسجد الجامع في مصر (كان والياً على مصر آنـذاك) ، في الليلة التاسعـة عشرة من شهر رمضان المبارك ، عند رفع أذان الصبح ، بصورة متزامنـة . ثم قاموا بتوديع بعضهم البعض .

توجّه ابن ملجم نحو الكوفة على النحـو الذي تعـرفونـه . رأى قطام التي شجّعته على ارتكاب جريمتـه النكراء . وبـات العشق الذي يشـدّه إلى قطام ، حافـزاً إضافيـاً له عـلى المضي قدمـاً في تنفيذ عمله المشـين . توجّـه في الليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان إلى مسجـد الكوفـة . وعند حلول أذان الصبح ، سلَّ سيفـه المسموم وأنجـز المهمة الآثمـة التي تعهد بـالقيام بها .

أمـا الحجاج إبن عبـد الله المعروف بـبرك ، فقـد ذهب إلى الشـام . واستعد لقتل معاوية . وفي الموعد المتفق عليـه ، ذهب إلى المسجد الأمـوي في الشام وجهّز سيفه المسموم للقضاء على معاوية ، كـما فعل إبن ملجم في

الكـوفة . وعنـد حلول موعـد صلاة الصبـح ، وقف خلف معـاويـة حيث اختـار المكان الأمثـل الذي يستـطيع من خـلاله قتـل إمام الجـماعة بصـورة مباغتة . وما أنْ أراد معاوية الشروع بالسجود حتى رفع الحجـاج سيفه كي يضرب عنقـه ويطيـح برأسـه ، إلا أنَّ الضربة أخـطأت هـدفهـا وأصـابت المؤخرة . وهكذا بدل أنْ تقطع الضربة رأس معاوية ، بترت قطعة من لحم فخـذه ، ولم تسبب له أي خـطورة تذكـر . ثم أخـذ معـاويـة إلى المنـزل ، وجيء بجراح كي يداوي جرحه . فقال : إنَّ هناك طـريقتين لمعـالجة هـذه الحالة . فإما أنْ يكوى مكان الجرح ، وإما أنْ يعطى جرعة خاصة لحالته . فقال ، لا طاقـة لي على طـريقة الكي . فـأفيد بـأنَّه إذا لم يعـالج بـأسلوب الكي ، فلن يرزق بالأولاد بعد ذلك أبداً . فقـال : يكفيني ولـداي يزيـد وخالد . وفي النهاية شفي مـن مرضـه . ومن ثم أحضر بـرك للوقوف بـين يدي معاوية . وما أنْ همّ بقتله حتى قال برك : أبشر يا معاوية . قال له : ماذا لديك ؟ فقال لـه : كنّا ننـوي قتلكما ، أنت وعـلي (عليه السـلام) في هذه الليلة . ولكنك قد نجوت من هـذه المحاولـة . وإنّي أبشّرك بأنَّ عليـاً (عليه السلام) سيقتل في هذه الليلة . دعني أعيش الآن ولا تقتلني . فـإن كنت صادقاً في كلامي ، وعرفتَ بأنَّ علي (عليـه السلام) قـد قتل حقـاً ، عنـدئذٍ تكـون قد تخلصت من عـدوّك . فـإنْ أردت عنـدهـا أنْ تعفـو عني وتـطلق سراحي لقـاء هـذه البشرى ، فـافعــل ذلـك أمــا إنْ كـان عــلي (عليه السلام) لم يقتل فأني أعدك بأنّني سوف أذهب للقضاء عليه .

هنـا اختلفت الروايـات بصدد مـوقف معاويـة . البعض قال بـأنَّه لم يقتـل بـرك فـوراً ، بـل استبقـاه لحـين وصـول خـبر مقتـل أمـير المؤمنـين (عليه السلام) . وبعد وصول الخبر لم يقتله ، بل أطلق سراحه بعد أَنْ أمر بقطع يديه ورجليه . والبعض الآخر أفاد بأَنَّ معاوية أمر بقتله .

أما عمرو بن العاص ، ذلك الشيطان الماكر والثعلب المخادع ، فقـد حالفه الحظ وأنقذ حياته . إذ إنَّ عمرو بن بكر الذي تكفّـل بقتله ذهب في الليلة المتفق عليها إلى المسجد الجامع في مصر بعد أَنْ جهّز سيفه المسموم ،

وبقي هناك مترقباً قدوم عمرو بن العاص ، كي يقضي عليه . ولكن عمرو بن العاص أصيب في تلك الليلة بتشنّج في أمعائه ممّا سبّب له ألماً شديداً في بطنه ، فلم يستطع الذهاب إلى المسجد ، فكلّف القاضي خارجة بن أبي حبيبة بأنْ ينوب عنه في أمّ الناس في الصلاة . ذهب خارجة إلى المسجد وتوجّه إلى المحراب غافلاً عن الخطر المحدق به . وما أنْ رفع رأسه من السجود حتى سلّ عمرو بن بكر سيفه وضربه ضربةً قاتلة ، ظناً منه أنّه عمرو بن العاص . عند ذلك ألقي القبض عليه . أما القاضي المسكين فقد فتكت الضربة به فمات في اليوم ننفسه ، وقيل إنّه مات في اليوم التالي . وأمر عمرو بن العاص بقتل عمرو بن بكر . هذه هي خلاصة القصة التي أردنا التعليق عليها .

إذا نظر الإنسان إلى حيثيات هذه القصة ، ماذا يلاحظ ؟ يلاحظ أنَّ الشخصين اللذين يمثلان الظلم والباطل قد بقيا على قيد الحياة ، بينما أصاب سيف إبن ملجم رأس أمير المؤمنين (عليه السلام) وأودى بحياته . أي إنَّ سيدنا ومولانا الذي يمثل العدل الإلهي قد فارق الدنيا !

أي إنَّ رمز الحق ، والعدل ، والحقيقة ، قد وقع ضحية سيف الباطل المسموم . حيث شاء القدر أَنْ يموت ، بينما أفلت رمزا الباطل من شرك القضاء والقدر حيث نجيا من الموت !

وهناك الكثير من القصص التي تشبه هذه القصة في مدلولاتها .

أما الآن فسوف نحاول الإجابة على علامات الإستفهام . أتظن أنَّ كل من أقدم على ظلم أو جريمة ، في هذه الدنيا ، سوف يلاقي العقاب المناسب على وجه السرعة ؟ . . . الدنيا أصغر من أَنْ تكون المكان المناسب لحلول الإنتقام الإلهي . إذ إنَّ انتقام الله وعقاب الله ، يتجليان في العالم الآخر . عالم الجزاء يقع في مكان آخر . هذه الدنيا مخصصة لزرع البذور والإعتناء بها . أما جني الثمار ، فيتم بعد حلول الموت . أنت حرٌّ فيما تزرع . تستطيع أنْ تزرع بذور البطيخ الطيب اللذيذ الحلو المذاق ، مثلما تستطيع أنْ تزرع بذور الحنظل المر الكريه « الدنيا مزرعة الآخرة » .

ثمرة الأعمال الصالحة والطالحة تنبت بعد الموت . أتظن أنَّ كل من كان عادلاً وصالحاً في هذه الدنيا ، سوف يطول عمره وتزداد قدرته وسلطته ؟ . . . كلا ، الأمر ليس كذلك . إذ إنَّ كل الأحداث والتطورات التي تستجد في هذه الدنيا ، إنما تتبع في مسارها سلسلة من العلل والمعلولات الخاصة بهذا العالم ، ولا تأتي كردة فعل تجاه أعمال العباد أو محاسبة عليها .

من الأفضل هنا أنْ أورد إحدى الآيات القرآنية الكريمة للدلالة على صحة هذا التحليل . لو أراد الله مؤاخذة الناس ، لما بقي أحد في هذه الدنيا .

يقول الله عز وجل في محكم آياته : ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة** ﴾[1] .

لو أراد الله سبحانه وتعالى أنْ يتخذ من الدنيا مكاناً يتجلى فيه إنتقامه وسخطه على الظالم والفاجر ، بحيث يحاسبهما على ما اقترفت أيديهما في هذه الحياة ، لما بقيت عندها أي دابة على سطح الكرة الأرضية . ومن هو الذي لم يمارس ظلماً طوال حياته أبداً ؟ . . . ترى هل يمرّ يوم من دون أَنْ نرتكب فيه مظلمة معينة ؟ . . . أتظن أنَّ الظالم هو من يقطع الطريق على الناس ويزهق أرواح البشر فقط ؟ . . . ذلك الشخص الذي يجلس خلف طاولته الفخمة ، أتدري أي أوجه من الظلم يمارس بحق المستضعفين من الخلق ؟ . . . أتدري أي اعتداءات يمارس بحق أموال الناس وأعراضهم بواسطة لسانه السليط ، وتصرفاته المشينة ؟ . . .

ماذا نقول أيضاً عن ذاك الذي يسيء استعمال المكيال والميزان ؟ . . . وعن ذاك المعمار الذي يغش في عمله ؟ . . . وعن ذاك العامل ، أو الأجير الذي لا يقوم بواجباته على أكمل وجه ؟ . . . أينما نظرت ودققت ، ترى نوعاً من أنواع الظلم ولا تلمح أي أثر للعدل . وقد

---

(١) سورة هود : الآية ١١٩ .

يصل الأمر بنا أحياناً إلى أنْ نبادر إلى ظلم أو اعتداء ، بصورة خـارجة عن إرادتنا . وعدا عن كل ما ذكرناه حتى الآن ، لنتناولل العـلاقة بـين الرجـل والمرأة من خلال الحياة الزوجية . تُرى ، هل يوجد رجل في هـذه الدنيـا لم يمارس ظلماً أو قهراً بحق زوجته طوال فترة حياته الزوجية ؟ . . . حتى لو تمّ ذلـك عبر المضـايقـات العـابـرة ، أو التعليقـات الساخرة ، أو الإنتقـادات القاسية . إذ إنَّ الإنتقادات الكثيرة التي يوجهها الرجال إلى النسـاء ، تعتبر نوعاً من أنواع الظلم تجاههن . وكذلك بالنسبـة لضرب المرأة ، أو التسبب لها بالحزن واللوعة ، والأسى . أما إذا تناولنـا تصرف المرأة حيـال زوجها ، فهل يمكن ألا تبادر الزوجة أبـداً إلى أي نوع من أنـواع الظلم أو الإعتـداء بحق زوجها ؟ . . .

هناك حقوق كثيرة للغايـة للرجل عـلى المـرأة . وهناك أيضـاً حقوق كثيرة للمرأة عـلى الرجـل . وهناك أيضـاً وأيضاً الحقـوق المتبادلـة بين المـرء وأولاده ، إلى ما هنالـك من حقوق وواجبـات أخرى . أردت الإشـارة من خلال هذا العرض إلى الظلم العمـومي الموجـود في هذه الـدنيا . ليس من المقرر أنْ يطال الإنتقام كل الـظلمة والمجـرمين في هـذه الحياة الـدنيا . فلو أراد الله مؤاخذة الناس على الظلم الذي يصدر عنهم ، لما بقي أحد في هذا العالم . لذا فإنَّ الله عز وجل يعطي مهلة للناس علهم يهتدون إلى التوبة ، والإنابة والإستغفار . علّهم يعودون مـرة أخرى إلى جـادة الهدى وإصـلاح الذات . أما الإنتقام نفسه ، فقد اختصّ من الأساس بالعالم الآخر .

فهـل كنت تتوقـع على سبيـل المثـال أنْ يبـادر القضـاء والقـدر عـلى التـدخل فـي اللحظة التي أراد خـلالها إبن ملجم اللعـين ضرب رأس أمير المؤمنــين (عليـه السـلام) ، ليعمـلا عـلى ردّ الضربـة إلى رأس ذلـك المجـرم؟ . . . وكذلـك أنْ تنال الضربـة التي استهـدفت معـاويـة أم رأسـه فتودي بحياته ؟ . . . هذا ما يريده قلبك وما تمليه عليك عاطفتـك ، ولكن قـانون الـدنيا لا يتـماشى مع هـذه الطريقـة . فهذه الـدنيا ليست السـاحـة المخصصـة للإقتصـاص كما أسلفنـا . وليست أيضاً الـواحة التي يـوفى فيها

عدل علي (عليه السلام) حقه . أتظن حقاً أنَّ التكريم الذي يستحقه عدل علي (عليه السلام) ، يتجلى من خلال إنقاذ حياته من الموت ؟ . . .

القتل في سبيل الحق ، هو الحياة بعينها :

نشير هنا إلى أنَّ القتل يكون دوماً على صورتين :

الأولى : وهي أن يقتل المرء في سبيل النفس والهوى ، حيث تمثل الهلاك (خسر الدنيا والآخرة) . مسكين ذلك الإنسان الذي يقتل من أجل نفسه وهواه . هذا هو الهلاك الحقيقي بعينه .

والثانية : وهي أَنْ يقتل المرء في سبيل الله ، والحق ، والحقيقة ، حيث تمثل الحياة لا الهلاك .

كم كان صاحب (الحدائق) ـ أعلى الله مقامه ـ دقيقاً في قوله عندما تفضل بما معناه : هناك من يستشهد بالآية الكريمة التي تقول ﴿ **لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾[1] ، لكي يصل إلى مبتغاه التالي . طالما أنَّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان يعرف بأنّه سيُقتل في صباح اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك ، فلماذا خرج من منزله ، وذهب إلى المسجد يا تُرى ؟ إذ إنَّ الآية تشير علينا بألاّ نرمي بأنفسنا في التهلكة ؟

نجيب على ذلك بقولنا : إنَّ التهلكة لا تعني الموت ، بل تعني الإثم والمعصية . التهلكة الحقيقية تتمثل في أَنْ يرتكب أحد الناس عملاً مشيناً يجعله بغيضاً عند الله عز وجل ومستحقاً لعذابه سبحانه وتعالى . أما الموت الظاهري ، إنْ كان في سبيل الله عز وجل ، فيصبح ألمع وأعظم وجوه الحياة ، والسعادة ، والنجاة . هذا هو الإنجاز الذي تمناه علي (عليه السلام) طوال عمره الشريف . كان يتمنى دوماً أَنْ يقتل في سبيل الله . أي شرف أو فخر يستطيع أنْ يتوّج عمل الإنسان أكثر من هذا الشرف العظيم ؟ . . . أكثر من أَنْ يصبح الإنسان فدائياً في سبيل رب

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

العالمين ؟ . . . . علي (عليه السلام) كان يتمنى دوماً أنْ يصبح فدائياً للدفاع عن دين الله الحنيف . وأنْ يبذل حياته وروحه في سبيل الله تبارك وتعالى . أشير هنا إلى أنَّ أمير المؤمنين(عليه السلام) بكى عند عودته سالماً من إحدى المعارك التي خاضها ، حيث خاطبه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بقوله ما معناه : يا علي . . . لقد إنتصرت في الحرب ، فعلام البكاء ؟ . . . فأجاب أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلاً ما مفاده : يا رسول الله كلما ذهبت إلى الحرب ، عدت منها سالماً . لكني أتمنى أنْ أقتل في سبيل الله . عندها بشّره رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بما يتمناه ، قائلاً له ما مفاده : يا علي . . . سوف تتخضب لحيتك بدم رأسك في سبيل الله عز وجل[1] .

كيف كان علي (ع) يتمنى الشهادة ويستعدّ لها ؟ . . .

لقد ألهم علي (عليه السلام) . إذ إنَّ النبي كان قد أخبره عن تلك الواقعة من جهة ، ومن جهة أخرى كان قد أخبر في المنام بما مفاده : يا علي . . . سوف تحل ضيفاً علينا في العشرة الأخيرة من شهر رمضان المبارك .

في ليالي العشرة الوسطى من شهر رمضان ، كان علي (عليه السلام) يفطر ليلة في منزل أم كلثوم ، وليلة في منزل زينب . ولكن مما كان يتألف إفطاره في تلك الليالي يا تُرى ؟

تفيد الروايات بأنّه كان يتناول ثلاث لقم فقط[1] . ذات ليلة قالت له أم كلثوم ما معناه : يا أبتي . . . لقد كنت صائماً ، ولا بدّ أنَّ الجوع قد تملك منك . هل يمكن لهذه اللقم الثلاث أنْ تشبعك ؟ . . .

---

(١) بحار الأنوار : الجزء التاسع .

(٢) لما دخل شهر رمضان كان أمير المؤمنين يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن عباس وكان لا يزيد على ثلاث لقم فقيل به في ذلك فقال (عليه السلام) يأتيني أمر الله وأنا خميص إنما هي ليلة أو ليلتان فأصيب آخر الليل . (بحار الأنوار ، ٩/٦٥٥) .

فأجابها بما مفاده : لقد إقترب موعد رحيلي . سوف أُفارق هذه الدنيا في العشرة الأخيرة من شهر رمضان المبارك . أحب أنْ تكون معدتي خاوية عندما يدنو أجلي وتحين ساعة موتي . أريد أنْ أفارق هذا العالم وأنا في هذه الحالة .

إذن فهو يريد بنفسه أنْ ينال هذه السعادة العظيمة . وكما أسلفت لكم ، فقد خير أمير المؤمنين (عليه السلام) بين القتل والبقاء على قيد الحياة ، فاختار الشهادة بنفسه لأنّه كان يصبو إليها ويتمنّاها . إذْ إنَّ ردع إبن ملجم اللعين لم يكن ليحتاج إلى عناء كبير من علي (عليه السلام) ، فإشارة منه كانت تكفي لرمي ذلك المجرم جانباً . لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، كان قد سلّم أمره إلى الله عز وجل . إذ إنّه لا بد وأنْ يأتي يوم يشهد موت علي (عليه السلام) . لا بدّ وأنْ تباعد المنية بينه وبين هذا العالم ، لسبب من الأسباب ، وظرف من الظروف الطارئة . إذن فأي سبب أفضل ، وأيّ ظرف أشرف من أنْ يقتل في سبيل الله عز وجل ، بواسطة ذلك السيف المسموم ؟ . . . وبأي طريقة ؟ . . يقتل وهو يؤدي الصلاة . . . يقتل وهو يسجد في محراب العبادة الخالصة . . . من هو الذي يستطيع نيل هذه السعادة غير علي (عليه السلام) ؟ . . .

لقد استشهد وهو في أفضل حالات التوجّه الكامل نحو الله عز وجل . . . وهو في أفضل حالات الإقبال التام للقلب نحو رب العالمين . . . . .

كل الأتقياء والصالحين والقديسين يتمنون أنْ ينالوا هذه السعادة المشرفة . يتمنون أنْ تكون أنفسهم عامرة بذكر الله عز وجل عندما يقترب الأجل منهم . إذ إنَّ الإنسان بشكل عام ، يكون في حالة من الغفلة عند حلول ساعة الموت . في حالة من الخيالات الواهية . من هو الذي يستطيع أنْ يسلم الروح وهو في حالة حضور القلب والوجدان ؟ . . .

هذا الأمر كان من نصيب علي (عليه السلام) . لذا فقد قال

بنفسه : « فزت وربِّ الكعبة»[1]. أي إنَّه قال ما معناه : أقسم برب الكعبة إنّي قد وفّقت في الوصول إلى سبيل الله . . . وفّقت في مسعاي ونلت الشهادة . . . فزت بما كنت أطمح إليه .

بعد كل هذا الشرح ، لا ينبغي أنْ تقول ثانية لماذا قتل علي (عليه السلام) ، بينما نجا معاوية من الموت . فهذا القتل الذي لا تريده لعلي (عليه السلام) ، كان أقصى ما يتمناه علي (عليه السلام) على الدوام . فأنت تنظر إلى الموت على أنَّه وحش مخيف يحول بين المرء وبين الوصول إلى السعادة والملذات . أجل ، إنَّه وحش كاسر فعلاً بالنسبة لأمثال معاوية إنَّه يشكل عائقاً أو حاجزاً يمنع معاوية ومن هم على شاكلته من إدراك ملذات العيش . أما بالنسبة لعلي (عليه السلام) ، فالمسألة معكوسة تماماً . فالموت هو بوابة العبور إلى الخلاص ، والنعيم ، والوصال .

الراحة والنَّصَب . . السرور والحزن . . . كلها مسائل نسبية :

هناك رواية تفيد بما يلي : ذات يوم ، كان الإمام الحسن (عليه السلام) قد خرج للتوّ من الحمام مرتدياً ثياباً في غاية الترتيب والأناقة ، عندما امتطى صهوة جواده وسار به ، وكان هناك خادم يسير في ركابه ويعمل على خدمته . وبينما كان إبن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، السبط الأكبر ، يسير وسط هذا الجو الذي يعبق بالجلال والعظمة ، مرّ بشخص يهودي بدت عليه علامات الفقر المدقع ، وشظف العيش وتبين أنَّه متسول بائس ردّ على أعقابه من قبل كل الذين طرق أبوابهم . وما أَنْ وقعت عيناه على الإمام الحسن (عليه السلام) حتى استوقفه ووجه حديثه إليه قائلاً : أريد أَنْ أتحدث معك قليلاً . توقف الإمام عندها عن السير وقال له ما مفاده : ماذا تريد ؟ . . .

قال الرجل اليهودي : ألم يقل جدك إنَّ « الدنيا سجن المؤمن وجنة

---

(١) بحار الأنوار : الجزء التاسع .

الكافر ؟ »[1]

أيّ إنَّ الدنيا هي بمثابة سجن للإنسان المؤمن . عندما يموت المؤمن ، تتفتح أمامه أبواب السجن حيث يخرج منه ويصبح حراً طليقاً . أما بالنسبة للكافر ، فالمسألة تصبح معكوسة تماماً . إذ إنَّ الدنيا هي بمثابة الجنة بالنسبة له . فهو عندما يموت ، يشعر وكأنَّه قد طرد من الجنة .

تابع اليهودي حديثه قائلاً : إنّ كان هذا الحديث صحيحاً ، فلماذا باتت الأمور معكوسة هكذا ؟ أنظر إلى الحياة الهنيئة التي تعيشها أنت ، وإلى الحياة التعيسة التي أحياها أنا . ترى ، من المسجون بيننا ، أنت أم أنا ؟ . . .

أجابه الإمام الحسن (عليه السلام) عندها بقوله ما مفاده : إنَّ ما تفضل جدي بقوله يتعلق بمرحلة ما بعد الموت (يا لها من حقيقة ساطعة . . . يا لها من حكمة بالغة . . . يا له من جواب مفحم . . .) .

إذ إنَّ المؤمن يشعر بأنّه مسجون في هذه الدنيا ، على الرغم من كل أسباب الراحة ، والسعادة التي قد تتوفر له في حياته ، قياساً على ألوان السعادة الكبرى التي تنتظره في مرحلة ما بعد الموت . فلو أنَّه لبس هنا ثياباً تصل قيمتها إلى الآلاف ، أو الملايين من الدراهم ، فإنَّها تبقى حقيرة ومتواضعة في نظره ، قياساً بثياب الحرير والإستبرق التي وعده الله بنيلها في الجنة . كل المأكولات الشهية ، والمشروبات اللذيذة ، والملذات المادية تبقى حقيرة في نظر المؤمن بالرغم من إغرائها الشديد ، قياساً بطعام الجنة ، ومياه حوض الكوثر . كل أنواع المسرات . . . كل أوجه الهناء والسرور ، الموجودة في هذه الدنيا ، تفقد بريقها وإثارتها وتصبح مرة وكريهة ، قياساً على أصلها الموجود في الجنة . كل البيوت والقصور الفخمة ، تصبح كالسجن بالنسبة للإنسان المؤمن بالرغم من وسائلها وتجهيزاتها ، وحدائقها الغناء ، إذا ما قيست بالقصر المجلل الذي كتبه الله له في جنان الخلد .

(١) كشف الغمة ، للإربلي .

لنتحدث الآن عن الكافر : حتى لو كان الكافر يعيش في أحلك الظروف الممكنة ويعاني الأمرّين من حياته التعيسة في هذه الدنيا ، فإنّي أقسم لكم إنّ هذا العالم يبقى كالجنة بالنسبة له ، قياساً على الأهوال التي سيعاني منها عندما يوضع في القبر . حتى لو زجّ بأحد الكفرة في السجن ، وأخضع هناك لأشنع أنواع التعذيب ، فإنّه سيعتبر نفسه في الجنة قياساً على السجن المهول الذي يتمثل بقبره(١) . ينبغي أنْ تلتفت إلى مسألة النسبة في هذا المجال . قارن بين الوضع هنا والوضع هناك . حتى لو مرّ الكافر في أصعب الظروف وتعرض لأخطر الأهوال ، فإنّه لن يشعر بوطأة حالته أبداً إذا ما قيس كل ذلك بأهوال القبر وعذابه ، وبما سيتعرض له في عالم البرزخ وجهنم .

تأمل هذاالقول جيداً . لقد وصف رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) عذاب الكافر في سجن ما بعد الموت بقوله : « كالوتد في الجدار » . أي إنّه يتعرض لضغط هائل يجعل وضعه كوضع الوتد عندما يدق في الجدار . تخيل الآن حالته . عندما يوضع في القبر ، ذلك المكان الضيق المظلم الموحش ، ويدق بالمسامير الصلبة . . . ترى أي ضغط فظيع سيتعرض له ؟ . . . وأي عذاب شديد سيعاني منه ؟ . . .

سأل أحدهم الإمام (عليه السلام) ذات مرة قائلاً : هل يتعرض أولئك الذين يموتون شنقاً لعذاب القبر أيضاً ؟ (على أساس أنّه في السابق كان يشنق أحدهم ويبقى معلقاً على حبل المشنقة لمدة طويلة كانت تصل إلى بضعة سنين أحياناً) .

أجاب الإمام (عليه السلام) بقوله : ربّ الأرض هو نفسه رب الهواء .

أيْ إنّه إذا كان الميت مستحقاً للعذاب والأهوال ، فإنّه سيتعرض لهما أينما كان . أكرر إنّه إذا كان الإنسان مستحقاً للحلول في الظلام ،

---

(١) بحار الأنوار : الجزء الثالث .

والتعرض للعذاب ، فأينما حلّ جسمه ستبقى روحه معذبة وغارقة في الظلمة الموحشة . تلك الظلمة الحالكة التي لا يتمكن معها أنْ يرى يده إذا أخرجها[1] .

نستجير بالله العظيم من سجن البرزخ المهول ! إذن حتى لو كان أحد الكفرة مرمياً في أحد سجون هذه الدنيا الفانية ، فسوف يشعر بأنّه في الجنة قياساً على السجن الأفظع المتمثل بقبره .

تنور الدنيا هو كالواحة بالنسبة لنار جهنم :

هناك رواية أخرى عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) تفيد بأنّه قال ما معناه : لو أخرج الكافر من نار جهنم ووضع في تنور الدنيا ، فسوف ينام نومة هنيئة .

تُرى ما هي النار التي تستعر في جهنم حتى تعتبر نيران هذه الدنيا قياساً عليها بمثابة منتجعات للذين كبوا على وجوههم في عذاب الحريق ؟ هذه هي الحقيقة بعينها . لذا جاء في القرآن الكريم أنّها ﴿ نار حامية ﴾ . إذن فهي نار حامية . حامية إلى درجة نستطيع أنْ نصف معها نار هذه الدنيا بالباردة . حتى في هذا العالم ، هناك درجات متفاوتة للنار . فهناك النار التي ترتبط بغاز الأوكسجين ، وهناك الأسيد الحارق والبراكين المتفجرة . أكثر من ذلك ، أي نار هي التي تتولد من خلال الصواعق ؟ . . . لا أدري ما هو سر هذه القدرة العجيبة . أتدري أنّها تستطيع أحياناً أنْ تدك جبلاً شامخاً من شدتها ؟ . . . ألم ترَ في إحدى جولاتك وأسفارك كيف تضرب الصواعق إحدى الأشجار الخضراء المتينة فتحرقها ؟ . . . أفظع من ذلك . . . أحياناً تضرب على سطح البحر فتنفذ من خلال الماء إلى الأسفل ، حيث تشوي السمك الموجود في أعماق البحر . رباه . . . ما هي هذه الحرارة الهائلة التي لا تتمكن حتى مياه البحر من إطفائها ؟ . . .

---

(١) ﴿ إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ سورة النور : الآية ٤٠ .

قطرة دمع واحدة تطفىء البراكين المتفجرة بالنار :

إذن فقد عرفنا أنّ نار جهنم هي من الفظاعة بمكان بحيث لا تقوى أيّ وسيلة على إخمادها حتى ولو كانت مياه البحر بأكملها . ولكني أعرف قطرة ماء واحدة يمكنها أنْ تتغلب على تلك النار الملتهبة فتخمدها . وباستطاعة كل واحد منّا أنْ يمتلك قطرة الماء الفريدة هذه . لذا إنتبهوا لها واعرفوا قدرها وقيمتها . إنّ قطرة الماء التي تقوى إطفاء ألسنة النار الملتهبة ، ما هي إلا دمعة العين المنسكبة . إذا وصل الإنسان المؤمن إلى حالة معنوية تدفع به إلى الخوف من عذاب الله عز وجل ، بحيث يؤلم هذا الخوف قلبه ، ويطبق على صدره ويجعل الدموع تنسكب من عينيه ، فلا شك في أنّ هذه الحالة تقوى على إخماد براكين النار المتفجرة في جهنم(١) . وهناك روايات كثيرة في هذا المقام .

أودّ التأكيد هنا على مسألة هامة جداً ، ألا وهي ليالي القدر المجيدة . ينقل عن الإمام (عليه السلام) قوله : ما أيسر الليلتين(٢) . ليس أمامك سور ليلتين إثنتين ، وهما ليلة الحادي والعشرين وليلة الثالث والعشرين . يجب أنْ تخصص ليلتين في كل سنة من أجل ضمان آخرتك . يجب أنْ تنصرف في هاتين الليلتين إلى ذكر الله عز وجل ومناجاته والتوسل إليه . يجب أنْ تتمتع خلالهما بحضور القلب والوجدان . لا ينبغي أنْ تكتفي بحرمان عينك وحدها من النوم ، فهذه يقظة ظاهرية . بل يجب أنْ يكون قلبك واعياً وحاضراً . يجب أنْ يكون قلبك عامراً بذكر الله سبحانه وتعالى . ينبغي أنْ تضع نصب عينيك كافة الذنوب والمعاصي التي ارتكبتها ، وكل أوجه القصور التي تعاني منها . جاء في (تفسير البرهان) أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) علق على الآية الكريمة التي تقول : ﴿ إلا من رحم ربّك ﴾ ولذلك خلقهم (أي إنّ الله عز وجل قد خلق

---

(١) « إنّ بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها إلّا البكاؤون من خشية الله » . (بحار الأنوار : الجزء الثالث) .

(٢) مفاتيح الجنان : أعمال ليالي القدر .

الناس من أجل أنْ يسبغ رحمته عليهم) ، بقوله ما مفاده : عندما يتقدمون بالأعذار ، ويلقون الكلمات الطيبة ، يسبغ الله عز وجل رحمته عليهم[1] .

لهذا فإنّ مصدر الخلق والتكوين يستمع إلى الأعذار التي يتقدم بها كل البشر بألسنتهم هذه . أي إنَّ الإنسان عندما يقف بين يدي ربه ويبث نجواه عبر قلبه الملتهب ، وعينه الدامعة ، ولسانه المعتذر النادم ، فإنه يحث رحمة الله الواسعة أنْ تغمره بجناحها الدافىء . لذا يجب علينا أَنْ نعرف قدر المناجاة وطلب التوبة .

ربّاه . . . حتى حالة الدعاء والمناجاة هذه ، أنت الذي ينبغي أَنْ تساعدنا على بلوغها ، وتأخذ بيدنا للوصول إلى رحابها . كلما صممنا على بلوغ هذه الحالة ، وحاولنا الإستعداد لخوض غمارها ، نجد أنَّ أنفسنا تعجز عن مواصلة هذا الدرب المجيد . في بداية دعاء أبي حمزة الثمالي ، تطالعنا العبارة التالية : « من أين لي الخير يا رب ، ولا يوجد إلا من عندك ، ومن أين لي النجاة ، ولا تستطاع إلا بك »[2] .

ربّاه . . . تحنّن على جميع خلقك بإرشادهم إلى حالة الدعاء والمناجاة هذه . دل قلوبنا على الحالةِ التي نقبل فيها التوبة وطلب المغفرة .

---

(١) تفسير البرهان : الجزء الأول .

(٢) دعاء أبي حمزة الثمالي .

«٢٠»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون ﴾[1] .

عمل علي (ع) دوماً على النصح والإرشاد :

في مقدمة حديثي هنا أسأل الله عز وجل أنْ ينزل عليكم صلواته ورحمته طبقاً لما ورد في هذه الآية الشريفة . أسأل الله أنْ ينزل رحمته على شيعة علي (عليه السلام) ومحبيه الذي تحزن قلوبهم وتتأثر عندما يتذكرون قتله ، فيجتمعون حول بعضهم البعض ، ويقيمون مجالس العزاء التي يبثون حزنهم من خلالها . أودّ أيضاً من خلال مقدمة هذا الفصل أنْ أشير إلى بعض الأمور التي تتعلق بالهدف الأساسي الذي عمل من أجله علي (عليه السلام) ، حتى نستطيع جميعاً أنْ نواصل السير على دربه وأنْ نستنير بنهجه .

ظلّ علي (عليه السلام) يعظ الناس ويسدي لهم النصح حتى

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٦ ـ ١٥٧ .

اللحظة الأخيرة من عمره الشريف . كان يذهب إلى السوق ويقف في دكان ميثم التمار ، أو في مكان مناسب آخر ، ويأخذ القرآن بيديه ، ومن ثم يتلو على مسامع التجار ، وأصحاب المحلات ، الآية الشريفة التالية : **﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ، ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين ﴾**[1] .

أيّها التاجر . . . لا تطلب العلو في الأرض . . . لا تجعل كل همّك في أنْ يكون متجرك أو دكانك ، في منتهى الفخامة والأناقة والجمال . . . أو أنْ يكون متجرك أفضل وأرقى من محلات الآخرين ومتاجرهم . أردت أَنْ أبين من خلال هذه السطور أنَّ علياً (عليه السلام) قد عمل دوماً على النصح ، والموعظة ، والإرشاد . وحري بنا الآن أنْ نستعرض سوية بعض الجمل التي تعظ القلوب والأفئدة ، وفاءً للخط الذي التزم به علي (عليه السلام) .

ما عرف علياً (ع) إلاّ الله ومحمد (ص) :

أنقل الآن هذه الرواية المختصة برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، والتي تفيد بأَنَّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) قال ذات مرة ما معناه : يا علي . . ما عرف الحق إلا أنا وأنت . . . وما عرفني إلا أنت والحق . . . وما عرفك إلا أنا والحق .

لم يعرف أحد من الناس علياً (عليه السلام) كما هو علي (عليه السلام) في الحقيقة والواقع . لم يعرف أحدهم العلو الذي كتبه الله عز وجل له . لم يدرك ذلك أحد سوى الله وحبيبه المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلم) . أما بالنسبة لبقية البشر ، فقد اقتصرت معرفة كل واحد منهم لعلي (عليه السلام) ، على مستوى فهمه وإدراكه وسعة نفسه . أي إنَّ معرفة أي منهم لا تدل على شخصية علي (عليه السلام)

(١) سورة القصص : الآية ٨٣ .

كما هي عليه في الواقع ، بـل تدل في الحقيقـة على حـدود إدراكه وفهمـه ، ومدى رفعة نفسه وسمو تفكـيره ، والأفق الذي تنتهي عنـده سعة روحـه ، وأبعاد وجوده . ونستطيع الجـزم بأنَّ كـل الكتابـات والدراسـات والأبحاث التي تنـاول من خلالهـا العلماء والعقلاء والبـاحثون شخصيـة أمـير المؤمنـين (عليه السلام) ، إنما تقدم تعريفاً عنه ، حيث تقتصر حدود هذا التعريف على مشارف فهمهم للمسألة ، وسعـة اطلاعهم عـلى أسرار شخصية سيـد الأوصياء (عليه السلام) .

من هـذا المنطلق ، سـوف أحاول الآن عـبر كلماتي القاصرة أنْ أخط سطوراً متواضعة حول تعريف علي (عليـه السلام) ومقـامه السـامي . كما سـأحاول بعـون الله تعالى أنْ ألقي بعض الأضـواء على جـوانب معينـة من شخصيته الفذة .

أسأل الله سبحانـه وتعـالى أنْ يعينني ويمـدني بالقـدرة المطلوبـة ، كي أتمكن ببركة أمير المؤمنين (عليه السلام) من تقديم فكرتي عـبر بيان سهـل ويسير ، كي يستفيد منه الجميع .

الإسم اللفظي والإسم التكويني . . . الآية والكلمة :

بداية ، أود أنْ أشير إلى المسألـة التاليـة : كل الأجـزاء والأقسام التي يتكون منها عالم الوجـود ، هي إسم الله عز وجـل . الإسم التكويني وليس الإسم اللفظي .

الإسم اللفـظي مثـل الله ، والـرحمن ، أمـا الإسم التكــويني فيعني الـدلالات والإشارات . كـل مـوجـود من المـوجـودات ، وكـل مخلوق من المخلوقات ، ما هـو إلا دلالة وأثـر عن مبدأ الخلق جـل جلالـه . فكما أنَّ الإسم اللفـظي يشكل دلالة على شخص معـين بحد ذاتـه ، كـذلـك فـإنَّ الـوجود الخـارجي يشكل ذكـراً للشخص نفسـه . لنفرض مثـلاً أنَّ أحـد الأشخـاص لديـه ولد يشبهـه من ناحيـة الشكـل ، والأخـلاق ، وطـريقـة الكلام ، والتعامل مع الآخرين ، إلى درجة تجعـل كل من يـراه يقول عـلى

الفور : هذا إبن فلان . وذلك لأنه يعيد صورة والده إلى الأذهان بطريقة تلقائية . في هذه الحالة ، نقول إنَّ الإبن هو دلالة على أبيه ، وإسمه ، وآيته . إذ إنَّ الدلالة تكون أحياناً على صورة لفظة معينة ، كما تكون أحياناً أخرى على هيئة وجود خارجي أي إنَّه بمجرد أنْ يقع نظر أحد الأشخاص على ذلك الولد ، يتذكر والده على الفور ، ويبدأ ذهنه بالتفكير فيه . عندها يصبح الولد بمثابة برهان لأبيه وذكر له ، وهذا ما يطلق عليه إسم الآية . إذن فالآية تعني الدلالة .

الإسم هو العلامة التي تستعمل في مناداة الآخرين ، فيقال مثلاً إنَّ ذلك الشخص إسمه (يوسف) . الكلمة أيضاً تؤدي هذا الدور . إنَّ كل ما تختزنه نفس الإنسان يصبح واضحاً للعيان ، ويعبر عن نفسه في قالب الألفاظ في بعض الأحيان ، تتولى إحدى أشكال الوجود الخارجي مسألة كشف أمر غيبي ما . وهذا ما يطلق عليه إسم الكلمة ، الكلمة التكوينية تحديداً . أي إنها تعمل على كشف الوجود الغيبي ، والتعبير عنه علانية . فكما أنَّ الألفاظ هي عبارة عن كلمات ، أي إنَّها تتصدى للتعبير عن المعاني الخفية عبر القالب اللفظي ، فإنَّ هذا الوجود الخارجي أيضاً ينبري للكشف عن شؤون الغيب وشجونه .

كل الموجودات تعتبر من آيات الله عز وجل :

إستناداً إلى ما تقدم ، تعتبر جميع أجزاء الوجود وأصنافه ، جميع ذرات العالم، أوراق الشجر، قطرات المطر، الرمال الموجودة في الصحاري ، وكل شيء آخر تراه عيناك ، تعتبر كلها إسم الله عز وجل وآيته وكلمته . كل الذرات التي يتشكل منها الوجود ، هي كلمات الله سبحانه وتعالى . عندما تنظر إلى ورقة من أوراق الشجر ، أو تشم أريج وردة من الورود ، فإنها توجه حديثها إليك قائلة : لقد خلقني وأبدعني ، اللطيف القوي الحكيم .

عندما تتأمل إحدى الأشجار الباسقة ، تجد أنَّها تحمل المئات أو

الآلاف من الأوراق . وبعد أنْ تصبَّ على جذعها دلـواً من الماء ، تـلاحظ أنَّها تنمو أكثر فـأكثر . تُـرى ، أي قوة تجـذب قطرات المـاء إلى جميع أوراق اهذه الشجرة وأغصانها لتتغذى وتكبر ؟ . . . لا يبقى غصن واحد من دون بركة الماء . كل الأغصان ترتوي بالدرجة نفسها . الغصن القريب لا يلقى معاملة خاصـة تميزه عن الغصن البعيـد . الشجرة الـواحدة قـد تحمل مائة ألف من الأوراق ، ولكن أياً منها لا يحرم من نعمة الماء ، عند تـوزيع المـاء على أقسام الشجرة كل الأوراق تتغذى وترتوي .

كل الأعشاب والنباتات التي تنبت في الأرض ، تقول إنَّه (وحـده لا شرك له) . إذاً عندما نقول إنَّ جميع أجزاء هذا العالم هي من آيات الله عز وجل ، ودلالات على قدرته وحكمته المطلقة ، فإنَّنا ننطق بالحقيقة بعينهـا . وعندما نقول إنَّ كل أجزاء الوجـود هي أسماء الله سبحـانه وتعـالى ، فإننـا محقون في ذلك ولا شك[١] . المقصود هنا الأسماء التكـوينية وليس الأسـماء اللفظية . المقصود هنا تلك الأسماء التي يزدحم بها عالم الوجود . لا تـوجد أي زاويـة تخلو من إسم الله جل جـلاله . إذ إنَّ الـوجود الـذي يتجـلى في ذلك المكان ، هو نفسه إسم الله عز وجل .

حريّ بنا أنْ نشير هنا إلى الآيـة الكريمـة التي تقول : ﴿ **لـو أنَّ ما في الأرض من شجرة أقلام ، والبحـر يمده من بعـده سبعة أبحـر ، ما نفـدت كلمات الله** ﴾[٢] .

لو فكرنـا في هذه الكـريات التي لا نهايـة لها ، وفي رأي أهـل الخبرة والتحقيق في هـذا المجال ، الـذي يفيد بـأنَّ الله عز وجـل قـد خلق بعض الكريات والكواكب التي لم يصل نورها حتى الآن إلى الأرض ، ألا تتملكنا الحيرة حيال البعد الهائل الذي تتصف به ؟ من المعلوم أنَّ النور يسير بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية ، في الوسط الهـوائي . إذن لك أنْ تتصـور

---

(١) « وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء » (دعاء كميل) .

(٢) سورة لقمان : الآية ٢٧ .

البعد المهول الذي تتصف به هذه الكواكب ، حيث أنَّ نورها بدأ بالإنتشار من اللحظة التي وجدت فيها ، ولم يزل في طريقه إلينا . إذ إنَّه لم يصل حتى هذه اللحظة إلى الكرة الأرضية . عن أي عوالم ضخمة هائلة يريد أنْ يكتب الباحثون والمفكرون ؟ عن أي عوالم لا متناهية يريدون أنْ يتحدثوا ، ويدونوا الملاحظات ؟ كيف لهم أنْ يكتبوا حول كلمات الله ، وأسمائه ، وشواهد قدرته المطلقة ؟

لنعد إلى الآية الكريمة التي تقول : ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أنْ تنفد كلمات ربي** ﴾[1] .

علي هو آية الله الكبرى ، وكلمته الأتم ، وإسمه الأعظم :

كما أسلفنا فإنَّ كل أجزاء عالم الوجود وأقسامه ، من الملك والملاك إلى السموات والأرض ، هي أسماء الله سبحانه وتعالى لكن الله لديه إسم يعرف بالإسم الأعظم . إسم تكويني أعظم حيث يعتبر أعظم الآيات بأسرها. ومن بين كلماته عز وجل، لديه كلمة تعرف بكلمته الأتم[2] ، وذلك إنطلاقاً من معرفتنا بأنَّه من بين مراتب الوجود كلها ، تعتبر كل مرتبة بمثابة كلمة من كلماته . أي إنَّ هذه الكلمة المباركة تظهر أنوار الله العلي القدير ، وتتحدث عنه ، وتعرف به على أكمل وجه ، وأتم طريقة . بقي أنْ نذكر أنَّ إسم الله الأعظم وكلمته الأتم وآيته الكبرى[3] . هو أسد الله الغالب ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

سوف نتحدث الآن عن معنى الأتم والأعظم . كل مرتبة من مراتب الوجود ، تعريفاً عن الغيب . ولكن بالنسبة للتعريف عن الغيب ،

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩ .

(٢) « اللهم إني أسألك من أسمائك بأكبرها وكل أسمائك كبيرة . اللهم إني أسألك من آياتك بأعظمها وكل آياتك عظيمة . اللهم إني أسألك من كلماتك بأتمها وكل كلماتك تامة . . . » (دعاء السحر في ليالي شهر رمضان المبارك) .

(٣) ﴿ ولقد رأى من آيات ربّه الكبرى ﴾ سورة النجم : الآية ١٨ .

وللدلالة على القدرة المطلقة اللامتناهية التي ينفرد بها الله جل جلاله ، ولتبيان علمه المطلق وحكمته اللامتناهية ، نشير إلى المسألة التالية : ما من مرتبة من مراتب الوجود ، أوكلمة من كلمات الله عز وجل ، أو نبي مرسل ، أو وصي نبي من الأوصياء ، إستطاع أنْ يعرف عن الله بالدرجة التي مثلها علي (عليه السلام) . أنْ يعرف عن الله بعظمته ، وعلمه ، وقدرته ، وحكمته اللامتناهية . إي إنَّ الله قد كشف النقاب عن أسمائه وصفاته عبر هذا الإمام المعصوم ، كي يتمكن الخلق من التعرف إلى خالقهم ببركة معرفته . وكي تتمكن البشرية من الإهتداء إلى صلة تربطها بغيب الغيبوب والعالم الأعلى ببركة محبته وولايته .

إذن ، أي آية هو علي بن أبي طالب ؟ . . .

الولادة في الكعبة . . . والشهادة في المسجد :

كما تعلمون جيداً ، فإنَّ مسألة ولادة علي (عليه السلام) كانت مغايرة من أولها إلى آخرها للملابسات التي تحيط بقضية الولادة العادية . فكأنَّ الله عز وجل أراد منذ اللحظة الأولى أنْ يعرف عنه أمام المجتمع البشري بأسره ، وأنْ يقول عبر هذا الحدث الغير عادي ، أنَّ علياً (عليه السلام) ليس إنساناً عادياً كسائر الناس(١) .

عندما أرادت فاطمة بنت أسد أنْ تضع حملها ، لجأت إلى المسجد الحرام ، أي إلى الله أشرف نقطة وجدت على الأرض ، وتمسكت بأستار الكعبة وراحت تستغيث . بعد قليل شقّ جدار الكعبة حيث دخلت فاطمة إليه . ومن ثم سد الشق الموجود في الجدار بطريقة لا تسمح لأي كان بالدخول إلى الكعبة . ومن الجدير بالذكر أنَّ الكثيرين من علماء العامة أيضاً ، يؤكدون على صحة هذه الرواية . وهناك الكثير من القصائد في الشعر العربي ، تصدت لشرح هذا الحدث عبر مختلف القرون . بقي

---

(١) ها عليٌّ بشرٌ كيف بشرْ ربُّهُ منهُ تجلّى وظهرْ

جدار الكعبة ملتئماً على حاله لثلاثة أيام متوالية . بعد مرور ثلاثة أيام كاملة ، عاد الشق للظهور في المركز السابق نفسه ، حيث خرجت فاطمة بنت أسد من الكعبة وعلى يدها الوليد المبارك ، أسد الله الغالب علي بن أبي طالب (عليه السلام)[1] .

لقد بقيت في ضيافة الله عز وجل لمدة ثلاثة أيام ، حيث تناولت طعام الجنة خلال هذه الفترة . تناولت ذلك الطعام الطيب ، الطاهر ، اللذيذ ، الذي ينضح بالخير والبركة .

من البديهي إنَّ الولادة التي أرادها الله عز وجل أنْ تكون مميزة واستثنائية ، حيث مهد لها الطريق كي تتم في أطهر بقعة من بقاع العالم ، سوف تنجب أطهر المواليد وأشرفهم ، وأعظمهم . يضاف إلى ذلك أيضاً إنَّ الله هو الذي اختار له الإسم الشريف الذي حمله . هذه الوقائع تعتبر كأدلة دامغة ، وتعريف أكيد من الله حيال شخصية علي (عليه السلام) ، إلى جميع الناس حتى قيام يوم الدين .

لذا عندما تتبادر إلى أذهاننا شخصية علي (عليه السلام) ، يجب أَنْ ندرك أنَّه ينتمي إلى عالم الغيب .

في المهد أيضاً ، يداه امتدت نحو الله :

إذا أردت أنْ تدرك ماذا هناك في ما وراء الطبيعة ، فإنظر إلى قصة ولادته من أول فصولها . بعد أَنْ غطته أمّه بقطعة القماش المعتادة ، ربطت يديه بطرف تلك القطعة . وبعد مضي فترة وجيزة ، لا حظت أنَّ علياً (عليه السلام) قد ضغط على قطعة القماش التي كانت توثق يديه فمزقها وحرر يديه من جديد . عندها أَتَتْ بقطعتي قماش من النوع المتين للغاية

---

(١) هذه فاطمةُ بنتُ أَسَدْ أَقْبَلَتْ تَحْمِلُ لاهوتَ الأَبَدْ
فاسْجُدُوا ذلاً لَهُ في مَنْ سَجَدْ فلهُ الأمْلاكُ خَرَّتْ سُجَّداً
إذْ تَجَلَّى نورُه في آدمٍ .
(منظومة العلامة السيد اسماعيل الشيرازي ، سفينة البحار : ٢/٢٣٠) .

وشدّت وثاق سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) ، بطريقة محكمة. وما أنْ وضعته في المهد حتى حرّك نفسه بطريقة تمزقت معها القيود ، حيث مدّ يديه إلى الخارج . عند ذلك أتت أمّه بثلاث قطع أخرى من القماش ، وعمدت إلى ربط يديه مجدداً بقوة . إلا أنّه عمد مرة أخرى إلى الضغط على الأقمشة ، حيث نجح في تحرير يديه من جديد وكي لا أطيل عليكم ، تكررت هذه المحاولات من قِبَل فاطمة سبع مرات وباءت جميعها بالفشل. إذ إنّها ربطت يديه في المرة الأخيرة بسبع قطع من القماش، لكنه أيضاً وأيضاً ضغط على القيود ومزقها لآخر مرة ، حيث نجح ولي الله في تحرير يديه ، فوجّه حديثه إلى أمه قائلاً لها ما معناه : أما . . . أتركي يداي وشأنهما . . . يد علي (عليه السلام) يجب أنْ تكون محررة دوماً ، كي يتمكن من مدها إلى أعتاب بيت الله عز وجل[1] .

منذ اللحظة الأولى التي مدّ فيها يديه نحو أعتاب الله عز وجل ، وهو لا يزال في المهد ، قام بالتعريف عن نفسه وتقديمها عملياً إلى كل ذي فهم وبصيرة .

ينبغي على الإنسان أنْ يمدّ يد المسألة والمسكنة نحو أعتاب بيت الله سبحانه وتعالى ، حتى النفس الأخير الذي يتردد في رئتيه . إذ إنّ الإنسان يحتاج إلى خالقه وبارئه دوماً . إنّه فقير لما أنزل الله إليه من خير وبركة . لذا يجب عله أنْ يمدّ يد التسول والإستعطاء نحو ربّ العالمين على الدوام .

من هنا نقول إنّ القدرة المطلقة تتجلى من خلال هذه اليد التي امتدت منذ اللحظة الأولى . هذا الحدث يثير في نفسي مشاعر الحيرة إلى درجة لا أستطيع معها التعليق عليه أبداً .

ومن نافل القول إنّ تمزيق قطعة القماش والتحرر من القيد على النحو الذي ذكرنا ، لا يعتبر شيئاً أمام الإعجازات الأخرى التي أتى بها الإمام

---

(١) غاية المرام ، تأليف السيد هاشم البحراني .

(عليه السلام) ، ولا بد أنكم قد سمعتم ببعضها من قبل . هذه اليد هي اليد التي تمكنت من خلع بوابة قلعة (خيبر) . تلك البوابة التي عجز أربعون رجلاً عن رفعها ناهيك عن خلعها . وضع أمير المؤمنين (عليه السلام) يده ففي حلقة البوابة وهزها بطريقة عنيفة إهتزت القلعة لهولها ، ورمى بها من فوق رأسه إلى البعيد . وتفيد الروايات بأنّها وقعت على بعد أربعين ذراعاً منه[1] .

بعد انتصار علي (عليه السلام) إستتب الأمر فأراد الجيش الإسلامي أَنْ يعود أدراجه ، فكان لا بدّ له من المرور فوق الخندق المحفور . عندها أتى علي (عليه السلام) بالباب ووضعه على امتداد الخندق ، كي يستطيع الجيش أَنْ يعبر من خلاله . وتضيف بعض الروايات أنّ البوابة كانت قصيرة إلى حدٍ ما ، فما كان من علي (عليه السلام) إلا أَنْ جعلها تستقر على يده ، فثبتت وتمكن الجيش من العبور بسلامة .

القوة التي فاقت قوة البشر :

يعتبر عمرو بن عبد ود ، فارس العرب ، من الرجال المشهود لهم بشدة البأس في ساحات الحرب والوغى . فقد اشتهر هذا الرجل بقوته الجبارة وقدرته الهائلة . حيث كان يحمل أحياناً جملاً صغيراً ليتخذ منه درعاً يقيه في ميدان الحرب . ومن شواهد بطولته أنّه كان قادراً على منازلة ألف رجل وإلحاق الهزيمة بهم . وكان عمرو يحذر الناس من مغبة الإقتراب منه في ساحة الحرب لأنهم سيقتلون على يديه بالتأكيد ، فضربته لا يفيد العلاج معها أبداً .

أما الرجل الوحيد الذي أبدى استعداده التام لمنازلة عمرو بن عبد الود ، والقدوم إلى الميدان في ذلك اليوم المشهود ، فقد كان ملك الولاية وقمر الهداية ، أسد الله الغالب علي بن أبي طالب أمير المؤمنين

---

(١) سفينة البحار ، الجزء الأول ص ٣٧٤ .

(عليه السلام) . وما أنّ وقعت عينا عمرو ، الذي كان يمتطي فرسه وهو في هيئة مهيبة للغاية ، على علي (عليه السلام) حتى سأله : من أنت ؟ . . . . أجاب الإمام (عليه السلام) بقوله : أنا علي بن أبي طالب .

وكان عمرو قد أخبر من قِبَلِ بعض الكهنة في حداثة سنّه ، بأنّه سيقتل على يد رجل يدعى حيدر . فجأة تداعى هذا الأمر إلى ذهنه وهو يحاور علياً (عليه السلام) ، فتملك الخوف منه . عندها حاول أنْ يلتف على الموضوع عبر السعي إلى تخويف علي (عليه السلام) ، كي يعود من حيث أتى . فوجه حديثه إلى الأمير (عليه السلام) قائلاً ما معناه : ما تزال في أول شبابك . الحليب الذي رضعته لم يجف في فمك بعد . كيف لك أنْ تتصدى لقتالي ؟ . . . من الواضح أنَّ محمداً (صلّى الله عليه وآله وسلم) لم يدقق في الأمر جيداً . أيرسلك أنت لمحاربتي والوقوف في وجهي ؟ . . . ألا تخاف أن أضربك ضربةً بسيفي هذا فأطيح بك لتبقى معلقاً بين الأرض والسماء ؟ . . . وأضاف بعض العبارات الشبيهة الأخرى .

أجابه الأمير (عليه السلام) بقوله ما مفاده : دعك من هذه الأحاديث . إذ إنّي أَوَدّ أنْ أقتلك بيدي هاتين . ولكني أريد أولاً أنْ أقدم لك ثلاثة اقتراحات . فقد سمعت أنك إذا ذهبت إلى ساحة الحرب وقدمت لك ثلاثة اقتراحات ، فلا بد أَنْ توافق على واحدة منها .

فقال عمرو ما معناه : أجل هذا صحيح . . . الآن أيضاً على استعداد لتحقيق ذلك .

من المعلوم إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يبادىء أحداً بشن الحرب عليه . كما أنه لم يبادر إلى قتل أحد من الناس قبل أنْ يتم الحجة عليه .

أجاب الأمير (عليه السلام) بقوله ما مفاده : أقترح عليك في البداية أنْ تعتنق الإسلام .

أجاب عمرو بما معناه : لا يمكن أَنْ أُوافق على هذا الإقتراح . فإنّه

لأهون عليّ أَنْ أحمل جبل أبي قبيس على ظهري من أَنْ أقـول إنَّه لا إلـه إلا الله .

تابع الأمير (عليه السلام) حديثه قائلاً ما مفاده : الإقتراح الثاني هو أنْ تعدل عن محاربتنا ، فتعود إلى المكان الذي جئت منه. هناك إحتمالان لا ثالث لهما . فإما أنْ يـوفق محمد (صلّى الله عليه وآلـه وسلم) في دعوتـه ، وإما أنْ يقتل . فإن وفق في مسعـاه ، فهذا الأمر سيعود بالنفـع عليك أنت أيضاً . أما إنْ قتل ، فيكون دمه قد سال على يد الآخرين .

أجـاب عمرو قـائلاً مـا معناه : هـذا الأمـر أيضـاً لا يمكن أَنْ أوافق عليـه . لقد أخـذت عهداً عـلى نفسي بأنْ أحـارب المسلمين لكي أثـأر لمـا حصل في معركة (بدر) .

قال الأمير عندها ما مفاده : إذن لقد رفضت هذين الإقتراحين . لذا سـوف أطرح عليـك الإقتراح الثـالـث . كما تـرى فأنت راكب عـلى صهوة فـرسك ، بينـما أنا واقف عـلى الأرض . تـرجّـل عن فـرسـك كي يصبـح وضعك مطابقاً لوضعي ، وعندها تصبح حربنا عادلة .

لم يستطع عمرو أَنْ يعلق بأي كلمة عـلى هذا الـطلب ، فتقبله ونزل إلى الأرض ، ووقف قبالة مولانا أمـير المؤمنين (عليـه السلام) ، مستعـداً لقتـاله . أخـذ هذا الملعـون زمام المبـادرة أولاً ، فحمـل بسيفـه عـلى أمـير المؤمنين (عليه السلام) ووجّه إليه ضربة أصـابت رأسه الشريـف ولكنهـا لم تسبب له سوى جرحاً بسيطاً . أي الموضع نفسه الـذي ضربه الملعـون إبن ملجم فيـما بعد ، حيث تسبب بـإسالـة الدم الـزكي . فما كـان من الإمـام (عليـه السـلام) إلا أنْ بـادره بضربـة عـلى عنقـه ، حيث قـطعت رأسـه وأطاحت به . هذا ما تفيد به إحدى الروايـات . وتفيد روايـة أخرى وهي الأكثر شهرة بأنَّ ضربة الأمير (عليه السلام) قد قطعت رجلي ذلـك اللعين دفعـة واحدة . عنـدهـا تهـاوى جسمـه الضخم عـلى الأرض كأنّـه جبـل منسوف . عند ذلك تقدم الأمير (عليه السلام) منه وقطع رأسه النجس ،

حيث أراح المسلمين من شره إلى الأبد . وعلى أثر ذلك تفضل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بقوله المشهور : « ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين »[1] . وتعتبر هذه القضية من الأخبار المتواترة والموثوقة .

أردت من خلال هذا العرض أَنْ أُبين كيفية القدرة . القدرة التي تفوق حقاً قدرة البشر وقوتهم . إذ إنّ كل الشجعان ، والأبطال والصناديد الذين جاءت بهم الأيام ، وقفت شجاعتهم وبطولتهم عند حدود معينة لم يستطيعوا تخطّيها . ولم يشهد العالم أبداً ولن يشهد رجلاً إعتاد على تخطي كل حواجز البطولة والخطر المعتادة كما تخطاها علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

الفتاة الحامل والحكم الذي أدلى به أمير المؤمنين (ع) :

ذات يوم أحضرت فتاة إلى مجلس علي (عليه السلام) ، وهي في حالة مفجعة من البكاء والألم والهلع . أبوها وإخوتها كانوا في حالة حزن يرثى لها أيضاً . وجّه أبوها حديثه إلى الأمير (عليه السلام) قائلاً ما مفاده : يا أمير المؤمنين . . . هذه إبنتي . وقد تقدم لطلب يدها عدد من وجهاء العرب وأشرافهم . لكن هناك مصيبة ألّمت بها في الآونة الأخيرة ، وجلبت لنا جميعاً الذل والعار . لقد تبيّن أنّها حامل بالرغم من أنّها لم تفقد بكارتها وعذريتها . أصبنا بصدمة كبيرة وحيرة قاتلة . وعندما راجعنا القابلة المختصة بهذا الشأن ، قالت لنا : (إنّها حامل بالرغم من محافظتها على بكارتها) . لذا فقد اضطررنا إلى قطع هذه المسافات الطويلة للوقوف بين يدي حلّال المشكلات ، لكي يتكرم بحل مشكلتنا المستعصية هذه .

عندها أمر أمير المؤمنين (عليه السلام) بنصب ستار في المسجد ، ثم طلب من القابلة أنْ تكشف على الفتاة .

---

(١) بحار الأنوار : الجزء التاسع .

بعـد إجراء المعـاينة قـالت القابلة : الحـالة مـطابقة لمـا تحـدّث عنـه والدها .

عندها سأل أمير المؤمنين (عليه السلام) الفتاة نفسهـا عمّا إذا كـانت قـد أقدمت عـلى عمل معـين في الآونة الأخـيرة . إنفجرت الفتـاة بـالبكـاء وأقسمت عـلى أنها لم تقـدم عـلى أي فعـل مشـين وقـالت : لا أدري كيف حـدث ذلك . لا أدري مـا هو سر هـذا الحمل العجيب . لا أعـرف شيئاً عن الموضوع على الإطلاق .

فقال الأمير (عليه السلام) لها ما مفاده : سوف أكشف هذا السر في الحال . هناك روايتان متداولتان في هذا المجـال : تفيد الـرواية الأولى بـأنّه أمـر بـإحضـار كميـة من الحشـائش الخضراء التي تنبت عـادة داخـل الميـاه الراكدة العفنة ، وتنمو على جوانب البرك والأحواض التي تحتـوي على هـذا النـوع من المياه السـاكنـة . أحضرت الكميـة المـطلوبـة ووضعت في وعـاء خاص . عندئـذٍ طلب الأمير (عليـه السلام) من القـابلة التي كانت تقف مع الفتاة المسكينة خلف الستار ، أَنْ تضع الحشائش في وعاءٍ كبير للغاية . ثم أمـرها أنْ تـطلبَ من الفتاة الجلوس عـارية فـوق الحشائش المـوجودة في الوعاء . وأضاف أنّه عند إنجاز هذا العمل ، سيخرج من جسمها المـوجود الغريب الذي ينبغي أنْ يخرج .

بعد مضي فترة وجيزة ، أتى من يخبره بالتالي : يا علي . . . لقد خرج من جسمها حيوان يشبه الدودة من حيث الشكل وراح يشرح له كافة أوصافه وملامحه . عندئذٍ تصدى علي (عليه السلام) بنفسه لحل هذا اللغز المحير ، وطلب ممن حوله إحضار الفتاة . وعندما أحضرت قال لها ما مفاده : أخبريني . . . هل سبق أنْ سبحت في بعض الأحيان ، في بركة تحتوي على مياه راكدة وعفنة ؟ . . . . أجابت الفتاة : أجل . . . هناك بركة تقع بالقرب من المكان الذي نسكن فيه . وقد سبحت فيها عدة مرات في الآونة الأخيرة .

فقال لها ما مفاده : أجل . . . لقد سبحت مراراً في تلك المياه الراكدة ، حيث دخل ذلك الحيوان الذي يشبه الدودة إلى جسمك . ثم بقي داخل جسمك لفترة طويلة ، حيث كبر ونما عبر التغذي بدمك . عندها علت أصوات الجميع منادية : الله أكبر[1] .

(١) بحار الأنوار : الجزء التاسع .

علي (ع) كان يستمد طاقته وقوته من عالم ما وراء الطبيعة :

من ناحية ثانية نشير إلى أنْ كل إنسان قوي ومقتدر ، يستمد قوته وقدرته وطاقته المميزة من مصدر مادي ، وليس من عالم ما وراء الطبيعة . إذ إنَّ القوة الشديدة ، والعضلات المفتولة اللتين يتمتع بهما ، قد حصل عليهما من خلال الطعام المناسب والغذاء الكامل . وهذا ما يصطلح على تسميته حسب اللغة العلمية (بالڤيتامينات) . أي إنّ (الڤيتامينات) المغذية تصبح جزءاً من خلايا جسمه بواسطة الطعام ، فتكسبه القوة والصحة والحيوية . إذن فهو يستمد قدرته من مصدر مادي ، بينما كانت قدرة علي (عليه السلام) وقوته الخارقة مستمدة من عالم ما وراء المادة . ترى ماذا كان يتناول علي (عليه السلام) من الطعام ؟ . . .

يقول سويداء بن غفلة في هذا المجال ما مفاده : ذهبت ذات مرة إلى منزل أمير المؤمنين (عليه السلام) . بعد مضي فترة وجيزة ، أراد سلام الله عليه أنْ يتناول الطعام . أحضرت له السفرة مع وعاءٍ صغير كان يحتوي على القليل من المخيض الذي شممت رائحته بوضوح أي إنَّ اللبن كان محمضاً . فك الإمام (عليه السلام) عقدة السفرة فتبين أنّها تحتوي على رغيف واحد من الخبز . وقد اندهشت عندما رأيت أنّه قد اضطر لضرب الرغيف بقوة لكي يشطره إلى نصفين ، من شدة صلابته وقساوته . ومن ثم قسمه إلى أربعة أقسام ، ومنها إلى أجزاء صغيرة حيث غمسها داخل وعاء المخيض وتناولها . عند رؤية هذا المشهد ، تأثرت بشدة وحزنت . وعندما أردت الخروج من المنزل ، قلت لأهل الإمام (عليه السلام) : ما هذا الطعام الذي يتناوله أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟ . . . لقد أصبح

علي (عليه السلام) متقدماً في السن لقد بلغ الثالثة والستين من العمر . كيف يمكن أنْ يأكل رغيفاً من الخبز مع قليل من المخيض ويشبع ؟ . . . كيف يمكن أنْ يكتفي بهذا المقدار الزهيد من الطعام ؟ . . . لماذا لا تعالجون الرغيف بقليل من الزيت كي يصبح طرياً وقابلاً للمضغ ؟ . . .

وكان الجواب التالي : الإمام نفسه لا يقبل بذلك . الإمام هو الذي يشد عقدة السفرة بنفسه ، ولا يتجرأ أحد على فتحها أو المساس بها . هو الذي يريد اتّباع هذه الطريقة في الأكل[1] .

علي (ع) كان يعيش مثل أبسط الناس :

أريد أنْ أذكر هنا مسألة أكثر غرابة من المسألة السابقة . وقد رويت هذه القضية على طريقتين . تفيد الرواية الأولى بالتالي : عندما أتى سفير روما إلى الكوفة ، نزل ضيفاً على الإمام الحسن (عليه السلام) (على أساس أنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) كان مسؤولاً عن ترتيب مسألة استقبال الضيوف الذين يفدون من الخارج . أي إنَّهم كانوا يحلّون ضيوفاً عليه طوال المدة التي كان يستلزمها إنجاز أعمالهم ومهماتهم) . وعندما مدّت السفرة وهم بتناول الطعام ، بدت على السفير فجأة معالم الحزن والحسرة فقال : لن أتناول شيئاً من الطعام .

سأله الإمام الحسن (عليه السلام) عن سبب الحزن والإمتناع عن تناول الطعام . فقال : سيدي . . . تذكرت فقيراً كنت قد التقيت به منذ مدة . إنني متألم بشدة لحالته المحزنة . إنني حزين للغاية لن أقوى على تناول شيئاً من الطعام ، إلا إذا تكرمت وأرسلت له بعض المأكولات الموجودة على السفرة . سأله الإمام الحسن (عليه السلام) عندها عن هوية هذا الفقير والمكان الذي يتواجد فيه ، فقال السفير : ذات ليلة ذهبت إلى المسجد بعد انتهاء الصلاة وتفرق الناس، فشاهدت عربياً يهمّ بتناول طعام العشاء (من هنا ندرك بوضوح أنّ أمير المؤمنين كان يعيش في وضع يشابه

---

(١) بحار الأنوار : الجزء التاسع .

وضـع أبسط النـاس المـوجـودين في المجتمـع ، حيث لم يكن يتميـز عنهم معيشيـاً في شيء) . مـدّ سفـرتـه التي كـانت بحـوزتـه وبـدأ بتنـاول دقيق الشعير . ثم شرب من جرة الماء التي كانت موجودة قرب السفرة . ثم نظر إليّ ودعاني إلى مشاركته في الأكل ، ولكنني شعـرت بأنّي لا أستـطيع تنـاول هذا النوع من الطعام . فحزنت لحالته البائسة كثيـراً . والآن ، هل يمكنك يـا سيـدي أَنْ تتكـرم وتـرسـل لـه كميـة من هـذا الـطعـام فبكى الحسن (عليه السلام) وقال ما مفاده : إنّه والدي علي (عليه السلام) . . . . إنّه أمير المؤمنين . . . إنّه خليفة المسلمين . . . وقد اختار لنفسه ذلك .

أما الرواية الثانية فتفيد بـأَنَّ رجلاً من أشراف العـرب دخل المسجـد بعد صلاة العشاء وقد تفرق الناس ، فـرأى علياً (عليـه السلام) يفـطر . فلما فرغ من الصلاة ، دعاه علي (عليه السلام) وأعطاه شيئاً من طعـامه ، ولم يكن يعرف علياً(عليه السلام) . فخـرج من المسجد وجـاء إلى الحسن (عليه السلام) وتعشى عنده ، فتناول من ألوان الطعام ، فـأخذ منـه شيئاً وقال للحسن (عليه السـلام) إنَّ رجلاً فقيـراً كان في المسجـد يأكـل دقيق الشعير ، فإنْ تأذن لي أعطيته هذا الطعام . فبكى الحسن (عليـه السلام) وقال هو أبي خليفة المسلمين ، وقد اختار لنفسه ذلك[1] .

إذن فالقدرة الخارقة التي تتمتع بها تلك العضلات ، ليست نابعة من مصدر مادي . إنّها عبـارة عن استعراض وتجـل لقدرة الغيب . إنّها قـدرة الروح . إنها قدرة عالم ما وراء الطبيعة . إذ إنَّ صاحبها هو آية الله الكبرى وإسم الله الأعظم .

كما أسلفنا فقد اعتاد أمير المؤمنين (عليه السلام) في آخر أيام عمـره الشريـف ، على أَنْ يقتصر إفطاره في كل ليلة على ثلاث لقم من لون واحـد من الـطعام . ذات مـرة وضع عـلى السفرة نـوعين من الـطعام ، فقـال ما مفاده : نوع واحد يكفي . كان يقـول سلام الله عليـه ما مفـاده : بما أنني

(١) ينابيع المودة : صفحة ١٤٧ . إحقاق الحق : الطبعة الجديدة ، ٢٨٢/٨ .

خليفة للمسلمين ، فينبغي أنْ أعيش مثل أفقر الناس وأضعفهم على الإطلاق ، من دون أنْ يشكل ذلك تكليفاً لبقية المسلمين في هذا المجال .

بعد كل ذلك ، هل نستطيع القول إنّ هذه القدرة ، الشهامة الشجاعة، والطاقة، مستمدة من مصدر مادي؟ . . إنّها آية الله العظمى التي تبيّن قدرة الله عز وجل . وتجعلها في متناول فهم البشر وإدراكهم . عندما يتأمل الإنسان قدرة أسد الله الغالب ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، يتمكن من تصديق قدرة الغيب وقوته اللامتناهية . إذ إنّه يرى بأمّ عينه الخوارق والمعجزات التي تتم بإذن الله سبحانه وتعالى .

أنظر إلى خلق الله . أنظر كيف تدور هذه الكرة الأرضية على عظمتها ، بمشيئة الله عز وجل . أنظر كيف بقيت معلقة غيرها من الكريات والكواكب ، تحت رعايته وعنايته سبحانه وتعالى .

يمكنك أنْ تتعرف إلى نموذج عن قدرة الغيب من خلال دراسة شخصية علي (عليه السلام) ، وبالتالي أنْ تعرف الله وتتقرب منه بصورة مثلى .

علم علي (ع) هو تبيان لعلم الله عز وجل :

لنتعرف الآن إلى نماذج من علم علي (عليه السلام) ومعرفته . لنتعرف إلى علم الغيب . كل العلوم والمعارف التي اهتدى إليها البشر تعتبر مكتسبة . أي إنّ كل إنسان يدرك علماً معيناً ويتقنه بصورة جيدة ، إنّما قد تعلم هذا الباب من المعرفة من إنسان آخر مثله . وحتى لو أضاف بنفسه لمسات خاصة على مجال تخصصه ، فلا يعدو ذلك كونه علماً مكتسباً . أما علي (عليه السلام) فلم يتلقّ العلم إلا على يد معلم واحد فقط ، ألا وهو خاتم الأنبياء محمد المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلم) . كان هو المحصل ، أما محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) فكان الأستاذ الذي تزود بالعلم الإلهي الزاخر[1] .

---

(١) ﴿ وعلّمناه من لدنّا علماً ﴾ سورة الكهف : الآية ٦٥ .

لم يكن هناك ثمة جامعات في فترة صدر الإسلام . أين هي العلوم المكتسبة من علم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ؟ . . . وهل يمكن التزود بذلك العلم الزاخر عن طريق الإكتساب يا تُرى ؟ . . .

لقد قال مراراً وتكراراً : (سلوني قبل أَنْ تفقدوني) . يمكنكم أَنْ تطرحوا على علي (عليه السلام) أي سؤال يخطر على بالكم . فليس هناك من مسألة تستعصي عليه ، وليس هناك من نقطة مبهمة أو مجهولة بالنسبة له . فلو طالع أحدنا الأحكام السديدة التي أطلقها أمير المؤمنين (عليه السلام) ، والقضايا المحيرة للعقول التي تولى البتّ فيها بإتقان بالغ ، لُأصيب بالدهشة حقاً . من أين لي أنْ أبدأ ؟ . . . وأي وجه من وجوه معارفه أتناول بالحديث ؟ . . . وكيف لي أنْ أشير إلى علم علي (عليه السلام) ؟ . . . فعلومه تبدأ من علم النحو الذي يشرح القواعد الخاصة بالألفاظ ، وتنتهي عند علم التوحيد والمعارف الإلهية التي تختص بالملك والملكوت ، مروراً بآلاف الأبواب التي لا يتسع المجال لسردها في هذه العجالة .

أرى من المناسب أَنْ أذكر الآن قصة حل النزاع الذي حدث حول كيفية اقتسام الجمال . ولا بد أنَّ القارىء الكريم قد تلقى العلم إلى مرحلة معينة ، مما يجعله مطلعاً على علم الحساب إلى حدٍ ما . ترى هل يمكنك حل هذه المعضلة الحسابية ؟ . .

التحكيم في مجال تقسيم الجمال :

ذات مرة قصد ثلاثة أشخاص علي (عليه السلام) وعرضوا عليه المسألة التالية : لدينا سبعة عشر جملاً . نريد أنْ نقتسمها فيما بيننا بطريقة لا تؤدي إلى كسور . أما الترتيب الذي نريد أنْ نراعيه في هذه القسمة ، فهو أنّ ينال أحدنا النصف والآخر الثلث والثالث التسع .

إذا نظرنا إلى العدد الكلي للجمال(١٧)، لوجدنا أنَّ نصفه يساوي ثمانية ونصف ، وثلثه يساوي ستة إلا قليلاً ، وتسعه يساوي إثنين إلا

قليلاً . أي إنَّ هذا الحساب لا يعطينا أرقاماً صحيحة ، بل يفضي إلى كسور . وهذا ما سيجبرهم على نحر أحد الجمال لكي يستوي التقسيم ، الأمر الذي يريدون اجتنابه . هذا بالإضافة إلى أنَّهم لا يريدون اللجوء إلى المال لحل المسألة . أي إنَّهم يريدون تقسيم الجمال فيما بينهم بشكل عادي . ما هو الحل يا تُرى ؟ . . .

أجاب الأمير (عليه السلام) فوراً بما مفاده : هل تأذنون بأنْ أضيف جملاً من جمالي الخاصة إلى جمالكم كي أدلكم على طريقة تقسيمها ؟ . . .

فقالوا : هذا كرم بالغ منك . فأمر بإحضار إحدى جماله . وعندما أحضرت إحدى جمال أمير المؤمنين (عليه السلام) ، بات عدد الجمال ثمانية عشر فقال الأمير (عليه السلام) عندها ما معناه : والآن سوف نقسمها .

نصف العدد الكلي (١٨) : يساوي تسعة بالضبط . الشخص الذي يحق له النصف بإمكانه أنْ يأخذ تسعة جمال .

أما الشخص الذي يحق له الثلث ، فبإمكانه أنْ يأخذ ستة جمال ، لأنَّ ثلث العدد الكلي يساوي ستة ، بدون زيادة ولا نقصان .

أما الشخص الذي يحق له التسع ، فبإمكانه أنْ يأخذ جملين فقط ، لأنَّ تسع العدد الكلي يساوي إثنين بالضبط .

والآن ماذا بقي لدينا ؟ . . . إذا أخذنا المجموع نجد أَنَّ : ٩ + ٦ + ٢ = ١٧ . إذن أعيدوا جملي إلى مكانه الأول .

الزائر الذي دفع ثمانية دراهم ومضى :

مرة أخرى أقبل شخصان على علي (عليه السلام) ، وعرضا عليه القضية التالية :

سيدي . . . كان يوجد عند أحدنا خمسة أرغفة من الخبز ، وعند الآخر ثلاثة أرغفة فقط . وذات مرة قصدنا زائر غريب ، وتناول طعام الغذاء معنا . وعندما أراد الذهاب ، أعطانا ثمانية دراهم مقابل الطعام

الذي أكله ومضى. وعندما أردنا تقسيم الدراهم فيما بيننا ، إختلفنا حيال ذلك . الشخص الذي كان يمتلك خمسة أرغفة يقول إنَّه يجب أَنْ يحصل على خمسة دراهم ، بينما يحصل صاحب الأرغفة الثلاثة على ثلاثة دراهم . أما الشخص الذي كان يمتلك ثلاثة أرغفة فيقول إنَّه ينبغي تقسيم المبلغ مناصفة ، بحيث يحصل كل واحد على أربعة دراهم . فما رأيك في ذلك ؟ . . .

في البداية وجّه أمير المؤمنين (عليه السلام) حديثه إلى صاحب الأرغفة الثلاثة وقال له ما مفاده : لا داعي للإختلاف . خذ الدراهم الثلاثة واذهب . المسألة ليست ذات أهمية . هذا المبلغ البسيط لا يستحق أَنْ تنازع عليه غيرك .

فقال ذلك الرجل : لا أقبل بذلك . أودّ أَنْ تبيّن لنا ما يمليه الحق في هذه القضية . إذ إنَّه يحق لي أَنْ أحصل على أربعة دراهم . لقد دفع لنا ذلك الزائر ثمانية دراهم لإيفاء حقنا معاً . إذن يحق لي النصف ، كما يحق له النصف الآخر .

أجابه الإمام (عليه السلام) بما معناه : إنْ كنت تريد الحق ، فاعلم إنَّه لا يحق لك أكثر من درهم واحد . إذن خذ درهماً واحداً ، ودع صاحب الأرغفة الخمسة يأخذ الدراهم السبعة المتبقية .

غضب ذلك الرجل وقال بنبرة مستنكرة : كيف يصح ذلك ؟ . . . من قدّم ثلاثة أرغفة إلى المائدة يأخذ درهماً واحداً ، بينما يأخذ من قدّم خمسة أرغفة سبعة دراهم ! . . .

أجاب الإمام (عليه السلام) بما مفاده (خلاصة الرواية الشريفة) : لقد قدمت ثلاثة أرغفة إلى المائدة ، وشاركت في الأكل . وزميلك الذي قدّم خمسة أرغفة إلى المائدة ، شارك في الأكل أيضاً . والزائر الذي قدم إليكما ، شارك في الأكل هو الآخر . إذن لقد كنتم ثلاثة أشخاص على سفرة واحدة . وعليه يجب أَنْ نقسم الأرغفة الثمانية التي أكلت ، إلى ثلاثة

أقسام متساوية أي إنَّ كل واحد منكم قد أكل بنسبة ثمانية أجزاء من أصل أربع وعشرين جزءاً . أو نستطيع القول بتعبير آخر إنَّ كل واحد منكم قد تناول رغيفين وثلثي الرغيف . فمن الواضح أنَّه إذا اشترك ثلاثة أشخاص في أكل ثمانية أرغفة فسوف تكون حصة كل واحد منهم عبارة عن رغيفين وثلثي الرغيف . وبناءً عليه ، فقد أكل صاحب الأرغفة الثلاثة ما يعادل الرغيفين وثلثي الرغيف ، وقدم إلى ذلك الزائر ثلث الرغيف المتبقي فقط . أما صاحب الأرغفة الخمسة ، فقد أكل أيضاً رغيفين وثلثي الرغيف ، بينما قدّم إلى الزائر رغيفين وثلث الرغيف . إذن لو أردنا الآن تقسيم الحصص بدقة ، لقلنا إنَّ صاحب الأرغفة الثلاثة قد قدم ثلث رغيف من الخبز فقط ، بينما قدم صاحب الأرغفة الخمسة رغيفين وثلث الرغيف . وعليه ، يحق للثاني أنْ يأخذ سبعة دراهم ، بينما لا يحق للأول أكثر من درهم واحد[1] .

نظرة إلى عالم الملك والملكوت و . . . . .

سأقدم الآن نموذجاً عن باب آخر من أبواب علم علي (عليه السلام) . سوف أشير إلى علم الغيب عند علي (عليه السلام) . ذات مرة قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في مجلسه : (سلوني قبل أنْ تفقدوني) . وما كاد ينهي جملته هذه ، حتى بادره أحد الموجودين من وسط المجلس بالسؤال التالي : يا علي . . . أين هو جبرائيل الآن ؟ . . .

فجأة ، نظر أمير المؤمنين (عليه السلام) نظرة إلى الملك والملكوت وقال : (أنت جبرائيل) .

ثمّ أضاف ما مفاده : نظرت إلى العرش والسماوات والأرض ، وتفقدت جميع عوالم الملك والملكوت ، فوجدت أنَّ كل واحد موجود في مكانه ما عدا جبرائيل .

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨٦/٩ .

(أنت جبرائيل) . . . ما كاد الإمام (عليه السلام) يقول هذه العبارة ، حتى اختفى المخاطب من المجلس[1] .

ترى ، ما هو الهدف من وجود كل هذه النماذج من القدرة والعلم ؟ . . . الهدف السامي هو أنْ تقوم هذه النماذج بدرو المعرّف . الهدف هو أنْ تجعل الغيب في متناول إدراك الخلق وفهمهم . أنْ تفتح عيون الناس على صفات الله عز وجل ، كي يتعرفوا إليها ويفهموها بصورة عميقة . أيّها العقلاء . . . يا أولي الألباب . . . المادة ليست كل شيء كما يعتقد البعض . . . الأسباب ليست كل شيء . . . هناك مسبب الأسباب أيضاً . أنظروا إلى شخصية علي (عليه السلام) وتعرفوا عليها وتمعنوا فيها ملياً ، كي تعرفوا الله حق المعرفة .

تولّوا علياً (عليه السلام) واجعلوا قلوبكم عامرة بحبّه ، حتى تصبح جوارحكم مشدودة إلى غيب الغيوب وغارقة في حبّه وعشقه . فكروا في الطريقة المثلى التي يبيّن من خلالها علي (عليه السلام) صفات الله ويشرحها لكم . حقاً إنَّ تأدية هذه المهمة ، تحتاج إلى طاقة يفتقر إليها مطلق أنسان . إذن من هو الذي يقوى على تبيان الصفات المتضادة ، غير علي (عليه السلام) ؟ . . . .

العفو عند قمة المقدرة :

من صفات الكمال التي يتصف بها ربّ العالمين سبحانه وتعالى ، هي أنّه حليم وغفور عند قدرته الكاملة وسطوته المطلقة[2] . إنَّه صاحب عفو ومغفرة ، وتسامح عند سلطته الكاملة التي تقوى على كل شيء . هذه الصفة الإلهية أيضاً ، تولّى علي (عليه السلام) مهمة تعليمها للبشرية جمعاء . ماذا عساني أقول عن عفو علي (عليه السلام) عند قمة مقدرته ؟ . .

---

(١) الأنوار النعمانية ، للسيد الجزائري .

(٢) « الحمد لله على حلمه بعد علمه ، وعلى عفوه بعد قدرته . . . » (دعاء الإفتتاح) .

لنتحدث قليلاً عن حرب (الجمل) . تلك المعركة التي حقّق فيها علي (عليه السلام) انتصاراً ساحقاً . بعد أنْ وضعت الحرب أوزارها ، وبعد مقتل طلحة والزبير ، ترى كيف تصرّف علي (عليه السلام) على أثر انتصاره في المعركة ، وتغلّبه على أعدائه الألدّاء ؟ . . . أي عظمة ، ونبل ، وشهامة . أبداها تجاه من بادروا إلى قتاله ؟ . . . أولاً نجد أنّه بادر إلى اتخاذ إجراءات كلية ، حيث أصدر إعلاناً عاماً يفيد بأنّ الجميع في أمان . أي إنّه لا يحق لأي كان أنْ يأخذ شيئاً على سبيل غنيمة حربية ، أو أنْ يغير على أمتعة الفئة المهزومة . وبالنسبة إلى الزبير الذي كان قد انسحب من المعركة ، أعلن الإمام (عليه السلام) أنّه لا يحق لأي كان أنْ يلاحقه أو يطارده . وكذلك بالنسبة للذين كانوا يرابطون في الصفوف الخلفية حيث عمدوا إلى الفرار تباعاً ، فقد أعلن سلام الله عليه أنّه لا يحق لأحد أنْ يطاردهم أبداً .

وفي معرض الحديث عن تسامحه تجاه الأعداء ، نشير إلى أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أمر بأنْ تعامل عائشة ـ التي كانت أوّل من أشعل نار الحرب ، وأكبر محرض على وقوعها ـ باحترام فائق ، وأنْ تؤخذ إلى مكان مناسب وآمن . وذلك من دون أنْ يمنّ عليها من جهة، أو يوجّه لها الملامة والتوبيخ من جهة أخرى . بعد ذلك قال لها ما مفاده : من الأفضل لكِ أنْ تعودي إلى المدينة .

ثم عبّر عن قراره بقوله ما معناه : سوف أُرتّب مسألة العودة بطريقة تضمن سلامة عائشة . طوال الطريق من ناحية ، كما تحفظ حرمتها ومكانتها وشخصيتها من ناحية أخرى .

ومن ثم إختار عشرين إمرأة مقتدرة من نساء العشائر للقيام بهذه المهمة . وتفيد رواية أخرى بأنّه قد أرسل بمعية عائشة أربعين امرأة من قبيلة عبد قيس ، لحمايتها والمحافظة عليها طوال الطريق[1] . هذا بالإضافة

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥٢/٨ .

إلى أنّه أصدر عفواً بحق مروان بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير ، وسعد بن العاص ، الذين كانوا قد تورطوا جميعاً في محاربته وقتاله[1] .

تُرى ، على أي شيء تدل كل هذه الوقائع ؟ . . . وعن أي شيء تعبّر ؟ . . . إنها تقدم طبعاً نماذج عن عفو الله عز وجل .

عندما يطالع أحدنا بتمعن الأخبار التي وردت عن حياة علي (عليه السلام) ، مروءته ، فتوّته ، عفوه ، تسامحه ، وخلقه القويم ، يدرك جيداً أنّ ربّ العالمين يتعامل مع خلقه بهذه الصورة المثالية . كلما أوغل ذلك العبد الآثم في المعصية ، نجد أنّ الله عز وجل يحلم ، ويغفر ، ويعفو . وبالرغم من أنّ الله يستطيع أنْ يهلك ذلك العبد في اللحظة التي يرتكب خلالها الإثم والمعصية إلاّ أنّه يحلم ويسامح . . إلاّ أنَّه يمهل ، ويعطف ، ويعفو .

حنان وعطف إلى جانب شجاعته وقوته :

لنتحدث الآن عن الصفات المتضادة التي يتحلى بها الحق سبحانه وتعالى[2] . مرة أخرى ،لا بدّ لنا من العودة إلى نبع علي (عليه السلام) الذي لا ينضب .

بعد أنْ تحدثنا عبر الصفحات السابقة عن القدرة ، والصلابة ، والشهامة ، والعظمة الهائلة ، التي تجلت في شخصية علي (عليه السلام) ، أود أنْ أشير إلى جانب آخر من جوانب فضائله ، من خلال سرد القصة التالية .

ذات يوم ، وبينما كان علي (عليه السلام) يمشي في الطريق ، وجد أنَّ هناك امرأة مسنّة تحاول أنْ ترفع جرة ماء ثقيلة فوق كتفها ، فلا تقوى على ذلك . لم يستطع سلام الله عليه رؤية ذلك المنظر ، فاقترب منها ، وأخذ الجرة من يدها ، ورفعها على كتفه . ثم سألها عن عنوان منزلها .

---

(١) بحار الأنوار : ٨/٤٥٢ .

(٢) « يا من هو في علوّه قريب » (دعاء الجوشن الكبير) .

وبينـما كان يسـير معها متـوجهين نحـو منزلهـا ، راح يتبادل الحـديث معهـا ويـطمئن إلى أحـوالهـا ، حيث قـال لهـا مـا مفـاده : من أنتِ ؟ . . . كيف أحوالك ؟ . . . هل تسير الأمور على خير ما يرام ؟ . . .

فقـالت : لقـد قتـل زوجي في وقعـة (صفـين) ، إلا أنَّ عليـاً (عليه السلام) لا يعرف شيئاً عن مصيبتنا وعن الحالة المأساوية التي نعيش فيها . . فسألها عمّا إذا كان لديها ثمة أولاد . فأجابت بأنَّ لديهـا ثلاثـة أيتام موجودين في المنزل .

وعنـدما وصـلا إلى باب المنـزل ، وضع الجـرة على الأرض ، وذهب لإحضـار كمية من التمـر والطحـين . بعد مضي فـترة وجيـزة ، أتى الإمـام (عليه السلام) ومعه المواد الغذائية حيث طرق باب المنزل ، فسألت المـرأة عن هوية الطارق .

فـأجاب الأمـير (عليه السـلام) بما مفـاده : أنا ذلـك العربي الـذي أحضر جرة الماء إلى المنـزل . لقد أحضرت معي قليـلاً من الطحـين والتمر من أجـل الصغـار . عنـدهـا فتحت البـاب ، حيث دخـل الإمـام (عليه السلام) إلى المنزل . قال لهـا الإمام (عليه السلام) ما مفاده : أيهما أنسب بالنسبة لك . . أنا أعجن وأخبز ، وأنت تهتمين بـالأطفال ، أم أنت تعجنين وتخبزين وأنا أهتم بهم ؟ . . . .

فـأجابت المـرأة قائلة : الأم تستـطيع أنْ تسهـر على راحـة صغارهـا أفضل من أي شخص آخر . فقال الأمير (عليـه السلام) مـا معناه : إذن سوف أعجن وأخبز بنفسي .

أشعل الإمام (عليه السلام) التنور بنفسه . وعنـدما اشتـدّت ألسنة اللهب وبـاتت النار حـارقة ، إقتـرب منـها حيث بـات وجهـه في مـواجهـة اللهب تقريباً ، وقال ما مفاده : يا عـلي . . . ذق عذاب النـار وحرارتهـا ، كي لا تغفل عن بؤس اليتامى فيما بعد .

وبينما كان منشغلاً بتـأدية هـذا العمل ، أتت الجـارة إلى منـزل تلك

المرأة فتعرفت إلى شخصية علي (عليه السلام) ، فنادت صاحبة البيت وقالت لها : ويحك . . . أتعرفين من هو الشخص الذي يعمل في المطبخ ؟ . . . أتدرين من هو الرجل الذي يعجن ويخبز من أجلك ؟ . . . إنّه خليفة المسلمين . . . إنّه أمير المؤمنين (عليه السلام) . . .

فضربت تلك المرأة على رأسها واعتذرت من علي (عليه السلام) ، وأبدت له بالغ أسفها وندمها .

فقال لها علي (عليه السلام) ما مفاده : أنا الذي أعتذر منك للتقصير الذي بدر مني . لقد تأخرت في الوصول إليك ، وغفلت عنك وعن أولادك(1) .

أردت أنْ أشير من خلال هذه القصة إلى الرحمة . أردت أنْ أُبين أنَّ شخصية علي (عليه السلام) قد جمعت إلى القوة والشجاعة ، الشهامة والرحمة إلى درجة لا توصف . لقد لاحظنا سوية أنّه لا يحتمل رؤية دمعة واحدة تنسكب على خدّ اليتيم إذ إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قد توصل إلى ذلك العلو الأعلى(2) .

لقد عرَّف علي (ع) عن الله عز وجل ، فهو القائل : (لولانا ما عرف الله) :

إذن فقد عرّف علي (عليه السلام) عن الله عز وجل . . . وقد عرف علي (عليه السلام) عن القيامة . . . كما عرّف علي (عليه السلام) عن الثواب والعقاب أيضاً . إذ إنّه لولا اطّلاعنا على الحالات التي عاشها علي (عليه السلام) ، كيف كان لنا أنْ ندرك مدى صعوبة الموقف الذي سيواجهنا يوم القيامة ؟ . . . عندما نقرأ سيرته الطاهرة ، نجد أَنَّ علياً الذي كان يمثل قمة التقوى وقمة العمل . حيث كانت إنجازاته تضاهي

---

(1) بحار الأنوار : الجزء التاسع .

(2) « اللهم إني أسألك من علوّك بأعلاه . وكل علوّك عالٍ » (دعاء السحر في شهر رمضان المبارك)

الجبال في عظمتها وشموخها ـ ويكفي أنَّ ضربة واحدة صدرت منه ، باتت أفضل من عبادة الجن والإنس[1] ـ كان يقوم في الليالي المظلمة ويمسك لحيته بيديه ، ويتلوى كمن لدغته أفعى ويقول : « آهٍ من قلة الزاد ، وطول السفر ، وبعد الطريق ، وعظيم المورد »[2] .

من هنا ندرك جيداً إنَّ القضية في غاية الصعوبة . وندرك أيضاً أنَّ الواحد منّا يحتاج بعد موته ، حاجة ماسّة ، إلى الأعمال الصالحة . لا تقل أبداً إنّي قد أدّيت قسطي من العبادة ، والطاعة ، والعمل الصالح . تُرى هل استعدَّيت لهذا السفر الطويل ، وتزودت بصورة أفضل وأكمل من علي (عليه السلام) ؟ . . . .

الإمام زين العابدين (عليه السلام) يقول : « أَلِقلة الزاد أبكي أم لطول مسافتي »[3] .

ويقول الإمام علي (عليه السلام) ما مفاده : يداي خاليتان . . . وأفتقر إلى العمل الذي يؤهلني لبلوغ المنزل . وكانت الأمور تصل به أحياناً إلى حدّ الإغماء . ويكفي أنْ نشير إلى أنَّ معاوية قد تأثّر عند سماعه هذه الجملة على رغم قساوة قلبه الذي يفوق الحجر بلادة ، للدلالة على مدى التأثير الذي تمارسه هذه الكلمات على النفس البشرية .

إنْ كانت هذه الجملة قد أثّرت في معاوية ، تُرى أي شعور سينتابك أنت عند سماعها ؟ . . . وأي حالة سوف تسيطر على قلبك ؟ . . . إنْ كانت دموع ألدّ أعداء علي (عليه السلام) قد انسكبت عند سماع هذه العبارة ، تُرى أي زلزال سيهزك أنت عند سماعها ؟ . . .

عندما وُصِفَتْ حالات علي (عليه السلام) أمام معاوية :

بعد رحيل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن هذه الدنيا ، حضر

---

(١) « ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين » (بحار الأنوار ، الجزء التاسع)

(٢) عدة الداعي ، للحلّي .

(٣) مناجاة الإمام السجاد (ع) .

ضرار ذات مرة مجلس معاوية ، فطلب منه هذا الأخير أنْ يحدثه عن حالات علي (عليه السلام) . فطلب منه ضرار أنْ يعفيه من هذه المهمة . فقال له معاوية : لا يمكن ذلك . بما أنَّ علياً (عليه السلام) قد رحل الآن عن هذه الدنيا ، فلا بدّ أنْ تحدثني ملياً عن صفاته وحالاته . إذ إنَّك كنت دائماً بمعيته وصحبته .

فقال له ضرار ما مفاده : من أهم مزايا علي (عليه السلام) أنَّه كان يتصف ببعد النظر وعمق الرؤية . . كان إنساناً عظيماً يفكر في الآتي ويحسب حساب الآخرة . وعندما كان يتطرق إلى أي حديث أو موضوع ، كانت الحكمة والمعرفة تنساب عبر كلماته المضيئة ، لتنير عقول المستمعين بالفكر الثاقب ، والرأي السديد ، والبيان الساحر . كان ينفر من ملذات الدنيا وبريقها . كان يأنس بالليالي المظلمة . كان يقوم في ظلمة الليل ويناجي ربّه من خلال الأدعية . كان يحب تناول الأطعمة التي لا تتصف بمذاق طيب ولذيذ ، ويميل أكثر إلى ارتداء الألبسة التي تتميز بخشونة الملمس . لم يكن هناك من جبار مقتدر ، أو صاحب نفوذ وقوة ، يتجرأ على ارتكاب جريمة أثناء وجود علي (عليه السلام) ، أو إلحاق مظلمة بحق الآخرين ، أو الإقدام على خيانتهم . لقد كان علي (عليه السلام) بمثابة أمل لكل المظلومين ، حيث كان وجوده بين الناس يحول دون تسلل اليأس إلى أفئدة الضعفاء ، والمساكين ، والعجزة . كما كان وجوده سلام الله عليه ، يطرد الخوف من قلوب تلك الفئات على حقوقها من أنْ تضيع ، وتداس بأقدام الظلمة . إذ إنَّ الفئات المذكورة كانت تدرك أنَّ علياً (عليه السلام) هو نصير المستضعفين ، ومدد البؤساء والمسحوقين . إلى أنْ يصل إلى هنا حيث يقول ما معناه : قسماً بالله . . . لقد رأيته ذات ليلة حالكة السواد ، وبعد أنْ كانت كل نجوم السماء قد اختفت ، وهو يقوم ساعة السحر ويتلوى كمن لدغته أفعى ، ويتأوّه كالمرأة المفجوعة بابنها ، ويتضرع قائلاً ما مفاده : أيتها الدنيا . . من أين لك أَنْ تخدعيني ؟ . . . من أين لك أَنْ تجذبي قلب علي ؟ . . . أنتِ أحقر من أَنْ تستطيعي خداع

علي . . . كيف يمكن لعلي أنْ يهتم بملذات الدنيا ؟ . . . تلك الملذات التي لا تدوم . . . تلك الملذات الفانية الزائلة الباطلة . . . ملذات الدنيا تنفع الإنسان الذي ليس لديه اطّلاع على الآخرة وما يجري فيها . اللذة الموجودة في عالم الطبيعة والمادة تستطيع أنْ تجذب قلوب البسطاء والسذّج من الناس ، الذين لا يعرفون شيئاً عن العالم الأعلى[1] .

إذن فقد رأينا سوية أنَّ سيد العقلاء ، حيدر الكرار ، يدرك حقائق الأمور ويراها بوضوح . يعلم إنَّ أصحاب التفكير الصبياني ، كمعاوية وأمثاله ، هم الذين يتلفون عمرهم سعياً وراء الغرائز والشهوات .

أما العقلاء والعارفون ، الذين يتدبرون أمر الآخرة ، فإنَّهم يسيرون على خطى علي (عليه السلام) في الطريق المؤدي إلى الله وحسن العاقبة . إنَّهم يجدون دوماً للوصول إلى الخيرات الدائمة الباقية التي لا فناء لها .

أنين آخر كان يطلقه سلام الله عليه بقوله : « آهٍ من قلة الزاد ، وطول السفر ، وعظيم المورد » . عند سماع تلك الكلمات المؤثرة انسكبت الدموع على خدّي معاوية عليه الهاوية .

أما أنتم فلا أدري ماذا سيحلّ بكم عند سماعها . إلا أنّي متيقن من أنكم ستبكون بغزارة فيما لو تعمقتم في جوهر هذا الوصف .

بعد ذلك قال معاوية : يا ضرار . . . ما هو التأثير الذي تركته مصيبة فقدان علي (عليه السلام) عليك ؟ . . . فقال ضرار : بتّ كمن لفظ أعز الناس عليه أنفاسه الأخيرة على صدره . منذ اللحظة التي غادر علي (عليه السلام) فيها هذه الدنيا ، لم أعد أشعر بالراحة والإستقرار وهدوء البال أبداً . لم أعد أقوى على تحمل هذه المصيبة . ثم نهض من مكانه وغادر المجلس .

---

(١) « الدنيا دار من لا دار له . ومال من لا مال له . ولها يجمع من لا عقل له ـ وأيضاً ـ الدنيا دار الغرور ودار من لا دار له . ولها يجمع من لا عقل له . . . » (سفينة البحار : ٥٧٢/١) .

عند ذلك نظر معاوية إلى عمرو بن العاص وقال له : لقد رحل علي (عليه السلام) عن هذه الدنيا . ولكن أسمعت ما قاله صديقه في وصفه ؟ . . . ترى هل تتحدثون عني أنتم أيضاً بهذه الطريقة عندما أموت ؟ . . . فأجاب عمرو بن العاص بقوله : يا معاوية كل إنسان يحدث عمّا رأته عيناه . أي إننا إذا لمسنا فيك الخصال والفضائل نفسها التي لمسها هو في علي (عليه السلام) ، فسوف ننوّه بها حتماً[1] .

اللهو واللعب في الدنيا يؤديان إلى طول الإنتظار في القيامة :

الهدف الأساسي الذي أسعى إليه من خلال هذه السطور ، هو شرح صفات علي (عليه السلام) وتوضيحها . . . . هو التعريف عن شخصية علي (عليه السلام) .

يا من عرفتم علياً (عليه السلام) . . . . يا من أحببتم وعشقتم علياً (عليه السلام) . . . لقد شاهدتم بأنفسكم كم كان علي (عليه السلام) يخاف من عذاب الله عز وجل . إذن يجب أنْ تخافوا أنتم أيضاً من سعيرها . يجب أنْ تدركوا جيداً أنَّ المسألة في غاية الصعوبة . لقد تحدثنا عن الإستغاثات التي كان يطلقها علي (عليه السلام) . عندما نرى أنَّ علياً (عليه السلام) الذي يمثّل قمة الزهد ، والورع ، والتقوى ، يخاف من عذاب الله سبحانه وتعالى ، علينا أنْ ندرك كم هو صعب وعسير حساب يوم القيامة . لهذا عندما وضع أمامه ، سلام الله عليه ، على المائدة صنفان من الطعام ، قال بأنَّه يكتفي بصنف واحد .

لذا نشير إلى أنَّ من يقضي سحابة عمره في اللهو واللعب ، ستطول وقفته غداً في يوم القيامة . . . . ويطول انتظاره عند كشف حسابه[2] . « في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب » . من الواضح يا علي أنَّ طول الإنتظار عند ساعة الحساب هو أمر في غاية الصعوبة . لذلك فقد اكتفيت

---

(١) عدة الداعي .

(٢) بحار الأنوار ، الجزء التاسع .

في تلك الليلة بتناول الخبز والملح فقط ، بسبب خوفك من هول تلك الساعة .

الطفل يدرك مكمن الخطر ، من خلال ردة فعل والده . . .

سوف أضرب لكم مثلاً بسيطاً يا شيعة علي (عليه السلام) ومحبيه . الطفل الذي لا يتجاوز عمره سنتين ، أو ثلاث سنوات ، لا يدرك شيئاً عن الأخطار الموجودة في الدنيا . لا يدري مثلاً ماذا تعني الأفعى . لذا فقد يبادر بعض الأحيان إلى مداعبتها أو إلى وضع يده داخل فمها آمناً مطمئناً . وهو لا يلام على ذلك ، لأنه لا يعرف شيئاً عن الأفعى ، ولا عن الخطر المميت الذي تنطوي عليه . لا يعرف إنَّ لدغتها السامة تودي بحياة الإنسان لكن لو افترضنا أنَّ هذا الطفل كان برفقة والده عندما مرّت من أمامه الأفعى ، تُرى ماذا كان سيحدث حينها ؟ . . . كان سيرى أنَّ والده يحاول الفرار أو تهيئة وسائل الدفاع المناسبة وعندها كان الطفل سيحاول الهروب أيضاً تقليداً لأبيه . إذن فقد كان هذا الطفل مستعداً لوضع يده داخل فم الأفعى ، قبل رؤية الموقف الذي اتخذه والده . ولكن عندما شاهد ذلك الموقف ، ورأى الخوف الذي أصيب به والده ، أدرك خطورة الأفعى وهولها ، من خلال الرعب الذي طبع به تصرف الأب .

يا أبناء علي (عليه السلام) . . . يا أولاد علي (عليه السلام) . . . أنا وأنتم لا نعرف شيئاً عن ماهية النار وعذابها . ترى ماذا يعرف الواحد منّا عن جهنم حقاً ؟ . . . يتحدثون أمامنا في المجالس عن جهنم . . . يتحدثون أمامنا دوماً عن عذاب الآخرة . . . أنا وأنتم نستمع إلى هذه الأقوال كمن ينصت إلى قصة عابرة . ولكن عندما نرجع إلى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) ونتدبر الحالات التي كان يمرّ بها ، نجد أنَّ علياً (عليه السلام) كان يصاب بالإغماء أحياناً من شدة خوفه من يوم القيامة . إذن أي يوم عظيم ومهول هو يوم القيامة حتى نرى أنَّ علياً (عليه السلام) على عظمته ، وسموّه ، وعلوّه ، يبكي لشدة هولها . يخاف ويقول ما مفاده : إلهي . . . ماذا عساني أفعل غداً ؟ . . .

باستطاعـة كل واحـد منّا أنْ يـطّلع على أدعيـة علي (عليـه السلام) ومناجاته ساعة السحر من خلال كتب الدعـاء المعتبرة . تنـاول إحدى تلك الكتب وطـالعهـا بتمعّن كي تـرى كيف كـان سيـدك ومـولاك عـلي (عليـه السلام) يخـاف . . . كيف كان ينـاجي ربّه عـبر الأدعية السنيـة . يقول الإمام (عليه السلام) في إحـدى تلك الأدعية مـا مفاده : إلهي . . . إنْ كنت قد اتّبعت خط الهوس والهوى . . . إنْ كنت قد غفلت عنك . . . إنْ كنت قـد ابتعدت عنـك من خـلال أعـمالي . . . إنْ كنت مـلازمـاً لخط الهوس والهوى . . . فإني نادم الآن على كل ذلك[1] .

أنتم أيضـاً ينبغي أنْ تسلكـوا النهـج نفسـه الـذي سلكـه والـدكم الـروحـي عـلي بن أبي طـالـب (عليـه السـلام) . يـا أبنـاء عـلي (عليـه السـلام) . . . عنـدمـا تـرون أنَّ والـدكم يتضرّع ويئنّ من الألم والحرقة ، إعلموا إنَّ هناك مسألة هامة جداً ينبغي التنبّه لها . وعليه ، يجب عليكم أنتم أيضـاً أنْ تتضرعوا وتئنوا من الألم والحرقة مثله .

ذنب كل إنسان يتناسب مع شأنه ومقامه :

نشـير في هذا البـاب إلى مسألـة حساسـة جداً . وهي أنَّ ذنب عـلي (عليـه السلام) يتنـاسب مع المقـام الرفيـع والشأن السـامي اللذين يتمتـع بهما . من نافل القول إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان إماماً ، معصومـاً ومنزهاً عن ارتكاب المعاصي . ولكن هنـاك بعض الأمور الدقيقة التي كـان يعتـبرها هـو ذنوبـاً . إذ إنَّ الذنـوب التي نرتكبهـا أنـا وأنت ، هي نفسهـا الذنوب الكبيرة والصغيرة التي تحرقنا بلهيبها. أما الـذنوب التي تحـدث عنها عـلي (عليه السـلام) ، فهو الـذي يعرفهـا . فقد يعتـبر سلام الله عليـه ، بعض الحالات بمثابة قلة توجه أو عدم توفر استغراق كامـل وشامـل . هذه

---

(١) إلهـي لئـن أعـطيـت نـفسي سُـؤلهـا　　　فـهـا أنـا في روض الـنـدامـة أربـع
المناجاة المنظومة لأمير المؤمنين (ع) ، مفاتيح الجنان .

الأمور هو الـذي يعرفهـا . لندعـه إذن مع حـالاته التي هـو وحـده يعيشها ويعرفها . أنت أيضاً إنتبه إلى حالتك الخاصة وتعرّف إليها جيداً . إنتبه إلى ذنـوبك بشكـل جيد . إستمـع إلى كلمات علي (عليـه السـلام) ورددهـا ، عندما يقول ما مفاده : إلهي . . . . لقد عظمت خطيئتي . الـذنوب تضغط على صدري حالتي لم تعد تطاق . لقد بتّ غارقاً في الذنوب من قمـة رأسي إلى أخمص قدمّي . إنْ كانت ذنوبي قد عظمت وكثرت ، فإنّ عفوك أعظم وأوفر[١] . ومن أنا يا إلهي ؟ وماذا أمثّل أمام عفوك وكرمك ؟ . . . .

يا كريم يـا رحيم . . . يا ربّ العـالمين . . . نقسم عليـك بحق علي (عليه السلام) أنْ تغفر لنا كل ما صـدر عن ألسنتنا ، وأعيننـا ، وآذاننا ، وأعضاء جسمنا ،وجميع جوارحنا ، من أشياء تخالف توجيهاتك وأوامرك . نقسم عليـك بحق عـلي (عليـه السـلام) أنْ تغفـر لنـا كـل الـذنـوب السابقة . . . من أول العمر حتى هذه اللحظة . . . ونحن نتعهد بأنْ نبتعد عن المعاصي والذنوب من الآن فصاعداً[٢] .

ثم قل : ولا وفاء لي بـالتوبـة إلا بعصمتك . ولا استمسـاك بي عن الخطايا إلا عن قوتك[٣] .

كلمات أمير المؤمنين (ع) الأخيرة :

تركزت الأنظار مندهشة نحو أمير المؤمنين (عليه السلام) حين قال : « هـذا أخي رسـول الله . هـذا عمي حمـزة . هــذا أخي جعفـر . هؤلاء أصحـاب رسول الله . سلم عليهم جميعـاً . . . الواحـد تلو الآخـر . سلّم عـلى النبي (صلّى الله عليــه وآلـه وسلم) . . . عـلى حمـزة . . . عـلى

(١) إلهـي لئــن جــلّت وجمّــت خــطيئــتي فــعـفــوك عــن ذنــبــي أجــلّ وأوســع
مناجاة لأمير المؤمنين (ع) .

(٢) « ولك يا ربّ شرطي ألا أعود في مكروهك . وضماني ألا أرجع في مذمومك وعهـدي أنْ أهجر جميع معاصيك » (الصحيفة السجادية : دعاء التوبة ، ٣١) .

(٣) الصحيف السجادية .

جعفر . . . على كل الذين سبقوه إلى الدار الآخرة . عندما يموت الإنسان ، يتقدم لاستقباله أصدقاؤه الذين سبقوه إلى الدار الآخرة ، في اللحظة التي يفارق الدنيا خلالها . فإذا كان الإنسان المتوفّى من أهل الخير والصلاح ، يتقدم أصدقاؤه الصالحون لإستقباله . حيث تذهب روحه المؤمنة برفقة أرواحهم الطاهرة . آمنة مطمئنة . . . سعيدة فرحة . لذا فقد تقدم لاستقبال علي (عليه السلام) ، النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه البررة بالإضافة إلى الملائكة المقربين . عندها تلا سلام الله عليه آيتين من القرآن الكريم ، وهما : ﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ . . .[1] . و﴿ **إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ . . .[2] . إذن يجب على كل واحد منّا أن يتعب ويجاهد نفسه من أجل ضمان سعادته في الدار الآخرة . وكأنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : يجب على كل واحد منكم أنْ يتعب ويجاهد نفسه للوصول إلى المرحلة التي وصلت إليها .

الآن حان الوقت الذي يجني فيه علي (عليه السلام) ثماره الطيبة . لقد انتهت المدة التي زرع فيها علي (عليه السلام) البذور في الحياة الدنيا . والآن حانت لحظة قطف الثمار الزكية . عندما رأى الإمام (عليه السلام) طليعة هذه المحاصيل ، قال ما مفاده : لمثل هذا . . . يا شيعتي . . . إبذلوا قصارى جهدكم حتى اللحظة الأخيرة من عمركم ، لجني هذا النوع من المحاصيل الغنية .

أي إنَّه يجب عليك أنْ تسلك طوال حياتك مسلكاً يعينك ويسعدك في ساعة الموت ، وما بعد الموت . وعندها ستحلو كل المناظر في عينيك ، إبتداءً من اللحظة التي تودع خلالها الحياة وترحل . وعندها ستغدق النعم عليك من كل حدب وصوب .

---

(١) سورة الصافات : الآية ٦١ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٢٨ .

واسعَ دوماً لكسب الأصدقاء والرفاق الذين يشدون من أزرك في ساعة الموت . . . الذين يفيضون عليك في تلك الساعة من نور تقواهم وروحانيتهم ، فتأنس نفسك بذاك النور وتطمئن .

«٢١»

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبينّ لهم أنَّه الحق أوَ لم يكفِ بربّك أنَّه على كل شيء شهيد ﴾[١] .

الآيات التي تتحدث عن الأنفس ، تحير العقول . الآيات الإلهية تعني الشواهد التي تستعرض قدرة الله عز وجل ، والأدلة التي تثبت وجود غيب الغيوب . الإله العظيم . . . خالق السَّماوات والأرض ، لديه آيات تختص وتتحدث عن الآفاق والأنفس . أي إنَّ نفوس البشر هي عبارة عن آية . إحدى هذه الآيات التي تختص بالأنفس هي : ﴿ ومن آياته منامكم بالليل ﴾ . . .[٢] .

ترد هذه الآيات في عدة أماكن من القرآن الكريم . إحدى الدلالات التي تبينّ لنا قدرة ربّ العالمين ، تتمثل في مسألة النوم التي يعنى بها كل البشر . إذ إنَّ الواحد منّا ينبغي أَنْ يفهم من خلال استسلامه لسلطان النوم ، إنَّ هذه المسألة خارجة عن نطاق إرادته . إذ إنَّنا لا نستطيع أنْ نتمالك أنفسنا ، ونمنعها من الخلود للنوم . حاول أنْ تقدم على

---

(١) سورة فصلت : الآية ٥٣ .

(٢) سورة الروم : الآية ٢٣ .

ذلـك . . . . حاول أنْ تسيطر على أعصابـك ، وتمنـع نفسـك من النوم ليـومين ، أو ثـلاثة أيـام متواليـة . . . لن تقوى عـلى ذلـك . إذن إعـترف بعجزك ، وقل إنَّ القضية خارجة عن نطاق إرادتك[1] . هذا من أجـل أنْ تعـرف أنَّ هناك ربـاً للعالمـين . . . من أجل أنْ تعـرف أنـك عبـد الله عـز وجل . عندها لن تدعي أبداً أنَّك قادر على كـل شيء . تُرى ، هـل قامت إحدى المخلوقات الأخرى التي تناظرك في الخلق بمهمة خلقـك ؟ . . . هل تعلم يا تُرى ، ما هو عدد الخلايا والأعصاب والشرايـين التي يحتوي عليهـا جسمـك ؟ . . . وهل تعـرف أيضاً عـدد الأنسجة المـوجودة في جسمـك يا تُرى ؟ . . . وهل تعرف عدد المصـانع والمعـامل الـطبيعية المـوجودة في ثنـايا بدنك ؟ . . .

الخالق المزعوم الذي لا يعرف شيئاً عن مخلوقاته :

ينقـل أنَّه وجـد في زمن الإمام الصـادق (عليه السـلام) دجال أنكـر وجـود الله سبحانـه وتعالى . وكـان يحاول إثبـات إدّعائـه الباطـل عبر هـذه الأقوال الواهية : إنْ كنتم تدّعون أنَّ الله هو خالق الخلق ، فأنا أيضاً أقـدر عـلى الخلق ! ثم كان يقـوم بإجـراء اللعبة السخيفـة التاليـة . كان يتنـاول زجاجة فارغة ويقوم بتعبئتها بالماء . ثم كان يضيـف إلى الماء كمية من الرمل والأوساخ . وبعد مرور أيام قليلة ، كان هذا المزيج يقـوم بتوليـد الديـدان التي كانت تبدأ بالظهور رويداً رويداً داخل الزجاجة عندها .

كان ذلك الدجال يقـول بمنتهى الصلافـة والوقـاحة : أرأيتم ؟ . . . لقد خلقت هذه الكـائنات التي تـرونها تسرح وتمرح داخـل الماء . أعـطوني عدداً من الزجاجات الفـارغة واصـبروا عليَّ لمـدة أسبوع أو ثـمانية أيـام على الأكثر ، حتى أتمكن من خلق مقدار وفير من هذه الكائنات الحيّة . وبالفعل كان يأخذ منهم الزجاجات الفارغة ، حيث كـان يعمد إلى تعبئتهـا بالمـاء .

---

(١) « لا يملك لنفسـه نفعـاً ، ولا ضـراً ، ولا مـوتـاً ولا حيـاة ، ولا نشـوراً » (مفـاتيـح الجنـان : صفحة ١٧ ، ضمن تعقيبات صلاة العصر) .

ومن ثم كان يخلط الماء بكمية من الأوساخ والمواد القذرة . وكـانت النتيجة الطبيعية للتفاعل الكيميائي بين هذه المواد المجتمعة ، ظهور الـديدان بعـد مرور أيام معدودة .

وقد انطلت هذه الحيلة على عدد من الحمقى حيث صدقـوا ادّعاءات هـذا الدجـال ومن المعـروف أَنَّ كـل منـافق أطلق مجمـوعـة من الأكـاذيب والأضاليل ، وجد من يصدقه وينحو نحوه .

قـام البعض عندئـذٍ بنقل هـذه المسألـة إلى مسامـع الإمـام الصـادق (عليه السلام) ، حيث قالوا له : هناك دجال منافق ظهر بين الناس يدَّعي القدرة علـى الخلق والتكوين . يقول بأنَّه يستطيع أنْ يخلق . يقـول إنَّ الله عز وجل يخلق النـاس ويخرجهم من بـطون أمهاتهم ، في مهلة زمنيـة تصل إلى تسعة أشهر . أما أنا فأقوم بتوليد وخلق الكثير من الكائنـات الحية ، في ظرف أيام معدودة كما شاهدتم جميعاً !

قال الإمام (عليـه السلام) عنـدها مـا مفاده : قـولوا لـه إنّنا سـوف نـطرح عليك مسـألتين تتعلقـان بالكـائنات المـوجـودة داخـل إحـدى تلك الزجاجـات . فإذا تمكنت من الإجـابة عليهـما بطريقـة صحيحة ، صـدقنا مقولتك وادّعاءك :

أولاً : مـا هـو عــدد هـذه الكـائنـات الحيــة التي قمت بخلقهــا وتكـوينها ؟ . . . . (لم يكن ذلـك الدجـال ليتوقـع بأنَّ سؤالاً كهـذا سـوف يطرح عليه ، كي يستعدّ مسبقاً ويعد تلك الديـدان . ومن الطبيعي أنَّـه لم يكن يعرف إبتداءً عددها الحقيقي) .

ثانياً : بعد أَنْ يجيب على هذا السؤال ، قولوا له : أنت قمت بخلق هذه الكائنـات الحية المتحـركة كـما تدّعي . إذن لا بـدّ أنْ يكون سلطانـك نـافذاً عليهـا ، وقدرتـك غالبـة لهـا . إذ إنَّ الغلبـة والقهـر همـا مسـألتـان متـلازمتان مـع صفة الخلق . إذن أفـرض بالقـوة على كـل واحدة من تلك الكائنات أنْ تغير مسار حركتها . أطلب منها أنْ تسير في اتجـاه آخر ، رغـماً

عن اختيـارهـا ورغبتهـا الخـاصـة . أطلب منهـا أنْ تتحـرك وفق إرادتـك أنت . . . كما تشاء ، وفي الإتجاه الذي يحلو لك . عندها ، طرحـوا هذين الموضوعين على ذلك الدجـال . فكّر الـدجال بهـذه الورطـة التي وقع فيهـا وقـال : هـذه المسـائـل لا تعنيكم . لقـد خلقت عـدداً كبيـراً من هـذه الكائنات . ألا يكفي أنّكم ترون بأمّ أعينكم الـديدان التي خلقتهـا ؟ . . . وماذا يهمكم من عددها ؟ . . .

فقـالـوا لـه : يـا لـك من خـالق عجيب غـريب . ألا تعـرف عـدد الكائنات التي قمت بخلقها بنفسك ؟! . .

حسناً . . . هل تستـطيع الآن أنْ تـأمر الكـائنات التي تسـير في هذا الإتجاه أنْ تغيّر وجهة سيرها ، وتمشي في الإتجاه العكسي .

فقـال لهم : هذه المسـألة خـارجة عن نـطاق قـدرتي . صحيـح أنني خلقت تلك الكائنات ، ولكنها تسير وتتحرك وفق رغبتها الخاصة .

الإستيقاظ ساعة تشاء . . . .

أيّها العقلاء . . . . هل فكرتم ذات مرة في مسألة النوم التي يتعـرض لها كل واحـد منكم في كل يـوم يمر ؟ . . . مسـألة النـوم هذه تشكـل دلالة واضحة على أنَّ قضية إدارة أعصابي وردّات فعلي وجسدي ، والتحكم بهـا بصورة شاملة ، وهي قضية خارجـة عن نطاق إرادتي . إذ إنني كـإنسان لا أعدو كوني مخلوقاً ضعيفاً لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً . إذ إنَّ هناك مـالكاً وخـالقاً يعينني ، ويـرأف بي . منامي بيـده ، ويقـظتي أيضـاً بيـده ، وتحت رعايته وعنايته . وهل يستطيع أحد أنْ يدعي بأنَّ يقظته تتوقف على إرادتـه الخاصة فقط ؟ . . . ترى ، عندما يخلد الواحد منّا إلى النوم ، هل يمكنه أنْ يستيقظ ساعة يشاء ؟ . . . أبداً . . . . يلاحظ كل واحد منّا إنّه لا يقوم من نـومه أحيـاناً سـاعة السحـر في ليالي شهـر رمضـان المبـارك ، لكي يتنـاول الـطعـام . إذن فنحن لم نتمكن من الإستيقـاظ في تلك الليـالي وفق مـا نشتهي . وقـد يرغب أحـدنا أنْ يستيقظ أحيـانـاً بعـد سـاعـة من منتصف الليـل ، فلا يقـوى على ذلـك . وهذا أيضـاً يـدل عـلى أنَّ المسـألـة ليست

بيدنا . وهذه النقطة تدل أيضاً على أنَّ المسألة ليست بيدنـا . وهذه النقـطة تـدل أيضاً عـلى ضعفك أمـام القـدرة الإلهيـة . لكي تعلـم . أنَّـك عبـد ضعيف مسكين لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً .

لماذا أنت غافل إلى هذه الدرجة يا تُرى ، عن الله العـزيز الكـريم ، الذي يمدك بكل شيء وتحتاج إليه في كل أمورك ؟. . . . لماذا تتصرف عـلى هـذه الشاكلة ؟. . . لا تـريد الخـروج من دائرة نفسـك وغيرك من النـاس الـذين ينـاظـرونـك في الخلق ، غـافـلاً عن الـرب الـذي بيـده محيـاك ، ومـمـاتـك ، ونـومـك ، ويقـظتـك . هـل تعـرف أنَّ هنـاك عـدداً من النـاس الـذين تـوافيهم المنيـة وهم نيـام ؟. . . أي إنَّ الـواحـد منهم عندما ينام ، تدق ساعة موته وتنفصل روحه عنـه إلى غير رجعـة . عندهـا يصبح نومه نوماً نهائياً يتصـل بحلول يوم القيـامة . أي إنَّ الإنسـان يفارق الحياة أثناء النـوم . أما الشخص الـذي لم تحن ساعـة موتـه ، فتبقى روحه ملازمة له بإذن الله تعالى ، ويعود إلى حالة اليقظة ثانية[1] .

وإذا أراد المؤمنـون أنْ يستيقـظوا في سـاعـة محـددة ووقت معـين بالذات ، يجب أنْ يطلبوا ذلك من الله عز وجل . أحياناً ، يضطر الـواحد منّـا أنْ يحاول الإستيقـاظ في ساعـة محددة بـالذات ، من أجـل تأديـة عمل معين . . . مهمة خاصة . . . عقد النية عـلى أداء صلاة الليـل . . . تناول الطعام ساعة السحر إستعداداً للصيام .

هنـا نشير إلى أنَّ كـل شخص يـريـد الخلود إلى النـوم مـع رغبتـه في الإستيقـاظ في سـاعــة معينـة ، ينبغي أنْ يتلو الآيـة الأخـيرة من ســورة الكهف[2] ومن ثم ينـام . هذه الآيـة لها وقـع المعجزة حقـاً . وقد جـرّبهـا الكثير من الكبار والعظماء . وقد ذكر أنَّه إذا ادّعى أحد الناس بـأنَّه قـد تلا

---

(١) ﴿ الله يتـوفى الأنفس حين مـوتها ، والتي لم تمت في منـامها . فيمسـك التي قضى عليهـا المـوت ، ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمى ﴾ سورة الزمر : الآية ٤٢ .

(٢) ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنَّما إلهكم إله واحـد فمن كان يـرجو لقـاء ربه فليعمـل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ سورة الكهف : الآية ١١٠ .

هـذه الآية ونـام ، ثم لم يستيقظ في الوقت الـذي أراده ، فقد اشتبه عليـه الأمر . تيقنوا من أنَّه قد استيقظ في الوقت المطلوب ، ولكنه استسلم مجدداً لسلطان النوم من شدة تعبه وإعيائه .

أردت من خلال هذا الشرح المـطول أنْ أذكر بـإحدى الجـوانب التي تدخل في نطاق الآيات التي تختص بالأنفس .

لقد رأينا سوية فيما سلف ، أنَّ الله عز وجل قد ذكـر مسألـة النوم في القرآن المجيد . وقد عرفنا أنَّ هذه المسألة ليست بيدنا . إذن هي بيد من يا تـرى ؟ . . . الله الذي خلقني وسـوّاني بيده أصـل كـل الشؤون التي تتعلق بي .

المسألة الأخـرى هي أَنَّ كل من يفكـر في الحكمة التي ينـطوي عليها النوم . . . لماذا فرضت علينا هذه القضية ؟ . . . .

سـواءً أراد أَنْ يخلد إلى النـوم أم لم يــرد ، فيتـوجب عليــه أنْ ينـام لساعات معينة في كل يـوم . وإذا أراد أنْ يتحدى السبات بعدم الـرضوخ له ، فسوف يجد أنَّ سلطان النوم سوف يجره إلى منـطقته بـالقوة والإكـراه . وقد ذكر القرآن الكريم حكمة النوم عبر إحدى آياته الشريفـة : ﴿ **وجعلنا نومكم سباتاً** ﴾ . كلمة السبات تأتي من سبت ، وتفيد معنى الإستراحـة . أي إنّنـا قد كتبنـا عليكم النـوم لكي يكـون مصـدراً مناسبـاً لـلإسـتراحـة واستمـراريـة عجلة الحيـاة والعـطاء . أتـدرون كم يعمـل هـذا الجسـد ، ويكـــد ، ويتعب ، خـــلال فـــترات اليقـــظة ؟ . . . . فهنـــاك سلسلة من النشاطات الداخلية التي يؤديها تلقائياً وبصورة غـير اختياريـة . . . . الجهاز الهضمي ، الدورة الدموية ، نبضـات القلب المنتظمـة ، إفرازات الغـدد ، وغيرها من الأعمال التي لا يتسـع المجال لذكرها هنـاك ، حيث تدخـل في بـاب علم الطب . إضـافة إلى ذلـك ، هناك النشـاطـات الإختيـاريـة التي يكلف الإنسـان بدنـه بالقيـام بهـا بمحض إرادتـه . . . المشي ، الـركض ، الأكل ، التكلم ، الأعمال التي يؤديها بواسطة يديه ، والأعمال الأخرى التي يؤديها بواسطة عينيه وأذنيه .

وبناءً عليه ، نجد أنَّ الواحد منّا يؤدي أعمالاً متعددة بواسطة جسده خلال فترات اليقظة . ومن ناحية أخرى ، هناك النشاطات الذهنية والفكرية التي تستهلك جزءاً كبيراً من طاقة الإنسان . ومن الطبيعي أنَّ كل ذلك يسبب التعب والإرهاق للشخص ، سواءً شاء ذلك أم أبى . فإذا عمل أي إنسان لمدة أربع وعشرين ساعة في اليوم من دون انقطاع ، فإنَّه بذلك يتلف بدنه وطاقته ، مهما أوتي من أسباب القوة والمناعة . لا بدّ له من أنْ يستريح لعدة ساعات كي يستعيد قوته وحيويته . إذ إنَّ الشخص الذي يكدّ ويتعب سعياً لإنجاز أعماله ، فمن اللحظة التي يستيقظ فيها ، وحتى وقت متأخر من الليل ، إنما يعرض فكره ، وجسده لجهد مستمر . ولذا فإنّه يحتاج لوقت معين من الراحة وهدوء البال ، والأعصاب ، سواءً شاء ذلك أم أبى . فهذه الفترة تعينه على تجديد قواه وشحذ همته .

لذلك نقول : إنَّه كلما زادت نسبة تعب الإنسان وإرهاقه ، كلما زادت ضرورة خلوده للنوم . وكلما عمل لساعات أطول ، وتعرض لإجهاد أشد ، كلما حلّ عليه سلطان النوم بصورة تلقائية ولا إرادية أوضح . وبعد أنْ ينال قسطاً وافراً من الراحة يستيقظ من النوم متخلصاً من ذيول التعب ، حيث يشعر إنَّ النشاط قد دبَّ في جسمه من جديد . وأظن أنَّ كل واحد منكم قد مرَّ بهذه التجربة .

لذا يستحب أنْ يسجد الإنسان سجدة شكر عندما يقوم من نومه ، وأنْ يقول التالي : (الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه النشور . الحمد لله الذي ردّ عليَّ روحي لأحمده وأعبده)(١) .

(النوم أخ الموت) . عندما ينام الإنسان ، تتعطل جميع أسباب إدراكه المعروفة . أما الشيء الذي يستمر في أداء مهمته بانتظام ، فهو الأفعال الطبيعية والنشاطات اللاإرادية . ونقصد بذلك التنفس ، النمو ،عمل الجهاز الهضمي ، الدورة الدموية ، وبقية الأفعال الطبيعية .

---

(١) حاشية مفاتيح الجنان : صفحة ١٣٥ .

أما أسباب الإدراك ، فتكون قد توقفت عن العمل تماماً .

إذن فالإنسان الذي يغط في سبات عميق ، لا يختلف أبداً عن الإنسان الميت من ناحية الإدراك . وهنا نقول : إنَّ الروح قد انفصلت عن الجسد إذا صحّ التعبير . ولكن هذا الأنفصال لا يعتبر كاملاً ، فهناك خيط رفيع لا يزال يربط الروح بالجسد ، لذا يستحب أنْ يجهز الإنسان المؤمن كفنه قبل خلوده إلى النوم . ربما لن يستفيق ثانية . ربما كان قد وضع حداً لحياته في هذه الدنيا ، عند إحدى الليالي . من هنا يستحسن أنْ يكون قد وصى قبل النوم ، لكي يكون على استعداد تام لكافة الإحتمالات .

الرؤيا . . . نموذج الثواب والعقاب في عالم البرزخ :

أودّ أنْ أشير في هذا الباب ، إلى نقطة مهمة أخرى تتعلق بالآية الشريفة التالية : ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار ﴾[1] جاء في (أصول الكافي) ما يفيد بأنَّ مسألة الرؤيا ، المنام ، والأحلام ، التي يتعرض لها كل البشر ، لم تكن موجودة في بداية الخلقة . (الأحلام فقط وليس النوم نفسه) .

وبقي الوضع هكذا حتى بعث أحد الأنبياء إلى إحدى الأمم . وراح هذا النبي يسترسل في الحديث عن عالم البرزخ ، الإستجواب في القبر ، والعذاب والثواب ، أمام جموع أمته . وبالرغم من طول الشرح والإستفاضة في التحليل ، كانوا لا يقتنعون بكلامه أبدا . وكانوا يقولون له : ما هذا الكلام ؟ . . . . . وهل يعقل أنْ يستجوب الإنسان الميت ؟ . . . . . فهو عندما يموت ، يتحول إلى تراب ويندثر . وكلمات أخرى من هذا القبيل .

عندها كتب الله سبحانه وتعالى على جميع أفراد هذه الأمة ، رؤية الأحلام . فأصبح كل واحد منهم يشاهد حلماً خاصاً به . . . . أحلام

---

(١) سورة الروم : الآية ٢٣ .

مختلفة لم يسبق لأحدهم أن شاهد مثلها . وعندما كانوا يلتقون ببعضهم البعض ، كان كل واحد منهم يقول بأنّه شاهد ليلة البارحة في نومه أشياء عجيبة غريبة . وعندما استفاق من سباته ، وجد أنّ كل ما شاهده قد تبخّر .

وكان الآخر يرد عليه قائلاً : لقد شاهدت أثناء نومي أشياء أغرب وأعجب . وعندما استيقظت، وجدت أنّ كل ما شاهدته قد تبخر .

أخبروا نبيهم بالأمر في آخر المطاف . قال لهم النبي ما مفاده : لقد أراد الله جل جلاله أنْ يبيّن لكم من خلال هذه المسألة ، بأنّه من الممكن أنْ يتنعم الإنسان بعد موته بالثواب بالرغم من وجود بدنه تحت التراب ، وبالرغم من استغراقه في نوم طويل الأمد . أو أنْ يكون لا سمح الله في حالة مخزية تضطره إلى أنْ يطلق صرخات الألم والخوف والوحشة[١] .

جاء في (معاني الأخبار) أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قال ذات مرة ما مفاده : في فترة ما قبل البعثة ، كنت آخذ أغنام عمي أبو طالب إلى المرعى في بعض الأحيان . أحياناً ، كنت ألاحظ أنّ تلك الأغنام كانت تقفز قفزات متتالية ، من دون أنْ يكون هناك أي أمر ملفت للنظر . ثم كانت تجفل وتتوقف في مكانها . وفجأة كانت تبتعد عن العلف الذي كان قد أعدّ لها . عندها سألت جبرائيل عن سبب ذلك . فأجابني جبرائيل بقوله : كلما أطلق أحد الأموات أنيناً من عالم البرزخ ، سمعت الحيوانات ذلك الأنين ، من دون أنْ يسمعه البشر والجن . لذلك تستوحش هذه الحيوانات عند سماعها لصوت أنين الأموات . وقد قضى رب العالمين بحكمته البالغة ، بإخفاء الصوت الموحش هذا الذي يطلقه الأموات ، عن الأحياء كي لا تتكدر حياتهم ، وتتنغص معيشتهم .

الأموات يترجّون الأحياء :

لو أتيح لأحد الناس أنْ يسمع أصوات الأنين التي يطلقها معارفه

---

(١) بحار الأنوار : الجزء الثالث .

وأقربائه ، لما استطاع الإستمرار في حياته من شدة الوحشة والتأثر . لقد اقتضت الحكمة الإلهية بألّا يعرف أي من الناس شيئاً عن وضع الأموات وحالتهم . الله جل جلاله هو وحده الذي يعرف كم هي أصوات الأنين والترجّي ، والعويل ، والصراخ ، التي يوجهها الأموات إليكم أنتم جميعاً . إذ إنّ الأموات يسألونكم الدعاء دوماً ، وخاصة في ليالي القدر الجليلة التي هي خير من ألف شهر . وسؤالهم هذا لا يشبه الطريقة التي نسأل بعضنا البعض نحن الأحياء ، والدعاء من خلالها . فطريقتنا في طلب الدعاء ، لا تعدو كونها نوعاً من أنواع المجاملة في معظم الأحيان . أما الطريقة التي يسألنا عبرها الميت ، الدعاء ، تشبه التضرع ، والتسول ، والإستغاثة . . . .

تفيد إحدى الروايات بأنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بكى ذات مرة وقال ما مفاده : أطلبوا الرحمة والمغفرة للأموات ، خاصة في شهر رمضان المبارك . إذ إنّ لسان حال الموتى يخاطبكم بقوله : نحن أيضاً كنّا نعيش شهر رمضان المبارك . وقد مرّت علينا أيضاً ليالي القدر الجليلة . ولكننا لم نعرف قدرها حق المعرفة . والآن باتت بعيدة عن متناول أيدينا . أنتم أيضاً سوف تأتون إلينا عاجلاً أو آجلاً . ولكن طالما أنّكم لا تزالون تعيشون شهر رمضان الكريم ، أذكرونا في أدعيتكم وأطلبوا لنا العفو والرحمة[1] .

نلاحظ هنا أنّ البؤس الذي يطبع طريقة الترجّي والتمني التي يتبعها الأموات ، قد أسال دموع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

في بعض الأحيان ، يشاهد أحدنا أحلاماً موحشة وفي غاية السوداوية . وقد يصل به الأمر إلى إطلاق صرخات الألم والإستغاثة في عالم

---

(١) كان الموتى يأتون في كل جمعة من شهر رمضان فيقفون وينادي كل واحد منهم بصوت حزين باكياً : يا أهلاه ، ويا ولداه ، ويا قرابتاه ، أعطفوا علينا بشيء يرحمكم الله ، واذكرونا ولا تنسونا بالدعاء ، وارحموا علينا . . . (سفينة البحار : ٢/٥٥٦) .

الـرؤيا ، من دون أنْ يسمعه الشخص الـذي يجلس إلى جـانبـه . وأحيـانـاً أخرى تصبح المسألة معكوسة تماماً ، حيث يشاهد الإنسـان أحلامـاً سعيدة وطريفة تدغدغ أحاسيسه ، فيطلق ضحكات مدوية في رؤيـاه . فلو حدث ذلك في عالم اليقظة ، لوصل صوت ضحكـه إلى مسافـة بعيده . ولكن بما أنَّ الضحك قد حدث في المنام ، لا يسمع الشخص الذي يجلس إلى جانبه أيَّ صوت . عندما تذهب لزيارة قبر والدك ، لا تسمع أي صوت . ولكن الله وحده يعرف أي أصـوات أنين ، وتضرّع ، واستغـاثة ، يـطلقها ذلـك المسكين في تلك اللحظة . أو إنْ شاء الله تعالى في أي بهجـة ونعيم يقيم ، ومن أي سعادة ، وسرور ، وحبور رائع ، يغرف .

إحـدى الحكم الجليلة التي تختزنها مسـألة الأحـلام والرؤيا، هي أنَّها تضع الإنسان إلى حدٍّ ما في أجواء الحياة التي تحل علينا بعـد الموت ، وتمـده بقدرٍ من المعرفـة عن تلك الحياة . إذ إنَّـه يرى من خـلال أحلامـه نموذجـاً معبراً عن القضايا التي قد تواجهه بعد الموت .

إحاطة النفس هي نموذج عن إحاطة الله عزّ وجل :

إحدى الآيات التي تختص بالأنفس ، والتي يستطيع من خلالهـا أهل العقـل ، والفكر ، والمعـرفة ، أنْ يهتـدوا إلى ذات الله التي لا تـزول ، ولا تفنى ، ويؤمنوا بوجودها ، هي مسألة إحاطة النفس . ومن نافل القـول إنَّ هذه المسألة تتجلى في كـل طرف عـلى قدر مستـواه . لو أردنـا تشريح أحـد الأموات من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، لوجـدنا أنَّ جسمـه يحتوي عـلى المـلايين من الأقسـام ، والأجزاء ، والخـلايا ، والأعصـاب ، والشرايين . ومن الطبيعي إنَّ الروح لديها إحاطة بجميع هذه الأجـزاء والأقسام ، عـلى اختلافها وتنوّعها . الله أكبر . . . . أنظر إلى عظمة خلق الله عز وجل . لا تظنن أنَّ روحك موجودة في رأسك ، أو قلبك ، أو ظهرك . كلا ، فالمسألة ليست كذلك ، فهي ليست في داخل الجسم ، كما أنَّها ليست منفصلة عنـه أيضاً . فإحاطة الروح هي من المسائل الحساسةالتي تحير العقـول حقاً . إذا فكرت في أي جزء من أجزاء جسمك ، لوجدت أنّه يتمتع بـالروح . كـل

جزء من هذه الأجزاء يفيد الإثبات والنفي في آن . يقول إنَّها موجودة وغير موجودة في آن أي إنَّ الروح ليست موجودة في البدن ، كما أنَّها ليست منفصلة عنه أيضاً، كما أشرنا . إنَّها من أدق الأمور وأكثرها حساسية .

لا بدّ أنَّ كل واحد منكم قد جرّب القضية التالية : في بعض الأحيان وأثناء تناول الطعام ، تبقى شعرة دقيقة من إحدى اللقم في فم الواحد منا . عندها نشعر مباشرة بوجودها فنعمد إلى إخراجها من فمنا بأقصى سرعة . الآيات التي تختص بالأنفس تساعدنا في إدراك الحقيقة التي تفيد بأنَّ الله عز وجل قد أحاط بكل شيء علماً[1] . وأوضح مثال ونموذج على ذلك ، هو روحك أنت . أيّها الإنسان . . . لو فرضنا أنَّ نملة ما مشت على قدمك ومن ثم عضتها ، ألا تشعر الروح مباشرة بآثار تلك العضة ؟ . . . . حتماً ستشعر بذلك .

الشعرة التي لا تكاد تشغل حيزاً لشدة دقتها . . . . عندما تبقى عالقة في الفم ، تشعر الروح بوجودها مباشرة لأنَّها تتمتع بملكة الإحاطة . من ناحية أخرى ، لو تأملت قوة الذاكرة التي يتمتع بها الإنسان ، لوجدت أنَّها تحتفظ بمعلومات غزيرة وغنية جداً ، لأنَّ سعتها كبيرة جداً . ولا حاجة لنا للتذكير بأنَّ الروح لديها اطّلاع تام ، وتنظيم دقيق ، لكل المحفوظات التي تختزنها الذاكرة .

الأعمال المتعددة لا تقف حائلاً أمام إحاطة الروح :

(لا يشغله شأن عن شأن) . نكرر القول هنا إنَّ هذه المسائل تتجلى في كل طرف على قدر مستواه . الآن ، عندما يمسك كاتب هذه السطور بالقلم ويشرع في الكتابة . . . . يده تعمل ، عيناه تبصر ، فكره يحلل ، وذاكرته تستعيد المعلومات المختزنة لديها ، هناك عدة مطالب ، وأفكار ، ومواضيع ، تختمر في رأسه ، وسرعان ما يدونها على صورة ، كلمات وجمل

(١) ﴿ إنَّ الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾ سورة الطلاق : الآية ١٢ .

متسلسلة . إذن فالحس المشترك هو الذي يضبط إيقاع الأمور . ويتجلى هذا الحس من خلال النشاطات المتعددة التي يؤديها الإنسان بصورة متزامنة . من خلال العين مثلاً . عندما أفتح عيني ، أرى الأشياء الموجودة أمامي ، فأتمكن من الكتابة . إذن فعيني باتت تميز الأشياء وتدركها بوضوح . من خلال الأذن مثلاً . الآن ، وبينما أنا جالس في غرفتي ومنشغل بالكتابة ، أسمع بعض الأصوات والأحاديث التي تجري في الغرفة الأخرى .

وبالرغم من أني مستغرق في الكتابة حيث أحاول تركيز كل طاقتي الفكرية على الأمور التي أريد الخوض فيها ، إلا أنَّ عقلي الذي يفكر وعيني التي تبصر ، ويدي التي تكتب ، لا تستطيع الحؤول بيني وبين الأصوات التي أشرت إليها . من خلال حاسة اللمس مثلاً . في أية لحظة من اللحظات ، عندما تستجد حكة في زاويةٍ ما من زوايا وجهي ، سوف أشعر بها فوراً وأبادر إلى معالجتها . إذن فحاسة اللمس عندي تعمل هي الأخرى الآن .

هذا عن الجهات التي تختص بالإدراك عندي . وعلى نفس المنوال نقول إنَّ المعدة ، والكلية ، والأمعاء ، تعمل هي الأخرى ، وفي الوقت نفسه تماماً . الكبد أيضاً يؤدي وظيفته على أكمل وجه في الوقت ذاته . وهناك مقولة في الطب الجديد تفيد بأنَّ الكبد يؤدي إثنتي عشرة مهمة في آن واحد . إحدى هذه المهمات هي مسألة تصفية الدم ، القلب أيضاً ينبض ويعمل لحظة بلحظة حيث يتصدى لتصفية وضخ دماء الجسم . نشير هنا إلى أنَّ القلب لديه أربعة حجرات . الدم الملوث يدخل عبر حجرتين من هذه الحجرات . أما الدم النظيف ، فيخرج من خلال الحجرتين التاليتين ، بعد أنْ تُجرى عليه عمليات التصفية . ومن خلال عملية الدخول والخروج هذه ، يتعرض دم الجسم إلى التصفية . أي إنَّ كل هذه المعامل والمصانع تنشغل بأداء مهماتها بصورة متزامنة .

ومن الجدير بالذكر إنَّ الأعمال المتعددة لا تقف حائلاً أمام إحاطة

الـروح التامـة . أي إنَّ الروح لا تعجـز عن أداء هـذه المهمـة ، حيث أنَّ إحاطتها بإحدى الأعمال ، لا يمنعها من الإحاطة بـالأعمال الأخـري . وهذا يقدم نموذجاً متواضعاً عن إحاطة رب العالمـين جلّ جـلاله . إذ إنَّ الله عـز وجـل يحيط في كل لحـظة بما يجـري في السّماوات ، والأرض ، والأفـلاك ، والكريات ، يحيط بما يجري في كل زاوية من زوايـا الأرض . . . بما يجـري تحت الأرض . . . بمـا يجري فـوق الأرض . إنَّه يسمـع كل صـوت يصدر عن أي طرف في هذا العالم (لا يشغله سمع عن سمع) .

لا تظن إنَّ إحدى الأصوات التي تصدر في مكـان من العالم ، تحـول بـين الله وبين الأصـوات التي تطلق في الأمـاكن الأخرى . بـالإضـافـة إلى ذلك ، نشير إلى أنَّ مسألة توزيع الأرزاق هي أيضـاً محفوظـة ومصانـة . لا نظنن أنَّ إسباغ الرزق على أحد الناس ، يمكن أنْ يشغل الله عز وجـل عن مسألة إنزال الرزق على شخص آخر . أو أنَّ إدارة وتوجيه إحدى الكريات أو الأفـلاك ، يمنعه من التحكم بشؤون كـرة أخرى أو فلك آخـر . عندمـا نقرأ (دعاء الجوشن) ، نلاحظ وجود هذه العبارات : (لا يمنعه فعـل عن فعل ، لا يشغله شأن عن شـأن ، لا يغلطه سؤال عن سؤال) . أي إنَّه لا يخطىء ولا يزل أبداً . على سبيل المثال ، لا يخطىء عند توزيع الرزق على البشر ، كما لا يخطىء في مجال استجابة الدعوات .

عنـدمـا يقـول أحـد النـاس : ربـاه . . . إنني جـائـع . . . أريـد خبـزاً . . . وعندمـا يقول الآخـر : ربّاه . . إنّني ظمـآن . . . أريـد بعض المـاء . . . يستحيل أنْ يخـطىء الله جلّ جـلاله في إعـطاء كل واحـد منهـما رغبتـه وسؤالـه . أيْ إنَّـه يستحيل أنْ يمنـح الله بعض الخبـز إلى الشخص العطشان . . . وبعض الماء إلى الشخص الجائع . هذه المسائل أوردهـا هنا عـلى سبيل المثـال . فهذه الأمـور يستحيـل أنْ تحـدث لـدى مصـدر الخلق والتكوين . وقد أشرنا إلى إحاطة أرواحكم أنتم بكل التفاصيل التي تجـري في الأجسام . . . فكيف بإحاطة الله سبحانه وتعالى ؟ . . . .

نفس علي (ع) هي أعظم الآيات التي تختص بالأنفس :

روحي وأرواح العالمين فداك يا علي . . . عندما نتحدث عن الآيات التي تختص بالآفاق والأنفس ، لا بدّ لنا من التطرق إلى شخصية علي (عليه السلام) . لذا نشير هنا إلى أنَّ علياً (عليه السلام) هو الآية الكبرى . ومن زاوية (لا يشغله شأن عن شأن) التي قلنا بشأنها إنَّها تتجلى في كل طرف حسب مستواه ، نتطرق إلى مسألة إحاطة علي (عليه السلام) . هنا نشير إلى أنَّ كل الأنفس البشرية تقف في جهة ، ونفس علي (عليه السلام) المقدسة تقف في جهة . من هنا نقول إنَّ نفس علي (عليه السلام) هي نموذج معبر عن النفس الكلية الإلهية ، إذا صحّ التعبير . أما بقية النفوس البشرية ، فلا تعدو كونها نفوساً جزئية . أما نفس علي (عليه السلام) ، فهي التي تعبر بوضوح عن النفس الكلية .

من أجل توضيح مسألة إحاطة علي (عليه السلام) العظيمة إلى حدٍ ما ، نورد الآن إحدى المعجزات المعبرة التي ارتبطت به (عليه السلام) . عندها ، عليكم أنْ تنفذوا من خلال فهم إحاطة علي (عليه السلام) ، إلى إدراك إحاطة الله سبحانه وتعالى .

الملائكة تلتمس البركة في المجالس التي يذكر فيها علي (ع) :

نشير بدايةً إلى أنَّ بعض الملائكة تحيط دوماً بأطراف تذكر فيه فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) . وبعد انتهاء المجلس ، تصعد إلى السماء وأريج العطر ينبعث منها . أما بقية الملائكة ، فتغبطها على ذلك وتقول لها : أين هو مصدر هذه الروائح الزكية ؟ . . . . فتجيبها على ذلك بقولها : الكرة الأرضية . كنا في إحدى المجالس التي تذكر فيها فضائل أسد الله الغالب ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) . وقد تحلينا بهذا العطر الرائع في ذلك المكان . فتقول تلك الملائكة لنذهب نحن أيضاً ، علنا نتبرك بهذا العطر . فتجاب على ذلك بالتالي : لقد انتهى المجلس مع الأسف الشديد . لكن يمكن الذهاب إلى هناك لملامسة أبواب المكان وجدرانه ،

لأنَّ آثـار المسك المنبعث من إسم عـلي (عليه السـلام) لا تزال بـاقية عـلى تلك الزوايا . أريج المسك الذي يمكن أخذه بإذن الله تعالى ، زاداً معنا إلى القبر .

علي (ع) لوحده في مواجهة جيش مجهّز بأكمله :

يقول السيد البحراني في كتاب (مدينة المعاجز) مـامفاده : في غـزوة صفين التي ظلّ معاوية عليه الهاوية ، والشيطان الماكر ، الثعلب المخـادع ، عمرو بن العاص عليهما لعنة الله ، على رأس جند الشام ، يحاربان خلالهـا جيش ولي الله لمدة ثمانية عشر شهراً . . . كان معاوية قد أعـدّ جيشاً قـوامه خمسـة وعشرين ألف جنـدي . وقـد حـرص عـلى تهيئـة أفضـل وسـائـل التدريب ، وأنجح أسبـاب الجهوزيـة الحربيـة والقتاليـة لهذا الجيش . كـما وضع في تصرف قواته أفضل الوسائل الأجهزة العسكرية وأكثرها فـاعلية ، حيث بات تسليحها متكاملاً . ومن جملة هذه التجهيزات ، نـذكر الـدروع والثياب الواقيـة من السهام والنبـال . كان اللبـاس الواقي يحجب الجنـدي منهم من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، فكان جسمه يغرق في كتلة حديـدية رهيبة . هذا بالإضافة إلى القبعة الواقية التي كانت تغطي الـرأس بأكمله ، فيما عدا العينين . وهذا مـا كان يحصن كـل زوايا أجسـامهم ، تجاه مخـاطر الأسلحة الحربية . أي إنَّ السيف كان لا يطال أي مكان من أجسـامهم ، ولا يستـطيع النيـل منها . ولـو أنَّهم استـطاعـوا أنْ يغـطوا أعينهم لفعلوا ، ولكن عامل الرؤية كان يحول دون ذلك . أما الجسم وبقيـة الرأس ، فقـد حجبهما الحديد والفولاذ تماماً .

إذن فقد أعدَّ معاوية جيشاً بهذه الشـاكلة كي لا يعرضـه إلى أي نوع من أنواع الضعف ، أو الوهن ، أو الهزيمة . عندما يهب إلى الميـدان جيش قـوامه خمسـة وعشرين ألف جندي فـارس ، ومدجـج بالسـلاح بالـطريقـة الرهيبة التي أشرنـا إليها . . . حتى لـو لم يقدم عـلى أي عمل يـذكر ، فـإنَّ بـاستطاعتـه أنْ يضعف روحية قـوات علي (عليـه السلام) ، أو أنْ يقضي

على معنويتها نهائياً . وخلاصة الحديث أنَّه بعد تجهيز هـذا الجيش الجرار ، أطلق عليه إسم خاص ، حيث بات يعرف بإسم (جيش الكتيبة) .

وفجأة أذيع الخبر الذي أعلن عن وصول الجيش الفلاني الجـرار إلى ساحة المعركة . وقد أحدث هذا الخبر هزة معنوية داخل صفوف جيشٍ علي (عليـه السلام) . لم يتجـرأ أحد عـلى التقدم لمبـارزة أولئـك . إذ إنَّ كـل واحـد من قوات أمـير المؤمنين (عليـه السلام) ، شعـر بصعـوبـة المـوقف وخطورة المعركـة . فقد تبـادر إلى ذهن الجميع أنَّ من يتقـدم لمنازلـة جيش (الكتيبة) ، كأنَّه يسير إلى المـوت برجليـه . كما عـرفوا أنَّهم لن يستـطيعوا قتل أحد من جند العدو ، ذلـك أنَّه ليس هنـاك من منفذ ينفـذ من خلالـه السيف إلى جسم الخصم وفجـأة خـرج عـلي (عليـه الســلام) من بـين الصفـوف . في البدايـة وجه حـديثه إلى جنـوده ورجالـه ، وراح يتلو عـلى مسامعهم النصائح والإرشادات الضرورية . كما حرص على إشاعة جـو من التشجيـع والإثارة وشحـذ الهمم بينهم . ثم قال لهم مـا مفـاده : أريـد أنْ أؤكد لكم أنَّ جيش (الكتيبة) هذا الذي أعده معاوية ، ليس من القوة في شيء . ولا يحق لِأي واحد منكم أنْ يتزحزح من مكانـه . إذ إنَّني أستطيـع لوحدي أنْ أتصدى للوقوف في وجه هذا الجيش الجرار بأكمله . أكرر قولي إنَّه لا يحق لِأي كان أنْ يتزحزح من مكانه .

ثم أخذ الإمام (عليه السلام) السيف بيده وحمل على الأعداء الذين كـانوا قـد وقفوا في صفـوف مـتراصـة . وكـان كـل صف يتـألف من ألف جنـدي . . . إما أكـثر قليلاً أو أقـل قليلاً . وكـما أسلفنا ، فقـد كان هـذا الجيش مؤلفاً من خمسة وعشرين ألف جندي . ولا يستطيع القلم أَنْ يصف البركان الذي فجره علي (عليه السـلام) بوجـه هؤلاء ، عندمـا حمل سيف ذو الفقار وهبَّ إلى ساحة الوغى . فقد مزّق صفوفهم وفتك بهم . وعندما أسقط في يـدهم لاذوا بـالفـرار ، حيث عمـل عـلي (عليـه السـلام) عـلى مطاردة فلولهم المبعثرة . وقـد وصل بهم الأمـر إلى درجه أنَّ الفـرق الهاربـة باتت تذهب نحـو خيمة القيـادة التي كانت مقـراً لمعاويـة ، عند رؤيـة هذا

المنظر ، أصيب معاوية بالذهول . فقد كان يتوقع أنْ يذهب جيشه إلى ساحة المعركة ليقضي على قوات علي (عليه السلام) بأكملها ، ويعود إليه كما تعود الجيوش الفاتحة من الحرب زاهية معتزة . ولكن حساباته كانت خاطئة للغاية . فقد عاد إليه جيشه مهزوماً ، حيث خلّف وراءه عدداً كبيراً من القتلى والجرحى . بالإضافة إلى الفرق التي استطاعت أنْ تلوذ بالفرار ، فسلمت وعادت إليه تجر ذيول الخيبة .

صعق معاوية لهول المفاجأة ، فقال لهم : ويحكم .... من الذي فتك بكم بهذه الطريقة الفظيعة ؟... وهل كان جيش علي يزيدكم عدداً وعدة ؟... فأجاب الجميع : يا معاوية ... لم نشاهد أي أثر لجيش علي على الإطلاق . لم نشاهد حتى فرداً واحداً من عسكر علي . كنّا كلما نظرنا إلى الخلف ، نجد أنّ علياً يطاردنا . كنّا نرى أنّه يحمل سيف ذو الفقار في يده ، ويهجم علينا بعزم لا يلين . تيقن فقط من الحقيقة التالية : كل من سقط في ساحة المعركة ، قتل بسيف علي بن أبي طالب (عليه السلام) . كل من أصيب بسهم ما ، جرح بسهام علي (عليه السلام) . كل من أصيب بنبلةٍ ما ، جرح بنبال علي (عليه السلام) . قال معاوية : ولكن علياً لا يملك النبال !.... فأجابوه بقولهم : والله لم نعرف ماذا يجري حولنا ... تارة كان علي يحمل علينا بسيفه ... تارة أخرى كان يهاجمنا بنباله ... وأحياناً ، كان يفتك بنا بسهامه .... مرة كان يطارد هذا الصف ، ومرة أخرى كان يلاحق الصف الآخر .

في كل لحظة ، كان يقف عند رأس ألف إنسان محتضر :

في ذلك اليوم ، ظهر علي (عليه السلام) في آلاف الأمكنة . علي (عليه السلام) لديه روح واحدة فقط . ولكن هذه الروح هي النموذج المعبر عن الروح الكلية الإلهية . هي روح محيطة . لذا فهي تستطيع أنْ تتجلى في أي مكان يروق لها . وعلى حدّ قول العلامة المجلسي ، من الممكن أنْ يكون ألف إنسان في حالة الإحتضار ، في كل لحظة تمر . ومن الممكن أنْ يحضر علي (عليه السلام) عند رأس كل واحد من هؤلاء .

ومن نافل القول إنَّه يظهر من خلال البدن المثالي الذي يناسب روحه المحيطة .

بعد أنْ عرفنا أنَّ الله عز وجل قد منَّ على أمير المؤمنين بتلك الإحاطة العظيمة ، والقدرة الهائلة ، سوف تتوضح لنا الكثير من معالم إعجازاته ونعرف أنَّ انهماكه بمحاربة الصف الفلاني من جيش العدو ، لا يمنعه من منازلة صف آخر . ونعرف أنَّ انهماكه بضرب السيف ، لا يمنعه من التصدي لرشق الخصم بالسهام والنبال . ولا نملك أمام هذا الإعجاز إلا أنْ نقول عنه : (مظهر العجائب ومظهر الغرائب) . إذ إنَّنا لا نستطيع أنْ نتصور الإحاطة التي يتمتع بها (عليه السلام) . لا نستطيع أنْ نفهم كيف يحدث ذلك . أنا وأنت لا نخرج عن إطار النفوس الجزئية . أما علي (عليه السلام) ، فهو الذي يعبر عن النفس الكلية . هو الذي تصل مدى إحاطته إلى جميع العوالم ، بتوفيق وتسديد من الله سبحانه وتعالى .

في ليلة واحدة ، حلَّ علي (عليه السلام) ضيفاً على أربعين منزلاً . وتفيد الرواية بأنَّ جبرائيل قال للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : يا رسول الله . . . ليلة البارحة ، كان علي (عليه السلام) معنا في ذلك المكان . كما كان موجوداً في مكان آخر . هذه هي الإحاطة التي نتحدث عنها .

عندما سار علي (ع) خلف جنازته :

تفيد إحدى الأخبار التي أوردها المجلسي في (البحار) نقلاً عن (مشارق الأنوار) ، التالي ومفاده : قبل موعد أذان الصبح ، سار الموكب الذي حمل جنازة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) . عندما رفع الإمام الحسن (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) الجهة الخلفية من الجنازة ، لوحظ أنَّ المقدمة ارتفعت تلقائياً . وهذا يعني أنَّ جبرائيل وميكائيل قد حملا مقدمة الجنازة ، بينما تكفّل الحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) بإخراج مؤخرة التابوت من داخل

المنـزل . وعنـدمـا أرادت زينب وأم كلثـوم وسـائـر النسـوة التقـدم منعهنّ الحسين (عليه السلام) من ذلك ، وطلب منهن العودة إلى أماكنهن والـتزام السكينـة والهـدوء . وهنـا نستمر في الـرواية نقـلاً عن الإمـام الحسن (عليه السلام) نفسه . وتفيد بأنّ الحسن (عليه السـلام) قال مـا مفاده : عنـدما أصبحنـا على مقـربة من النجف ، إلتقينـا بفارس مقنـع شدني إليـه رائحة المسك التي كـانت تنبعث منه . وجّـه ذلك الفـارس ، حديثـه إليَّ ، وقـال ما مفـاده : هل أنت الحسن ؟ . . . هـل أنت السبط الأكـبر ؟ . . . . هل أنت وصي هذا الإمام ؟ . . .

فـأجاب الإمـام الحسن (عليه السـلام) بما مفـاده : نعم . . . هـذا صحيح . فقال الفارس ما مفاده : هل هذا الحسين ؟ . . . . هـل هذا أب الأئمة ؟ . . . فقال الحسن ما مفاده : أجل . . . هذا هو الحسين . . . هذا هو رضيع الحكمة . فقال ما مفاده : سلموني هذه الجنـازة واذهبوا في حـال سبيلكم .

فقال له الحسن (عليه السلام) ما مفاده : لا يحق لنـا أنْ نقدم عـلى ذلك . لقد أوصانا والدنا بـألاّ نسلّم جنازتـه لغير جـبرائيل والخضر . ومن تكون أنت يا ترى ، حتى نوافق على تسليمك جنازة والدنا ؟ . . . . عندهـا رفع ذلك الفارس القناع عن وجهـه ، يتابـع الحسن (عليه السـلام) سرد المـوضوع فيقـول ما مفـاده : حيث أصبنا بـالدهشـة . فقد عـرفنـا في تلك اللحظة أنّه أسد الله الغالب ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

عنـدئذٍ تفضـل سلام الله عليـه بالجملة التـالية ، ومفـادها : يـا أبـا محمد . . . أنا أحضر عنـد رأس كل إنسـان محتضر . ترى ، هـل يمكن أنْ أتغيّب عن جنازة نفسي ؟ . . . (١) .

---

(١) أنت الحسن بن علي رضيع الـوحي والتنزيـل ، وفطيم العلم والشرف الجليـل خليفة أمـير المؤمنين وسيـد الوصيـين . قال : نعم ، وهـذا الحسين إبن أمـيرالمؤمنين سبط الـرحمة ورضيـع العصمـة وربيب الحكمة ووالد الأئمة ، قال : نعم . (بحار الأنوار ، الجـزء التاسـع . نقلاً عن مشـارق الأنوار) .

حارث الهمداني الذي كان طاعناً في السن ، حاني الظهر ، ومريضاً بشدة ، تمكن من أنْ يتقدم ويقف بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) بصعوبة بالغة . وراح يعرب عن حزنه الشديد وحسرته البالغة لأنّه قد حرم في الآونة الأخيرة من رؤية جمال وجود أمير المؤمنين (عليه السلام) ، بسبب بعد الطريق والتقدم في السن .

فقال له الإمام ما معناه : يا حارث . . . (من يمت يرني) . أبشرك يا حارث لتعرفني عند المهات ، وعند الصراط ، وعند الحوض ، وعند المقاسمة .. قال الحارث وما المقاسمة . قال مقاسمة النار أقاسمها قسمة صحيحة أقول هذا وليّي فاتركيه وهذا عدوي فخذيه[1] .

قال السيد الحميري في هذا الصدد :

يا حارث همدان من يمت يرني	من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفني طرفه وأعرفه	بعينه واسمه ما عملا
وأنت على الصراط تعرفني	فلا تخف عثرة ولا زللا
أسقيك من بارد على ظمأ	تخاله من الحلاوة عسلا
أقول للنار حين توقف للعرض	دعيه لا تقبلي الرجلا
دعيه لا تقربيه إنّ له	حبلاً بحبل الوصل متصلا

أكتفي بهذا القدر من الحديث حول إحاطة علي (عليه السلام) . والآن أصف بقية مجريات دفن الأمير (عليه السلام) .

الأرواح الطيبة تشارك في مراسم دفن علي (ع) :

ما أنْ ضُرِبَ المعول على الأرض حتى ظهر أمام الأعين قبر جاهز ، لحد جاهز ، ولوحة جاهزة . وكان قد كتب على اللوحة ما مفاده : هذا هو القبر الذي أعدّه النبي نوح لأجل العبد الصالح ، الطاهر المطهر ، وصي

---

(١) سفينة البحار : ١/٢٤٠

محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) . وقد قام الإمام الحسن (عليه السلام) بنفسه بوضع الجسد الشريف داخل القبر . وتفيد الرواية الموجودة في مشارق الأنوار بأنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) كان قد أمر ولده الحسن (عليه السلام) من قبل ، بأنْ يصلي ركعتين لينظر بعد ذلك إلى ما يجري داخل القبر . وقد عمل الحسن (عليه السلام) بهذا الطلب حيث صلّى ركعتين ومن ثم ذهب إلى القبر ونظر إلى أعلاه ، ليجد هناك رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وآدم وإبراهيم . لقد أتى هؤلاء كي يباركوا لعلي (عليه السلام) حلوله في هذا المنزل الآمن . ومن ثم نظر إلى الأسفل فوجد أنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) قد أتت . . . وحواء قد أتت . . . ومريم بنت عمران قد أتت . . . وآسية قد أتت .

تأمل هذا الموقف . لقد أتى إلى العالم الآخر ، ذلك الشخص الذي خصص له أصل الجنة . كل هؤلاء الذين قد حضروا عند قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، هم صفوة أهل الجنة .

وبعد إتمام عملية الدفن ، عمد الحسن (عليه السلام) إلى إخفاء معالم قبر والده ، عملاً بوصية أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه .

كان علي (عليه السلام) يدرك جيداً أنّ هناك بعض الأشقياء الذين تفوق شقاوتهم شقاوة إبليس ، من أمثال بني أمية وأتباع مروان ، يضمرون له كل الشر والكراهية .

كان يعرف أنّه لو تسنّى لأولئك الأشقياء معرفة مكان قبره ، فإنهم لن يتورعوا عن نبش القبر لإخراج الجسد الطاهر منه ، تمهيداً لحرقه لا سمح الله .

لذا فقد أمر سلام الله عليه ولده الحسن (عليه السلام) مسبقاً بأنْ يخفي قبره . وعلى هذا الأساس ، عمد الحسن (عليه السلام) بعد عودته إلى الكوفة ، إلى تجهيز ثلاثة توابيت . وتفيد الرواية بأنّه قد صلّى على إحدى التوابيت ، حيث أخذت على أساس أنّ الجسد الطاهر سوف يدفن

في المنزل . كما أرسل تابوتاً آخر إلى منزل جعدة بن هبيرة ، على أساس أنَّ الدفن سوف يتم هناك . أما التابوت الثالث فقد أرسله إلى دهليز المسجد ، على أساس عملية الدفن سوف تتم هناك .

وهناك رواية أخرى تفيد بأنَّ الحسن (عليه السلام) قد عمد إلى تجهيز ثلاثة توابيت أخرى أيضاً . وتضيف بأنَّه قد أرسل التابوت الأول إلى بيت المقدس ، لكي يعتقد الجميع بأنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قد دفن هناك . وأرسل التابوت الثاني إلى المدينة المنورة . أما التابوت الثالث ، فقد أرسله إلى مكة المكرمة ، من أجل ذر الرماد في عيون الأعداء[1] .

وهكذا فقد احتمل الأعداء وجود القبر في كل الأمكنة التي ذكرت ، ولكنهم لم يضعوا في حسبانهم أبداً أنْ يكون في (النجف) ، أي على بعد فرسخ واحد من الكوفة . لذا فقد بقي ذلك القبر الشريف مصاناً ومحفوظاً ، وبعيداً عن متناول أيدي الأعداء . حتى إنَّ الأصدقاء لم يعرفوا مكانه في ذلك الوقت .

نشير هنا إلى أنَّ الإمام السجاد (عليه السلام) قد أتى عدة مرات بعد وقعة كربلاء إلى النجف ، حيث زار بصورة سرية مقام جده أمير المؤمنين (عليه السلام) . كما أنَّه قد دلّ بعض الخواص من أمثال أبو حمزة الثمالي (صاحب الدعاء المشهور) ، على موقع المرقد الشريف . وفيما بعد ، ذهب الإمام محمد الباقر (عليه السلام) عدة مرات من المدينة المنورة إلى النجف الأشرف،حيث زار مرقد علي (عليه السلام) ، وصلّى هناك وتلا بعض الأدعية السنية .كما دلّ بعض الأصحاب على موقع المقام الجليل . وبقي الحال هكذا إلى أنْ حل زمن الإمام الصادق (عليه السلام) الذي أعطى صفوان بعض الدراهم ، وأمره بأن يشتري بهذا المبلغ عدة حجارة ليضعها على قبر جده ، وقال له ما مفاده : لم يتسنّ حتى الآن تمييز القبر بأي أثر أو علامة فارقة ، من شدة كيد الأعداء .

---

(١) إرشاد القلوب : للديلمي .

فذهب صفوان وجهّز مجموعة من الحجارة حيث وضعها حول القبر ، فبات المرقد محاطا بما يشبه التلة الصغيرة . وكان القصد من وراء ذلك تشييد بناء يميز المقام ، لكي يصبح بالتالي دلالة على موقعه .

ومن الجدير بالذكر أنّه في حقبة الإمام الصادق (عليه السلام) ، توافد العديد من الأخيار والأبرار الشيعة أيضاً إلى النجف الأشرف ، للتشرف بزيارة المرقد المقدس .

قبر علي (ع) هو الملاذ الأمين :

نورد هنا قصة جرت وقائعها في زمن هارون الملعون . خرج هارون ذات مرة من (بغداد) في رحلة صيد . وعندما وصل إلى المنطقة الصحراوية التي تضم (النجف الأشرف) ، ظهر للعيان عدد كبير من الغزلان الشاردة . فما كان من هارون إلا أنْ أرسل كلاب الصيد وطيور الباز التي كانت تستخدم عادة في هذه الرحلات ، في أثر تلك الغزلان . إلّا أنّه لاحظ أنّ الكلاب وطيور الباز قد تركت الغزلان وشأنها . ذلك أنّ هذه الأخيرة قد ركضت بسرعة نحو التلة الصغيرة التي أتينا على ذكرها في الفقرة السابقة ، وإحتمت هناك . أي في المكان نفسه الذي يضم الآن قبر سيدنا ومولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) . تسلقت الغزلان تلك التلة واستلقت هناك من دون خوف ولا وجل . كلاب الصيد عادت إلى مواقعها . وطيور الباز التي لم توفق في مهمتها عادت هي الأخرى .

أصيب هارون بحيرة شديدة ، وأراد أنْ يعرف السرّ الكامن وراء هذه الحادثة الغريبة . إعتقد في البداية أنَّ المسألة ما هي إلا صدفة عابرة . بعد مرور فترة وجيزة ، شعرت الغزلان بالأمان مجدداً فنزلت مرة أخرى إلى ساحة لهوها . أراد هارون أنْ يجرب حظه للمرة الثانية . فأرسل كلاب الصيد وطيور الباز كي تلاحق الغزلان مجدداً . فما كان من هذه الأخيرة إلا أنْ لجأت إلى قبر علي (عليه السلام) ثانية واحتمت به .

نشير هنا إلى أنَّ الشيعة والسنة قد نقلا هذا الموضوع ، مما يدل على

تـوافق الروايـات بشأنـه . ونخص بالـذكر هنـا المؤرخ السني الشهير (إبن خلكان) . كما أنَّ غيره من أهل الثقـة عند السنـة قد نقلوا هـذا الموضـوع أيضاً .

وتضيف الروايات المنقـولة إنَّـه ما إنْ وضعت هـذه الغزلان وجـوهها عـلى تراب القـبر أي عندمـا أصبحت في حمى عـلي (عليـه السـلام) حتى عادت فجأة كـل كلاب الصيـد وطيور البـاز . عندئـذٍ إزدادت ثقة هـارون بفكرته الأولى التي حدثته عن سرٍ كامن في هذه المسألة . مرة أخرى شعرت الغزلان بتحررها من قيود الخطر ، فعادت تمشي على رسلها .

وللمـرة الثالثـة على التـوالي ، جرّب هـارون حظه في اصـطيادهـا ، ولكنه لم يحقق نتيجة أفضـل . عندهـا ذهب بنفسه ليتفحص مـوقع التلة ، علّه يعرف اللغز الذي يكتنف هذه المسألة ويدرك حقيقة ما يجري .

أراد أنْ يفهم سر هـذا الملاذ العجيب الـذي يحتمي بظله الجميـع ، حتى الحيوانات . ولهذه الغايـة طلب من بعض رجالـه أنْ يفتشوا في أرجـاء المنطقة، علّهم يعـثرون على عجـوز يخبرهم شيئـاً عن حقيقة هـذه البقعـة . ذهب الرجال لتنفيذ المهمة وشرعوا في البحث . بعد قليل ، لمحوا من بعيد خيمة صغيرة . تقدموا منها فوجدوا أنَّ رجلاً مسنـاً يسكن فيها ، فـأحضروه إلى هارون . قال له هارون : ماذا يوجد هنا ؟ . . . . أجاب العجوز : أنـا أعرف ماذا يوجد هنا . فقال له هارون : إذن أخبرني . فأجـاب العجوز : أخاف من ذلك . قال هارون : لقد منحتك الأمان . أريد أنْ أعـرف فقط طبيعة هذه البقعة . لا أريد شيئاً آخر .

فقال العجوز : كنت آتي دومـاً إلى هذا المكـان برفقـة والدي . وأبي كان يقول لي بأنّه قد اعتاد على المجيء إلى هنا برفقة الإمـام جعفر الصـادق (عليـه السلام) . وأنَّ هـذه البقعة التي تسـأل عنهـا الآن ، هي قـبر أمـير المؤمنين ، علي (عليه السلام) .

عند سماعه ذلك ، توضأ هارون وصلّى هناك . وأمر بعـد ذلك ببنـاء

غرفة مناسبة فوق قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، بصورة تليق بجلالة المقام . لذا يعتبر هارون أوّل شخص بادر إلى إعمار قبر علي (عليه السلام)[1] .

وبقي الوضع على حاله حتى حلول سنة ثلاثمئة للهجرة ، حيث أتى المغفور له المرحوم عضد الدولة الديلمي إلى النجف الأشرف ، وعمد إلى تشييد بناء مجلل فوق الضريح الطاهر . وبعد عضد الدولة ، وفق بعض السلاطين إلى المساهمة في إضافة معالم الأبّهة والفخامة إلى الضريح المقدس . ومن جملة هؤلاء السلاطين ، نذكر (نادر شاه) .

يا شيعة علي (عليه السلام) . . . لقد عرفتم الآن أنَّ قبر علي (عليه السلام) يعتبر بمثابة ملجأ وملاذ . حتى أنَّ كل حيوان يتمكن من الوصول إلى هناك ، يشعر بالسكينة والأمان .

ربّاه وفقنا برحمتك لكي ندفن في جوار علي (عليه السلام) . . . إجعلنا من الفئة التي تحتمي في ملاذ علي(عليه السلام) ، بلطفك وعنايتك . . . أينما كنّا ، إجعلنا في ظل حماه (عليه السلام) . وإذا لم نوفق لأنْ نكون بالقرب منه بأجسادنا هذه ، إسعد أرواحنا الولهانة بطيب جواره العطر . . . لا تدع صلة الوصل بيننا وبينه تنفرط أبداً . ما ألطف العبارة التي ذكرها المرحوم القمي في (المفاتيح) عندما قال : (أحمى من مجير الجراد) .

أحمى من مجير الجراد :

هذه العبارة تشكل مثلاً من أمثال العرب . وقد ذكرت في مجمع الأمثال . أما قصتها ، فتروى على النحو التالي :

كان هناك رجل عربي يعيش في خيمة داخل الصحراء . وذات يوم ، لاحظ قدوم سيل من الجراد باتجاه خيمته كما شاهد مجموعة من العرب

---

(١) فرحة الغري .

تطارد سيل الجراد ، بقصد الإمسـاك به تمهيـداً لِأكله . فما كـان من الجراد المسكين إلا أنْ هرب فزعاً ، والتفّ حول خيمة ذلك العربي . نظر صاحب الغيرة والشهامة هذا إلى جميع أطراف خيمته ، فرأى أنها قـد اكتظّت بسيـل الجراد الهارب . رأى أنَّ الجـراد قد التفّ حـول بعضه البعض . وأدرك أنَّ هذا السيل قد أصبح في داره وحماه . نظر إلى البعيـد فرأى أنَّ مجمـوعة من الرجال تتقدم نحوه . عرف أنَّ هؤلاء يريدون الإمساك بالجراد ، من خلال الوسائل التي كان بحوزتهم . فما كـان منه إلا أنْ أحضر سيفـه ، وترسـه ، وسهـامه ، ونبـاله ، ووقف خـارج خيمتـه ، حيث صرخ في وجـه أولئـك الرجال ، قائلاً : (لقد التجأ هذا الجراد إلى خيمتي . أي إنه قد أصبح في ظل حمايتي . وإذا سولّت لكم أنفسكم أنْ تمدوا أيديكم لتنالوا سيل الجـراد هذا بسوء ، فسـوف يكون ردّي عـلى ذلك عـبر ضربات السيف ورشقـات الرماح والنبال) .

عند سماع هذا التهديـد الصارم ، عـرف أولئك الـرجال إنَّ المسـألة جدية ، وأنَّ هـذا العربي سـوف يقرن القـول بالعمـل . لذا إحتكمـوا إلى العقل وأدركوا أنَّ المسألة لا تستحق أنْ تبذل في سبيلها الأرواح ، فانسحبوا وعادوا أدراجهم . وعلى أثر هذه الحـادثة ، بـات المثل يضرب بـين العرب بشهامة هذا الرجل وغيرته . واشتهرت عبارة (أحمى من مجير الجراد) .

منذ ذلك الوقت . وعندمـا كان العـرب يريـدون أنْ يشيدوا بـالغيرة الشـديدة التي يتحـلى بها أحـد الناس ، كـانوا يقـولـون إنّـه أحمى من مجـير الجراد .

ما ألطف البيان الذي عبّر عنه الحاج الشيخ عبـاس ، عندما قال ما مفاده : يا علي . . . لسنا أقل شأناً من الجراد . كما أنّ غيرتك وشهامتك لا يمكـن أنْ تقـارن بغيرة ذلـك العربي وشهـامته . إذن أغمـر بحنانـك سيل الجراد الذي قـد اجتمع في أطـراف قبرك الشريف الـطاهر . . . الـذي قد استأنس بمجاورة أمير المؤمنين (عليه السلام) .

الأنوار التي تنبعث من قبر علي (ع) لتضيء القبور التي تحيط بها :

ذات مرة ، رأى المرحوم ملا فتح علي الآخوند عبر إحدى المكاشفات ، أنَّ هناك أنوار متلألئة تنبعث من قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) . وأنَّ هذه الأنوار تسطع على القبور والبيوت وأماكن توافد القوافل والزوار . من المعلوم أنَّ هناك عدداً كبيراً من القبور المنتشرة في النجف الأشرف . ومن الملفت للنظر أنَّه قلّما يشاهد الإنسان بيوتاً تخلو من القبور ، على امتداد الأزقة والأحياء الداخلية . لذا فيمكن أنْ يشاهد الواحد منّا عند قيامه بزيارة النجف ، قبوراً موزعة ما بين البيوت والأحياء المختلفة ، وصولاً إلى وادي السلام . رأى الآخوند أنَّ هناك خيطاً متصلاً من النور ينبعث من قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ليسطع على بقية القبور . عندها تيقن من صحة المسألة .عرف أنَّ كل من يرقد في أطراف هذا المكان ، يشعر بالأمان والإطمئنان .

ينبغي أنْ نسأل الله سبحانه وتعالى دوماً ـ وخاصة في ليالي القدر الجليلة ـ أنْ يحقق لنا هذه الأمنية : ربّاه . . . تحنن علينا واجعل زيارة قبر علي (عليه السلام) والدفن الآمن في جواره ، من نصيبنا يا ربّ العالمين . نشير هنا إلى أنَّه إذا تمنى الإنسان حقاً نيل مطلب معين ، فسوف يحقق أمنيته في نهاية المطاف . إذا شعر الإنسان بحبّ عميق وتعلق شديد تجاه علي (عليه السلام) ، فتيقنوا أنَّه يستحيل أنْ يهمله علي (عليه السلام) وألاّ يلتفت لشأنه .

عندما يلتجىء أحد الناس إلى علي (عليه السلام) ، فهل يعقل يا ترى أنْ يتخلى عنه علي وألاّ يهتم بأمره ؟ . . . (ما هكذا الظن بك) . علي (عليه السلام) هو آية الله الكبرى . علي (عليه السلام) هو أعظم نموذج لأسماء الله عز وجل وصفاته . إذا آب أحد المذنبين إلى الله سبحانه وتعالى وتوجّه إليه ، فإنَّ الله لا يحرمه . إذا مدت إحدى الأيدي إليه جلّ جلاله ، فلن تعود خالية أو خائبة . صفات الكمال تستمد جذورها من الله عز وجل . أما ظهورها التام ، فيتجلى من خلال هذه الكوكبة التي تضم أربعة

عشر نوراً ساطعاً طاهراً مطهراً . أما سائر المؤمنين ، فيتحلى كل واحد منهم بهذه الصفات بدرجة تتناسب مع درجة اتّصاله الروحي بآل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) . ومن المعلوم أنَّ إحدى صفات الكمال التي يتصف بها الله ، هي الحياء .

اليد التي تمتد إلى الله عز وجل ، تعود غانمة :

إستناداً إلى إحدى الأخبار التي وردت في أصول الكافي ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) ذات مرة ما مفاده : عندما ترفع يديك نحو السماء من أجل الدعاء وطلب الحاجة . . . وفي اللحظة التي تريد خلالها أنْ تعيدهما إلى الأسفل ، إمسح وجهك وصدرك بهما . . . لماذا ؟ . . . . لأنَّ الله عز وجل يستحي أنْ يعيد اليد التي امتدت نحوه ، خالية .

عندما تمد يديك نحو الله عز وجل وتسأله العطاء . . . . ترى هل يحرمك ويردك خائباً ؟ . . . إلا إذا كان طلبك خارجاً عن إطار الجدية والحاجة الحقيقية . ولكن إذا مددت يدك نحو الله إنطلاقاً من الحاجة الواقعية ؟ والتعاسة ، والحيرة ، والإضطراب ، فيستحيل ألا يأخذ بيدك . . . . يستحيل أنْ يعيد يدك خالية خائبة . . . تيقن أنَّ يدك ستعود غانمة ، هانئة .

يحدونا الأمل أنْ يلتفت إلينا علي (عليه السلام) ، عند حلول ساعة الموت . إذ إنَّه خليفة الله الكريم الرحيم . ربّاه . . . دعْ علياً (عليه السلام) يهبّ لنجدتنا عند إطلاقنا لصرخات الإستغاثة . وعند وضعنا في حفرة القبر الموحشة ، دع أشعة نور علي (عليه السلام) تنطلق نحونا ، لتؤنس وحشتنا ووحدتنا . . . (أسألك الأمن والإيمان بك والتصديق بنبيّك) .

مرة أخرى ، أمر الحسين (ع) النساء بالتحلي بالصبر :

لقد ذكرنا في أحاديثنا السابقة أنَّه عندما خرج الموكب الذي كان

يحمل جنازة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، بدأت النساء بالبكاء ، والنحيب ، وإطلاق أنين الحزن . وعندما أرادت التقدم منعها الحسين (عليه السلام) من ذلك ، وقال لها ما مفاده : عودوا إلى أماكنكنَّ .... إلتزموا السكينة والهدوء .... تحلوا بالصبر .

وفي يوم عاشوراء ، عندما قام الحسين (عليه السلام) بإجراء الوداع الأخير ، أراد أنْ يخرج إلى ساحة الوغى . إلا أنَّ النساء تمسكن به ومنعنه من الخروج . فأمرهن بالعودة وقال لهنّ : (عليكن بالصبر) .... إصبروا ... دعكن من البكاء ... وأضاف سلام الله عليه : (إنَّ البكاء أمامكن) ... لا ينبغي البكاء في هذه اللحظة ... لأن العدو سوف يشمت بي عند رؤية ذلك .

«٢٢»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنَّ بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أنْ يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقّوا الله إنَّ الله تواب رحيم ﴾ .

الجهل ليس بعذر

سوف نحاول أنْ نتداول في هذا الفصل ، في تكملة هذه السورة المباركة التي تشتمل على عدد من الأحكام الفقهية . والملفت في الأحكام التي وردت في هذه الآيات ، أنَّها تعتبر من موارد الإبتلاء لدينا . لذا فيعتبر الإطلاع عليها ، والتقيد بها ، من الأمور الواجبة علينا . هذه الآيات الشريفة تعتبر بمثابة قانون يضبط سلوكنا وتصرفاتنا ، وليست مجرد نصيحة وموعظة . البعض مثلاً يطلق عليها إسم المحسنات الأخلاقية . نعلق نحن على هذه التسمية فنقول إنّها لا تقف عند هذا الحدّ ، بل تتعداه إلى مستوى يمكننا القول معه إنّها من أحكام الله عز وجل .

لذا يجب علينا جميعاً أنْ نتعرف عليها أولاً ، ونلتزم بها تالياً . إنَّها من الأحكام الفقهية الإسلامية التي لا يستطيع أحد أنْ يبرر جهله بها أبداً . فإذا حاول تبرير بعض مواقفه غداً في يوم القيامة والحساب بقوله :

(لم أكن أعـرف شيئاً عنهـا) ، فسـوف يجيبـه بـالقـول التـالي : (هـلاّ تعلمت) . بمعنى أنّـك لماذا لم تتعلم ؟. . . . إذن فهـو لا يستـطيـع تـبريـر مواقفه تحت عنـوان الجهل ، فـالجهل هنـا ليس عذراً . يـروى في (أصول الكافي) أنَّ الإمام الصـادق (عليه السـلام) قال ذات مـرة : « لوددت أنَّ أصحـابي ضربت رؤوسهم بـالسيـاط حتى يتفقهـوا »[1] . (ليتفقهـوا في الدين) . يا شيعة آل محمد (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) . . . . يجب أنْ تكونوا من الذين يعرفون المسائل الفقهية . . . من الذين يعرفون حلال الله وحرامه . . . من الذين يعرفون جيداً الأحكام الشرعية الخاصة بكـل موارد الإبتلاء لديهم . الإنسان الذي تتـوفر فيـه هذه الشروط ، يمكن أنْ نسميـه فقيهاً . أي الإنسان المطلع على أصول الدين وفروعه .

أردت من خـلال هذا العـرض السريع ، أنْ أبـينّ لكم مـدى أهميـة هـذه الأحكام كي تعتنـوا بها جيـداً . إذ إنّه يتـوجب علينا أنْ نـطلع عليها ونفهمها بصورة عميقة ، ومن ثم أنْ نطبقهـا من خلال العمـل والسلوك . والآن سوف ننصرف إلى شرح ما ورد في هذه الآية الشريفة .

لا تحملوا الأمور على محمل الفساد :

كـما أسلفنا فـإنَّ سوء الـظن يعني أنْ يرى الإنسـان عملاً ، أو قـولاً صادراً عن أحد المؤمنـين ، فيحملـه على محمـل الهدف السيِّء والفسـاد . ومن الأمثلة التي تبينّ سوء الظن عند الأفراد ، نذكر الحالة التالية :

يسمع أحـدهم كلمـة صـادرة عن شخص مـا ، فـلا يفهم معنـاهـا جيداً . . . لا يعرف إنْ كـان ذلك الشخص قـد شتمه ، أو جـامله بكلمة طيبة . عند ذلك يقول في نفسه فوراً : (لا بدّ أنَّه قـد شتمني) . وبذلـك يكون قد حمـل الأمر عـلى محمل الفسـاد . ولكنه لـو أحسن الظن . لكـان باستطاعته أنْ يقول التالي : ربما قد خيِّل لي أنَّ ذلك الشخص قد شتمني ،

(١) أصول الكافي : باب فرض العلم ، صفحة ٣١ .

إلّا أنّه لم يشتمني بالفعل . ربما أنّه قد جاملني بكلمةٍ طيبة لائقة .

لذا نقول أنّه طالما أنَّ الإنسان لم يتيقن من صوابية فكرته ونظرته . . . وطالما أنّ رأيه لا يزال مبنياً على كلمة (ربما) . . . فلا يحق له أنْ يحمل الأمور على محمل الفساد والسوء . حتى لو سمعت بأذنك أنّه قد شتمك ، فلا يحق لك أنْ تسيء الظن طالما أنّ هناك مجالاً لوجود كلمة (ربما) . ربما أنّه لم يتنبه للكلام الصادر عنه . . . ربما أنَّ الشتيمة قد خرجت من فمه بصورة لا إرادية . . . ربما أنني لم أسمع جيداً من المقصود بالشتيمة . . . . . إلى أي درجة يجب علينا أنْ نحسن الظن ؟ . . . إلى الدرجة التي يقول عنها الإمام (عليه السلام) : (كذّب سمعك وبصرك)[1] . حتى لو رأيت بعينك أنّ ذلك الشخص قد ارتكب عملاً مشيناً . . . حتى لو سمعت بأذنك أنَّ ذلك الشخص قد تفوه بكلمات غير لائقة . . وبعد ذلك أنكر ذلك الشخص ما تقوله وقال : لا . . . لم أرتكب ذلك العمل . . . لم أتفوه بتلك الكلمات . . . عندها يجب أنْ تتراجع عن موقفك وتقول : لقد أخطأت عيناي . . . لقد أخطأت أذناي . . . الإنسان معرض دوماً للوقوع في الخطأ . . . لقد خيّل لي أنّك أقدمت على ذلك .

من المعلوم أنّ الواحد منّا يخطىء في إبصاره أحياناً ، فيرى أشياء غير موجودة وظواهر غير حقيقية . لذا لا نستطيع قول العبارة التالية : (لقد رأيت ذلك بعيني هاتين) ، للدلالة على حدوث أمرٍ ما . إذ إنَّ الشيء الذي وقع عليه نظرك ، يجب أنْ يصل إلى منطقة الحس المشترك . وعندما تصل المسألة إلى منطقة الحسّ المشترك ، تصبح الروح هي وسيلة الإدراك . ومن الممكن أنْ يتسرب الخطأ إلى الروح أيضاً .

دائرة النار المشتعلة وحركة الأشجار :

سوف نضرب الآن مثلاً على خطأ الإبصار عند الإنسان . تصور

(١) سفينة البحار : ٢/١١ .

حركة النار المشتعلة في (الشعالة) إذا صحّ التعبير . عندما ينظر الإنسان إليها ، يخيل إليه أنّ هناك دائرة متصلة من النار أمامه . إلا أنَّ الحقيقة تفيد بأنّه ليس هناك أي دائرة . ليس هناك سوى (الشعالة) وقليل من الجمر المشتعل فيها . وبما أنّ (الشعالة) تنتقل بسرعة كبيرة من مكان إلى آخر ، يخيل للإنسان أنّ هناك دائرة متصلة من النار . ذلك أنّه ما تكاد هذه النقطة أنْ تغادر منطقة الحس المشترك ، حتى تصل النقطة التي تليها ، فتتمثل للعين وكأنها متصلة .

مثال آخر على خطأ الإبصار . عندما يصعد الواحد منّا في السيارة ، أو في القطار ، ماذا يلاحظ أثناء فترات السير ؟ . . . . إذا نظر من خلال الزجاج إلى الخارج ، يتراءى له أنّ الأرض تسير بسرعة كبيرة ، بينما كل من السيارة ، أو القطار ثابت في مكانه .

ومن البديهي أنّ هذه الظاهرة تدخل في نطاق خطأ الإبصار لدى عين الإنسان .

أردت من خلال عرض هذه الأمثلة ، أنْ أبينّ لك عدم صوابية هذا التساؤل : وهل يمكن لعين الإنسان أنْ تخطىء في عملية الإبصار ؟! . . . . الجواب على ذلك هو التالي : أجل ، يمكن ذلك .

لذا حتى لو رأيت بعينك أنّ المسألة الفلانية قد حصلت ، قل في نفسك ، التالي : ربما أني لم أتبينّ الأمر بوضوح تام . إذن طالما أنّ هناك مجالاً لورود كلمة (ربما) في المسألة ، لا يحق لأي كان أنْ يحمل الأمر على محمل الفساد . وكم من المرات يجد الواحد منّا نفسه خلالها خجلاً نادماً ؟ . . . . وذلك لأننا نتسرع أحياناً في إصدار أحكامنا ، ونحمل الأمور على محمل السوء . وبعد فترة تتوضح المسائل ، حيث ندرك إنّ حساباتنا كانت خاطئة ، بعد فوات الأوان .

لم يردّ عليك السلام لأنّه مصـاب بالصمم :

منذ سنين طويلة ، كنت أعرف رجـلاً محترمـاً طاعنـاً في السن . وبما أنّه كان عجـوزاً ، كنت أحرص عـلى إلقاء التحيـة والسلام عليـه إبتداءً . بعد فترة لاحـظت أنّه لا يـردّ التحية عـليّ . وبعد أنْ تكـررت هذه المسـألة عـدة مـرات ، حيث كنت ألقي عليـه السـلام إبتـداءً من دون سـماع أي جـواب ، عـزّ عـليّ ذلـك وقلت في نفسي : لمـاذا ينبغي لي أنْ أسلّم عـلى شخص لا يـردّ عليّ التحيـة ؟ . . . بعد مضي عـدة سنوات ، إنتقـل ذلـك الـرجـل المحـترم إلى رحمـة الله تعـالى . وذكـر البعض أمـامي في إحـدى المجـالس ، أنّ المرحـوم كان قـد أصيب بالصمم في السنـوات الأخـيرة من عمره . عندهـا عرفت الحقيقـة . بما أنني كنت أجهـل هذه المسـألة ، كنت أظن أنّـه يتعمد عـدم ردّ التحية عـليّ . الإحتمالات الممكنـة في مثـل هـذه الحـالات كثيرة . ربمـا أنّك قـد سلّمت عـلى الشخص المقصـود ، بصـوت هادىء للغاية أو ربما سمعه ثقيل للغاية . لا تقل مباشرة إنّـه لم يردّ التحيـة عليّ . لا تقل إنّني سلمت عليه ، لكنه لم يبادرني بالجـواب . إذا نظرت إلى هذه القضية بعمق وتـدبر ، فسـوف تجد أنّـه من الممكن أحيانـاً أنْ تقع في شرك المخـاطر ، والتهم ، والإفـتراءات ، بسبب عـدم الإلتفـات إلى هـذه الأحكام وعدم رعايتها . والويل إذا كان الطرف المعني ، من أوليـاء الله عز وجل وأحبّائه . الويل لمن يلصق تهمة بأحد أوليـاء الله عز وجـل . عندهـا تصبح المسألة في غايـة الخطورة . لا يستـطيع أحـد التكهن بالمصـير الأسود الذي ينتظر هذا المفتري وأمثاله . كل هذه العواقب الوخيمة تحل عليه على أثر سوء الظن ، بالإضافة إلى ما يتبعه من استغابة تطال عباد الله .

إساءة الظن بولي الله عز وجل ، هي من الأمور الخطيرة :

ننقل في هذا الباب القصة التـالية : يـروى أنّه كـان هناك في مـدينة مشهد (خراسـان) المقدسـة ، تاجـر متدين عقـد النية عـلى زيارة بيت الله الحرام ، من أجل أداء مراسم الحج الـواجبة عليـه . وكما تعلمـون جيداً ،

فقد كان السفر إلى مكة المكرمة يستغرق في الماضي شهوراً عدة . فراح ذلك التاجر الملتزم يبحث عن شخص موثوق لكي يوكل إليه جميع شؤونه ، أثناء فترة غيابه . كان يريد أنّ يسلمه شؤون تجارته ، بيته ، عائلته ، وحياته بصورة عامة . فقصد لهذه الغاية أحد كبار التجار في (مشهد) . وكان هذا الأخير قد اشتهر بإيمانه وتقواه وصدقه واستقامته ، إلى درجة أنّه بات مضرب المثل بين سكان (مشهد) ، لذيوع صيته في مجالات الورع والأمانة وحسن السيرة . قصده وقال له : أريد الذهاب إلى الحج ، فهل أنت مستعد لمساعدتي ؟ . . . . فقال له التاجر الكبير : على الرحب والسعة . عندها سلّمه مفاتيح متجره وخزنته وقال له : إنّني أوكل لك شؤون عائلتي أيضا ، في فترة غيابي . أرجو منك أنْ تعرج على منزلي مرة واحدة في كل يوم . كما أرجو منك أنْ تسلم أهل المنزل كل ما يحتاجون إليه من مال . وإذا صادفتهم بعض المتاعب أو المشاكل ، ساعدهم على حلّها .

وافق الرجل الأمين على كل هذه الطلبات . بعد مضي فترة من الزمن ، أتى هذا الرجل المقدس ذات يوم إلى منزل صديقه الغائب كالمعتاد . وصادف أنَّ باب المنزل كان مشرعاً في ذلك اليوم بالذات . بينما كان الرجل يسير باتّجاه المنزل ، وصل إلى الجهة التي تشرف على الباب الخارجي ، أي النقطة التي تكشف ما بداخل البيت . وفي هذه الأثناء مرت زوجة التاجر الغائب من أمام الباب ، وهي في وضع لا يستر مواضع الجمال والفتنة لديها . عندها شاهد الرجل الأمين تلك المرأة وهي في الحالة التي ذكرناها . وبما أنَّ ما تبصره العين من جمال يتسرب أثره إلى النفس ، قلبت هذه النظرة كيان التاجر الأمين . وفي بعض الأحيان ، يتمكن الشيطان الرجيم من أنْ يصور لنا الأمور كأجمل ما يمكن أنْ تكون عليه . نستجير بالله العظيم من هذه المواقف .

وخلاصة القول أنَّ التاجر الأمين وجد نفسه بين نارين . فمن ناحية ، شدّته أهواؤه النفسية إلى امرأة محصنة . ومن ناحية أخرى ، هناك

سمعته التي باتت مهددة بالخطر . فبغضّ النظر عن الآخرة ، وجليل وقوع المكاره فيها ، وعذاب الله الأليم ، فقد أصبحت سمعته الحسنة في خطر شديد . فبعد أنْ عاش سنيناً طويلة من حياته ضمن خط التقوى والصلاح ، كيف يمكن له أنْ يعشق امرأة محصنة ؟ . . . . أي فضيحة ستحلّ عليه ؟ . . . لن يستطيع بعدها أنْ يبقى في مشهد ليمارس أعماله وتجارته شامخ الرأس كما في السابق . وهكذا وجد نفسه محاصراً بين نارين . وكما تفيد الرواية ، لاذ التاجر الأمين بمقام الإمام الرضا (عليه السلام) وهو في حالة مؤسفة من البؤس والحزن ، علّه يستطيع من خلال ذلك أنْ يطرد عشق تلك المرأة من قلبه . ربّاه . . . أطرد هذا العشق الشيطاني من قلبي . . . أرحني من هذا العذاب . . . ما العمل يا إلهي ؟ . . .

بعد التوسلات ، والأدعية ، والأحزان التي بثّها في الليل ، قيل له في المنام ، التالي : يجب أنْ تذهب إلى المدينة الفلانية ـ أعتقد أنَّ المدينة المقصودة كانت مدينة الري ـ . إذهب إلى الشارع الفلاني لتجد شيخاً بهذه المواصفات . هذا الشيخ هو الذي سيحل مشكلتك الصعبة .

ذهب التاجر الأمين إلى المدينة المعنية . وراح يسأل الناس عن أحوال هذا الشيخ ومكانته . فلاحظ أنَّ الجميع راحوا يتناولونه بالسوء ، ويلصقون به أشنع العيوب والتهم الفظيعة . ومن جملة ما سمعه من الناس الذين سألهم : أيّها التاجر الأمين ، أنت رجل محترم وموقّر . . . لقد أتيت من مشهد إلى هنا وتكبدت مشاق السفر لكي تقابل هذا الرجل ؟! . . . أتدري أنَّ هذا الشيخ ليس مسلماً ؟ . . . أتدري أنَّه أرمني ؟ . . . أنَّه كافر ؟ . . . ألا تدري أنّه يسكن بين الأرمن ؟ . . . ومن ناحية أخرى ، إنَّه مُدمن على الشراب . . . فأنت ترى أنَّ أوعية الشراب موجودة دائماً أمامه . . . . هذا بالإضافة إلى أنَّه يعاشر الصبيان . . . . . فأنت ترى أنَّ هناك صبياً يجلس إلى جانبه على الدوام .

وهكذا وجّهوا إلى ذلك الشيخ المسكين أبشع أنواع التهم . عند

سماع كل هـذه المقولات ، أصيب التـاجر الأمـين بحيرة شـديدة . فهـو قد غادر مدينته (مشهد) وأتى مدينة (الري) بشق الأنفس ، على أمل أنْ يجد ضـالته عنـد الشيخ المـوقر . . . فكـانت النتيجة أنّـه سمع هـذه الأحاديث المخيبة للآمـال . وبعد تفكـير طويـل أخذ عنـوان منزلـه ، فذهب إلى حي الأرمن حيث استدلّ على منزل الشيخ . دخـل إلى االمنزل فـوجد أنّ هنـاك شيخاً يلبس عمامـة على رأسـه . ووجد أيضـاً قنينة وضعت أمـامه . وكـان المنـظر يوحي بـأنّ وسائـل الشراب مهيأة في مجلس هـذا الشيخ . كما لفت نظره صبي كان يجلس بـالقرب من الشيـخ . وجّه حـديثه إلى الشيـخ وقال لـه : هـل لـك يـا سـماحـة الشيـخ أنْ تخـبرني أولاً عن الـدين الـذي تعتنقه ؟ . . . .

فأجابه الشيخ المسكين بقولـه : قسماً بـالله إنّني مسلم . . . لا إله إلا الله . . . محمـد (صلّى الله عليـه وآله وسلم) رسـول الله . فقـال التـاجـر الأمـين : بما أنّـك إنسان مسلم . . . وبمـا أنّك عـالم عارف ، فقـد دلّـوني عليـك لكي تساعـدني على حـل المشكلة التي أعاني منهـا منذ مـدة . والآن عندما وصلت إليك ، أرى أنّ هناك مشاكل إضـافية قـد استجدّت . هـل تسمح بحل هـذه المشاكـل الطارئـة أولاً ؟ . . . . أجابـه الشيخ : هـاتِ ما عندك .

فقـال التاجـر : طالمـا أنّك عـالم عارف مسلم ، لمـاذا تعيش في حي الأرمن ؟ . . . ولأي سبب تضع قنينة الشراب في بيتـك ؟ . . . وماذا يفعـل هذا الصبي في بيتك ؟ . . . .

فأجابه الشيخ : وأمـا الجواب فهـو التالي . . . أقسم لـك يا سيـدي بأنّني لم آت لأسكن بين الأرمن . هذا المنزل الـذي تراني أسكن فيـه ، هو منزل آبائي وأجدادي . هذا المكـان كان حي المسلمـين من قبل . وعنـدما اشترى أحد أجدادي هذا المنـزل ، سكن فيه عـلى أساس أنّـه يقع في حي المسلمـين . ومع مـرور الأيام ، بـدأ الأرمن بالتـوافـد إلى هـذه المنـطقـة . وراحوا يشترون بيوت المسلمين رويداً رويداً حتى باتت المنطقـة تعرف الآن

بحي الأرمن . ، إلا أنّني رفضت أنْ أبيع منزلي إلى الأرمن وبقيت هنا . هل يعني ذلك أنّني أصبحت واحداً منهم ؟ . . . .

فقال التاجر مستغرباً : يا لقلة حياء هؤلاء الناس . . . ما هذه الأقوال التي يتفوهون بها ؟ . . . أي سوء ظن هذا الذي يبادرون إليه ؟

تابع الشيخ الوقور حديثه قائلاً : وأما عن محتوى هذه القنينة ، فاقترح عليك أنْ تشرب قليلاً من هذا السائل كي تعرف ما هو بنفسك . فسكب التاجر قليلاً من السائل في الكوب ، وأضاف إليه مقداراً من الماء وشرب . عند ذلك قال : هذا عصير البرتقال .

فتابع الشيخ حديثه قائلاً : أما هذا الصبي الذي يقيم في منزلي ، فهو إبن أخي . لقد توفي أخي منذ مدة . ومنذ لحظة وفاته ، تكفلت بتربية إبنه هذا في بيتي . لذا فقد أبقيته إلى جانبي للسهر عليه .

فقال التاجر عندها : يا سماحة الشيخ . . . طالما أنَّ أعمالك كلها خيرة وجيدة ، وإنسانية ، إحرص على أنْ تحسن ظاهرك كي تعطي انطباعاً معبراً عن شخصيتك الحقيقية . وذلك كي تتحاشى ألسنة الناس وأحاديثهم اللاذعة . ينبغي لك أنْ تغادر هذا الحي إلى مكان آخر ، بالإضافة إلى إجراء تغيير جذري على ظاهر أوضاعك . وعندها لن يتناولك أي إنسان بسوء .

وما أنْ أنهى التاجر جملته هذه ، حتى بادره الشيخ بالقول : أنا لا أريد أنْ أُحسّن وضعي الظاهريٍ أمام عيون الآخرين . وذلك كي لا يعتبرني الناس من الأخيار . لأنهم إذا اعتبروني كذلك ، فمن الممكن عندئذٍ أنْ يوكلني أحدهم بشؤون بيته وعائلته أثناء فترة سفره . وعندها من الممكن أنْ يتلاعب الشيطان بي ، فيتسرب هوى زوجة موكلي إلى نفسي . وعندئذٍ سوف أجد نفسي مضطراً لقطع مسافات طويلة ، لأجد الشخص الذي يمكنه إنقاذي من الورطة التي ابتليت بها .

وكانت لكلماتـه هذه وقع الصدمة المزلزلة على كيـان التاجـر الأمين .
فقبـل أنْ يستمع إلى قصـة التـاجـر ، إستـطاع الشيـخ أنْ يلفت نـظره إلى المخـاطر التي ينـطوي عليهـا حسن المـظهـر . وفي الجلسـة نفسهـا ، تمكن الشيخ من أنْ يؤثر على وضعية التاجر الأمين بعمق . كما استطاع أنْ يحدث تغييراً جذرياً في حالته النفسية . وبذلك أصبح التاجر الأمين جاهزاً نفسيـاً ومعنوياً لطلب التوبة والمغفرة . . . . أصبح جاهزاً للإنـابة . . . حيث عـاد إلى مدينته طاهراً تائباً عفيفاً .

حقيقة الإستغابة والأعذار الواهية :

نتحـدث في هـذا البـاب عن حكم آخـر . ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ . ترى ، ما هو مفهوم الإستغابة بالضبط ؟ . . . (ذكرك أخاك بما يسـوؤه) . أي أنْ تتحدث عن عيـوب أحد النـاس أثناء غيـابـه . أي أنْ تتحدث عنه بطريقة لا يـرضى عنها بتـاتاً . لا أنْ تلصق بـه بعض التهم . هناك أسلوب متداول في أوساط بعض العوام ، للتعامل مع هذه المسـألة . إذ إنَّهم عندما يريدون ذكر عيوب أحد الناس ، أي عندما يريدون استغـابة شخصٍ مـا . . . فإنَّهم يقـولون التـالي : لا أريـد أنْ أستغيبـه . أريـد أنْ أتحدث عن صفاته فقط .

يـا للعجب ألا تدري أنَّـك إذا ذكـرت عيـوبـاً ليست مـوجـودة فيـه واقعاً ، دخل قولك في باب التهمة ؟ . . . . لتحل لعنة الله عليـك إنْ كنت قد اتَّهمته بما ليس فيه . عندها تصبح المسألة في غاية الهول والخـطورة . أو إنَّهم يقـولـون التـالي : (هـذا الكـلام ليس من عنـدي . الكـل يحدِّث بذلك) . وإن يكن . . . الكل مخطيء مثلك تماماً .

الحقيقة إنَّ الإستغابة هي من المعاصي التي لا تهيِّىء أيّ لذة . إلا أنَّ عواقبها وخيمـة إلى درجة لا يمكن لـك أنْ تتصورهـا . إلى حد أنَّ إحـدى الروايات تفيد بأنَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قـال ذات مرة : « الغيبة أشدّ من الزنا » . من الممكن أنْ تتعجب عند سماع هـذا الكلام .

إذ إنَّ الزنا يهيِّىء للإنسان لذة جسدية ملحوظة . أما الإستغابة ، فلا تزوده بأي لذة تذكر . مع ذلك نجد أنَّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول : « الغيبة أشد من الزنا » . سأل البعض رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : لماذا الغيبة هي أشد من الزنا يا ترى ؟ . . . . أجاب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بقوله : « لأنَّ الرجل يزني ويتوب ثم يتوب الله عليه . والمغتاب يتوب ولا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه »[1] .

لذا فأنَّ الغيبة هي أشد من الزنا . إذ أنَّ المسألة هنا ترتبط بطرفين . أما في مسألة الزنا ، فالطرف الذي يجب أنْ تستعطفه هو الله عز وجل . بينما عرفنا أنَّه عند حدوث الإستغابة ، يجب أنْ تتوجه إلى الله سبحانه وتعالى من جهة ، وإلى الشخص المسكين الذي استغبته من جهة أخرى . إذ إنّك طالما لم تعتذر من ذلك المسكين ، وطالما أنّه لم يسامحك، ولم يرض عنك ، فلن يُغفَرَ لك . وإذا أراد أحد الناس أنْ يتوب عن غيبة اغتاب بها إنساناً ما ، بعد أنْ عرف أنَّ كلامه قد تناهى إلى سمع ذلك الإنسان حيث آلمه وأحزنه ، فلا حلّ أمامه إلا أنْ يقصده ، ويعتذر منه ، ويحاول أنْ يداوي الجرح الذي أحدثه في قلبه .

وفي مجال استعراض كفارة الإستغابة ، نقول التالي . إذا استغاب أحد الناس فرداً من المسلمين . . . . إذا بادر إلى ذكر عيوب أحد المؤمنين . . . ومن ثم أراد أنْ يعود عن ذنبه ويتوب ، فأمامه أحد هذين الحلين . إذا كان كلامه قد تناهى إلى سمع ذلك الإنسان ، فلا يملك إلا أنْ يذهب إليه ويعتذر منه . أي أنْ يحاول مداواة جرحه ، واسترضائه ، وطلب السماح منه ، كي يعوض عن الإساءة التي ألحقها به . أما إذا كان ذلك الإنسان يجهل الكلام الذي قيل بحقه ، فمن الأفضل ألا يطلعه على مضمون حديثه . لأنّه إذا ذهب إليه وقال له : (لقد بادرت منذ عدة أيام

---

(١) بحار الأنوار : ١٦/١٨٧ .

إلى استغـابتـك . أرجـو أنْ تسامحني وتغفـر لي مـا بـدر مني من إساءة تجاهك) ، فـإنَّ القضية ستزداد سوءًا وتعقيـداً . لأنَّ هذا الكـلام سيكون بمثـابة الـزيت الذي يصبّ عـلى النار ، فيلهب آلام الشخص المعني . لـذا فمن الأفضل له في هذه الحالـة أنْ يتوب إلى الله عـز وجل ، وأنْ يبـادر إلى إصلاح الخطأ الذي ارتكبه . أي أنْ يقول في المجلس نفسه الذي استغاب من خلاله ذلك الإنسان ، التالي: (لقد كنت مخطئاً في كـلامي السابق) . وأن يقول لكل شخص استغاب أمامه الطرف المعني ، التـالي : (لقد كنت مخـطئاً في حـديثي . الأمر ليس كـذلك) وأنْ يعكس كـلامه . وذلـك بأنْ يعدد حسنات الشخص المعني ومناقبه .

إذن فـالتـوبـة عن الكـلام السيِّء المشـين عن الأفـراد ، تستـدعي ذكرهم بكل خـير وحسن . إنْ كان أحـدكم قد تنـاول أحد النـاس بكلمة سيئة ، أثناء غيابه ، فليبـادر إلى قلب الصورة فيـما بعد . أي أنْ يبـادر إلى ذكر فضائله وحسناته . هذا بالإضافة إلى التضرع والإستغفـار . أردت من خلال هذا الحديث أنْ أبينّ مدى خطورة هذه المعصية ، أي الغيبـة . ومن الجـدير بـالـذكـر أنَّ إحـدى الآيـات الأخـرى ، تؤكـد عـلى خـطورة هـذا الموضوع : ﴿ إنَّ الذين يحبّون أنْ تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ﴾[1] .

كـما أنَّ التطرق إلى هـذه الأحكام ، والتـذكير بهـا ، يعتبر من صلب مهمات العالم والواعظ ، فإنه يتوجب عـلى المستمع أنْ ينصت بكـل حواسـه إلى الحديث الذي يلقى ، وأنْ يسعى لفهم أحكام الله عز وجـل؛ . الويـل لمن يحب أنْ يفضـح الأعمال القبيحـة ، ويعلنها عـلى الملأ . المسـألة تـأخـذ الطابع التالي . الأول يحدث الثاني بالموضوع الفلاني . فيبادر الثاني إلى نقل الحديث في مجلس يضـم العديد من الأشخاص . وبعد مضي فترة وجيزة من الزمن ، نجد أنَّ هذا الموضوع بات على كل شفـة ولسان . عنـدها نسمـع

---

(١) سورة النور : الآية ١٩ .

أحدهم يقول : (المدينة كلها تضج بهذا الحديث) . وهنا نتساءل : (من هو الذي أطلق شرارة هذه الأحاديث ؟ . . . .) . الجواب على ذلك سهلٌ ويسير : (عدد من النساء اللواتي إعتدن على الثرثرة) . وإذا دققنا نجد أنَّ المصدر الذي استمدت منه هذه النسوة أحاديثهن ، ما هو إلا امرأة جاهلة أخرى ، ارتكبت حماقة ، وتفوهت بهذه الأقوال السخيفة . عندها تسمع القول التالي : (المدينة كلها تضج بهذا الحديث) .

إنَّ الشخص الذي يساعد على إشاعة جو المفاسد ، وعلى شيوع الفواحش والذنوب ، والمعاصي بين الناس ، بحيث تصبح علنية ، يستحق أنْ يلقى في نار جهنم ، وبئس المصير . حتى لو شاهدت بعينك حدوث بعض الذنوب ، يجب عليك أنْ تسعى لطمسها وإسدال الستار عليها . لا يحق لك أنْ تحدث غيرك من الناس بها . لتحل لعنة الله على كل من يبادر إلى التحدث عن الفواحش التي يراها بعينه . يقول الإمام الصادق (عليه السلام) في هذا المجال : « من قال في مؤمن ما رأته عيناه ، وسمعته أذناه فهو من الذين يحبون أنْ تشيع الفاحشة ولهم عذاب أليم »[1] .

الخروج من ولاية الله عز وجل :

هناك خبر في (أصول الكافي) يفيد بأنَّ الإمام الصادق (عليه السلام) قال ذات مرة : « من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه ، وهدم مروءته ليسقطه من أعين الناس ، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان ، فلا يقبله ، الشيطان »[2] .

الولاية هنا تعني الإشراف ، اللطف ، المحبة ، المساعدة ، وعدم ترك الإنسان وشأنه . أي أنَّ الله عز وجل يطرده من دائرة ولايته ومحبته ومساعدته . أي أنَّ الطرف المعني قد سقط في هوة سحيقة من الحقارة

(١) أصول الكافي : باب الغيبة ، صفحة ٣٥٧ .

(٢) أصول الكافي : باب الرواية على المؤمن ، صفحة ٣٥٨ .

والـدناءة والسفـالة ، بحيث أنّ الشيـطان الرجيم لا يهتم بـه ، ولا يقبله . وبما أنّه ليس مقيداً بأي ضوابط ، أو روادع ، فـإنّ الشيطان لا يهتم بشأنـه قيد أنملة . إذ إنّه يمثل الإنسان الـذي يتحدث دومـاً عن كل مـا رأته عينـاه وسمعتـه أذناه . كـل همه ينحصر في تقـديم صورة مشـوهة وممسـوخـة عن الشخص الذي يريد الإساءة إليه . هناك آية شريفة أخـرى تقول : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم ، إنّ السمع ، والبصر ، والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولا** ﴾[1] .

يا أيها الذين تتحدثـون عن كل شيء حيث تجـري ألسنتكم من دون رادع ولا واعـز . . . يا أيهـا الذين تـدعون سـوء الظن والأفكـار السـوداء تتسرب إلى أنفسكم وجوارحكم . . . كل ذلك سوف تسـألون عنـه في يوم الحساب ، عندما تجزي كل نفس بما عملت .

وهناك آية شريفة أخرى تقول : ﴿ **ويل لكـل همزة لمزة** ﴾[2] . قيل في تفسير كلمة الويل ، إنّها بئر في جهنم . تُرى ، من هو الذي يستحق أنْ يرمى به في ذلـك البئر المهـول ؟ . . . كـل إنسان حقـير يسعى للبحث عن مساوىء الآخرين وعيوبهم . وكل مغتـاب لا يتورع عن الحـديث عن تلك المساوىء والعيوب . هذا الإنسان أشبه ما يكون بالذباب الذي يحوم حـول أي جثة ملقاة أمامه . يحوم حولهـا ، ويفتش في كل زوايـاها . . . من قمـة الـرأس إلى أخمص القدمـين ، علّه يجد بعضٍ النقـاط النـازفـة لكي يستقـر عليها ، ويبدأ بمصهـا ونهشها . كـذلك فـإنّ هذا الإنسـان الحقير ينـظر إلى شخصية نظيره الإنسان ، فلا يرى أي نقطة من النقـاط الإيجابيـة العديـدة التي يتمتع بها . أمـا إذا وقف على عيب ، أو نقص ، أو تصرف لا يـوافق طبعة ، ومزاجه ، عند الطرف الآخر ، فإنّه يتشبث به ، ولا يرى أي شيء سواه . أي إنّه يغض النظر عن كل المحاسن التي يتمتع بهـا . ومن الممكن

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

(٢) سورة الهمزة : الآية ١ .

جداً ألّا يكون العيب الذي اكتشفه في ذلك الإنسان المسكين ، سوى مسألة عادية ، بعيدة كل البعد عن مفهوم العيب الحقيقي . إلا أنَّ نفسه المريضة هي التي تصور له هذه الأوهام والتفاهات .

عندما يصبح الخال الذي يزين الخد عيباً من العيوب :

من المعلوم أنَّ علم الحكمة كان رائجاً ومنتشراً إلى حدّ كبير في الهند كما في اليونان ، خلال العهود والأزمنة الغابرة . ومن وحي تلك الحكمة نروي القصة التالية عن إحدى مدن الهند . . .

تقول القصة إنّه كان هناك تمثالان كبيران عند بوابة تلك المدينة . وأحد هذين التمثالين كان في منتهى الرقة والحسن والجمال ، إلى درجة أنَّ كل مقاييس الجمال والأناقة والذوق ، كانت قد كرّست له . ومن جملة المحسنات التي كانت قد أضيفت إلى وجهه الجميل الأخاذ ، نذكر الخال الأسود الرائع الذي كان قد وضع على خده الأيمن . وفي قبالة هذا التمثال الفخم الذي تميّز بجمال الوجه والجسم على حدٍ سواء ، كان قد وضع التمثال الآخر الذي كان يصور عملاقاً في غاية الدمامة والبشاعة . وبعكس التمثال السابق ، فقد جمعت كل المواصفات التي تنضح بالبشاعة والشناعة من حيث الشكل ، والقامة ، واللون ، وأضيفت إلى هيئة هذا المارد المهول . ومن أجل المبالغة في إبراز معالم البشاعة عند التمثال العملاق ، ركب على رأسه قرنان عجيبان ، حيث بدا منظره حينها كمنظر وحيد القرن لجهة دمامة الشكل .

بعد مضي فترة على تجاورهما ، رفع التمثال العملاق إصبعه وأشار إلى التمثال الأول الذي جسّد نموذج الجمال والحسن ، ووجّه حديثه إليه قائلاً بلسان حاله : الحقيقة إنَّك في غاية البشاعة . أنظر إلى خالك البشع هذا . ألا ترى سواد لونه ؟ . . . .

ومن وحي هذه القصة ، كتب البعض إنَّ هذا هو وضع البشر على امتداد القرون والعصور . عجباً . . . إنّه لا يلتفت إلى القرنين العجيبين

الموجودين على رأسه ، . . . ولا يلتفت إلى كل مظاهر الجمال التي يتمتع بها وجه ذلك التمثال . . . لا يرى إلا الخال الأسود الموجود على وجه التمثال الأول . . . . وذلك بالرغم من أنّ الخال نفسه هو من مميزات الجمال الأساسية . إلا أنَّ النفسية المريضة هي التي تصوره كعيب أو نقص .

ينبغي أنْ تنظر إلى القرن الموجود على رأسك . طالما أنك تنبش عيوب الآخرين ، وتبحث عنها ، ينبغي أنْ تلتفت إلى العيوب التي تشوبك أنت أيضاً . يجب أنْ تكون عادلاً منصفاً . إنْ كنت قد اكتشفت عيبين أو ثلاثة عيوب لدى الطرف الآخر ، فلا بدّ أنك ستكتشف عشرات العيوب المعشعشة داخل نفسك ، إنْ كنت صادقاً ، ومتجرداً في نظرتك إلى الأمور .

ولكن من هو الذي يريد أنْ يلتفت إلى عيوبه ومساوئه حقاً ؟ . . . . إذ إنَّ جميع الناس يحسنون الظن بأنفسهم على طول الخط (حب الشيء يعمي ويصم) . لنفرض أنَّ أحدهم أراد أنْ يتحدث عن عيوب إنسانٍ ما تراه يقول : أجل . . . إنَّ زيداً من الناس هو ناكر للجميل . . . إنّه لا يتمتع أبداً بالشهامة والوفاء . . . إنّه لا يقدر حق الصداقة والصحبة والخبز والملح . . .

عندئذٍ نسأله السؤال التالي : هل كنت أنْتَ من الذين قدروا الله عز وجل حق قدره ؟ . . . هل مثلت عرفان الجميل من خلال أعمالك وتصرفاتك التي يراها الله عز وجل ؟ . . . .

اين العرفان بالجميل تجاه محبة الله عز وجل ؟ . .

ذات يوم قصد تاجر منزل العلاّمة المجلسي ، وكان من محبيه ، ومقلديه ، وقال له : سيدي . . . هناك مشكلة صعبة أريد أنْ أعرضها عليك . أرسل لي بعض أوباش (إصفهان) خبراً ومفاده أنّهم يريدون أنْ يسهروا الليل في منزلي ، فكّرت في التهرّب من هذه المسألة ، ولكنني لا أقدر على ذلك ، لِأنّ هؤلاء الأوباش لهم صلات وثيقة بأجهزة الدولة ،

أي إنّهم سوف ينكدون عيشي . وإذا أتوا فعلاً إلى منزلي هذه الليلة ، يجب علي أنْ أهيّىء لهم كل وسائل اللهو ، واللعب ، والمزاح . ترى كيف يمكنني معالجة هذه المشكلة ؟ . . .

أجابه المرحوم العلاّمة المجلسي ـ أعلى الله مقامه ـ بما مفاده : هوّن عليك ! سوف آتي هذه الليلة إلى منزلك ، في أوّل السهرة . وآمل أنْ تنتهي المسألة على خير .

عند حلول الغروب ، أدّى العلامة المجلسي صلاتَيْ المغرب والعشاء ، وذهب إلى منزل ذلك التاجر ، قبل قدوم ضيوفه .

بعد قليل من قدومه ، وصل الأوباش ، يتقدمهم كبيرهم . وما أنْ وقعت أنظارهم على العلاّمة المجلسي ، حتى بدت عليهم علامات الضيق . فمن الواضح أنَّ وجود العلاّمة المجلسي بينهم ، سيفسد عليهم السهرة ، إذ إنهم لن يتمكنوا ، من حضوره ، من الإنصراف إلى اللهو ، والعزف ، والرقص ، كما يحلو لهم . لذا فقد بدت على وجوههم آثار الضيق والإنزعاج الشديد .

بعد قليل ، وجّه العلاّمة المجلسي حديثه إليهم قائلاً ما مفاده : ما هذا الطريق الذي اخترتموه لِأنفسكم ؟ . . وما جدوى أعمالكم ؟ . . .

فما كان من كبير الأوباش إلاّ أنْ قال بدافع من الغضب الذي تملّك منه : إنَّ الطريق الذي إخترناه ، هو أفضل بكثير من النهج الذي إتبعتموه أنتم !

أجاب المجلسي قائلاً : وكيف يمكن ذلك ؟ . . .

قال ذلك الرجل : نحن نمتاز بالشهامة والوفاء ، نحن نمتاز بالتزامنا جانب عرفان الجميل . وإذا أسدى لنا أحد الناس خدمة ، أو معروفاً ، فإنّنا نظل أوفياء له حتى آخر العمر ، ولا نبادره بأي سيئة أو خيانة .

وهكذا ركّز حديثه على جانب الشهامة والعرفان بالجميل . . . نحن نمتاز بالغيرة . . . نمتاز بالرجولة . . . نمتاز بالشهامة والوفاء . . .

أنصت المجلسي لكلامه جيداً . وعندما هدأ روع ذلك الرجل توجّـه بالحديث إلى مجمل الأوباش وقال لهم ما مفاده :

إنْ كنتم تمتازون حقاً بصفة العرفان بالجميل ، يجب أنْ تقدّموا دليلاً وبـرهانـاً على مـا تدّعـون . أخبروني بـالله عليكم ، كم هي الخـيرات التي أفـاض بها الله ـ عـزّ وجل ـ عليكم ، يـا ترى ؟ . . . وكم بـادلتم عـطايـاه الجزيلة وهباته السنيّة بالشكر وعرفان الجميل ؟ . . . . .

هل عبّرتم عن تقديركم لكل ذلك عبر التنكّر لجميله ؟ . . . كم هي المـرات التي إرتكبتم فيهـا الـذنـوب والمعـاصي ؟ . . . كم هي المـرات التي عصيتم فيهـا أوامره ؟ . . . فـلان من النـاس أعطاك غـرضاً معينـاً فبـادلتـه بـالشكر الجـزيل ، والتقـديـر الكبـير . أتـظن أنَّ هـذا هـو المعنى الحقيقي للعرفان بالجميل ؟ . . . إنَّ المفهـوم الأساسي للعـرفان بـالجميل يتجـلى من خلال تقديرك لهبات الخالق عزّ وجل . الله الذي تفضّل عليك بكـل النِعَم والعطايا . . . من الخبـز ، والماء ، والهـواء ، إلى بقية الأمـور التي لا يتسع المجال لذكرها هنا .

المسـألة ليست مسألة يـوم أو يـومـين فقط . . . ربمـا مضت عليـك أربعين سنة ، أو ستين سنة ، وأنت تغرف من نعمه وعطاياه . أنت تـدّعي أنَّك مخلص وفيّ ، تحفظ العهد ، وتلتزم جانب العرفان بالجميـل . . . ترى كيف كان تصرفك حيال صاحب العطايا السنيّة ؟ . . . كيف كان تصرفـك حيال ربّ العالمين ؛ جلّ جـلاله ؟ . . . هـل شكرتـه على كـل ما فعله من أجلك ؟ . . . وهل قدرت عطفه عليك ؟ . . . هل مثلت العبودية الخـالصة لـه يا تُـرى ؟ . . . هـل إمتنعت عن إرتكـاب أي معصيـة أو مخـالفـة نهاك عنها ؟ . . .

وعندما فرغ العلاّمة المجلسي من إلقاء مواعظه وكلماته النارية هذه ، قام الأوباش من أماكنهم وانسحبوا من المجلس فرداً فرداً . ثمّ قام العلاّمـة المجلسي من مكانه وغادر منزل ذلك التاجر ، وذهب إلى بيته .

بعد حلول موعد أذان الصبح ، سمع المرحوم المجلسي طرقات على باب منزله . فتح الباب فوجد أمامه كبير الأوباش في حالة يرثى لها من الخيبة والإنكسار . طوبى لكبير الأوباش الذي يهتدي إلى التوبة ويصبح من أهلها . وبئس الرجل الملتزم الوقور المقدّس ، الذي يتسرب الغرور إلى قلبه . عندما يعرف الواحد منّا جيداً أنّه ليس منزهاً عن العيوب والمعاصي ، فإنّه يهتدي إلى طريق التوبة والإنابة . وبذلك يصبح من الذين تنعّموا بحسن العاقبة .

دخل كبير الأوباش إلى منزل العلّامة ، واعتذر عن كل ما بدر منه من كلام غير موزون ، وقال : سيدي . . . لقد كنت غافلاً فيما مضى من عمري ! ليلة البارحة بالذات ، تيقنت بأنّنا مجموعة من الأشخاص الذين لم يمارسوا سوى نكران الجميل . والآن أتيت نادماً علّني أوفّق إلى نيل التوبة .

عند سماعه هذه الكلمات ، بادره العلّامة بالكثير من المحبة ، والعطف ، والحنان . أمسك بيده وأجلسه إلى جانبه ، ودلّه على طرق التوبة ، وسبل الإنابة ، ثمّ قال له : خذ عهداً على نفسك بألّا تعود مرّة أخرى إلى ارتكاب الذنوب ، والمعاصي . صمّم على الإلتزام التام بمسألتي الصلاة والصوم . إحرص على الإلتزام الدقيق بأوامر ربّ العالمين . . . وعلى تأدية واجباتك تجاه الله عزّ وجل ، صاحب العطايا السنيّة ، لا تُلقِ أوامره ونواهيه وراء ظهرك . وإنْ كنت حريصاً حقاً على تمثّل العرفان بالجميل تجاه الله عزّ وجل ، فلا تُلقِ أحكامه التي فرضها عليك وراء ظهرك . إبتعد عن كل ما نهاك الله سبحانه وتعالى ، عن فعله وارتكابه .

يا أيّها الإنسان الذي تنظر بعينك هذه إلى المناظر والمشاهد التي حرّمت عليك . . . إعلم إنّك لم تقدر نعمة البصر حق قدرها ، إنّك قد أنكرت الجميل الذي تمثّل من خلال منحك هاتين العينين .

يا أيّها الإنسان الذي تستمع بأذنك إلى الأصوات التي حرّمت

عليك . . . إعلم إنّك قد أنكرت الجميل الذي تمثّل من خلال منحك الأذنين . . .

ترى أي شيء يعبر بصورة أوضح عن مسألة نكران الجميل ؟ . . . أليست هذه التصرفات هي مثال نكران الجميل ؟ . . . .

يا أيّها الإنسان الذي تستعمل يدك في ضرب شخص مسكين ، مغلوب على أمره . . . إعلم إنّك قد أنكرت الجميل الذي تمثّل من خلال منحك اليدين . إذ إنّ شكر الإنسان للّه عزّ وجل على أي نعمة من النعم التي منحه إيّاها ، إنّما يكون من خلال وضع الأمور في نصابها . . . أي تسخير تلك النعمة للعمل في الإتجاه الصحيح الذي وجدت من أجله .

لقد منحك الله عزّ وجل يدين كي تخدم وتعمل بهما . . ، كي تقدم على أعمال الخير من خلالهما . إلاّ أنّك قد سخرت هذه النعمة العظيمة للعمل في طريق الشر والمعاصي .

طوبى لمن يوفق إلى التوبة عن كافة مظاهر نكران الجميل التي بدرت منه خلال حياته . . . باب الرحمة مفتوح دائماً لإستقبال التائبين . والله عزّ وجل هو الرؤوف الغفور الرحيم ، الذي يمنّ علينا بالتوبة والغفران .

أدام الله عزّ وجل عليكم نعمة النطق ، واللسان ، والبيان ! هل تدري كم هو صعب أن يبتلي الإنسان بمصيبة الخرس ؟ . . . لنفرض أنّ أحد الناس كان يعاني من عطش شديد . فإذا كان عاجزاً عن الحركة بسبب المرض والإعياء من جهة ، وعاجزاً عن النطق بسبب إصابته بالخرس من جهة أخرى ، كيف يمكن له أن يعبّر عن عطشه وحاجته إلى الماء ؟ . . . ماذا يستطيع أنْ يفعل يا ترى ؟ . . . كم هي صعبة هذه المصيبة . . .

أي كارثة تحل بالإنسان عندما يصاب بآفة الخرس . إذ إنّه لا يستطيع أنْ يكتفي بالإشارة للتعبير عن كل حاجاته ومتطلباته . نستجير بالله من آفة الخرس .

يا أيّها الإنسان الذي تستغيب غيرك من الناس . . . إعلم إنّك قد أنكرت الجميل الذي تمثل عبر منحك نعمة النطق واللسان ، من قِبَل الله عز وجل . إذا فضحت أحد الناس ، وبذلت ماء وجهه أمام المجتمع ، فقد أنكرت الجميل أيضاً . . إذا بادرت بلسانك هذا إلى الشتم ، أو اللغو ، أو الكذب ، فقد أنكرت الجميل أيضاً وأيضاً .

تعالوا الآن لكي نتوب عن جميع السيئات التي صدرت عنّا في الماضي .

إلٰهي . . . لقد فتحت باباً للرحمة ، إنطلاقاً من فضلك وكرمك ، وحنوك .

يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) ما مفاده : إلٰهي . . . حتى لو أنّنا لم نوفق لنيل غير باب التوبة من مجمل أبواب فضلك ، وكرمك ، فإنّ ذلك يكفينا . .

كما أنّه يقول سلام الله عليه : الحمد للّه الذي دلّنا على التوبة التي لم نفدها إلّا من فضله[1] .

إنَّ باب التوبة يحتوي على كم هائل من الزخم والفوائد التي لا يمكن أنْ توصف . لذا فإنّ الإنسان يستطيع أنْ يستفيد من وجوده إلى أقصى درجة ممكنة ، وعلى أكثر من صعيد . ولكن ، تعساً لنا إذا تقاعسنا عن الإستفادة من باب التوبة . ذلك الباب الفسيح الذي يتوجه لك بقوله : مهما بلغت حالتك من السوء والشقاء ، توجه إلى الله عز وجل . حاول أنْ تصلح أمرك . تمسك بالتوبة والإنابة . لا تدع اليأس يتسرب إلى قلبك . لا تقل إنَّ عدد الذنوب التي إقترفتها كبير جداً . . .

إذا كانت ذنوبك وآثامك كثيرة جداً ، فإنَّ عفو الله عزّ وجل أكثر وأعظم . . عفوه أغزر وأوفر . . . ما عليك إلّا أنْ تظهر ندمك على

(١) الصحيفة السجادية ، الدعاء الأول في التحميد .

الذنوب والسيئات التي صدرت عنك . . . وأنْ تتضرع وتتوسل إلى الله عزّ وجل كي يتوب عليك . . . أن تتوسل وتظهر ألمك وحرقتك . . . . وعندها ستجد أنّ الله عز وجل هو أرحم الراحمين .

الجنة قد حرمت على المغتاب :

تفيدنا الأخبار التي وصلتنا أنّ الجنّة قد حرمت على عدد من الفئات : الفئة التي تدمن الخمر . . . الفئة التي تأكل الربا . . . والفئة التي تستغيب الناس(١) .

ربّاه نسألك ألّا نكون نحن من المنتمين إلى إحدى هذه الفئات الثلاثة . الإنسان الذي يأكل لحم أخيه الميت ـ أي يستغيبه ـ هو مثل الحيوانات التي تعيش على أكل جثث الأموات . هذه الحيوانات لا يسمح لها بدخول الجنة إذ إنّ المكان الذي يناسبها هو المحل الذي يغرق في الأساخ والقذارات .

من المعلوم لدى الجميع أنّ الكلاب تتجمع حول الجثث . يجب أنْ تعلم أنّه عندما يتجمع عدد من الأشخاص في مجلس معيّن . . . ويشرعون في استغابة أحد المؤمنين ، فإنّ مثَلهم كمثل الحيوانات التي تتكالب على إلتهام الجثث .

وهناك العديد من الشواهد التي تدل دلالة واضحة على صحة هذا الموضوع . إنّها حقّاً مسألة في غاية الصعوبة والخطورة . عندما تدخل إلى إحدى المجالس وتستقر بين الحضور . . . إذا لاحظت أنّ أحد الموجودين ذكر إسم أحد المؤمنين بطريقة أراد من خلالها ذكر بعض عيوبه ، فعليك أنْ تهبّ من مكانك بسرعة كي تغادر المجلس فوراً . حاول قدر استطاعتك أنْ تردّ الغيبة عن أخيك المؤمن .

---

(١) الحاشية : عن النبي (ص) : « تحرم الجنة . . . على المغتاب وعلى مدمن الخمر » . (سفينة البحار : ١/١٢٤) .

فـإذا وفقت في قطع الـطريق على ذلـك المغتاب ، ردّ الله عنـك ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة[1] .

أمّا إذا لم تردّ الغيبة عن الإنسان المؤمن ، وإنـبريت لمساعـدة المغتاب في حـديثه الآثم ، كـان عليـك كـوزر هـذا الأخـير سبعـين مـرة . أي إنّ المستمع إلى الغيبة عليه كوزر المغتاب سبعين مرة ، إنْ هو لم يـردّ الغيبة عن أخيه المؤمن مع استطاعته على ردّها . وكما يلاحظ القـارىء الكريم ، فـإنّ الشرح يطول حول هذا الموضوع . .

إيذاء الحسين (ع) بكلام جارح ، في يوم عاشوراء :

علينا أن نلوذ جميعاً بالإمام الحسين (عليه السلام) كي نستدر مغفرة الله ، ورحمته ، بحق سيد الشهداء ، سلام الله عليه .

من الممكن أحياناً أنْ يكون لإحدى الكلمات التي يطلقها لسانك وقع الصاعقة الحارقة المدمرة على من تُوجـه إليه . ومن الممكن أنْ تتفـوه أحيانـاً ببعض الكلمات التي تحـرق قلوب العديـد من الناس ، وتكـوي أفئدتهم . نشـير هنا إلى أنّ بعض الكلمات الجـارحة ، قـد وجهت إلى الإمام الحسـين (عليـه السلام) في يـوم عاشـوراء . . . . كـان أثـرهـا عـلى قلب الحسـين (عليه السلام) أكبر وأصعب من الجراح التي أحدثتها السهـام ، والنبال ، والسيـوف ، في جسمـه . إحـدى هـذه الكلمات الجـارحـة تفـوّه بهـا أحـد الكفـار ، عندمـا وجّه حـديثـه إلى الحسـين (عليـه السـلام) قـائـلاً : يـا حسين . . . ألم تقل سابقاً إنَّ والـدك هو سـاقي حوض الكـوثر ؟ . . . إذن أطلب منه أنْ يأتي الآن ليرميك من الماء الموجود عنده .

أحد الظلمة الآخرين تفوّه بكلمة جارحة ومؤلمة أخرى . عندما عمد الأرجاس إلى إشعال النار حول الخيم ، بادر اللعين إلى القـول : (عجلت بالنار) .

---

(١) « من تـطوّل عـلى أخيـه في غيبـة سمعهـا منـه في مجلس فـردهـا عنـه ، ردّ الله عنـه ألف بـاب =

الإستدلال على حرمة الغيبة من خلال أدلة رباعية الجوانب :

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحبّ أحدكم أنْ يأكل لحم أخيه ميتاً ، فكرهتموه ، واتّقوا الله ، إنّ الله توّاب رحيم ﴾ .

إذا أردنا أنْ نخوض في مجال حرمة الغيبة ، فإنّنا نقول إنّ حرمتها حتمية وأكيدة ومسلّم بها من خلال أدلة رباعية الجوانب : الكتاب ، السنّة ، الإجماع ، العقل .

ومن المفيد أنْ نشير هنا إلى أنّ إجماع كل المذاهب الإسلامية ، والعلماء المسلمين على حرمة موضوع الغيبة ، هو من الأمور المسلّم بها تماماً .

كما أنّه يمكن إثبات حرمتها أيضاً ، عبر البراهين والأدلة العقلية . كل شيء من شأنه أنْ يؤدي إلى تفرقة المسلمين عن بعضهم البعض ، وإلى نسف دعائم الوحدة فيما بينهم ، هو من الأمور المحرمة .

وأما بالنسبة لما ورد في القرآن الكريم حول هذه المسألة ، فقد مرّ معنا في الصفحات السابقة عدد من الآيات التي ذكرت فيها حرمة الغيبة(١) .

خمسون رواية حول الغيبة :

وأما عن الروايات ، فنذكر التالي : لقد قام عدد من العلماء الأفاضل بجمع حوالي خمسين رواية تتناول موضوع الغيبة . وقد إستخرجوا هذه الروايات من بطون الكتب المختصة ، حيث كانت قد ذكرت في أماكن متفرقة من تلك المؤلفات . وأرى أنّه من المناسب في هذا المقام ، أنْ أذكّر

= من الشر في الدنيا والآخرة ، وإنْ هو لم يردها عنه وهو قادر على ردّها ، كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة » . (لآلىء الأخبار : ص ٥٩٧) .

(١) مثل الآية الشريفة التي تقول : ﴿ إنّ الذين يحبون أنْ تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، لهم عذاب أليم ﴾ . والآية الشريفة الأخرى : ﴿ إنّ السمع والبصر ، والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ . والآية الشريفة الأخرى أيضاً : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ .

بإثنتين أو ثلاثة من الروايات القصيرة ، من أجل المزيد من نفاذ البصيرة ، وتدبر الفكرة . إذ إنَّ هذه الروايات التي سوف ننتقيها من بين الروايات الخمسين التي أشرنا إليها ، تساهم إلى حدّ كبير في تبيان مدى خطورة وهول هذه المعصية الفظيعة .

الغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في جوفه :(١)

يروى في كتاب (أصول الكافي) الشريف ، أنّ خاتم الأنبياء محمد المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلم) قد شبّه الغيبة بالأكلة . وقد أفاد العلاّمة المجلسي في شرح هذا المعنى أنّه من الممكن أنْ تقرأ هذه الكلمة على أنّها الآكلة ، ولكن الأولى أنْ نلفظها على شكل الأكلة . الأكلة أو الجذام ، وهي عبارة عن مرض جلدي ، يظهر تحت طبقات الجلد . ومن ثم يبدأ عمله الفتاك عبر التهام اللحم ، وتفتيته ، والقضاء عليه ، إلى أنْ تصبح العظام واضحة للعيان .

هذا المرض الخبيث يصطلح على تسميته بالجذام ، أي المرض الذي يفتك بلحم الإنسان ويلتهمه . بعد مرور فترة على إبتلاء أحد الناس به ، والعياذ بالله ، تنظر إليه فتجد أنّ الأكلة قد أتت على أنفه على سبيل المثال تلاحظ أنَّ أنفه قد اختفى تماماً . لذا فهو مرض خطير للغاية ، بالإضافة إلى أنّه مسري .

ومن خصائص هذا الوباء اللعين ، أنّه لا يمكن التنبّه له في بداية ظهوره . إذ إنّه يكتشف بعد مضي أشهر عديدة على وجوده ، أي بعد أنْ يكون قد قضى على العضو الذي بدأ الفتك به ، قضاءً تاماً .

أي إنَّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) يفيد بأنّ الغيبة لها المفعول نفسه والتأثير ذاته ، إذ إنّها تأكل دين المسلم وتقضي عليه .

إذن إذا باتت الإستغابة جزءاً من أسلوب المرء في الحديث وطريقته

---

(١) أصول الكافي : (باب الغيبة ج٢ ص ٢٥٧) .

في التعاطي مع الآخرين ، فإنّ دينه يصبح بالتالي عرضة لتآكل مستمر ، وإنحلال متواصل . ويستمر هذا الوضع إلى أنْ ينحدر إلى مستوى يصبح معه قلبه خالياً من الإيمان تماماً . وإذا مات وهو في هذه الحالة ، فقد غادر هذه الدنيا مجرداً من الإيمان .

نيل خيرات الدنيا والآخرة ، وحسن الظنّ بالله عز وجل :

هناك رواية أخرى وردت في كتاب (الكافي) الشريف ، تفيد بأنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قال إنَّ خاتم الأنبياء محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) قال ذات مرة : والله الذي لا إله إلاّ هو ، ما أعطي عبد قط خير الدنيا والآخرة إلاّ بحسن ظنّه بالله ، ورجائه له ، وحسن خلقه ، والكف عن اغتياب المؤمنين[1] .

هذه الرواية الشريفة من الممكن أنْ تعتبر بشارة من جهة ، ومن الممكن أنْ تعتبر تهديداً من جهة أخرى . وقد لاحظنا أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) قد أقسم بالله عز وجل ، للدلالة على مدى أهمية هذه المسألة .

إذن فقد عرفنا أنّ خير الدنيا والآخرة يتاح للمرء من خلال ثلاثة أشياء ، أولها حسن الظن بالله سبحانه وتعالى .

إذن ينبغي للإنسان أنْ يحسن الظن بالله . . . وأنْ يعلق آماله على فيض رحمته ومغفرته . يجب أنْ يثق بالخالق جلّ جلاله ، وأنْ يعلّق آماله الكبيرة عليه . يجب أنْ يثق بأنّ الله سوف يفتح عليه أبواب الثواب إنْ هو أدّى الأوامر التي فرضت عليه ، وأطاعها . . . كما أنّه سوف يغدق عليه الأجر إنْ هو عمد إلى ترك المعاصي ، والذنوب ، والإبتعاد عنها .

---

(١) والله الذي لا إله إلاّ هو ، ما أعطي عبد قط خير الدنيا والآخرة ، إلا بحسن ظنه بالله ، ورجائه له ، وحسن خلقه ، والكف عن اغتياب المؤمنين . الكافي : ج٢ ص ٧١ (باب حسن الظن بالله تعالى) .

(اللهم إغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء) : إذا قطع أحد النـاس رجـاءه في الله عز وجـل ، ويئس من رحمته ، فلن يبقى هنـاك أي بصيص للأمل في قلبـه المظلم . عنـدها لا يبـادر إلى عمل الخـير أبداً . . ولا يلتزم بخط العبادة أبداً . المسألة واضحة وبسيطة ، إذ إنّ الإنسان الذي لا يأمل نيل أجر الله سبحانه وتعـالى ، وثوابـه ، إنْ هو صـلّى . . . وصام ، وأنفق عـلى الفقـراء والمسـاكـين . . . كيف لـه أنْ يـواظب عـلى خط العبـادة والطاعة ؟ . . .

وخـلاصة القـول : إنَّ كل شخص يصـل إلى مـركـز معـين أو ينـال سعـادة معينة ، فـإنّما ينـال ذلك عـبر حسن ظنه بـالله عز وجـل ، والآمال العـريضة التي يعلقهـا عليه . عنـدما تـرى أنَّ أحد النـاس يسعى في سبيل الخيرات ، ويجدّ من أجل تحقيق النفع والفائدة لغيره من الناس ، ولا يـترك فرصة لعمل الخير إلاّ ويشارك فيها ، إعلم أنَّ حسن ظنه بالله قد بلغ درجة عـالية ، وأمله بـالله قوي وراسـخ ، وثقته بـالخالق لا تـتزعزع . . أمـا إذا لاحظت أنَّ أحـدهم كـان متكاسـلاً ، متخاذلاً ، قنـوطاً ، فـاعلم إنَّ أمله بالله عز وجل ضعيف وهزيل .

حسن الخلق عبر التدريب النفسي في مرحلة الشباب :

أمـا المسألـة الثانيـة التي عرفنـا أنّها إحدى وسـائل نيـل خـير الـدنيـا والآخـرة ، فهي حسن الخلق . ومن المعلوم أنّ هــذه الخصلة لا يمكن أنْ تشـترى ، كـما أنّها لا يمكن أنْ تتـولّـد في ذات الإنسـان عـبر الـدعـاء ، والتـوسّـل ، فقط . مهـما دعيتُ وقلتُ في منـاجـاتي : إلٰهي . . حسن أخـلاقنا ، وإجعـل طباعنـا سمحاء . . فـإنّ هذا الـدعـاء وحـده لا يكفي لتحقق المسألة . إذ إنَّ القضية شاقـة وصعبة . . . إنّها تحتـاج لجهد خـارق وصبر طويل . . . إنّها تحتاج إلى تحمل الصعاب ، والتجارب المتعبة .

إذن فالإنسان لا يستطيع أنْ يدرّب نفسه على حسن الأخلاق ، ولين الطباع إلاّ عبر كفاح مرير . فالأخلاق ليست كقطعة القمـاش التي تستـطيع

أنْ تغيّر لونها ساعة تشاء ، عبر معالجتها بالمواد الكيميائية الخاصة .

إنَّ مسألة تغيير الأخلاق ، هي مسألة في غاية الصعوبة . هناك رواية تنقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) في هذا المجال ، وتفيد بأنّه قال ذات مرة ما مفاده : لو قيل إنّ إحدى الجبال قد تحركت من مكانها وانتقلت إلى مكان آخر ، لكان هذا الأمر أقرب إلى التصديق من القول بأنّ أحد الناس قد وفق إلى تغيير أخلاقه .

إذا تمكّن أحد الناس من اكتساب أخلاق حسنة قبل بلوغه سن الأربعين ، فقد وفق إلى إنجاز باهر . أما بعد تخطيه لهذه المرحلة من عمره ، فإنَّ تبديل أخلاقه السيئة إلى أخرى حسنة ، يلزمه وقت طويل ، وجهد جهيد ، إلاّ إذا وفقه الله عز وجل ، ومدّ له يد العون ، وسدّد خطاه .

هذا بالإضافة إلى أنَّ الشخص نفسه ينبغي أنْ يبذل قصارى جهده من أجل تحقيق هذا الهدف الصعب . طالما أنَّ الإنسان لا يزال في مرحلة الفتوة والشباب ، فإنّه لا يحتاج إلى عناء كبير . . . إنّه يقوى على أنْ يحسّن أخلاقه نحو الأفضل ، ويهذّب طباعه نحو الأمثل ، خلال مدةٍ زمنية قصيرة . وبعد مضي عدة سنوات ، من الممكن أنْ يصبح الأسلوب القويم والطريقة الفاضلة لديه بمثابة ملكةٍ موجودة في ذاته .

أيّها الشباب الأعزاء . . . أدركوا جيداً مدى أهمية مرحلة الشباب هذه . . . قدّروها حقّ قدرها . . طالما أنّكم لا تزالون في مرحلة الشباب ، إحرصوا على تحسين أخلاقكم ، وتهذيب طباعكم . لقد عرفتم جيداً أنّ إحدى وسائل نيل خير الدنيا والآخرة ، هي الأخلاق الحسنة . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات مرة : ما يوضع في ميزان امرىءٍ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق[1] .

---

(١) أصول الكافي : ج ٢ ص ٩٩ .

والآن سوف نحاول شرح المعنى الأساسي لحسن الخلق من خلال السطور القادمة .

ماذا يعني حسن الخلق بالضبط ؟. . .

سوف نحاول أنْ نستعرض معنى حسن الخلق بصورة مجملة . حسن الخلق في مفهومه العام يعني أنْ يكتسب الإنسان في وجوده الباطني ، ملكة خاصة تدفعه بصورة سهلة ويسيرة ، إلى أنْ يتعامل مع جميع الخلق ، بطريقة تفوح منها اللياقة وحسن السلوك . كما أنَّ الأخلاق الحسنة تعني حسن التصرف والتعاطي مع الجميع . . . حسن المعاملة تجاه الزوجة والأولاد . . . حسن التصرف مع الجار ، وحفظ حقوق الجيرة . . . مع الإنسان الذي تعمل معه ، أو تربطك صلة تجارية به ، عبر الشراء والبيع . . . مع الشخص الذي يرافقك في إحدى أسفارك ، أو يجاورك في إحدى المجالس . أي أنْ يسعى المرء دوماً من أجل عدم التسبب بالألم والضيق لأي إنسان ، من خلال طريقته في التعاطي معه أو معاملته له . ومن أجل ألّا يدخل الحزن والأسى إلى قلب مطلق إنسان . أي ألّا يسبب الأذى لِأحد من خلال قوله وعمله وتصرفاته .

وعلى سبيل المثال ، فإنّ صفة التواضع عند الإلتقاء بالآخرين ، والإحتكاك بهم ، تمثّل وجهاً من أوجه حسن الخلق . كما أنّ حسن اللقيا والتبسم في وجوه الآخرين ، واستقبالهم بطريقة لطيفة ومرحّبة ، تمثّل كلها وجوهاً إضافية للأخلاق الحسنة .

وعلى نقيض ذلك ، فإنَّ حالة العبوس وإظهار إمارات عدم الإرتياح والسرور ، تمثّل وجهاً من أوجه سوء الخلق . كما أنّ الحدة في اللفظ والكلام ، واستعمال العبارات اللاذعة ، وقطع حبل كلام المتحدث ، تعتبر كلها وجوهاً أخرى للأخلاق السيئة .

وكما أسلفنا فإنَّ حسن الخلق يعني أنْ تظهر قدرة خاصة في ذات الإنسان ، بحيث تدفعه بصورة سهلة وتلقائية إلى مبادرة الجميع بسلوك

حميـد ، ومعاملة طيبـة . حتى عند التعـاطي مع العـدو ، فإنَّ حسن الخلق يقضي بأنْ يلجأ الإنسـان إلى العفو حتى المستـطاع . وحتى لو أراد المرء أنْ يبادر إلى الإنتقام من عـدوه اللدود ، فإنّـه ينتقم إلى درجة تقـل عن حقه ، والظلم الذي لحق به .

أمـا حسن الخلق في الصفقات والأعـمال التجـاريـة التي تشمـل كـل أنـواع الشراء والبيـع ، فيعـني ألاّ يلجـأ أحـد الـطرفـين إلى العنـاد الأجـوف ، والتشبث بالـرأي . إذ إن كثرة التـذاكي من قبـل المشـتري من أجـل تخفيض ثمن الأغراض من جهـة ، وقطع الـطريق على ذلـك بصورة حازمة من قبل البائع من جهة أخـرى ، يعتبران من دلالات سـوء الخلق ، وعدم اللياقة الإجتماعية .

لنأخذ موضوع الزواج على سبيل المثال : عندما يتقـدم أحد الشبـاب لـطلب يد إبنتـك ، فلا تصعب الأمـور ، ولا توصـد الأبواب في وجهـه . تعرّف إلى شخصيته وتبيّن كونه ملتزماً بأهداب الدين أم لا . تأكد من هذه المسـائـل : هـل يصـلي ؟ . . . هــل يصـوم ؟ . . . هــل يؤدي واجبـاتـه الـدينيـة ؟ . . . هــل هـو بعيــد عن الـرذائــل . والمعـاصي والتصرفــات المشينة ؟ . . .

إعلم جيداً إنَّ من يزوج ابنته إلى شارب الخمر ، فكأنّـه قد دفـع بها إلى الفحشاء والزنا . وهناك رواية تؤيد هذه الفكرة(١) .

نضيف هنا إلى أنّ حسن استقبال الضيوف ، والإهتمام بهم ، وإكرام قدومهم ، يعتبر من الدلالات الأكيدة على حسن الخلق ، وأصالة الذوق . كما أنّ مراعاة خاطر الأكبر سناً وإحترامه ، وتوقيره من جهة ، والعطف على الأصغر سناً ، والإهتمام به من جهة أخرى ، يعتبران أيضاً من نماذج حسن الخلق . يقول الله سبحانه وتعالى في القـرآن الكريم : ﴿ ولا تصعّـر خدّك

---

(١) « وإيّاك أن تزوج شارب الخمر ، فإنْ زوجته فكـأنما زوجتـه إلى الزنـا » . فقه الـرضا (ع) (بـاب شرب الخمر) .

للناس ، ولا تمشي في الأرض مرحاً ﴾[1] .

إذَنْ فيجب أنْ نلتزم دوماً جانب الحكمة ، والإعتدال ، والتوسط في أعمالنا ، وتصرفاتنا . .

الإمتناع عن الغيبة من موجبات نيل خير الدنيا والآخرة :

أمّا المسألة الثالثة التي تعتبر من موجبات نيل خير الدنيا والآخرة ، فهي (والكف عن اغتياب المؤمنين) . أي أنْ يمتنع الإنسان عن إغتياب المؤمنين . نعيد الآن ذكر مضمون ذلك الحديث الشريف ، نظراً لِأهميته : (والله الذي لا إله إلاّ هو ، ما أعطي عبد قط خير الدنيا والآخرة إلاّ بحسن ظنّه بالله ، ورجائه له ، وحسن خلقه ، والكف عن اغتياب المؤمنين) .

ونستطيع أنْ نقدم توضيحاً على هامش هذا الحديث الشريف ، عبر هذا الشرح :

من المعلوم أنّ الإنسان عندما يهمّ باغتياب أحد الناس ، فإنَّ نفسه تدفعه بشدة إلى المضي قدماً في حديثه ، (وهذا الأمر يتجلى بصورة واضحة لدى النساء) . فإذا تجلى بقدرة ذاتية ، ورادع وجداني يمكنه من التحكّم بلسانه ، وعدم الإنجرار إلى مستنقع الغيبة ، فإنّه يرتقي ويعلو معنوياً ، درجات عدة . . . إيمانه يقوى ويترسّخ . . . روحه تصبح محلقة وصلبة . . . قلبه يعمر بالفرحة والسرور والهناء .

أما ذوو النفوس الضعيفة ، والإرادات الهزيلة ، والشخصية الصبيانية ، فإنّهم لا يستطيعون التحكم بألسنتهم ، والإمتناع عن اغتياب الناس . إذ إنَّ الواحد منهم يعمد فوراً إلى التحدث عن كل ما شاهدته عيناه وسمعته أذناه .

إذا كانت تصرفاتك أنت أيضاً تسير على النهج المذكور إذن فما هو

---

(١) سورة لقمان : الآية ١٨ .

الفرق الذي طرأ على شخصيتك منذ الطفولة وحتى هذه المرحلة من عمرك ؟ . . . في هذه الحالة ، يمكن القول إنّك لم ترتق عقلياً ، ولو في أبسط الحدود .

من المفيد الآن أنْ أذكر لكم بقية الحديث الشريف : « والله الذي لا إلـه إلّا هو ، لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والإستغفار ، إلّا بسوء ظنه بالله ، وتقصيره من رجائه ، وسوء خلقه ، واغتيابه للمؤمنين »[1] .

سوء الخلق كان سبباً لعذاب سعد في القبر :

لقد تحدثنا في الأبواب السابقة ، عن مسألة سوء الظن بالله عز وجل ، لذا سوف نتطرق في هذا الباب إلى قضية سوء الخلق . نستجير بالله سبحانه وتعالى من الأخلاق السيئة ومضارها . لا بدّ أنّ البعض منكم قد سمع بقصة سعد بن معاذ .

لقد كان سعد مثالاً للإنسان التقي الصالح الذي يحرص على مراعاة الموازين الشرعية في كل أعماله وتصرفاته . لقد كان إنساناً جليلاً بلغ مستوى راقياً من التقوى والفضيلة ، أهّله لِأنْ يصبح من الذين تستجاب دعوتهم .

خلال وجوده في جبهة (حرب الخندق) أصيب بسهم في جسمه ، فما كان منه إلّا أنْ قال ما مفاده : ربّاه . . أسألك ألّا تميتني قبل أنْ أرى اللحظة الحاسمة التي تشهد إنتصار الإسلام والمسلمين على يهود بني قريظة .

قبل تلاوته لهذا الدعاء ، كان الجرح الذي أحدثه السهم في رقبته ينزف بشدة ، إلّا أنّه ما أنْ انتهى من تلاوة دعائه ، حتى إلتأم الجرح النازف على الفور ، حيث لم تسل بعد ذلك قطرة دم واحدة من شرايين رقبته . واستمر وضعه على هذا الحال حتى اللحظة التي شهد فيها إنتصار

---

(١) أصول الكافي : ج٢ ص ٧٢ .

الإسلام والمسلمين على يهود بني قريظة ، حيث تمكنوا من سحق أولئك اليهود وطردهم فجأة دون أي دليل ، عاد الجرح الموجود في رقبة سعد إلى النزف ، حيث سالت دماؤه بشدة ، إلى أنْ أسلم الروح واستشهد في سبيل الله عز وجل . أردت من خلال هذا الوصف أنْ أعرفكم على شخصية سعد بن معاذ الفذة[1] .

وعند تشييع جنازته ، كان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) بنفسه يمشي حافي القدمين في موكب التشييع ، حيث قال في وصف تلك اللحظة ما مفاده : « لقد كانت يدي في يد جبرائيل . . » .

نشير هنا إلى أنّ سبعين ألفاً من الملائكة قد حضروا موكب تشييع ذلك العبد الصالح . كما أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) هو الذي وضعه في القبر ، وتولّى مسألة تثبيت اللحد في مكانه . عند ذلك قالت أمّه : (هنيئاً لك الجنة) . فما كان من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلاّ أنْ قال لها ما مفاده : « وكيف تيقنتِ من ذلك يا ترى ؟ . .) .

وتفيد رواية أخرى بأنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قد اهتز حيث عرضت له رجفة خفيفة . وعندما سئل عن سبب ذلك ، أجاب بما معناه : « إنّ سعداً يعاني الآن من ضغط القبر عليه »[2] .

ذات مرة ، سئل الإمام (عليه السلام) السؤال التالي : كما نعرف فإنّ سعداً كان مثال الإنسان المؤمن التقي الذي يراعي الدين في كل أعماله وتصرفاته ، كما أنّه كان مثال المؤمن الذي يلتزم بالحدود التي يفرضها إيمانه عليه ، من أداءٍ للواجبات ، وترك للمحرمات . إذنْ فلماذا تعرّض بعد موته إلى ضغط القبر يا ترى ؟ . . .

---

(١) سفينة البحار : ج ١ ص ٦٢ .

(٢) فقال (ص) : لا تجزعي على ربك فإن سعداً قد أصابته ضمة . . . إلى أن قال (ص) : إنّه كان في خلقه مع أهله سوء .

فأجاب الإمام (عليه السلام) بقوله : « إنّه كان من زعارة في خلقه على أهله »(٢) . أي إنّه كان حادّ السلوك ، وسيّىء الخلق في تعامله مع زوجته وأولاده . لم يكن يشوبه أي عيب آخر . إذن فقد كان عيبه الوحيد هو حدية السلوك ، وسوء الخلق مع الزوجة والأولاد .

من هنا ندرك أنّه مهما بلغ الواحد منّا مرتبة عالية . . . العادل مع الناس . . . مجتهد . . . سيد . . . شيخ . . . واعظ ، ومرشد . . . فهناك في النهاية حساب سيواجه به . وكما أشرنا ، يقول الحديث الشريف : « والله الذي لا إله إلاّ هو ، لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والإستغفار ، إلا سوء ظنّه بالله ، وتقصيره من رجائه ، وسوء خلقه ، واغتيابه للمؤمنين » .

نلفت نظر القارىء الكريم إلى أنّ مسألة سوء الخلق المذكورة هنا ، تشمل إساءة الخلق تجاه الزوجة والأولاد ، كما مرّ امعنا للتو ، من خلال قصة سعد بن معاذ ، كما تشمل إساءة الخلق تجاه الآخرين ، في خارج أجواء الأسرة .

ومن البديهي أنّها تشمل أيضاً الحالة التي يظهر من خلالها النوعان المذكوران . وهذا ما يزيد الطين بلة ، ويضاعف من قبح القضية .

أما المسألة الثالثة التي تعرض الإنسان لعذاب الله وسخطه والعياذ بالله ، فهي مسألة الغيبة . إنتبه جيداً لما يتلفظه لسانك من أقوال وأحاديث ، فإنّ المسألة خطيرة جداً .

الغيبة لها تأثير حادّ على ميزان الحسنات والسيئات :

سوف نشرح في هذا الباب التأثير الحاد الذي تمارسه الغيبة على ميزان الحسنات والسيئات :

هناك روايات عديدة تفيد المعنى التالي : غداً في يوم القيامة ، من

---

(١) البحار : ج ٣ ص ١٤٣ .

الممكن أنْ يعطى أحدى المؤمنين سجلَ أعماله في يده . . . ينظر إليه فيرى أنّ بعض أعمال الخير التي أداها في الحياة الدنيا ليست مدونة في سجل أعماله .

رباه . . . لقد أطعمنا الفقراء والمساكين . . . لقد قمنا بزيارة العتبات المقدسة . . . لقد أنجزنا الكثير من الخيرات . . . لقد رتلنا القرآن الكريم ، وتلونا الأدعية السنيّة . . . إلاّ أنّ بعض هذه الحسنات ليست مدونة في سجلاتنا .

عندها يقال ما مفاده : (الله سبحانه وتعالى لا ينسى شيئاً أبداً ، هذه الحسنات التي تفتقدها في سجل أعمالك ، قد دونت في سجلات الأشخاص الذين كنت قد إغتبتهم في الحياة الدنيا) .

من جهة أخرى يلاحظ أحد المؤمنين أنَّ بعض الحسنات والخيرات قد أضيفت إلى سجل أعماله ، علماً بأنّه لم يقم بتأديتها . على سبيل المثال يجد في سجله حسنة ختم القرآن الكريم لعدة مرات في شهر رمضان المبارك ، مع أنّه لم يقم بذلك في الواقع .

عندئذ يقال له ما مفاده : (لقد قام أحد الناس باغتيابك في شهر رمضان المبارك . لذا فقد انتقل ثواب عمله من سجل عمله إلى سجل عملك أنت) .

ثقوا تماماً بصحة هذه المسألة وصوابيتها . إنّها مسألة مؤكدة وحقيقية[1] .

وهناك الكثير من الروايات ـ العائدة للفريقين ، الشيعة والسنة ـ التي تتناول هذا الموضوع وتتحدث عنه .

---

(١) عن النبي (ص) : « من كان لأخيه عنده مظلمة في عرض ، أو مال ، فليستحللها ، من قبل أن يأتي يوم ليس هناك درهم ولا دينار ، فيؤخذ من حسناته ، فإنْ لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فيتزايد على سيئاته » . السرائر ، وكشف الريبة ، للشهيد الثاني . . والمكاسب ، للشيخ الأنصاري .

أليس من المؤسف حقاً أنْ تجاهد نفسك الأمارة بالسوء ، وتعمل جاداً في طريق الخير والصلاح ، ومن ثم تهب حسنات هذه الأعمال الصالحة إلى شخص آخر بواسطة كلمة واحدة ؟ . . .

أليس من المؤسف حقاً أنْ تفرط بحسناتك بواسطة اغتيابك لأحد المؤمنين ؟ . . . وهل هناك خسارة في العالم تعادل هذه الخسارة العظمى ؟ . . . وهل هنا ضرر يساوي هذا الضرر المهول ؟ . . .

كما أنّ القضية تزداد صعوبة ومأساوية إذا كان الطرف الآخر من أعدائك . إذ إنّك عندما تغتاب عدوك ، فكأنك قد وهبته الحسنات التي تعبت من أجل الحصول عليها . وغداً في يوم القيامة ، تجد أنَّ الأعمال الصالحة قد دونت في سجل أعمال عدوك . وهل هناك من محبة وصداقة تفوق هذه المحبة والصداقة ؟ . . .

عندما تقابل الغيبة والإهانة بالهدية ، والمكافأة :

نستطيع القول بشكل عام : إنَّ أهل العلم يقعون في فخ الغيبة أكثر من غيرهم من الناس . وذلك لِأنّ الحسد يتلاعب بمشاعرهم أكثر مما يؤثر في سائر الطبقات الأخرى . يستثنى من ذلك أولئك الذين قد طهروا أنفسهم من هذه الأدران والشوائب . لذا فإنّ الحسد نفسه يعتبر كإحدى الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى الغيبة وتوجيه التهم .

وللدلالة على صحة هذه المسألة ، نورد هنا القصة التالية التي ذكرت في وصف حالات أحد العلماء الكبار الأجلاء وتفيد هذه القصة بأنَّ هذا العالم الجليل قد وقع ضحية حسد أحد الحاسدين اللئام ، الذي ما انفكّ يغتابه ويتناوله بالسوء . ولم يكن يمر يوم واحد دون أنْ يعمد ذلك الموتور إلى التحدث عن العالم القدير ، حيث كان يغتابه ويذكره بالسوء ويوجّه له الإهانات . وقد واظب العالم الجليل على مبادلة حسد ذلك اللئيم وإهاناته بالعطايا ، حيث إعتاد على أنْ يرسل له كل يوم هدية معينة . أحياناً كان يرسل له الرطب والحلويات . . . وأحياناً أخرى كان يرسل أصنافاً من

الفاكهة الطازجة اللذيذة . إلاّ إنّ هذه الأخلاق الرفيعة ، لم تؤثر على نفسية ذلك الرجل،حيث أنه لم يقلع عن الغيبة وتوجيه الإهانات. بعد مرور فترة طويلة ، بدأ ذلك الرجل بإدراك قبح عمله . . . وابتدأ الخجل يتملك منه رويداً رويداً . . . إنتبه لحرمة العمل الذي يقوم به ، فأقلع عن الغيبة وإرتدع عن غيّه .

بعد ذلك ، لم تعد تصله هدايا ذلك العالم الجليل . أراد الرجل أنْ يعرف سبب هذا الأمر ، فطرح السؤال التالي على العالم : أرجو أنْ تخبرني سر هذه القضية . عندما كنت أغتابك وأذكرك بالسوء أمام الناس ، كنت ترسل لي الهدايا والمكافآت . أما الآن وبعد أنْ تصافينا حيث لم أعد أغتابك ، ولا أتناولك بأيّ سوء ، أمام الآخرين ، قطعت عني هداياك . ترى ما هو سر هذه القضية ؟ . . .

أجابه العالم الجليل بالتالي : منذ فترة وجيزة مضت ، كنت تسدي لي خدمات جلّى ، حيث كنت تهبني قسماً من حسناتك مجاناً . لذا كنت أبادل إحسانك هذا عبر الهدايا التي كانت تصلك مني . ومنذ اللحظة التي امتنعت فيها عن تقديم حسناتك لي ، توقفت أنا أيضاً عن إرسال الهدايا إليك(١) .

وهناك روايات كثيرة تؤكد صحة هذه المسألة ، كما تؤكد على أنّه غداً في يوم القيامة والحساب . . . وعند التطرق إلى مسألة الغيبة . . . يؤخذ من حسنات المغتاب حيث تضاف إلى سجل أعمال الشخص الذي طالته الغيبة(٢) .

إلاّ إذا كان المغتاب قد طلب المسامحة والغفران من الطرف الآخر . . . إلاّ إذا كان قد عمل على إصلاح الأمر في هذه الحياة الدنيا . إذا كان الطرف الآخر ما يزال على قيد الحياة حيث تناهى إلى سمعه الكلام

---

(١) لآلىء الأخبار .

(٢) كشف الريبة .

السيّىء الذي قيل في حقه ، فكما أسلفنا لا بدّ للمغتاب أنْ يذهب إليه ، ويعتذر منه ، ويطلب المسامحة ، حتى تغفر له خطيئته . أما إذا كان يجهل الإستغابة التي نالته ، فيجب على المغتاب أنْ يتحدث عن فضائله ، ويعدد مناقبه ، ويدعي ويستغفر له .

أما إذا كان الموت قد أدرك الأشخاص الذين إغتبتهم ، فيجب عليك أنْ تؤدي الخيرات عن أرواحهم . ولا بدّ لك من أنْ تأخذ عهداً على نفسك أمام الله عز وجل ، عسى أنْ تكون قد أديت الواجبات المترتبة عليك في هذا المجال إنْ شاء الله تعالى .

وإلاّ فإنّ الحالة تصبح صعبة وخطيرة ، وتنذر بأوخم العواقب .

نشير هنا إلى أنّ البحث يطول حول مسألة الغيبة ، إنْ نحن أردنا متابعة هذا الحديث . وإذا أردنا أنْ نتحدث في الإطار نفسه بصورة تتضمن المزيد من الشرح ، وذكر التفاصيل ، فلا بدّ لنا من تخصيص الأبواب المتبقية من الكتاب لتكملة روافد البحث عينه. لذا فإنّنا نكتفي بهذا القدر من البحث ، والشرح ، والتحليل ، وفي الختام ، أو الإشارة إلى الحالات الخاصة التي تستثنى من باب الغيبة .

النصيحة التي تسديها إلى من يستشيرك ، لا تعتبر غيبة :

عندما يستشيرك أحد الناس في موضوع معيّن ، فإنّه يمحضك ثقته محاولاً بلوغ هدفه عبر الإستنارة برأيك وخبرتك . لذا ينبغي أنْ تحرص على إسداء النصح له بصدق وإخلاص ، وعلى دفعه إلى السير في الطريق الذي يضمن خيره وصلاحه . وفي هذه الحالة ، يجب عليك أنْ تخبره بالحقيقة الناصعة ، حتى لا ينخدع ، ولا يزل ، ولا يقع في ورطة معينة .

على سبيل المثال : يقصد أحدهم إحدى النساء الموثوقات ، ويطرح عليها السؤال التالي : أريد أنْ أطلب يد الفتاة الفلانية لولدي . ماذا تعرفين عن تلك الفتاة ؟ . . . هل ترين أنّه من المناسب أنْ أقدم على ذلك ؟ . . .

الموقف دقيق وحساس في هذه الحالة . فإذا أفصحت المرأة عن العيوب التي تعرف أنّها موجودة في تلك الفتاة ، عندها يدخل كلامها في باب الغيبة . . . كما يندرج في إطار الفضح والخيانة . وإذا سكتت ولم تفصح عن وجود تلك العيوب ، فمن الممكن أنْ يقع ذلك الرجل مع إبنه في المحذور . . .

في هذه الحالة ، يتوجب على المرأة أنْ تخلص نفسها من هذه الورطة بطريقة لبقة . يتوجب عليها أنْ تتصرف بطريقة تصيب من خلالها هدفاً مزدوجاً .

فمن جهة : يجب أنْ تضمن أنَّ الجماعة لن يزلوا ، ويقعوا ضحية سوء اختيارهم وتقديرهم للموقف .

ومن جهة أخرى : يجب أنْ تضمن عدم افتضاح أمر تلك الفتاة المسكينة ، وعدم كشف عيوبها .

تستطيع أنْ تقول للرجل الذي إستشارها ، الجملة التالية : لا أرى أنّه من المناسب لكم أنْ تقدموا على هذا العمل .

وإذا أراد أنْ يسألها عن سبب ذلك ، تستطيع أنْ تقول له : أرجو المعذرة .

عندما تكون تلك المرأة قد خلصت نفسها من هذا الموقف الصعب بواسطة جملة واحدة ، وهي : لا أرى أنّه من المناسب لكم أنْ تقدموا على هذا العمل .

أولاً : تكون قد تخلصت من الوقوع في مطبّ الغيبة .

ثانياً : تكون قد تخلصت من تبعة فضح عيوب تلك الفتاة المسكينة .

ثالثاً : تكون قد أنقذت الجماعة من الوقوع في مزالق إختيارهم الخاطىء .

إضافة إلى ذلك ، أشار الفقهاء إلى القضية التي سوف نشير إليها الآن : إذا لم يكتف ذلك الرجل بمضمون الجملة التي ذكرناها ، حيث أصرّ على معرفة حقيقة الأمر ، . . . وإذا وجدت المرأة أنّه لا مفر من ذكر الحقيقة كي تضمن عدم وقوع الجماعة في ورطة كبيرة . . . عندها يجب أنْ تبذل قصارى جهدها من أجل أنْ تقول ما تعرفه ، بطريقة لا تؤدي إلى فضح أمر تلك المسكينة . فإذا كانت تعرف عشرة عيوب على سبيل المثال ، لتكتفي بذكر واحدة منها فقط . . . لا أنْ تسترسل في الحديث وتبدأ في تقديم تقرير مفصّل عن كل العيوب التي تعرفها . كما يجب أنْ تتحاشى إضافة أية تفصيلات من نسج خيالها .

وخلاصة القول : إنّه ينبغي لها أنْ تبذل قصارى جهدها ، من أجل التهرب من الإنجرار إلى هاوية الغيبة .

المعصية العلنية لا غيبة لها :

من الحالات الأخرى التي تجوز الغيبة فيها ، الحالة التي تتناول الشخص الذي يصدق عليه هذا القول : (من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له) . .[1] . أي الشخص الذي يرتكب المعاصي بصورة علنية .

إذن فالإنسان الذي نزع عن نفسه ستر الحياء ، ولم يعد حريصاً على إخفاء ذنوبه عن أعين الناس ، لا يدخل الحديث عن ذنوبه ومعاصيه في باب الغيبة ، لأنّ ذلك الحديث لا يؤدي إلى (كشف ما ستره الله) . فأنت لم تكشف أمراً كان مخفياً ومستوراً ، بل تحدثت عن مسألة كانت واضحة للعيان ، ومعروفة ، وعلنية . ذلك الإنسان هو الذي هتك حرمة نفسه ، ونزع عنها ستر الحياء .

وعليه : فكل ذنب أقدم على ارتكابه جهراً ، لا يشمله باب الغيبة . وأشدّد على الذنب الذي ارتكبه علانية فقط .

لنفرض أنّ أحدهم يبتعد عن الناس حين يريد معاقرة الخمرة ،

---

(١) المكاسب ، للشيخ الأنصاري .

حيث يـرتكب هذا الفعـل الشنيع خفيـة . . . إلاّ أنّـه يـذهب إلى المـرقص علانية ، وأمام جميع الناس ، حيث يراقص النساء الساقطات هناك ، دون خجـل ولا وجل . في هـذه الحـالـة ، لا يحق لـك أنْ تتحـدث عن شربـه للخمـر ، لِأنّه يقـوم بذلـك بصـورة مخفيـة . وحتى بـالنسبـة لـذهـابـه إلى المرقص ، فمن الأفضل ألاّ تتطرق إلى هذه المسـألة أيضـاً أما إذا فتـح هذا الموضوع ذات مرة ، حيث ذكرت معصيته العلنية هذه في سياق حـديثك ، فلا بأس في ذلك .

التظلّم لا يُعتبر غيبة أيضاً :

نتابع الحديث في هذا الباب عن الحالات الإستثنائية :

إحدى هذه الحالات ، هي حالة التظلم والشكوى .

لنفرض أنّه قد لحق ظلم معين بأحد الناس . . . كأن يكـون أحدهم قد سرق ماله . . . في هذه الحالة ، لا بدّ له من أنْ يقـدم شكوى معينـة ، ويـدّعي على الشخص الـذي ظلمه . لا بـدّ له من التـظلم أمام أي جهـة تستطيع أنْ تدافع عنه ، وتعيد له ما ضاع من حقه السليب . لا بـدّ له من أنْ يقـول : لقد فعـل ذلك الإنسـان كيت وكيت . . . لقد ظلمني . . . لا بـأس في ذلك . ولكن يجب أنْ يقتصر حـديثه عـلى النـاحيـة التي ظلم من خلالها ، لا أنْ يتعداها إلى فضح الذنوب السرية . إنْ كنت تدعي أنّه قـد ظلمك في المسألة الفلانية ، إذن تحدث ملياً حول وجـه الظلم الـذي ألحقه بـك ، لا تستذكـر جميع الـذنوب التي تعـرف أنّه ارتكبهـا ، ولا تعمـد إلى سردها على الشخص الذي يسمع شكواك . من المفيد أنْ نشـير هنا إلى أنّ العداوة ، هي من الأمور التي تدفع بالإنسان إلى مهالك الغيبة .

ربما أراد أحدهم أنْ يبينّ أنّه إنسان طاهر وشريف ، فأضر من خلال ذلك بشخص آخر ، ولطّخ سمعته .

على سبيل المثال : يريد أحد التجار أنْ يقدم دعـاية لبضـاعته ، كي تشتهـر بجودتهـا في السوق ، وتنفـذ بسرعة . . . فيقـول للزبائن مـا يلي :

أجل . . . أنا لا أتبع أسلوباً جارياً في البيع . . . أنا لا أخلط الزيت بمواد إضافية مثله لكي أبيعه للناس على أنه زيت صافٍ. . . أنا لا أتّبع طريقة التاجر الفلاني في المبيع . . . أنا لا أبيع الشاي المغشوش للزبائن . . . لقد عاهدت الله عز وجل بأنْ أكون شريفاً عفيفاً نزيهاً . . . لقد عاهدته بألاّ أغش الزبائن أبداً . .

هذه الأحاديث قد دفعته إلى باب الغيبة كما لاحظنا جميعاً . أحياناً يحاول أحدنا أنْ يدافع عن نفسه ، وأنْ يرد التهم التي وجهت إليه في إحدى المجالات . . . فيطعن من خلال ذلك بغيره من الناس ويفضح أمره .

أنت لا تكذب . . . إنّك تريد أنْ تثبت للجميع طهارتك وبراءتك . . . إلاّ أنّك تتسبب في كشف أسرار غيرك من الناس ، فتفضح ما خفي من شؤونهم . . . أو أنّك تكشف من خلال حديثك ، الذنوب التي ارتكبها أحد الناس خفية ، فتجعلها علنية ومعروفة لدى الجميع .

نقدم مثالاً آخر على هذا الموضوع : لنفرض أنَّ أحدنا سئل ذات مرة السؤال التالي : لماذا أقدمت على هذا العمل ؟ . . .

فنجيب على ذلك بقولنا : (لقد قام فلاناً من الناس أيضاً بهذا العمل) . . . . علماً بأنّ تصرف فلان من الناس كان مجهولاً .

بما أنّ الواحد منا يريد أنْ يبرىء ساحته ، أو يقلل من سوء عمله ، فإنّه يعمد إلى فضح أسرار الآخرين ، وكشف فعالهم الشنيعة كما أنّ الواحد منّا قد لا يتورع أحياناً عن اغتياب مجموعة من الناس ، كي يبين للحاضرين أنّه مصيب في عمله وقراراته . كما قد لا يتورع أحدهم عن توجيه تهمة إلى غيره ، من أجل تبرئة ساحته وإبعاد الشبهات عن نفسه . أي إنّه يتفوه بجمل وكلمات تخالف الحقيقة والواقع .

قصة أحمد اليتيم مع جارية إبن طولون :

نورد هذه القصة الآن بصورة مختصرة :

ذات يوم مرّ أحمد بن طولون ، سلطان مصر ، في إحدى الشوارع ، فوجد طفلاً صغيراً يجلس في إحدى الزوايا . وقد أدرك من خلال المشهد الذي رآه ، أنّ ذلك الطفل قد ألقي به في الطريق ، وترك وحيداً . إلاّ أنّ معالم الشرف والكرامة كانت بادية على محياه . وهذا ما لفت نظر السلطان ، حيث نال الطفل إعجابه .

عند ذلك ، أمر السلطان حاشيته بحمل الطفل ، وأخذه إلى القصر ، ثم خصّص له حاضنة كي تهتم بشؤونه ، وتسهر على راحته ، ثم أطلق عليه إسم أحمد .

بعد مرور الأيام والسنين ، كبر أحمد ، وبلغ سن الرشد ، وكانت علائم الفهم والوعي والإدراك ، تبدو على هذا الشاب ، بصورة أوضح ، يوماً بعد يوم . وهذا ما جعل السلطان يتعلق به كثيراً ، ويكنّ له الحب ، والمودة ، والتقدير .

وعندما اقترب أجله ، إستدعى السلطان ولده وخليفته أبو الجيش ، وأوصاه بحسن معاملة هذا اليتيم ، وقال له : هذا الشاب كان يتيماً منذ اللحظة التي عرفته فيها . لقد أتيت به إلى البلاط ، واهتممت بتربيته ، والسهر عليه ، وطوال هذه السنين التي مضت ، لم أخبر فيه إلاّ الوفاء ، والصدق ، والإستقامة ، فيمكنك الإستفادة من قدرات هذا الشاب ، وإخلاصه ، وإندفاعه إلى العمل ، وأنصحك بحسن معاملته ، وتقريبه إليك ، والإعتماد عليه في مشاغلك .

بعد ذلك مات السلطان أحمد بن طولون ، أما خليفته أبو الجيش ، فقد عمل بوصية والده حيث قرب ذلك الشاب منه ، وغمره بمحبته وعنايته ، ثم أعلن أحمد مبايعته وولاءه التام للسلطان أبو الجيش ، فما كان من هذا الأخير إلاّ أنْ عيّنه في أرفع المناصب ، وأهم المراكز ، وأكثرها حساسية .

وطوال مدة عمله إلى جانبه ، لم يظهر أحمد للسلطان إلا كل أمـانة ، وصدق ، وإخلاص ، وولاء . وبـات قلب أبو الجيش فـرحاً مـطمئناً . . . أي معاون ومساعد ومستشار مخلص يعمـل إلى جانبي ؟ . . . . إذ أن أحمـد بات يعتبر بمثابة أخ للسلطان أبو الجيش . لذا فقد أحبه السلطان حباً جماً .

بعـد مرور فـترة من العمل والإخـلاص ، أصبح أحمـد من خـواص السلطان ، حيث بـات من الأشخاص المعـدودين الذين يحق لهم الـدخول إلى قصر الحريم .

ذات يـوم ، أراد السلطان أنّ يتناول مسبحتـه الثمينة المصنـوعـة من اللؤلؤ من جيبه . وعندما مدّ يده ليطالها ، وجد أنّها ليست في جيبه ، تذكّر فجأة أنّه قد نسيها في غرفة نومه في القصر ، إلى جانب الفراش الـذي كان مستلقياً فيه . فما كان منه إلاّ أنْ قال لِأحمد اليتيم ـ الشاب الذي كبر وشبّ في القصر تحت أنـظار والده ـ عـلى الفـور : إذهب حـالاً إلى قصر الحـريم واقصد غرفة نومي الخاصة التي لا يحق لِأي كـان الدخـول إليها ، واجلب لي مسبحة اللؤلؤ الثمينة الخاصة بي . فأجابه أحمد قائلاً : سمعاً وطاعة .

ذهب أحمد اليتيم إلى القصر ، واستدلّ على غرفة النوم المعنيـة . وما أنْ فتـح الباب حتى شـاهد المنـظر المهول . رأى إحـدى جـواري السلطان وهي تخونه مع أحد الخدم في مخدعه الخاص . ما أنْ رأى أحمد هـذا المشهد الفـظيع حتى حـاول الفرار من المكـان . لحقت الجاريـة الخائنـة به فـوراً ، وارتمت على يديه ورجليه ، في محاولة منها لإستدرار رحمتـه وشفقته ، كي لا يعمـد إلى فضح أمـرها عنـد السلطان ، وقد بلغت قـذارتها إلى درجـة أنّها أبدت استعدادها لِأن تسلّم جسدها له كي يمارس الفعل الشنيـع معها هـو أيضاً ، وبذلك تضمن سكوته التام عن المسألة .

إلاّ أنّ هـذا الشاب الـوفي الشهم ، الـذي لم يكن ليقـدم عـلى أدنى خيانة ، أو غدر اتجاه السلطان الذي محضه ثقتـه الكاملة ، لم يضعف أمـام إغوائها ، ولم يأبه للأمر إطلاقاً .

الحقيقة إنّ رباطة جأش الشاب ، وعدم استسلامه للشهوة ، خاصـة

في ظل الظرف الذي وصفناه ، يعتبر أمراً بـالغ الأهميـة ، ويستحق الإشادة والتقدير .

إذنْ فلم يهتم أحمد بتلك الجارية الجميلة بتاتاً . . لم تحدّثه نفسه بـأنْ يدنو منهـا ، أو يلمس جسدهـا بل أخـذ المسبحة من الغـرفة ، وخـرج من القصر على الفور .

وعندما ذهب إلى مقـر السلطان وسلمه المسبحـة ، لم يخبره بشيء عن الخيانة الفظيعة التي جرت في قصر الحريم .

حقاً إنّها مسألة غريبة . يجب أنْ يتمتع الشاب بقدرة عالية كي يتستر على المنكر الفظيع الذي شاهده ، ولا يقوم بفضح طرفي الخيانة .

وهكذا نلاحظ أنّـه لم يفضح تلك الجـارية السـاقطة ، وذلـك الخادم المنحط .

هذا التصرف القيّم يجب أنْ يقدّر أشدّ التقدير .

لنتـابع الآن مجـريات القصـة ، كي نعرف بـالتـالي كيف قـدّر الله ، سبحـانـه وتعـالى ، عمله هـذا ، وكيف انتشله من الصعـاب ، إنّها قصـة مشوّقة تستحق الإستماع إليها حقاً .

بعد عدة أيـام ، حصل السلطان أبـو الجيش على جـارية جـديدة في غاية الروعة والجمال . لذا فقـد أصبح بـارد الأحاسيس تجـاه كافـة جواريـه الأخريات . . . ومن بينهن تلك الجارية الخائنة التي أشرنا إليها .

عندما لاحظت هذه الأخيرة أنَّ أبا الجيش لا يـأتي إليها ، ولا يعـيرها أي اهتمام ، قالت في نفسهـا لا بدّ أنَّ أحمـد اليتيم قـد ذهب إلى السلطان وأخبره بتفاصيل المسألـة ، الأمر الـذي جعل أبـو الجيش بارد التجـاهي وغير مكترث بأمري . لذا فقد قررت أنْ تـذهب إلى السلطان قبل أنْ تستفحـل المشاكل ، لكي تتهم أحمد بالخيانة ، وبذلك تتخلص من هذه الورطة .

وذهبت بـالفعل إلى أبي الجيـش وقالت لـه : أريد أنْ أخـبرك مسألـة

سرية وهامة للغاية ! أحمد اليتيم هذا الذي تولّيه كل هذه العناية والمحبة ، لا ينبغي أنْ تمحضه ثقتك ، وتسلمه شؤونك ، إذ إنَّ هذا الرجل قد أمسك بي منذ عدة أيام ، وحاول اغتصابي فأردت التخلص منه بأي وسيلة ، لأنّك تعرف مدى وفائي وإخلاصي لسيدي السلطان . . . إذ كيف يمكن لي أنْ أخون السلطان ؟ . . . إلا أنّه لم يرتدع عن غيّه ، بل إستمر في محاولاته العنيفة ، إلى أنْ استطاع في النهاية أنْ يخون السلطان ويطعنه في شرفه وحريمه !

وهكذا بدلت مجريات القصة رأساً على عقب . إلاّ إنّها تمكنت بكيدها ومكرها أنْ تقنع أبا الجيش بصحة هذه الأكذوبة . كما ذكرنا في السابق : ﴿ إنْ جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا . . . ﴾ .

إذن فالله سبحانه وتعالى يشير عليك بألاّ تصدق أي كلام يتلى على مسمعك بسرعة . . . يجب عليك أولاً أنْ تدقق فيه ، وتتيقن من صحته .

إذنْ فقد صدَّق أبو الجيش هذه الأكذوبة التي أطلقتها تلك الجارية ، لذلك صمّم بصورة أكيدة ، لا رجوع عنها ، على قتل ذلك الشاب الصالح الطاهر . ورسم الخطة التالية لقتله :

قال لأحد رجاله ، التالي : عندما يأتي إليك أحدهم حاملاً معه رسالة ووعاءً صغيراً ، خذ منه الوعاء والرسالة ، فإذا وجدت أنّ المضمون يشير عليك بأنْ تملأ الوعاء بالمسك ، بادر فوراً إلى قطع رأس حامل الرسالة ، ثمّ ضع رأسه داخل الوعاء ، وأرسله لي على الفور !

وعندما أتى هذا الشاب الوفي ، الصالح إلى مجلس السلطان ، قال له أبو الجيش : أريد أنْ أقدّم لك اليوم هدية ثمينة ! أجابه أحمد : شكراً جزيلاً يا سيدي على عطاياك الثمينة . فتناول السلطان قلماً وورقة ، وكتب الرسالة إيّاها . . . ثم أخذ الوعاء بيده وسلّمه مع الرسالة إلى أحمد ، وقال له : خذ هذه الرسالة ، وسلمها مع الوعاء ، إلى فلان ـ الرجل إيّاه ـ . . .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٦ .

ثم إستلم منه ما يضعه داخل الوعاء ، وتعال فوراً إلى هنا ، فإنّي بانتظارك . فقال أحمد : سمعاً وطاعة .

ثم أخذ الرسالة والوعاء ، وخرج من القصر . وبينما هو سائر في طريقه إلى ذلك الرجل . . . وبينما هو سائر برجليه إلى الموت ، أنقذه الله عز وجل من هذه الورطة الرهيبة ، وهيأ له أسباب الخلاص . إذ إنّه مرّ بعدد من أفراد حاشية السلطان ، فوجد أنّهم قد انصرفوا إلى اللهو ، والمزاح ، وتجاذب أطراف الحديث في جلسة حميمة للغاية . وما أنْ وقعت أنظارهم على أحمد ، حتى تمنّوا عليه أنْ ينضم إلى حلقتهم . فقال لهم أحمد : لدي عمل هام ينبغي أنْ أنجزه بسرعة . لقد كلفني السلطان بإيصال هذه الرسالة مع الوعاء إلى أحد رجاله .

فقالوا له : كلّف أحد الخدم بإنجاز هذا العمل . تعال واجلس معنا قليلاً كي تتسلى وتنسى هموم الدنيا .

إستساغ أحمد هذه الفكرة ، ونظر حوله فلمح ذلك الخادم الذي شاهده ، وهو يخون السلطان مع إحدى الجواري في قصر الحريم . ناداه فأتى . . . قال له أحمد : هل أستطيع أنْ أكلّفك بتأدية مهمة عاجلة ؟ . . .

فأجابه الخادم ـ الذي كان خائفاً أشدّ الخوف من أحمد بسبب الخيانة التي اكتشفها ـ : بالطبع . . . أنا رهن إشارتك . . .

فقال له أحمد : خذ هذه الرسالة ، وهذا الوعاء ، وسلمهما إلى فلان . ثم عد إليَّ بما سيضعه ذلك الرجل في الوعاء . إذ إنّي أريد تسليم الغرض للسلطان . فقال الخادم طائعاً : سمعاً وطاعة . . .

ثم أخذ الرسالة والطبق ، وذهب لتأدية المهمة . أما أحمد ، فقد انضم إلى الحلقة ليمزح ويضحك مع بقية الحاضرين .

عندما وصل الخادم إلى الرجل المعني ، سلّمه الطبق والرسالة ، فما كان من الرجل إلاّ أنْ قطع رأس الخادم ووضعه داخل الطبق . ثم نادى أحد رجاله ، وطلب منه أنْ يأخذ الطبق إلى مجلس السلطان .

وبينما كان يحمل الطبق ، سائراً في طريقه إلى القصر ، رآه أحمد ، فقال له : أعطني هذا الطبق . . . لقد أمرني السلطان بأنْ آخذه إليه بنفسي .

أخذ أحمد اليتيم الطبق من الرجل ، وسار به إلى القصر ، إلاّ أنّه لم يفتح الطبق ليعرف محتواه .

وصل أحمد إلى القصر ، حاملاً الطبق ، فاندهش أبو الجيش لرؤية هذا المنظر . . . إذ إنّه كان يتوقع أنْ يستلم رأس أحمد من هذا الطبق ، فقال لِأحمد : إفتح غطاء الطبق لترى ماذا يوجد بداخله . . .

فتح أحمد الغطاء ، فظهر رأس ذلك الخادم . زادت حيرة السلطان عند ذلك ، فقال لِأحمد : قل لي الحقيقة . . . ماذا فعلت طوال هذه الفترة ؟ . . . كيف نفذت المهمة الموكولة إليك ؟ . . .

فأجابه أحمد قائلاً : سأخبرك بكل ما جرى خلال هذه الفترة . الحقيقة أنّني إلتقيت بمجموعة من الرفاق ، فجلست معهم ، وقضيت وقتاً ممتعاً بصحبتهم ، وأعطيت الرسالة والطبق إلى الرجل الذي ترى رأسه المقطوع الآن أمامك ، لكي يتولى هو تنفيذ المهمة ! لم أكن أعرف أنّ القضية خطيرة هكذا ، وأنها ستؤدي إلى قطع الرقاب . هذا ما حدث بالضبط .

فكّر السلطان طويلاً بالكلام الذي سمعه ، ثم قال لِأحمد : يجب أنْ أعرف سرّ هذه القضية ، . أخبرني الحقيقة يا أحمد . هل سبق لك أنْ التقيت بهذا الشاب ؟ . . .

أجاب أحمد قائلاً : أجل . . . سأخبرك الآن بالحقيقة كاملة . . .

أتذكر يوم أرسلتني إلى قصر الحريم لِأجلب لك المسبحة الثمينة ؟ . . . عندما دخلت يومها إلى حجرتك الخاصة ، رأيت هذا الشاب وهو يطارح جاريتك الفلانية (إيّاها) الغرام . إلاّ أنّني لم أفضح

أمرهما ولم أخبرك حينها بهذه المسألة ،كي لا أسبب الفضيحة والعيب والشنار للخادم والجارية . عدا ذلك ، لا أعرف شيئاً عن هذا الشاب . . .

عند سماعه هذا الكلام ، لعن السلطان الخادم الخائن والجارية الشقية الساقطة . . .

كيف بادلت هذه المرأة الساقطة إحسان أحمد ، ونبله ، وشهامته ؟ . . .

أي إحسان أكبر من هذا الإحسان ؟! لقد تستر أحمد على تلك الشقية ، حيث لم يفضح أمرها أمام السلطان ، فأنقذ بذلك سمعتها وكرامتها من التلوث . . . بينما عمدت الخائنة إلى توجيه تهمة باطلة وخطيرة إليه[1] .

هذه القصة تشبه إلى حدّ كبير قصة يوسف وزليخا .

قصة يوسف وزليخا . . عبرة لكل البشر . . .

لا بدّ أنّ القارىء الكريم قد اطّلع سابقاً على قصة يوسف ، بصورة مجملة . . . لحقت زليخا بيوسف الذي عمد إلى الفرار منها ، وعندما باتت على مقربة منه مدت يدها للإمساك به ، فأمسكت بقميصه الذي ما لبث أنْ قُدَّ من دُبُر بفعل الشدّ ، والشد المعاكس .

هرب يوسف منها مجدداً ، وفي هذه الأثناء ، وصل عزيز مصر إلى المكان ما أنْ وقع نظر زليخا على زوجها ، حتى بادرت إلى توجيه الإتهام إلى يوسف ، كي تبعد الشبهات عن نفسها ، وتبقى في منأى عن المشاكل والمتاعب[2] .

نظرت إلى زوجها ، وقالت له : حاول يوسف أنْ يراودني عن نفسي ، وأنْ يطارحني الغرام . إلاّ أنّني صددته ، ولم أستجب لمحاولاته ،

---

(١) المستطرف ، ص ٢٠٦ .

(٢) ﴿ ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلاّ أن يسجن ، أو عذاب أليم ﴾ سورة يوسف : الآية ٢٥ .

وعندما هرب لحقت به كي أوبخه على فعلته الشنيعة .

وهكذا حرّفت مجريات المسألة ووجهت التهمة إلى يوسف ، إذ إنها صوّرت القضية ، وكأنها محاولة من يوسف لمراودتها عن نفسها ، وتوخّت من خلال ذلك إثبات براءتها .

عندها وجد يوسف نفسه في ورطة صعبة . ماذا يستطيع أنْ يفعل ؟ . . .

إنَّ الله عز وجل هو ناصر المظلومين ، خاصة في مواقع التهمة التي تمثل أبشع وأخطر أنواع الظلم والعدوان ، إلى درجة أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) يقول : البهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات[1] .
وعليه ، فقد نصر الله عز وجل يوسف وأنقذه من هذه الورطة الرهيبة .

ماذا يستطيع أنْ يفعل يوسف يا ترى ؟ . . . هل ينكر هذه التهمة الخطيرة ؟ . . . ولكن من يصدق كلامه ؟ . . . إلاّ أنّ الله عز وجل قد غمر يوسف بعنايته ولطفه ، حيث أنقذه ، وبيّن طهره ، وبراءته ، وعفته ، وعظمته . كما نعرف جميعاً ، فإنَّ الله عز وجل قد أظهر عفة مريم أيضاً ، وبيّن طهرها ، عندما تكلّم عيسى في المهد ، وقدم البرهان الساطع على قداسة أمه ، فكانت شهادته أفضل من أقوال الناس بأجمعهم ، فيما لو أرادوا الإدلاء بشهاداتهم لإثبات عفة مريم . وبذلك حلّت تلك المشكلة التي عانت منها مريم .

لنعد الآن إلى قصة يوسف :

شهد شاهد من أهلها وقال ما مفاده : أنظروا إلى قميص يوسف ، فإنْ كان قميصه قَدْ قُدَّ من قبل ، فهذا يثبت صحة التهمة الموجهة إليه . . . أي إنّه حاول فعلاً أنْ يطارحها الغرام عنوة . أما إذا كان

---

(١) عن الصادق (ع) ناقلاً عن حكيم : « البهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات » . بحار الأنوار : ج ١٦ ص ١٧٠ .

القميص قدْ قُدَّ من دبر ، فهذا يعني أنَّ التهمة باطلة ، ويظهر أنَّ زليخا هي التي أغرته كي يقترب منها ويطارحها الغرام . . . أي إنّها هي التي فاتحته بالأمر وهي المذنبة . . إلى آخر القضية[1] .

وهكذا فقد أنقذ الله سبحانه وتعالى يوسف من هذه الورطة ، ونصره ، ومهّد الأسباب لظهور براءته ، وإثبات طهره ، وعفته ، وإخلاصه . أما عزيز مصر ، فقد التفت إلى زليخا وقال لها ما مفاده : أستغفري لذنبك . . . إذ أنّك كنت من الخاطئين[2] . ثم قال ليوسف ، كما تفيدنا الآية الكريمة : ﴿ **يوسف أعرض عن هذا** ﴾[3] .

لقد إستعرضنا سوية قصة يوسف ، كي نأخذ منها عبرة ساطعة في مجال الحديث الذي نخوض فيه ، وقد استخلصنا منها النتيجة نفسها التي أشرنا إليها في الشرح السابق ، وهي أنّه لا ينبغي للواحد منّا أنْ يلطخ سمعة غيره من الناس ، أو يفضح سيئات وعيوب سواه ، عندما يريد تبرئة نفسه ، وإثبات صدقها ، وتقواها ، واستقامتها ، إذ أنّنا جميعاً نعرف أنَّ هناك في الدار الآخرة حساباً وكتاباً .

إعلموا جيداً وتيقنوا أنّه إذا لم يلاق أحد الناس المصير الذي يستحقه في هذه الدنيا ، فهناك الدار الآخرة التي تحاسبه على جميع أعماله . هذه الدنيا ليس المكان المناسب لذلك .

أساساً هذه الدنيا ليست المقام المناسب الذي يلاقي فيه البشر المصير الذي يستحقونه ، أو يحصدون فيه نتائج أعمالهم ، ومسلكهم إنَّ نتائج الأعمال والسلوك تحصى في العالم الأعلى . . . في يوم القيامة .

لذا نجد أنَّ الإمام السجاد (عليه السلام) يقول : (يؤخذ بيد

---

(١) ﴿ وشهد شاهد من أهلها إنْ كان قميصه قُدَّ من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ . سورة يوسف : الآية ٢٦ .

(٢) ﴿ إستغفري لربك إنّك كنت من الخاطئين ﴾ . سورة يوسف : الآية ٢٩ .

(٣) سورة يوسف : الآية ٢٩ .

العبـد يوم القيـامة ، عـلى رؤوس الأشهاد ، ألا من كـان له قِبَـلَ هذا حق فليأخذه)[1] .

من هم أصحاب الحقوق هؤلاء ؟ . . . هم أولئـك الذين اغتبتهم في الحياة الدنيا . . . أولئك الـذين اعتديت عليهم من خـلال أعراضهم ، أو أحـوالهم . . . هذه الفئـات تقف لك بـالمـرصـاد يـوم القيـامـة ، وتـطالب بحقها ، وترهق كاهلك . بما عندها من تظلّم وشكاوى .

ذات مـرة ، قـال أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) مـا مفـاده : يـا شيعتي . . . إذا إستـطعتم أنْ تـرحلوا عن هـذه الـدنيـا دون أنْ تكـون أيديكم قد تلطخت بـدم مسلم أو مالـه . . . ودون أنْ تكون ألسنتكم قـد نالت عرضه ، أو كرامته سوء . . . فهذا هو الطريق القويم .

إذن فأمير المؤمنين علي (عليـه السلام) ، يـطلب منّا جميعـاً أنْ نسير على هذا الدرب ، وأنْ نتصرف وفق هذه الطريقة .

(١) لآلىء الأخبار : ص ٥٤٨ .

«٢٣»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لقد شرحنا في الفصل السابق ، عدة أفكار ، ومواضيع تتعلق بمسألة الغيبة . أما الآن ، فسوف نحاول شرح الآيـة الكريمـة ، وتطبيق مـدلولها على المطالب التي مرّت معنا .

نشير بداية إلى أنَّ (الغِيبَةَ) التي تشكل مدار بحثنـا وحديثنـا ، يجب أنْ تلفظ بكسر الغـين . وذلك لِأنّـه إذا لفظت بفتـح الغين ، فسـوف تفيد عندها معنى الغياب . ﴿ **ولا يَغْتَبْ بعضُكم بعضًا** ﴾ . . .

إذن فالمعنى يفيد النهي . أي إنَّـه لا يجوز أنْ يغتب بعضكم بعضـاً . التعبـير المستعمل في هـذه الآية الكـريمة يبث الغـيرة في النفوس ، أي إنّكم تشكلون نفساً واحدة ، أيهـا المسلمون . . . لا تغتـابوا أنفسكم . ﴿ **أيحبُّ أحـدكم أنْ يأكـلَ لحمَ أخيه ميتـاً** ﴾ . . . يا لـه من تشبيه عجيب ومؤثـر . لاحظ كم أنَّ هـذه الآية تـدفع بـالإنسان إلى التنفـر والإشمئزاز من مسـألة الغيبـة ! تـرى ، هـل يحب أحـدكم أنْ ينهش لحم أخيـه بعـد أنْ يـدركـه الموت ؟. . . هل تطاوعه نفسـه أنْ يتناول خنجـراً ليقطع بـه أوصال أخيـه الميت ، كي يلتهمها قطعة بعد قطعة ؟. . .

بـالله عليكم ، حـاولـوا أنْ تـركـزوا أذهـانكم جيـداً ، كي تتخيلوا حـدوث هذا العمـل المرعب الفـظيع . . . تـرى ، هل يمكن لِأحـدكم أنْ

تحدثه نفسه بالقيام بهذا العمل البشع المهول ؟ . . . ﴿ فكرهتموه ﴾ . . . لا شكَّ أنّكم تكرهون ذلك ، وتستنكرونه أشدّ الإستنكار ، وتدينونه أشدّ الإدانة . إذ إنّ أكل لحم الأموات يختص بالحيوانات التي تتغذى من لحم الجثث . . . يختص بالكلاب على سبيل المثال .

إنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي ارتأى ذلك لحكمة بالغة ، لكي لا تبقى هناك أية جثة على سطح الكرة الأرضية ، ولكي يبقى سطح الأرض نظيفاً وصالحاً لحياة البشر عليه .

إذن فطبيعة الإنسان تأنف من أكل الجثث ، وتنفر من هذا العمل الوحشي . نشير إلى أنّ هذا التعبير قد استعمل على سبيل التشبيه ، وضرب المثال واستعمل من أجل تنفير الخلق من مسألة الغيبة ، وتبيان حقيقة من الحقائق الموجودة في عالم الملكوت .

تشبيه الغيبة بأكل لحم الميت . . .

وفي مجال تبيان المثال وتقديمه ، يقول الله عز وجل ما مفاده : عندما تغتاب أحد المؤمنين ، فكأنك قد أكلت لحمه ، وهو ميت .

إذَنْ عندما تهدر كرامة أحد المؤمنين ، فكأنك قد قطعت لحمه ، وهناك رواية تفيد بأنّه إذا قام أحد الناس بقطع حبل حديث غيره ، أي لم يدعه يكمل حديثه حتى النهاية ، فكأنّه قد أخذ شوكة بيده ، وقطع بها اللحم الموجود على وجه ذلك الإنسان .

إنتبه جيداً . . . عندما تهدر كرامته ، فكأنك قد مصصت دمه . . . كأنك قد نهشت لحمه ، وشوهت جلده ، وعندما تقطع حبل حديثه ، فكأنك قد ضربته على وجهه . . . كأنك قد قطعت لحم وجهه .

﴿ ميتاً ﴾ . . . لماذا ؟ . . . عندما يشار إلى أنّه ميت ، فذلك على أساس غفلته عما يقال عنه في غيابه وذلك الإنسان المسكين يجلس في بيته آمناً مطمئناً ، لا يعرف أنّك تجلس في المكان الفلاني ، وتغتابه ، وتهدر

كرامته ، أمام الآخرين . إنّه غافل عن هذا الأمر تماماً ولا يعرف شيئاً عن القضية ، كي يدافع عن نفسه . لذا فإنّ حالته تشبه حالة الميت ، الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

المنفعة الإجتماعية التي يحصل عليها ويقدمها كل إنسان :

نتناول الآن التعبير الذي استخدم في الآية من خلال قـوله عـز وجل ﴿ لحم أخيه ﴾ :

إذن فقد دلّ على الشخص الذي تطاله الغيبة ، بكلمـة ﴿ أخيه ﴾ . أي إنّ الله سبحانه وتعالى يقول مـا مفاده : أيهـا الناس . . . لا تسيئـوا إلى أنفسكم . . . لا تنزلوا هذه المصائب على رؤوسكم . . . هذا الأمـر ما هـو إلا تقطيع أوصال الواحد من قبل الآخر . . . ما هـو إلاّ أكل جثـة أحدكم من قبل الآخر .

هذا التعبير ينطوي على سر خاص أشرت إليه فيما سلف من القول ، واستناداً إلى البرهان العقلي نفسه الذي أشرت إليه سابقاً ، تتجلى لنا حرمـة الغيبة .

أمـا البرهـان فهو التـالي : لقد ارتـأى الله ، جل جـلاله ، بحكمتـه البالغة ، أنْ تكون الأمور في هذه الدنيا على النحـو التالي : يجب أنْ يكـون كل شخص في هذه الحياة مفيداً ، أو مستفيـداً ، من أجل استقـرار النظام في العالم ، أو بعبارة أخرى ، نقول : إنَّ كل إنسان (كائناً من كان) له أثر وجودي . وهذا الأثر الوجودي يجب أنْ يظهر ويتجلى . ومن جهة أخرى ، له أنْ يستفيد من الآثار الوجودية التي يتمتع بها الآخرون .

لنقدم مثالاً بسيطاً من أجل توضيح الفكرة ، وتقريبها إلى الأذهان :

لنفرض أنّ أحد النـاس يتمتع بمهـارة في العجن والخبز . . . أي إنَّـه يستـطيع تحضـير الخبز الشهي ، وعنـدها يتـوجب عليه أنْ يمـارس عمله ،

ويحضر الخبز اللذيذ . . . أي أنّ يفيد الناس عبر الأثر الوجودي الذي يتمتع به .

ومن جهة أخرى ، له أن يشتري الأرز والسكر من صاحب الدكان . . . وأن يصمم ثيابه عند الخياط . . . فمن جهة يفيد . . . ومن جهة أخرى يستفيد .

إذَنْ فكل البشر ينبغي أنْ يستفيدوا من بعضهم البعض . . . إفادةً واستفادةً في آن . . . مفيد ومستفيد في آن . . . على هذا المنوال .

ومن نافل القول إنّ ذلك لا يتحقق إلاّ عندما يكونوا مع بعضهم البعض . إلى أنْ نصِل إلى فئة علماء الدين . . . إلى الروحانيين . عالم الدين أيضاً يجب أنْ يكون مفيداً ، ومستفيداً في آن واحد . فمن أولى مهماته التصدي إلى تصحيح مسار عقيدة الناس الدينية إنْ كانت منحرفة ، ورعاية مسلكهم ، وإلتزامهم . وهذا الأمر يستوجب أنْ يكون هناك اتصالاً وتواصلاً مع الناس . فإذا توفر الإتصال بالناس ، فذلك يتيح لهم أنْ يستفيدوا منه . أما إذا حدث الإنفصال ، فإنّ مسألة الإفادة والإستفادة لا يمكن أنْ تتحقق .

نشير هنا إلى أنّ مسألة الغيبة تعتبر من الأسباب التي تؤدي إلى انفصال أجزاء المجتمع عن بعضها البعض . إذ إنّ الإنسان الذي يغتاب غيره ، كأنّه قد قام بتدميره . . . كأنه قد أزاحه إلى خارج نطاق المجتمع . . . كأنه قد جعله عديم الفائدة . الإنسان الذي يغتاب عالماً ، أو واعظاً ، أو مرشداً ، أو أي شخص آخر ، فإنّه يحول في الواقع دون استفادة الناس والمجتمع من فضله ، ومواهبه ، ومزاياه .

ومن أجل هذا السبب ، حرمت الغيبة كما حرم التجسس : إذ إنّ التجسس يعتبر مقدمة لحدوث الشرخ والإنفصال .

والإنفصال بدوره يعتبر من الأسباب التي تؤدي إلى القضاء على حركة الإفادة والإستفادة التي أشرنا إليها . فلو أنّ ذلك الدنيء لم يقم

باغتياب العالم الفلاني ، أو الشخص الفلاني ، لكان عدد من الناس قد ذهب إلى مجلسه ، واستمع إلى كلماته ، واستفاد من علمه وفضله . إلّا أنّه قام بتدمير ذلك الشخص . . . أي إنّه وضع حاجزاً وحاجباً بينه وبين المجتمع . . . أي إنه قد أبعده عن المجتمع الإسلامي والديني ، وعن دائرة الأخوة . . . وبات سبباً في عدم إستفادة الخلق منه من جهة ، وعدم إستفادته هو من المجتمع من جهة أخرى .

الشيخ المقدس الذي اتهم بعدم التقيّد بالطهارة . . .

منذ خمسين أو ستين سنة ، خلت ، كان هناك رجل من أهل العلم ، والفضيلة ، والإرشاد ، في مدينة (شيراز) . إلّا أنّ أحداً لم يكن يأتم به في الصلاة ، لِأنّه كان قد اشتهر بين الناس بعدم التقيد بمسألة الطهارة . هذا بالرغم من كونه فاضلاً ، وعالماً ، وعادلاً . كان يتميز بمختلف المحاسن والمواهب . . . إلّا أنّه إتهم بهذه التهمة الشنيعة ، حتى لم يعد أي شخص يأتم به في الصلاة . وهكذا وجد نفسه في هذه الحالة المحزنة ، بعد أنْ كان يتمتع في السابق بإسم محترم ، وموقع موقر في مجتمعه . . . وبعد أنْ كان ذي شأن ومقام . أما سبب هذا التحول فهو التالي :

ذات مرة ، أراد هذا العالم الجليل أنْ يتشرف بزيارة مقام الإمام الرضا (عليه السلام) في مدينة (مشهد) ، عندها قرر عدد كبير من محبيه ومريديه الذين كانوا يواظبون على الصلاة خلفه في صلاة الجماعة مرافقته في سفرته هذه . وأثناء السير في الطريق ، حيث كانوا يقطعون المسافة على ظهر الدواب ، شعر العالم إياه بحاجة ماسة إلى قضاء حاجته (دخول المرحاض) . في البداية حاول التحامل على نفسه ، إلّا أنّه لم يقوَ على ذلك . كما أنَّ الماء لم يكن متوفراً في تلك المنطقة . فجأة ترجل الشيخ عن ظهر الدابة ، وذهب بسرعة إلى نقطة بعيدة عن الأنظار في الصحراء ، حيث قضى حاجته تحت وطأة الضرورة الملحة التي لم تمكنه من التأجيل . ثم قام بتنشيف جسمه ريثما يصل إلى مكان آهل حيث يمكنه تطهير موضع

النجاسة هناك (نشير هنا إلى أنّه في بعض الأحيان ، يحرم الإمتناع عن التبول ، إذا كان يترتب على ذلك ضرر معين) . إلاّ أنّ أحداً من مرافقيه لم يتأكد ما إذا كان الشيخ قد بادر إلى التطهر فيها بعد أم لا . وخلال فترات السفرة هذه ، لاحظ الشيخ أنّ عدد المصلين خلفه في صلاة الجماعة بات يخف تدريجياً ، حيث راح المؤتمين به ينسحبون الواد تلو الأخر . فراح يسأل نفسه : يا إلهي . . . ما هو المنكر الذي ارتكبته يا ترى ؟ هل سطوت على منزل أحد ؟ . . أم هل تجسست على خلق الله ؟ . . .

وعند العودة إلى (شيراز) ، لم يكن هناك من يأتم به في الصلاة سوى شخص واحد .

وبعد فترة ذهب إلى المسجد الذي اعتاد على أمّ الناس في الصلاة فيه ، فوجد أنّ ذلك الشخص أيضاً لم يحضر ، وإستمر الوضع على هذا المنوال حتى آخر عمره . وتبينّ في النهاية أنّ أولئك الخبثاء ، رفاقه في السفر ، قد أطلقوا بين الناس شائعة مفادها أنَّ الشيخ الجليل لا يلتفت لشؤون الطهارة ولا يهتم بها !

ومن المعروف أنَّ عامة الناس لا تهتم بالتدقيق والتحقيق ، إذ إنَّ طريقة تدينها تقوم على الكلام المسموع . . . . الكلام وتقليد الآخرين .

فإذا انتشر خبر يفيد بأنّ فلاناً من الناس هو شخص جيد ، قالوا عنه إنّه جيد .

وإذا قيل العكس ، أي أنه إنسان سيّيء ، قالوا عنه الكلام عينه .

وهكذا انتشرت هذه الشائعة في أجواء المدينة كالوباء المسري ، وبات الجميع يتهمونه بعدم التطهر . وهذا الأمر قد سبّب بالتالي إقتلاع إحدى مصادر النفع ، والخير ، والفائدة ، من ساحة المجتمع .

فقد عرفنا كما تقدم أنّ أحداً لم يعد يستفيد من قدرات الشيخ الجليل حتى آخر عمره ، وذلك على الرغم من أنّه كان باستطاعة الكثير من الناس

أنْ يستفيـد من علومه ، ومـواعظه ، وإرشـاداته ، من خـلال الحضـور إلى المسجد والمشاركة في صلاة الجماعة التي يؤمها .

الويل لمن يغتاب أحد العلماء !

هنا فرق شاسع بين اغتياب بقّال معيّن ، واغتيـاب عالمٍ مـا ، وذلك إستناداً إلى البون الكبير في مسألـة الإفادة والإستفـادة التي يؤديها كـل واحد منهما .

إذا كان مذنباً فعلاً ، حَدِّثْهُ بالأمر بنفسك :

نعلم جيداً أنّه إذا رأيتَ عيباً ، أو عـملاً مشينـاً ، قد صـدر عن أحد المسلمـين ، فلا يحق لـك أنْ تحدث النـاس به . أولاً يجب أنْ تحمـل الأمر على محمل الصحـة . . . ربما اشتبـه الأمر عليـك ، وكان العمـل طبيعياً لا شين فيه . أما إذا تيقنت من سوء العمل وقبحه ، فيجب عليك عندئـذٍ أنْ تحدث الطرف المعني بـالأمر ، من بـاب النهي عن المنكر . . . أي أنْ تحثـه على ترك الذنب ، والعودة إلى جادة الصواب . . . لا أنْ تعمـد إلى فضحه أمـام النـاس . . . كـأن تقـول مثـلاً : لقـد رأيتــه وهـو يـلاحق إحـدى الحسناوات . . . ربما كـانت زوجته . . . حـلاله . . كيف عـرفت أنّها فتاة غريبة ؟ . . . .

وإذا تـأكدت أنّها فتـاة غريبـة لا تحـل لـه ، يجب عليـك أنْ تـذهب إليه ، وتحدثه بالأمر ، وتقول له : ما هـذا العمل الـذي قمت به ؟ . . . لا أنْ تنشر القضية ، وتفضحه أمام الناس . . . أجل ، لقد رأيته وهو يتـوجه إلى منزل إحدى العاهرات !

بصـورة مجملة ، نقول : إنّـه لا يحق لك أنْ تـذيع الأمـر ، عنـدمـا تلاحظ أنّ أحد الناس قد ارتكب معصية معينة . وذلـك كي لا يؤدي هذا الأمر ، وغيره من الأمور المشابهـة ، إلى انفراط عقـد المجتمع وتشتتـه . . . كي لا تنفصل أعضاء المجتمع عن بعضها البعض . . . كي لا يوصد باب

النفع المتبادل ، الإفادة والإستفادة . من هنا نقول : إنّه عندما يُفتح باب الغيبة ، فإنَّ باب الفساد والإبتعاد عن الإيمان يُفتح أيضاً .

المفاسد التي تظهر على أثر اغتياب العلماء :

نستطيع القول : إنَّ أكثر أوجه الإبتعاد عن الإيمان ، التي تنتشر في أوساط الناس ، تنشأ عن الإبتعاد عن العلماء . كما أنَّ الإبتعاد عن العلماء ينشأ هو الآخر عن ضروب الغيبة ، ومخاطر التهم .

ينبغي على الواحد منّا أنْ يبذل جهوداً مضنية ، كي يتمكن من إقناع أحدهم بمسألة الذهاب إلى المسجد لِأداء صلاة الجماعة ، والجلوس أمام المنبر ، والإستماع إلى النصائح والمواعظ التي تقدم هناك ، وذلك لِأنّ هذا الأمر يخالف هوى النفس .

أما إذا أردت أنْ تبعد بينه وبين الأجواء الدينية المشار إليها ، فالأمر لا يحتاج إلى عناء كبير ، إذ إنّك تصل إلى مبتغاك بواسطة كلمة واحدة ، وتشويش بسيط ، كأن تقول له على سبيل المثال : هناك بعض الأمور التي يعرفها الإنسان ، ولكنه لا يستطيع البوح بها . . . فقد يقع في مطب استغابة الآخرين .

ما أنْ تقول هذه الجملة ، حتى تجد أنّ ذلك الشخص قد تأثر بكلامك ، وامتنع عن متابعة سيره السابق .

إنْ كنت رجلًا فعالاً ومؤثراً حقاً ، فخذ بيد أحد الناس ، وحثه على الذهاب إلى مجالس الوعظ ، والهداية ، والإرشاد . ولا تمارس نقيض ذلك . . . أي أنْ تدفع بالإنسان المقبل على دروس الوعظ إلى خارج نطاق هذه المجالس . ترى ، هل تريد أنْ تتحول إلى شيطان مضل ؟ . . . .

إنْ كنت إنساناً عاقلاً ، وحكيماً ، ومقتدراً ، حقاً ، فخذ بيد أحد الناس وأْتِ به إلى دائرة الهداية ، ولا تقم بعمل معاكس . . . أي أنْ تحاول ردع الإنسان الذي قد اهتدى فعلاً ، ومنعه من إدامة هذا الطريق ،

كأن تسأل أحـدهم على سبيـل المثال : في أي مسجـد تؤدي الصلاة ؟ . . . فيجيبك قائلاً : في المسجد الفلاني . . . فتقول له : يا لطيف . . . . هناك أقاويل عديدة تقـال عن أجواء هـذا المسجد . . . ألم تسمـع شيئاً من هـذا القبيل ؟ . . .

عنـد سـماع هـذا الكـلام ، لا بـدّ أنّ ذلـك الشخص سيمتنـع عن الذهاب إلى المسجد المعني .

والمصيبة الكبرى هي أنّه لا يذهب بـدلاً من ذلك إلى مسجـد آخر ، أو جلسة دينية أخرى ، بل يبتعد عن الأجواء الدينية بشكـل عام . . . أي أنّه يصبح منسلخاً عن المجالس الروحية ، وينـطلق كما يحلو لـه في الحياة ، إذ أنّـه قد تمضي فـترة طويلة من الـزمن حتى يثق بعالم وروحـاني آخر يحضر مجالسه .

لتحل لعنة الله على كل مغتاب ، وكل شخص يسعى من أجل تفرقة جماعة المسلمين . . . تفرقـة أولئك الـذين يريـدون أنْ يتوجهـوا إلى الله عز وجـل . . . فالمسـألة هنـا تدخـل في باب (الصـد عن سبيل الله)[1] . . . يقول الواحد منهم في تبرير فعلته الشنيعـة : أنا لا أكـذب . . . أنا صـادق فيما أقوله . .

إنْ كنت تكـذب فيما تقـول ، فقد وجهت تهمـة إلى الطرف المعني . الغيبـة تعني أنْ تقول الشيء الـذي تعرفـه . . . الشيء الذي شـاهدتـه بأم عينك . . . هذه هي الغيبة .

أما إذا كذبت في حديثك ، فعندها تلج باب التهمة .

إذَنْ فـالمطلوب منـك ليس فقط ألا تتحـدث عن الأشيـاء التي لست متيقناً منها ، بل الإمتناع أيضاً عن التحدث عن الأشياء التي تعرفها .

من الجـدير بـالذكـر أنّ الكثير من الـروايات يستفـاد منها عـلى هـذا

---

(١) ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ سورة إبراهيم : الآية ٣ .

النحو . نشير هنا إلى أنَّ العمل الذي يقدم عليه الإنسان في هـذه الدنيـا ، يتمتع بحقيقة تكمن خلف صورته الظاهرة للعيان . فكما أنّ العمـل المشار إليه يتمتع بظاهر واضح العيان ، فإنّهُ يتمتع بباطن أيضاً ، ويطلق على هذا الباطن إسم الملكوت .

وبعد أنْ يدرك الموت الإنسان ، يجد نفسه مع العمل الذي قام به في حياته الأولى .

عندما يقوم أي واحد منّا باغتياب أحد الناس . . . أي بذكـر عيوبـه ومسـاوئه . . . أي بفضـح ذلـك الشخص أمـام الآخـرين . . . أي بهـدر كرامته وماء وجهه أمام الناس . . . فما هو ظاهر عمله هـذا يا تـرى ؟ . . . ظـاهره يتمثـل عـبر الفم ، واللسـان والفـك . . . إلاّ أنّ هـذا العمـل لـه ملكوت وصورة باطنية كما أسلفنا ، فما هي صورته الباطنيـة يا تـرى ؟ . . . إنّها أكل لحم الميت .

عندما إغتاب أبو بكر وعمر ، سلمان وأسامه . . .

في جميع الجوامع : وروي أنّ أبا بكر وعمر بعثا سلمان إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ليأتي لهما بطعام ، فبعثه إلى أسـامه بن زيـد ، وكان خازن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) على رحله ، فقال : ما عنـدي شيء . فعاد إليهـما فقالا : « بخـل أسامـه ولو بعثنـا سلمان إلى بئـر سميحة لغار ماؤها ! » ثمّ انطلقا إلى رسول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلم) فقال لهما : مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكـما ؟ قالا : يـا رسول الله مـا تنـاولنـا . اليـوم لحـماً ! قـال : ظللتم تـأكلون لحم سلمان وأسـامـة . فنـزلت . . . (أي أنكما قـد اغتبتـما هـذين الشخصـين)[1] . . . . أي إنَّ ملكـوت ذلك العمـل . . . ملكـوت أقـوال أبـو بكـر وعمـر في حق سلمان أسامة ، ما هو إلاّ أكل لحم الميت . . . ملكوتها هو ما يراه محمد (صلّى الله

(١) تفسير نور الثقلين ، ج ٥ ص ٩٥ .

عليه وآله وسلم) . وإستناداً إلى إحدى المصادر الأخرى ، قال لهما ما مفاده : إنّي أرى لحم سلمان بين أسنانكما .

الإنسان نفسه لا ينتبه إلى هذه النقطة في الحياة الدنيا ، ولكنه عندما يموت ، فإنّه يرى تلك الجثة بنفسه ، ويشم رائحتها العفنة الكريهة .

ذات مرة سرت رائحة عفونة حادة في مجلس النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، من دون أي سبب ، أو دليل ظاهري ، حيث شعر الحاضرون بوجود رائحة جثة هامدة ، وقد تسبب هذا الأمر بانزعاج لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، حيث قال ما مفاده : إنّها رائحة الغيبة . . . ثم أضاف ما معناه : لقد قام عدد من المنافقين باغتياب رجال من المؤمنين . . . وهذه الرائحة الكريهة التي تشمونها ، قد سرت نتيجة ذلك[1] . . . .

خمس أوجه من الملكوت ، تبعث على الحيرة !

قلنا في الفصل السابق : إنّ كل عمل . . ، كل قول أو تصرف . . . يتمتع بباطن وملكوت إلى جانب ظاهره . من المفيد أنْ نتطرق هنا إلى رواية نقلت عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)[2] .

ذات مرة أُرِيدَ أن يُكشَفَ عالم الملكوت لِأحد الأنبياء ، لكي يرى بعينه ملكوت خمسة أشياء محددة . قيل لذلك النبي ما مفاده : غداً ، كُلْ أول شيء تصادفه أمامك . وإدفن ثاني شيء تراه أمامك . . . إدفنه تحت التراب . واحتفظ بالشيء الثالث الذي تقع عينك عليه . أما الشيء الرابع الذي يصادفك ، فلا تحرمه ، ولا تخيب أمله . أما الشيء الخامس الذي تراه ، فاهرب منه على الفور . قال النبي ما مفاده : سمعاً وطاعة .

وعندما أقبل اليوم التالي ، إنكشفت له عالم الملكوت . أول شيء

---

(١) لآلىء الأخبار : ص ١٨٤ .

(٢) مستدرك الوسائل .

صادفه كان عبارة عن جبل شامخ ظهر أمامه . قال في نفسه ما معناه : لقد طلبوا مني أنْ آكل أول شيء أراه اليوم . يا إلهي . . أرى جبلاً مهولاً أمامي . . ما العمل يا ترى ؟ . . . .

ثمّ حاول إقناع نفسه بالأمر ، حيث قال في نفسه ما معناه : لقد أُمِرْتُ بأنْ آكل أول شيء أراه . . . إذن لا بدّ أنَّ أكله ممكن . . . يجب أنْ أقترب من هذا الجبل . . . فلو كان أكله مستحيلاً ، لما طلب مني ذلك . .

ثم تحرك ، وذهب باتجاه ذلك الجبل الشامخ ، ولكنه لاحظ أثناء سيره شيئاً في غاية الغرابة ، لاحظ أنّ الجبل يتضاءل بمقدار معين مع كل خطوة يخطوها إليه . . . وكلما إقترب منه أكثر ، كان الجبل يتضاءل أكثر . وعندما وصل إليه تماماً ، كان الجبل قد تحوّل إلى ما يشبه اللقمة الصغيرة . . . وضع اللقمة في فمه ليأكلها ، فوجد أنّها أشهى وأطيب من الحلوى . في البداية ، شاهد جبلاً شامخاً ، مهولاً ، صلباً . . . ومن ثم تحوّل الجبل إلى لقمة هنيئة ، لذيذة ، وطيبة . ومن الطبيعي أنّ اللذة الملكوتية تختلف عن اللذة المادية . إنّها تفوق هذه الأخيرة بمئات الأضعاف .

ثمّ تابع النبي سيره ، وكان قد أُمر من قبل بأنْ يخفي الشيء الثاني الذي يصادفه تحت التراب . وبينما كان يتابع سيره ، وجد وعاءً ذهبياً كبيراً في الطريق . فما كان منه إلاّ أنْ دفن الوعاء ، الذهبي تحت التراب . وعندما أدار ظهره ليذهب ، سمع صوت هزة تنبعث من الأرض . أُزيحت أكوام الرمل عن الوعاء الذهبي ، حيث ظهر للعيان مرة أخرى . قال النبي في نفسه ما مفاده : هذا الأمر لا يعنيني . لقد طلبوا مني أنْ أدفن الشيء الثاني الذي أراه أمامي ، وقد قمت بذلك فعلاً .

أما الشيء الثالث الذي رآه ، فكان عبارة عن حمامة كانت تُطَارَدُ من قِبَل إحدى طيور الباز . أسرعت الحمامة المسكينة والتجأت لدى هذا النبي . وكما ذكرنا ، فقد طلب من النبي أنْ يحتفظ بالشيء الثالث الذي

يصادفه في طريقه . فما كان منه إلاّ أنْ أخذ الحمامة ، وجعل لها من ثوبه حصناً أميناً تأوي إليه مطمئنة .

الشيء الرابع الذي رآه كان عبارة عن طير الباز الذي يستعمل في أغراض الصيد . قال في نفسه ما معناه : لقد طُلِبَ مني ألا أحرمه . . . لذا فقد قدم إليه قطعة صغيرة من اللحم .

الشيء الخامس الذي هو شاهد حديثنا وشرحنا ، والذي طلب من النبي أنْ يهرب فور مشاهدته ، فكان عبارة عن جثة هامدة ، تنبعث منها رائحة عفونة كريهة إلى حدّ لا يوصف (نشير هنا إلى أنَّ الجثث تختلف في أنواعها ، أما النوع الذي تفوق رائحته بقية الجثث من حيث القرف والتعفن ، فهو جثث البشر . إذ أنّ رائحتها تزعج إلى حدّ كبير . لذا ينبغي أنْ تدفن جثة الإنسان تحت التراب . . . كما ينبغي أنْ توضع في قبر ينخفض عن سطح الأرض بدرجة مناسبة ، كي لا يبقى أي مجال لتسرب الروائح إلى الأعلى . . . لكي لا ينزعج الأحياء من عفونتها ونتانتها . . . أجل ، هذه هي المسألة) .

ما أنّ رأى النبي تلك الجثة أمامه ، حتى أطلق العنان للفرار (ولكن يا عزيزي . . . إعلم إنّك لن تتمكن من الفرار بعد حلول الموت . . . كن على ثقة من هذا الكلام . يقول القرآن الكريم في إحدى آياته : ﴿ **تودّ لو أنّ بينهم وبينها أمداً بعيداً** ﴾[1] . . . تتمنى أنْ تكون بعيداً . . . إلا أنّ ذلك غير ممكن . . . ربما تجد نفسك لا سمح الله محاطاً بالجثث الهامدة كيفما التفتّ ، وأينما ذهبت) . بعد أنْ شاهد النبي هذه المناظر الملكوتية الخمسة ، سأل عن حكمتها . عندها قُدم له الشرح التالي :

أما الجبل الذي شاهده ، فهو تجسيد لحالة الغضب التي تتملك من الإنسان في بعض الأحيان . إذ إنّ الإنسان عندما ينفعل ويغضب ، يجد صعوبة بالغة في تهدئة روعه ، وتمالك أعصابه . وقد تكون صعوبة أدائه

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٠ .

لهذا التحكم ، تعادل صعوبة أكله للجبل كما طلب من ذلك النبي .

ولكن إذا تمكن الإنسان من إخماد جام غضبه على الرغم من صعوبة ذلك ، وإذا تحكم بأعصابه ، وكبت ثورته ، لوجه الله ، عز وجل . . . فإنّه يصل إلى مرحلة يشعر معها بلذة داخلية كبيرة ، بسبب سكوته ، وهدوء روعه . . . وعندها يقول في نفسه : الحمد لله . . . لم أتفوّه بأية كلمة معيبة . . . الحمد لله . . لم أضرب أحداً .

نعلم جميعاً أنّه في بعض حالات الغضب القصوى ، يعمد البعض إلى تمزيق ثيابهم . . . نستجير بالله من هذه الحالات الخطيرة . وفي الحالات المشار إليها ، قد تتملك من أحدهم الرجفة والإرتعاشة . . . وقد يصاب بصدمة عصبية حادة . . . وقد يصاب بسكتة ناقصة أو كاملة . . . وقد يصاب بمرض الفالج . . . وعندها لا ينفع الدواء والعلاج ولكن إذا تمالك أعصابه ، وسيطر على مشاعره ، وتحكم بإنفعالاته وأسكت غضبه ، فيشعر وكأنه يتناول لقمة طيبة لذيذة .

الشيء الثاني : العمل الخالص . أيها الإنسان المسلم . . . إذا أديت عملاً في سبيل الله ، فحاول إخفاء ذلك عن الآخرين ولا تخاطب الناس بقولك لهم تعليقاً على إنجازك : الحمد لله تعالى . . . لقد وفقت إلى إنجاز عمل خير فيه نفع لأحد الناس . . .

في بعض الأحيان ، تجد أنَّ الواحد منّا يكذب على نفسه . إذ أنّه يقول في نفسه تبريراً لتحدثه عن أعماله : أنا أقول ذلك كي أحثّ الآخرين ، وأشجعهم على الخيرات . هذا كلام فارغ ! أنت تتحدث عن أعمال الخير التي تؤديها ، لِأنّك تريد أنْ تبرز ، كي يشار إليك بالبنان . إخفِ تلك الأعمال عن علم الناس ، والله سبحانه وتعالى ، هو الذي يكشف عنها . إذ إنَّ الله عز وجل هو الذي يمهّد الأجواء كي تحدث الناس عن فضائلك وأعمالك الخيرة ، وكي تصبح موضع مدحهم وتبجيلهم ، على نحو أفضل بكثير ، ممّا كنت تتشوق إليه في سريرتك .

الشيء الثالث : الحمامة التي قيل للنبي أنْ يحتفظ بها ، كانت تعبيراً عن النصيحة . إذا أسدى أحد الأشخاص نصيحة معينة لك ، لا تنكر عليه ذلك ، ولا تحاول إسكاته . . . لا تقل له : ومن أنت حتى تسدي لي النصائح والمواعظ ؟! كائناً من كان ذلك الشخص ، حتى ولو كان أصغر منك وأضعف . . . وحتى ولو كان مذنباً أكثر منك . . . إستمع إلى النصيحة جيداً بغض النظر عن الطرف الذي تصدر عنه هذه النصيحة .

الشيء الرابع : الذي طلب من النبي ألّا يحرمه ، ويخيّب أمله ، هو السائل ، كائناً من كان هذا الإنسان . إذا طلب منك مطلق إنسان شيئاً معيناً . . . مهما كان نوع هذا الطلب ، لا تحرمه ، ولا تخيب أمله .

أما الشيء الخامس الذي طلب من النبي أنْ يهرب فور مشاهدته ، فهو الغيبة . . . هو جثة الميت الهامدة . إذا كنت موجوداً في إحدى المجالس ولاحظت أنّ الحاضرين يريدون إغتياب أحد الناس ، أهرب فوراً ، ولا تستمع إلى كلامهم . إذا استمعت إلى حديثهم هذا ، فيجب عليك حينئذٍ أنْ ترد الغيبة . . . أنْ تجيب على ذلك الكلام . . . أنْ تصلح الأمر . . . أنْ تمنع ذلك . . . يجب عليك أنْ تحثّ المغتاب على طلب التوبة والمغفرة . وإذا كان الأمر كذلك ، أليس من الأفضل لك أنْ تهرب قبل أنْ تلقى على كاهلك هذه المسؤولية الشاقة[1] .

نكرر القول والتذكير هنا : كل عمل يؤديه الإنسان في الدنيا ، يتمتع بملكوت معين ، وملكوت مسألة الغيبة أيها المؤمنون ، هو أكل جثث الأموات . . . الأمر الذي يتوضح للجميع بعد حلول الموت .

طلب المسامحة بعد مضي سنة كاملة . . .

كتب الحاج نوري في (دار السلام) كلاماً مفاده أنّ أحد الناس قد حدث نفسه من دون أنْ يظهر حديثه هذا على أي إنسان ، وهذا ما يمكن

(١) لآلىء الأخبار : ص ١٨٥ .

أنْ نسميه حديث النفس . أي إنّه قد اغتاب أحدهم في خياله ، ومع نفسه . ذات يوم شاهد الشخص المعني ، فقال في نفسه : هذا الرجل كلّ على الناس . . . إنّه نصّاب ومحتال . . . !

وعندما أخلد إلى النوم في الليل ، شاهد في عالم الرؤيا جثة مرمية أمامه . وطُلِبَ منه أنْ يأكل تلك الجثة ، فقال : حتى اللحم الحلال لا آكله في الدنيا . . . أتريدون مني أنْ آكل لحم الميت الآن ؟ . . . فأتاه الجواب الصاعق : لقد تناولت ما تتحدث عنه ، اليوم في المقبرة .

لذا فقد واظب طوال سنة كاملة على الذهاب إلى المقبرة عله يعثر على ذلك الشخص ، كي يطلب منه السماح ، ويعتذر منه ، لكنه لم يكن يتوفق في مسعاه أبداً .

تأمّل الألم الشديد الذي اعتصر قلب هذا الإنسان بسبب تهاونه في شأن من شؤون دينه .

ترى هل نتصرف أنا وأنت بالطريقة نفسها إذا قمنا باغتياب أحد الناس ؟ . . .

ترى هل نشعر نحن أيضاً بألم يعتصر قلوبنا كي يحثُنا الندم على الذهاب إلى الجهة المعنية ، وطلب المسامحة منها ؟ . . .

بعد مضي سنة كاملة إلتقى بالشخص المطلوب ، الذي بادره إبتداءً بالحديث بقوله ؛ هل جهزت نفسك للتوبة ؟ . . . :إذن فقد عرف المسألة . . . يا للعجب ! . . . هنا نجد أنّه لم يغتب شخصاً عادياً من عامة الناس ، بل قام باغتياب أحد أعزاء الله وأحبائه .

نشير هنا إلى أنَّ أعمال الخير تتمتع هي الأخرى بملكوت خاص بها . لو تأملنا سوية مسألة الصيام ، ماذا نجد ؟ .

نجد أنّ ظاهر الأمر يعني الإمساك (أي عدم تناول الطعام والشراب ، واجتناب سائر المفطرات) ، يعني ضبط النفس ، وعدم

الجلوس إلى الموائد العامرة بما لذّ وطاب من الأغذية والأطعمة . . .

أما النعمة المعنوية ، الباطنية ، الإلهية ، التي يفوز بها المؤمن من خلال ذلك ، فهي الإستزادة التي لا توصف ، والإستفادة التي لا تقدر . وهذا الأمر يتوضح للإنسان من اللحظة التي يحل فيها الموت عليه .

يقول القرآن الكريم في إحدى آياته المباركة : ﴿ **كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾[1] . . .

يا أيها الذين تحملتم الجوع والعطش في الحياة الدنيا . . ذلك الصبر ، والجوع ، والعطش ، يتجلى الآن عبر هذه الأطعمة اللذيذة ، والمشروبات الهنيئة . . . هيا تناولوا منها ما شئتم . . كلوا واشربوا هنيئاً مريئاً . . . وفي مقابل ذلك الصبر ، وضبط النفس ، والتحمل ، والجوع ، والمثابرة ، تنعموا بهذه الأصناف من الطعام والشراب .

هذا التحليل ينطبق أيضاً على الأشخاص الذي يبكون الحسين (عليه السلام) ، وأولئك الذين تسيل دموعهم من خشية الله عز وجل .

هنا أيضاً ظاهر الأمر: يدل على حرقة في القلب ، تأثّر في الوجدان، حزن في الفؤاد ، ودموع تنسكب على الخدين . . .

أما باطن الأمر وملكوته : فهو الفرح ، والسرور ، والحبور ، والشرب من حوض الكوثر . . . فالحسين (عليه السلام) هو الذي قال ما مفاده :

سرور أصحاب العزاء يفوق حزنهم وتأثرهم . . .

يفيدنا خبر ورد في أول كتاب (نفس المهموم) ، بسند متصل عن كشاف الحقائق ، الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ، أنّ أحد الناس قد سأله ذات مرة السؤال التالي : سيدي . . . أين هو جدك

---

(١) سورة الحاقة : الآية ٢٤ .

الحسين (عليه السلام) الآن ؟ . . . فأجابه الإمام بما معناه : كم هو ضئيل جسمك ! وكم هو كبير سؤالك ! . . أما بدنه فهو في قبره ، وأما روحه فهي تستقر في الجانب الأيمن من عرش الله سبحانه وتعالى ، عند جده ، ووالده ووالدته ، وأما نظره فهو موجه إلى موضعين اثنين : الأول : إلى زوار قبره ، والثاني : إلى مجالس العزاء التي تقام من أجله .

ثم أضاف عندها الإمام ما مفاده : إنَّ الحسين (عليه السلام) يسأل جده ، وأباه ، وأمه ، وأخاه ، أنْ يستغفروا للمشاركين في مجالس العزاء هذه ، كي يغفر الله لهم ، ويرحمهم ويعفو عنهم[١] .

أما الكلام الذي يتوجه به الإمام الحسين (عليه السلام) إلى أصحاب العزاء أنفسهم ، والذي هو شاهدي في هذا المقام ، فهو قوله : « لو يعلم الباكي عليَّ ما له من الأجر عند الله ، لكان فرحه أكثر من حزنه »[٢] .

نشير الآن إلى أنَّ الملكوت هو غير المُلك : إذ أنَّ مُلْكك : هو الذي يمثل ظاهرك ، ويعبر عنه ، وهو في هذه الحالة التأوه ، والتفجع ، والأنين .

أما ملكوتك : فهو الحبور والسرور . . وذلك من فضل الله وإحسانه وأجره ، وثوابه ، وعطائه . . . ولكن جلّ ما في الأمر أنّ هناك حجاباً قد أسدل على هذه القضية . . . وهذا الحجاب لا بدّ من وجوده . . . إذ أنّه لا بدّ من وجود حائل دون هذا الأمر كي يجتهد الإنسان ويعمل في الأيام المعدودة التي يمضيها في هذه الحياة ، كي يصل بالتالي إلى النتيجة المرجوة[٣] .

عندما يلتفت الإنسان إلى ذنوبه ، ويتذكر عذاب الله عز وجل ، فإنّه

---

(١) وإنه ليسأل أباه ، وجدّه ، وأخاه ، أنْ يستغفروا . . . (نفس المهموم ، للقمي) .

(٢) نفس المهموم ، للقمي .

(٣) ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ ، سورة سبأ : الآية ٥٤ .

يشعر بالخوف ، مما يدفعه إلى البكاء . ولكن بالرغم من هذه الحالة التي تنتابه ، فإنّه يشعر بالأمن ، والأمان ، والإطمئنان في باطنه[1] .

لا بدّ أنّ كل واحد منكم قد مرّ بهذه التجربة التي سوف أتحدث عنها :

في كل مرة ينشغل الواحد منا خلالها بالدعاء ، والمناجاة ، والبكاء ، والتأوّه ، والتوسل ، سرعان ما يشعر بحالة من السرور تغمره . لا بدّ أنّ كل واحد منكم قد أدرك بنفسه كم أنّ ذكر الله سبحانه وتعالى طيّب ، ورائع ، وشيّق . عندما تمدّ يد الذلة ، والمسكنة ، والتسول ، إلى أعتاب الله ، فإنّك تضع في الواقع تاج العزة ، والفخر ، على رأسك .

إذن فقد عرفت أنّك تصبح عزيزاً عندما تظهر ذلتك وخضوعك أمام أعتاب الله عز وجل .

(١) ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ ، سورة الرعد : الآية ٢٨ .

«٢٤»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيُحِبُّ أحدكم أنْ يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتّقوا الله إنَّ الله تواب رحِيم . يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم ، إنَّ الله عليم خبير ﴾ .

القرآن هو خير الدنيا والآخرة :

إنَّ تفسير الأحلام يعتبر من العلوم التي لا سبيل للوصول إليها بغير إلهام من الله عز وجل ، وإفاضة منه ، كما أنّه لا يخضع لقوانين وقواعد محددة .

وقد منَّ الله سبحانه وتعالى بهذا العلم على إبن سيرين ، حيث كان يقدم تفسيرات لبعض الأحلام تطابق الواقع إلى حد يبعث على الدهشة .

ذات يوم قصده أحد الأشخاص وقال له : رأيت ليلة البارحة حلماً أقضَّ مضجعي وهدَّ كياني . . ! أريد أنْ أقف على تفسيره ، ومعناه . . .

رأيت في المنام أنّني كنت أملك الدنيا والآخرة ، لكنني سرعان ما فقدت كل ما ملكته يداي . . . أي أنني خسرت الدنيا والآخر . . . ما هو تفسير ذلك ؟ . . .

أطرق ابن سيرين إلى التفكير قليلاً ثم قال للرجل : تـرى ، ألم يكن لديك مصحف ثم فقدته منذ فترة ؟ . . .

فأجابه الرجل قائلاً : بلى . . . منذ عدة أيـام فقدت ذلـك المصحف الشريف . . .

فقـال له ابن سـيرين : لقـد عـرف السبب . . . إذ إنَّ خـير الـدنيـا والآخـرة مـوجـود في القـرآن . . . إذا كنت تـريـد أنْ تنـال حيـاة طيبـة في الـدنيا ، فستجـدها في القـرآن . . . وإذا كنت تريـد أنْ تعيش حيـاة تعبق بالأمن ، والأمان ، والهدوء ، والإستقرار ، فسـوف تجدهـا في القرآن . . . وإذا كنت تـريد أنْ تضمن الآخـرة أيضـاً ، أي أنْ تكـون في ظـل الهـدوء والراحة ، والنعمة ، من ساعة الموت وإلى الأبـد ، فسوف تنـال ذلك عـبر القـرآن . . . وبما أنّـك قد فقـدت القرآن الكـريم ، فقـد فقـدت الـدنيـا والآخرة تبعاً لذلك . عندها سأله الرجل وجـلاً : وماذا أستـطيع أنْ أفعـل الآن ؟ . . .

أجابه إبن سيرين : إجلس الآن هنا . . . فـالله عز وجـل هو القـادر وهو مدبر الأمور . . .

بعد مضي فترة وجيـزة أتى إلى المجلس رجل آخـر كان قـد رأى حلماً بدوره ، وكانت المفارقة هي أنّه كان قد شاهـد منامـاً معاكسـاً للمنام الأول الذي أتينا على ذكره للتو .

قال القادم في شرح منـامه : لقـد رأيت في الحلم أنّ الدنيـا والآخرة أصبحتا من نصيبي .

فقال له ابن سـيرين : إنَّ المصحف الشريف الذي عـثرت عليه هـو لهذا الشخص . . . لذا يجب أنْ تعيده إليه .

أحكام القرآن والحياة الهانئة في الدنيا :

لقـد أردت من خلال نقـل تفسير المنـام الـذي مـرّ معنـا ، أنْ أبـيّن الفكرة التالية :

ما دمت متمسكاً بأهداب القرآن المجيد ، وسائراً على هداه ، فقد ضمنت لنفسك الخير والسداد في الدنيا والآخرة . فإذا فرّطت لا سمح الله بالقرآن الكريم ، عندها تصبح من الذين خسروا الدنيا والآخرة ، والعياذ بالله .

إنّ الأحكام المأخوذة من القرآن المجيد ـ حول آفات اللسان ـ التي أتينا على ذكرها وشرحها في الفصول السابقة . تعتبر هامة وأساسية للبشر ، في الحياة الدنيا ، ناهيك عن الآخرة .

أيها المسلمون . . . إنْ أنتم رعيتم الآية الكريمة التي تقول : ﴿ إنْ جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . . . ﴾ حق رعايتها . . . أي لا تأخذوا الكلام الذي يصدر عن أي إنسان كان ، بعين الإعتبار ، ولا تدعوه يؤثر عليكم . . . لا تصدقوا الأمر قبل التأكد منه ، والتحقيق فيه . . . أتدرون كم هي مفيدة هذه المسألة من أجل شؤون دنياكم ؟ . . . أتدرون كم هي المفاسد والأخطار التي نستطيع الحؤول دون وقوعها بواسطة هذه المسألة ؟ . . . .

إذنْ لا تسيء الظن بأي إنسان كان . . . هذه المسألة مفيدة بالنسبة لك أنت . إذ إنّ الإنسان الذي يعاني من سوء الظن ، تتحول حياته في هذه الدنيا إلى جحيم لا يطاق . . . إلى أنْ تصل الأمور إلى درجة من الخطورة فيسيء الظن معها حتى بزوجته وشريكة حياته . ترى ، هل يقدر هذا الإنسان أن يستمر في حياته الزوجية مع وجود هذه الأحاسيس المريضة ؟ . . . .

ومن الممكن أنْ يسيء الظن أيضاً بأولاده ، أو بأصدقائه وزملائه .

نستجير بالله سبحانه وتعالى ! . . . إذ إنَّ سوء الظن هو من الأمراض والمصائب التي تدمر حياة الإنسان ، وتقضي عليها .

إنَّ التجسس حرام أيضاً . . . وهو مضر ومسيء حتى في الحياة الدنيا . . . ومن نافل القول إن إيجاد الفتن وزرعها ، والتنصت إلى أخبار

الناس وبثّها هنا وهناك ، تعتبر كلها من الأمـور التي تلحق الضرر بأنفسكم أنتم .

كلام الإمام السجاد (ع) إلى المفتن . . .

ذات يـوم أتى أحـدهـم إلى مجلس الإمـام زيـن الـعـابـديـن (عليه السلام) ، ثم قـال إنطلاقـاً من حرصـه الساذج ، مـا مفاده : لقـد اغتابك فلاناً من الناس في إحدى المجالس ، حيث قال إنَّ علي بن الحسين هو ضال ، ومبدع ! أي إنّ الإمام (عليه السلام) ، هو ضال ، ومن أهل البـدع ، والعياذ بـالله ! لتحل لعنـة الله عـلى كـل من يـرمي الغـير بـالتهم والإفتراءات . . !

وتجـاه أي إنسان ؟ . . . تجـاه زين العابـدين (عليه السـلام) !! . . تجاه زين العابدين (عليه السلام) الذي التزم محرابه ، وانشغل بـالعبادة ، والمنـاجاة ، والإستئنـاس بذكـر ربـه ! . . . حتى الإمـام لا يسلم من التهم البـاطلة ! ولكن ماذا كـان ردّ الإمام(عليـه السلام) ؟ لنـذكر القصـة كـما وردت في (لآلىء الأخبار) :

قـال (عليه السـلام) « والله مـا حفـظت حقّ أخيـك إذ خنتـه وقـد استأمنك ، ولا حفظت حرمتنا إذ أسمعتنا ما لم يكن لنا حاجة بسماعه ، أما علمت أنّ من ينقـل احتسب عـلى كـلاب النـار !! قـل لِأخيـك : المـوت يعمّنا ، والقبر يضمّنا ، والقيامة موعدنا ، والله يحكم بيننا »[١] .

إجتنب الموبقات من بداية الطريق :

المسـألة الأخـرى التي لا بدّ من ذكـرها في هـذا المجال ، هي حـالـة الإنسان عندمـا يسمع استغـابة تصـدر من أحدهم ، تجـاه شخص معين ، ماذا يحدث عندها ؟ . .

إذا كان المستمع إنساناً عادياً ، فلن يستطيع أنّ يتـمالك نفسـه ، أي

(١) لالىء الأخبار : ص ٦٠٣ .

إنّـه سينبري أيضـاً إلى اغتياب ذلـك الشخص . . . ويحاول أنْ يبحث عن بعض العيـوب التي تشـوبـه كي يتحـدث عنهـا ، ومن الـطبيعـي أنّ الحاضرين من أهل الـطرفين وأصـدقائهـما ، سوف يستمعـون إلى أحاديث الغيبة هذه . . . الأمر الذي سـوف يدخلهم إلى دائـرة الحرمـة . وهذا من شأنه أنْ يجعل أصل مسـألة الغيبـة من الأمور السهلة والإعتيـادية ، إلى أنْ يصـل الأمـر إلى درجـة يـزول معهـا قبـح هـذه المسـألـة . حتى أنّ بعض الأشخاص المتدينين الذي يفرون من الزنا فراراً ، ينـظرون إلى الغيبة عـلى أنّها قضية عادية . . . وكأنها مثل الحلويات التي يأكلونها .

ومن شدة اتّساع رقعة هذه القضية وتعاظم مدى انتشارها ، لا يرون فيها أي قبح أو دناءة .

ولهذا يقال دومـاً للآبـاء والأمهات ، لا تتلفـظوا بالشتـائم والكلمات المشينـة أمام الأطفـال والصغار . . كي لا يـزال جدار الحيـاء ، والخوف ، والقبح الذي يغلف هذه الألفاظ . لا تكـذبوا عـلى مسمع من الأولاد ، لا تعدوهم وعوداً كاذبة .

إذا قلت لإبنك ذات مرة ، وأنت ذاهب إلى السوق : سأشـتري لك الحلويات التي تحبها ، أحضرها له حتـماً . ذلك أنّـك إذا أخلفت وعدك ، ولم تجلب لـه الحلوى ، فإنَّ الـولد سـوف يشعر أنّ إخـلاف الوعـد هو من الأمور الهينة العادية . لا بدّ أنّه سيقول في نفسه : يبدو أنَّ الكذب هـو أمر عادي ، وغير ذي أهمية .

نشير هنا إلى أنَّ السبب الذي جعل الغيبة مسألة سهلة ، وعاديـة ، في أوساط الناس ، هو أنَّ كل شخص إغتـاب غيره من النـاس ، لم يواجـه بالرد المطلوب ، والنهي المناسب .

الغيبة التي توحي بالتقوى ، والصلاح :

من الممكن أنْ تجـد أحيـانـاً شخصـاً يعمـد إلى الغيبـة التي تـوحي

بالتقوى ، والصلاح ، وحسن التدين . وفي هذه الحالة فإنّه يحتال على نفسه من جهة ، ويحتال على الناس من جهة أخرى .

على سبيل المثال : تجده يجلس في إحدى الأماكن ، ويتحدث عن أحد الناس قائلاً : حقاً أن فلاناً إنسان رائع ، ومحترم ، وفي غاية التهذيب . وهكذا فإنّه يبدأ حديثه بسيل من المديح ، والتقدير ، وعبارات الثناء : يا له من إنسان طيب . . . يا له من إنسان صادق وصالح . . . ثم تراه يقول فجأة : ولكن يا للأسف . . . إنّ قلبي يتألم بشدة لوضعه العائلي . . . إذ إنّه لا يحسن معاملة زوجته وأولاده ، إنّه يقسو عليهم في المنزل . . .

إذن فقد كانت تلك الكلمات المعسولة مجرد مقدمة يعبر منها إلى النيل من ذلك الشخص بهذه الطريقة القبيحة . فكان هدفه من تلك المقدمة مزدوجاً :

فمن ناحية أوحى إلى المستمع أنّه غيور على مصلحة ذلك الشخص وسمعته .

ومن ناحية أخرى ، إحتال على الحضور بأنْ أوهمهم بأنّه لم يقع في مطبّ الغيبة .

نلاحظ هنا أنّه جمع بين الرياء والغيبة ، فنقول : إنّه فارس الرياء ، لِأنّه تظاهر أمام الناس بالتدين والتقوى [أنا أشعر بثقل المسؤولية الدينية الملقاة على عاتقي] ، وهنا نقول له : وهل إنّ تدينك هو الذي دفعك إلى الغيبة ؟ . . . وهل إنّ التقوى هي التي دفعتك إلى رمي الناس بالتهم ؟ . . . وهل إنّ الإحساس بالمسؤولية الشرعية هو الذي حثّك على فضح أسرار الناس العائلية ؟ . . .

عجباً لهذا المنطق الأعوج ! . . . وهل يسمى هذا التصرف تديناً وصلاحاً يا ترى ؟ . .

يقول المرحوم الشهيد الثاني في كتاب (كشف الريبة) ما مفاده :

الغيبة التي توحي بالتقوى والصلاح ، هي التي تجمع بين ذنب الغيبة وذنب الرياء .

وكلٍ من كتب بحثاً ، أو شرحاً ، حول مسألة الغيبة بعد الشهيد الثاني أيضاً ، إعتبر بدوره هذا النوع من الغيبة كأخطر أنواع الغيبة على الإطلاق ، وبالتالي فإنّ إثمه هو الأشد .

كم هو لطيف حقاً دعاء (مكارم الأخلاق) ، نقرأ في هذا الدعاء الرائع ، التالي : اللهم اجعل ما يلقي الشيطان في روعي من التمنّي ، والتظني ، والحسد ، ذكراً لعظمتك ، وتفكراً في قدرتك ، وتدبيراً على عدوك . وما أجرى على لساني من لفظة فحش ، أو هجر ، أو شتم عرض ، أو شهادة باطل ، أو اغتياب مؤمن غائب ، أو سبّ حاضر ، وما أشبه ذلك ، نطقاً بالحمد لك ، وإغراقاً في الثناء عليك ، وذهاباً في تمجيدك ، وشكراً لنعمتك ، وإعترافاً بإحسانك ، وإحصاءً لمننك[1] .

أليس من دواعي الأسف واللوعة أنَّ هذا اللسان الذي يستطيع أنْ يقول لا إله إلاّ الله ، فيغرس بذلك شجرة لصاحبه في الجنة . . . أنْ يجري في اغتياب الناس ، فيحرق بذلك الشجرات التي كانت ملكاً لصاحبه ؟

يحدوني الأمل في هذا المقام ، أنْ ينقل القارىء الكريم هذه الكلمات إلى الذين لم يطلعوا على الكتاب الموجود بين يديه . كما آمل ألاّ ننسى نحن أيضاً مضامين هذه الأفكار والمواضيع .

يقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : ينقل هذا القول عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، كما ينقل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً : والذي نفسي بيده ، لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه[2] .

---

(١) الصحيفة السجادية ، الدعاء العشرون .

(٢) سفينة البحار ، ج ٢ ص ٥١٠ .

إذنْ فهذه المسائل الثلاثـة ، تكون بمعيـة بعضها البعض : الإيمـان ، القلب ، واللسان .

إذنْ فالواحدة منها متصلة بـالأخرى . إذا استقـام أمر اللسـان ، فإنَّ القلب يستقيم أيضـاً ، وعندمـا يستقيم أمـر القلب ، فـإنَّ الإيمـان يستقيم بدوره .

لا تفتخروا ببعضكم البعض :

إحدى الآفات الكبيرة الأخرى ، التي تتعلق بـاللسان حيث تخـرجه عن سبيل الإستقامـة ، هي مسألـة افتخار النـاس ببعضهم البعض . ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه الآفة تستتبع تشوهات روحيـة ونفسية ، وتـترافق مع أضرار إجتماعية متعـددة أيضاً . وهي تتجـلى عبر المبـاهـاة ، وإستعـراض مظاهر الفخر والزهد ، أمام الآخرين .

ومن الممكن أنْ تتمثل مادة الفخر في وجوه متعددة ، وكلما زاد جهل الإنسان ، زاد شعوره بالفخر والإعتزاز . هذا ويحل العلم في المرتبـة الأولى من جدول مواد التفاخر والتعالي . . .

لقـد طـالعـت كميـة هـائلة مـن الكـتب ، والمـوسـوعـات ، والمجلدات . . . أنـا فيلسـوف محقق . . . أنـا من جهـابـذة الفلسفـة والتـاريخ . . . ليس هنـاك من يعـادلني في سعـة المعلومـات وغـزارة الأفكار . . . وغيرها من العبارات الفارغة !

هـذا التفاخـر الأحمق يضع صـاحبـه في مصـاف أجهـل الجهلة . . . ويشدّ به إلى أسفل السافلين . . . إلى المكـان نفسه الـذي حلّ فيـه المدعـو بلعم بن باعوراء .

تفيـدنا المعلومـات الواردة في بعض الكتب ، أنّ هـذا الـرجـل كـان صادقاً في الكثير من ادّعاءاتـه . إذ إنّه كـان حقاً عـالماً متبحـراً ، ومن أهل الفكـر والمعرفـة ، ويكفي أنْ نذكـر أنّه كـان لديـه إثني عشر ألف تلميذ ،

للدلالـة على فضله ، وعلو كعبه . فهذا الـرقم يعتـبر هـامـاً جـداً في تلك الأيام . وقد قيل عنه ، التالي : (أوّل منْ صنّف في التوحيد) .

ولكن يـا للعجب والأسف . . . فقـد راح هـذا المسكـين بعـد فـترة يتبـاهى ويفتخر بعلمـه وفضله . راح يتباهى بـالصفحـات التي طـالعهـا ، والكلمات التي تعلمهـا ، وقد ظنّ أنـه بات عـظيماً وكبيـراً بسبب المعلومات التي اكتسبها .

كـلا . . . المسألـة ليست كذلـك ، إذ إنّ العظمـة لا تنال بـواسـطة القراءة والمطالعة . والقرب من الله عـز وجل لا ينـال إكلا عـبر العبوديـة ، والتواضع ، العجز ، الإنكسار ، والعلم بواقع الأمر[1] .

أيهـا الفيلســوف الجليــل . . . حتى لــو طــالعت جميــع أبــواب الفلسفـة . . . إنْ لم تدرك مـدى فقـرك ، فـماذا تكـون ؟ . . . إنْ لم تـدرك عجزك الذاتي ، وإنكسارك التام ، فما الفائدة من علمك وفضلك ؟ . .

إذا لم تـدرك كل ذلـك ، فسوف تكـون عاقبتـك في النهايـة كعـاقبـة بلعم بن باعوراء هذا . إذ إنَّ جهله قد دفعـه إلى الفخر ، والكـبر ، وعدم تسليم أمره إلى وصي موسى (عليه السلام) . ويمكننـا القول حتى أنّ هـذا الجهل قد حثّه رويداً رويداً على طـرح نفسه كَنَـدٍّ موسى ووصيـه . . . كأن يقول لِأحدهما : أنا رجل واحد . . . وأنت رجل واحد .

نستجـير بالله سبحـانـه وتعـالى من العلم الـذي لا يـترافق مـع نـور العبـوديـة ، إذ إنّـه ـ أي بعلم بن بـاعـوراء ـ وقـع في النهـايـة في شرك شر العاقبة . حتى أنّه ضرب المثل به ككلب في القرآن الكريم[2] .

---

(١) « لا يملك لنفسـه نفعاً ، ولا ضـراً ، ولا موتـاً ، ولا حياةً ، ولا نشـوراً » . (مفـاتيـح الجنـان ، ص ١٧) .

(٢) ﴿ مثله كمثل الكلب إنْ تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ﴾ . سورة الأعراف : الآية ١٧٦

التفاخر بالنسب هو أيضاً من نتائج الجهل :

بعد التباهي بالعلم يأتي التفاخر بالحسب والنسب ، الذي يتناوله ما ورد في هذه الآية الشريفة . إنَّ هذه الآية تبيّن طريق النجاة ، والتخلص من هذا التفاخر .

ومن المعلوم إنّ التباهي بالنسبة ، كان موجوداً في أوساط العرب ، بصورة متزايدة . وربما تكون هذه المسألة قد استمرت حتى الآن .

يحدونا الأمل أنْ يكون الفرس المنتمين إلى أهل القرآن ، قد استطاعوا ببركة القرآن وفضله أنْ يخرجوا من دائرة الجهل إلى حدٍ ما أي لا يفتخروا بالحسب والنسب . . . ألا يقولوا لبعضهم البعض : أبي كان كذا وكذا . . عائلتي كانت كذا وكذا . . . أتريد أنْ تقارن والدي بوالدك ؟ . . . وغيرها من الخرافات ، والأقوال التافهة .

المضايقات المؤذية محرمة بدورها . . .

التفاخر بالنسب يعتبر إحدى آفات اللسان التي توجد الفساد وتؤدي إلى إيذاء المسلمين . يجب أنْ تكون في غاية الحذر . عندما تخرج كلمة معينة من فمك ، فتجرح شعور الشخص المخاطب . . .

أتدري أي نار قد أضرمت لتحرقك بلهيبها ؟ . .

وبما أنّ الحديث قد وصل إلى هذه المرحلة ، أودّ أنْ أذكر بهذه الفكرة الهامة : هناك بعض الأنواع من المزاح الذي يجرح شعور الإنسان ، ويؤلم قلبه ، ونشير هنا بصورة كلية إلى أنّ كل ما من شأنه أنْ يسبب الأذى للآخرين ، هو حرام ، وكل ما من شأنه أنْ يؤلم القلوب فهو حرام . ومن الممكن أنْ تؤذي أحد الناس عبر المزاح وهذا النوع من المزاح حرام .

وقد يؤدي عمل معين ، يقوم به الإنسان على سبيل المزاح ، إلى إيذاء الآخرين . كان يدخل أحدهم إلى الغرفة فجأة ، فيطلق صوتاً

عـالياً ، ومـرعباً ، عـلى نحو يسبب الهلع والإزعـاج الشـديـدين للشخص الموجود في الغرفة .

وفي بعض الحالات ، من الممكن أنْ تنتابـه نوبـة عصبية حـادة ، أو نوبة قلبية . القرآن الكريم يقول لنا ما مفاده : حتى لو أردت الـدخول إلى منزلك الخاص ، فلا تدخل بصورة مفاجئة . فربما خاف أحد الموجودين في الداخل ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ .

إذنْ لو كان المزاح ، أو الكذب ، أو الغيبة ، من النوع المؤذي ، فإنّه يصبـح محرمـاً بطريق أولى . أي إنَّ الحـرمة تثبت من جهتـين : الكذب أو الغيبة ، وإيذاء الطرف المعني .

الآثار المشؤومة للمضايقات الهاتفية :

يقـال إنَّ شخصاً عـديم الحياء وغـير مهتم بشؤون دينه ، قـد اتّصـل هاتفياً ذات مـرة بأمٍ مسكينـة وقال لهـا التالي : لقـد تعرض إبنـك لحادث اصطدام بالسيارة ، وجثته موجودة الآن في المكان الفلاني ، وسـوف يأتـون إليك بها في الساعة الفلانية .

عند سماعها لهذا الخبر الصاعق ، تعرضت الأم المسكينة لنوبة عصبية حادة فارقت الحياة على أثـرها ، وبغضّ النـظر عن الهدف الـذي رمى إليه صاحب الإتصال ، . . سـواءً أكان يـريد المـزاح ، أم إيذاء تلك الأم ، . . ومهما كان القصد من وراء هذا العمل المدان ، وحتى لـو كان قصـده المزاح والدعابة ، فإنَّ ذلك حرام .

يقـال إنَّ أحد الشبـاب قد التقى بصـديقـه ، فقـال لـه عـلى سبيـل المزاح : لقد ذهبت إلى الكلية واطّلعت على نتائج الإمتحـانات ، لـلأسف لقد رسبت هذه السنة في صفك . ومن الممكن أنْ يكون إيمان أحـد الناس غـير كاف إلى درجـة تمنعه من ارتكـاب أي حماقـة ، وتساعـده على تمـالك نفسه .

عنـد سماعـه لهذا الخـبر المزعـج ، إنهارت أعصاب الشـاب المسكين واسودّت الدنيا في عينيه ، فقد اعتقد أنّ رسوبه في السنة الدراسيـة ، يعني أنّ كل آماله في الحياة قد زالت ، وأنّ حياته قد دُمّـرت ، وقد سمعت أنّـه تنـاول سبع عشرة أو ثماني عشرة حبة من نـوع خاص من الحبـوب ، فقضى بذلك على نفسه وانتحـر . وفيما بعـد عُرِفَ أن الشخص الـذي نقل الخـبر كان كاذباً فيما قاله .

حتى لو كان صادقاً في حديثه ذاك ، فـإنّ ذلك حـرام ، فما بـالك إنْ كان الخبر مجرد كذبة دنيئة .

هنا أتوجه بالحديث إلى ذلك الشاب الكاذب : حتى لـو افترضنـا أنّ صديقك كان قد رسب في الإمتحانات فعـلاً ، فلم يكن يحق لك أنْ تخـبره بهـذا الأمـر فجـأة ، ومن دون أنْ يكـون لـديـه أي علم مسبق ، أو تمهيـد للمسـألة ، فلقـد أصبحت الآن مسؤولاً شرعاً عن دم الشـاب المسكـين ، ولقد أصبحت شريكاً في دم أحد المسلمين .

لذا نقول : إنَّ بعض أنواع المزاح ، والأساليب الخاطئـة ، كل هـذه تعتبر من آفات اللسان .

خَلَقَ جميع الناس من أبٍ واحد ، وأمّ واحدة :

إنَّ الحكم الـذي أورده الله ، سبحـانـه وتعـالى ، من خـلال الآيـة الكريمة التي نعتمد عليها في حديثنا ضمن هذا الباب ، يعتبر من ضرورات علم معرفة الإنسان وأصله ، حتى بالنسبة للذين يفتقرون إلى الإيمان . أيها البشر . . . إعرفوا أنفسكم جيداً : ﴿ **إنّا خلقناكم من ذكر ، وأنثى** ﴾ .

لقد خلقناكم من رجل واحد ، وامرأة واحدة . آدم وحواء ، وبما أنّ عـدد الناس قـد ازداد بصورة هـائلة ، وبمـا أنّهم مجـبرون عـلى العيش مـع بعضهم البعض ، فلا بدّ من وجود مميزات خاصة .

عندما ننظر إلى إحدى المجتمعات ، ماذا نجد ؟ . . . نجد أنّ هنـاك

الملايين من الناس الذين تربطهم صلات ، ومعاملات ، وعلاقات معينة ، من خلال الحياة المشتركة .

وإذا نظرنا إلى المجتمع البشري برمته ، نجد أنّ هناك المليارات من الذين تنطبق عليهم هذه الحالة . .

لذا لا بدّ أنْ يتمتع كل فرد من هؤلاء بميزة خاصة حتى يميز عن الآخرين ، وكي لا يحصل أي اشتباه . ومن دون وجود هذه المميزات ، فإنَّ العلاقات ، والمعاملات ، لا يستقيم أمرها .

لنفرض مثلاً أنَّ أحد الناس يدعى زيد ، ترى ، هل هو من العرب أم من الفرس ؟ . . . هل هو من أهل المدن أم من أهل القرى ؟ . . . . وإذا كان من أهل المدن ، فمن أي مدينة هو يا ترى ؟ . . . وإلى أي عائلة ينتمي ؟ وفي أي منطقة يسكن ؟ . . .

فإذا لم تكن هذه العلامات والمميزات موجودة ، فكيف تستطيع أنْ تعثر على زيد الذي تريد أنْ تنجز صفقة معه ؟ . . .

من جهة أخرى ، هناك شعب متعددة ، أي فرق كبيرة العدد ، وهائلة . أما القبائل ، فهي عبارة عن مجموعات كبيرة ، تنشطر من تلك الشعب .

على سبيل المثال ، هناك العشائر . أي أولئك الذين يسكنون في الصحراء ، أي إنهم ليسوا من سكان المدن ، ومن الممكن أنْ يكونوا من الفرس ، أو العرب ، أو الأتراك ، وفي الوقت نفسه ، كل واحدة من هذه العشائر لديها أجباب وأفخاذ متنوعة . ﴿ **وجعلناكم شعوباً** ﴾ . عندما تدرك أنّ جميع الناس ينتهون إلى أب واحد ، وأم واحدة ، ومن ثم أصبحوا عبارة عن شعب متعددة ، ومن كل شعبة انشطرت قبائل متنوعة ، عندها تصبح مطلعاً على ما اصطلحنا على تسميته بمعرفة الإنسان ، وأصله .

(لتعارفوا . . . لا لتفاخروا) . أيها العرب ! . . أيها الفرس ! . . .

أيها الأتراك !.. هذه الأسماء المختلفة ، والعناوين المتعددة ، قد أطلقت من أجل التميز ، لا التفاخر والتباهي . ولم تطلق حتى يقول العرب للفرس : أين أنتم منّا ؟... أو يقول الأتراك للعرب : أين أنتم منّا ؟... أوحتى تتباهى هذه القبيلة بما عندها أمام تلك القبيلة ، إذ أنّه عندما يبدأ التفاخر بين بعضنا البعض ، فإنَّ ذلك يترافق مع قدر من الإستعلاء ، أيضاً ، وعندها يصبح مثلنا كمثل بني إسرائيل ، الذي يدعون السيادة تجاه المجتمع البشري برمته ، فهم يقولون ما مفاده :

عندما نتحدث عن سيد مقتدر على سطح الكرة الأرضية ، فنحن نعني أولاد يعقوب !..

الملك هو حق طبيعي لِأولاد يعقوب ... كل البشر عبيد ... وحدهم هؤلاء السادة من أبناء يعقوب هم الأحرار !..

هذه الأفكار والمعتقدات ، تمثل النظرة الدينية التي يعتقد بها بنو إسرائيل . وحتى الآن ، لقد أذلهم الله بشدة ، ولم يستطيعوا أنْ يحصلوا على السيادة المرجوة ، وآمل أنْ تظل رؤوسهم مطأطئة دوماً إلى الأسفل ، وإلّا فإنَّ الفساد الذي سينشرونه في الأرض ، لا يمكن أنْ يوصف ! فهؤلاء يعتقدون بأنَّ الملك على سطح هذه الكرة الأرضية ، هو حق من حقوقهم البديهية .

لذا فإنَّ القرآن الكريم يرد ـ من خلال آياته ـ على هذا النوع من الخرافات والأباطيل ، إذ يقول ما مفاده : ما هذا الكلام ؟ أصل البشر كلهم يعود إلى آدم وحواء ... ولا يوجد بينكم أي فرق ، أو ميزة ، أو أفضلية ، إلا بواسطة التقوى والصلاح .

إذن من الذي يتفوق على الآخرين بتقواه وصلاحه ؟... أي واحد منكم يخاف من الله عز وجل أكثر ؟.... أي واحد منكم يبتعد عن الذنوب والمعاصي والآثام أكثر ؟...

وقاحة الكفار تجاه بلال مؤذن النبي (ص) :

من المعلوم أنّ بلالاً ، مؤذن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، كان عبداً حبشياً أسود اللون ، نحيف الجسم ، كما كانت لديه لثغة في لسانه ، أي أنّه كان يلفظ حرف الشين على أنّه سين وكان يقول على سبيل المثال : (أسهد أنّ محمداً رسول الله) ، بدلاً من (أشهد أنّ محمداً رسول الله) . بعد فتح مكة ، وبعد أنْ أزال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) الأصنام عن جدران الكعبة . . . طلب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) من بلال ـ على رغم أنف أبي لهب ، وأبي سفيان ، ومن لفّ لفهما ـ أنْ يصعد على سطح الكعبة ليقول : أشهد أنْ لا إله إلاّ الله . فما كان من بلال إلاّ أنْ صعد على سطح الكعبة ، ووضع يده إلى جانب أذنه ، وراح يؤذن . ولكن صوته لم يكن على مستوى كبير من الجمال . وما أنْ ارتفع صوته بالأذان عالياً ، حتى قال الملعون عتبة ما مفاده : ألم يكن لدى محمد شخصاً آخر يكلفه برفع الأذان حتى طلب من هذا الغراب الأسود أنْ يقوم بذلك ، ليطلق هذه الأصوات ؟!

شخص آخر خرج وقال ما معناه : حمداً لله على أنّ أبي قد مات في السنة الماضية ، ولم يبق حياً حتى هذه السنة ، ليسمع صوت هذا الغراب ! . .

أما أبو سفيان ، فقال ما مفاده : لن أتفوّه بأية كلمة . أخشى أنْ يخبر إله محمد ، محمداً عما نخوض فيه ، وهذا ما من شأنه أنْ يسبب لنا المتاعب . . . .

عند ذلك أطلع جبرائيل النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) على المسألة بكامل تفاصيلها ، فما كان من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلاّ أنْ أحضر الجميع ، وقال لهم ما مفاده : أنت قلت كذا وكذا ، وأنت قلت كذا وكذا ، ثم تلا عليهم الآية الكريمة التي تقول : **﴿ إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾** . .

إذن فالأشياء التي تتحدثون عنها ، وتعتدون بها ، وتعولـون عليها ، ليست الموازين الدقيقة التي ينبغي الإعتماد عليها .

لا تقل : أنا إنسان مقدس وصالح ، بينما فلان ليس كذلك . . .

ما يدريك بصحة هذا الكلام ؟ يجب أنْ نعـرف أيكما يخـاف من الله عز وجل أكثر ، وأيكما يترك الذنوب ، ويبتعد عنهـا أكثر . هـذا هو ميـزان الـورع : ترك الـذنب ، والقرب من الله عـز وجل ، والإخـلاص . هـذه الأمور هي الميزان الذي يعتدّ به ، ويعوّل عليه .

إفتخار العباس وشيبة على علي (ع) :

في فترة ما قبل ظهور الإسلام ، وقبل صدر الإسلام ، كانت مسألـة تأمين المياه للحجاج تعتبر من الأعمال الشائكة ، والبالغة الصعـوبة . وكـان أهل مكة يلبون حاجتهم من المياه عبر اللجوء إلى بئر زمزم نفسه .

أما الذين كانوا يسكنون بالقرب من الطائف ، فقد كانوا يذهبون إلى نبـع آخر يبعـد حـوالي أربعـة فـراسخ عن مـوقعهم ويـدعى نبـع (وادي الليمون) ، لكي يحصلوا منه على حاجتهم من المياه .

ولكن عندما كانت تحل مـواسم الحج في السنـوات المتعاقبـة ، كانت مسـألة تـأمين الميـاه لتلك الحشـود الغفـيرة التي كـانت تحضر ، خـاصـة في (عرفات ومنى) ، تعتبر من المهمات البالغة الصعوبة .

قبـل ظهـور الإســلام ، تصـدى العبــاس ـ عم النبي (صـلّى الله عليه وآله وسلم) ـ لتأدية هذه المهمة والقيام بهذا الدور ، أي إنّه كان يقوم بتأمين الكمية المطلوبة من المياه لتسهيل شؤون الحجاج .

أمـا شيبة ، فقـد كان قيّـماً عـلى جميـع شؤون الكعبـة من صيـانـة ، ونظافة ، وحفظ للمفاتيح .

ذات مرة أبدى شيبة والعباس الفخر والمباهاة أمام سيـدنا ومـولانا ، أسـد الله الغـالب ، عـلي بن أبي طـالب (عليـه السـلام) ، وكـما أسلفت

مـراراً ، فإنَّ هـذه الخيـالات الـواهيـة ، لا تشكـل الميـزان الـدقيق لشرف الإنسـان عند الله عـز وجل ، ولا ينبغي أنْ نقـول على سبيـل المثـال : أنـا صـاحب منبر ومحـراب ، أنا أعمـل في مجال التبليـغ الديني ، أنـا أتصـدى لرئاسة الإجتماعات ، أنا قارىء للقرآن الكـريم ، أنا أواظب عـلى مطالعـة الكتب ، وتـأليف الدراسـات ، والأبحاث ، أنـا أواظب على تـأدية صـلاة الليل ، وما شابه من هذه العبارات .

نشير هنا إلى أنَّ أصل هذه العبـارات التي تحمل معنى تفخيم الـذات وتعـظيمها : (أنـا كذا . . وأنـا كذا . . .) يعتـبر لغواً . كـما أنّها لا تعتبر الميزان الصحيح المـطلوب عند أعتـاب الله عز وجـل ، ولو في أدنى الحـدود والمقاييس .

نورد هنا الحديث النبوي الشريف الذي ذكره الشهيد الثاني في كتاب (أسرار الـصـلاة) : « إنَّ الله لا ينـظر إلى صـوركـم ولكـن ينـظر إلى قلوبكم »[1] .

والآن ، ماذا تقول بعد إطلاعـك على هـذا الحديث الشريف ؟ . . . ومـا هو التـأثير الـذي تـركـه عليـك ؟ . . . يجب أنْ تتـأمـل حـالـة قلبـك وباطنك .

يا أيها الذي تعتلي المنابر ، وتلقي الخطب ! يجب أنْ تتبين أولاً حـالة القلب ، ودرجة الخشوع اللتين ترافقانك عند صعودك إلى المنبر . إنَّ حسن تملكـك للموقف عـلى المنبر ، وظهـورك أمام النـاس ، ليس بالميـزان الذي يعول عليه ، بل إنَّ المؤشر الذي يجب أنْ نعرف حركته في هذه الحالة ، هو قلب المتكلم والواعظ ، ودرجة إخلاصه لرب العالمين ، وكيفية ارتباطه بالله عز وجل ، إذ إنَّ الله لا يأبه بـالأقوال التي يتفـوه بها الخـطيب ، كما أنّـه لا يلتفت إلى مدى مهارتي في الوقوف على المنبر ، وجذب انتباه الناس إليّ .

(١) كتاب أسرار الصلاة ، ص ١١٠ .

صحيح أنّ الناس بشكل عام تنظر إلى ظاهر الأمور ، ولكن الله الذي هو عالم السر والخفيات ، ينظر إلى قلب المتحدث وباطنه ، وهنا تنكشف القضية :

أيريد الخطيب أنْ يبرز علمه ، وفضله ، وبلاغته ، وفصاحته ، أم إنّه يريد حقاً أنْ يشد الناس إلى الله سبحانه وتعالى ؟

أيريد أنْ يبرز مهارته في الوقوف على المنبر ؟ . . . أم إنّه يريد أنْ يحثّ المذنب على التوبة ، وترك المعاصي ، ويشد به نحو الله عز وجل ؟

إذن المهم هو هدفه الحقيقي من عمله ونشاطه ، فالتركيز كما رأينا ينصب على حالة القلب ، وهذه هي حقيقة المسألة .

أيها العباس ! .. أتقول إنّك تتولى سقاية الحاج ، بينما علي (عليه السلام) لا يقوم بهذا العمل ؟ . . . أتفتخر عليه بذلك ؟! . .

يا شيبة ! . . أتقول إنّك مشرف على شؤون الكعبة ، وقيم على مفاتيحها ، بينما علي (عليه السلام) لا يتمتع بهذه الميزة ؟ . . . أتفتخر عليه بذلك[1] ؟! . . ولكن علي (عليه السلام) يملك الإيمان ، ولكنه مجاهد في سبيل الله عز وجل ، وعلي (عليه السلام) هو الإنسان الذي ضحى بكل غال ونفيس . وضحى بحياته في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل . أيعقل ما تقولانه ؟ . . . أيعقل أن تقارنا نفسيكما بعلي (عليه السلام) عبر هذه القضايا التي تمتازون بها ؟! . . .

هذا النوع من التفاخر والتباهي ، هو من الأخطاء الفادحة أيضاً . . . تماماً كما أشرنا إلى أنّ التباهي بالنسب هو من الأغلاط المشينة .

أيها العقلاء ! . . لا ينظر إلى شيء في هذه الأعتاب ، سوى تقوى القلب ، يحكم على حالة قلبك ، ودرجة إخلاصه ، وإرتباطه برب العالمين ، ويحكم على درجة رقة قلبك عند الوقوف بين يدي الله ، عز

---

(١) ﴿ أجعلتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله ﴾ . . سورة التوبة : الآية ١٩ .

وجل ، ويحكم على مدى خشوع قلبك وإطاعته لمشيئة الباري ، سبحانه وتعالى ، وكلما زاد خشوع العبد ، كلما زاد شرفه .

ومن الملفت للنظر أنّ الإنسان الذي يتمتع بالتقوى والصلاح ، لا ينجر إلى متاهات الفخر والتباهي أبداً ، إلا إذا أراد ذات مرة أنْ يعمل على إحقاق الحق ، وإلا إذا أراد أنْ يذل الباطل ويدحض كذبه .

سأنقل لكم هذه القصة اللطيفة :

كلام الإمام الحسن (ع) ، لا يدخل في باب المباهاة . .

لا بدّ أنّ القارىء الكريم قد سمع في إحدى المجالس أنّه بعدما سيطر معاوية ـ عليه الهاوية ـ على العراق بواسطة الحيلة والمكر ، وبعد أنْ ارتأى الإمام الحسن (عليه السلام) عقد صلح معه . . صعد معاوية على المنبر في المسجد الجامع في الكوفة ، حيث وجّه بعض الإهانات إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وعند ذلك تصدى الإمام الحسن (عليه السلام) للردّ عليه ، فقال ما مفاده :

يا من تذكر علياً (عليه السلام) في كلامك ، وتوجه الإهانات لي . . . أنا الحسن ، وأبي هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) . . . وأنت معاوية ، وأبوك صخر . . . أي الشخص نفسه الذي ظلّ حامل راية المشركين والكفار ، حتى السنة الأخيرة من عمر النبي (صلّى الله عليه وآله) ، حيث خاض حروباً عديدة ضدّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

أمي هي فاطمة (عليها السلام) . . وأمك هند . . أي تلك المرأة العاهرة التي لم تتورع عن أكل كبد عمّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، حمزة ، حيث سولت لها نفسها ارتكاب هذا العمل الدنيء .

جدي هو رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، أما جدك فهو حرب . . . جدتي هي خديجة أم المؤمنين ، أما جدتك فهي فتيلة (التي

كـانت من ذوات الأعلام . إذ أنـه في زمن الجاهليـة ، كـانت العـاهـرات اللواتي تمارسن البغاء بشكـل رسمي ، تضعن أعلامـاً خاصـة على سـطوح بيوتهن ، وذلك من أجل لفت نظر الزبائن وجذبهم إليهـن) .

عندها أضاف الإمام (عليـه السلام) مـا مفاده : لعن الله من كـان بيننا أنا وأنت ، أضيع نسباً ، وأحقر حسباً ، وأقـدم كفراً ، وأكـثر نفاقـاً ، وأقل خدمة وحرصاً على الإسلام ، وأهل الإسلام .

عندها علت أصوات الحاضرين ، الذين قالوا معاً : آمـين[1] . أنتم أيضاً قولوا آمين . اللهم ضاعف العذاب لمعاوية ، ولجميع بني أمية .

وكما قلنا في بداية الحديث ، فإنَّ كلام الإمام الحسن (عليه السلام) في هذا المقام ، يدخل في باب إحقاق الحق وإبـطال الباطـل . . . وليس في باب التباهي والفخر أمام الناس .

والحقيقة هي أنّه استطاع ، سلام الله عليه ، أنْ يفضح أمـر معاويـة بواسطة هذه الجمل المختصرة المعبرة ، على نحـو أجبر معـاوية عـلى النزول عن المنبر ، ومعالم الخجل والفضيحة بادية على وجهه ، حيث بـادر فوراً إلى مغادرة المجلس . ﴿ **إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[2] . . .

من هنا نعرف أنّ الكلمات ، وجملات التباهي ، التي مرت معنا ، لا تمثل الميزان الدقيق عند الله ، سبحانه وتعالى . بل يتمثل الميزان الصحيـح بـالتقوى والصـلاح ، وكلما زادت نسبة التقـوى عند الإنسـان ، كلما زادت عزته في هذه الأعتاب الإلٰهية .

كلام الإمام السجاد (ع) مع الأصمعي . . .

ينقـل عن الأصمعي ما مفـاده : أنّه تنـاهى إلى سمعـه ذات ليلة في المسجد الحرام ، أصوات أنين ، صادرة عن قلب يحترق من الألم ، إقتربت

(١) منتهى الآمال ، ج ١ ص ١٦٧ . (حالات الإمام الحسن) .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

من الكعبة ، فرأيت سيداً يجلس عند حجر إسماعيل ، يتمسك بأستار الكعبة ، وعرفت أنّ أصوات الأنين والحرقة ، كانت صادرة عنه ، وكان يقول في مناجاته ما مفاده :

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم
يا كاشف الكرب والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت قاطبة
وأنت وحدك يا قيوم لم تنم(١)

يتابع الأصمعي حديث ، قائلاً ما مفاده : ثم إختنق صوته ، ووقع على الأرض ، وبعد مرور لحظات قليلة ، عاد إلى بثّ أصوات الأنين والحرقة التي أشرت إليها مرة أخرى ، وراح يقول ما مفاده :

أتيت بأعمال قباح رديّة فما في الورى خلق جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين مخافتي(١)

إلهي . . . هل هناك في الورى إنسان مقصر أكثر مني ؟ . . . هل هناك في الورى شخص جنى مثل جنايتي ؟ . .

إلهي . . . ترى هل ستحرقني في النهاية بالنار يا غاية المنى ؟ . . . فأين رجائي ، ثمّ أين مخافتي ؟ . .

إلهي . . . لقد وعدت بنفسك ألا تخيب رجاء كل إنسان كان يعلق آماله عليك ، . . . وأنا آمل يا ربي أنْ تسامحني وترحمني ، ورجائي هو عفوك ، وغفرانك ، ومسامحتك . . .

يضيف الأصمعي ما مفاده : بعدها ، لم أسمع صوت السيد مجدداً ، فاقتربت كي أرى ماذا حدث ، فشاهدت الإمام زين العابدين ، علي بن الحسين (عليه السلام) ، وهو في حالة الإغماء . إقتربت منه ووضعت رأسه الشريف في حضني ، فانسكبت دموعي ، وسقطت على

---

(١) بحار الأنوار ، ج ١١ ص ١٨ .

وجهه المنير . فتح عينيه وقال ما مفاده : من أنت ؟ . . .

فقلت لـه : أنـا الأصمعي ، عبـدك وخـادمـك ! . . سيـدي ومـولاي . . . أيعقـل أنْ تصـدر أصـوات الحـرقـة والأنـين هـذه منـك أنت؟ . . أنت الـذي تتصف بالـطهارة التي لا تـوصف ؟ أنت الذي تتميـز بـالعصمـة ، والشفـاعـة قـد اختصت بجـدك ، ووعـد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالشفاعة يختص بكم أنتم بالدرجة الأولى ؟ . . سيدي ، أنت من بيت نزلت بشأنه آية التطهير . .

عنـد سماع كلماتي هـذه ، قال الإمـام لي ما مفـاده : دعك من هـذا الكـلام . . . ألا تعلم أنّ الله قـد خلق الجنـة لكـل مـن يعبـده حق العبـادة ؟ . . . لكـل من يتمتـع بـالتقـوى . . . حتى لـو كـان عبـداً أسـود اللون ، كما أنه قد خلق جهنم لكل مـذنب وعاصٍ ، حتى لـو كان ينتمي إلى أشرف قبيلة موجودة على سطح الأرض[1] .

أشرف القبـائل المـوجودة عـلى سـطح الأرض ، هي قبيلة قـريش . وقريش هذه التي أنجبت نبي آخر الزمان .

إذن فكل هذه الأنساب والإنتسابات لا تفيدك في شيء . لا تقل عن نفسك : (ولكنني سيد) . مهما كان نسبك شريفاً ، وأصيلاً .

أجل ، هناك بشارة تخص السيد الفاطمي ، وتفيد بأنّه إذا كان نسبه صحيحاً ، وإذا فارق الدنيا في النهاية متحلياً بالتوبة ، عندها فإنّ الشفاعـة تطال السادة أولاً في يوم القيامة والحساب .

ولكن المسـألة ليست كـما قد يـظن البعض منكم ، من أنّ السادة لا يسـألـون عن شيء من يـوم القيـامـة ،كـلّا ، هـذه الفكـرة غـير صحيحـة إطـلاقـاً ، إذ إنّـه لا يـوجـد استثنـاءات في الأحكـام التي يـطلقهـا الـدين

(١) « الجنة خلقت لمن أطاع الله ، ولو كان عبداً حبشياً . والنار خلقت لمن عصى الله ، ولو كان سيداً قرشياً » بحار الأنوار .

الإسـلامي ، فكل حكم إسـلامي يشمل عمـوم النـاس ، يشمـل السـادة أيضاً ، ولا يوجد إختلاف في هذا المجال .

من المعلوم أنّ عموم الناس يجب أنْ يدفعوا الخمس والزكاة ، بالقدر الذي يتوجب عليهم ، والسيد أيضاً يجب أنْ يدفع الخمس والزكاة بـالمقدار الـذي يتوجب عليـه ، والكلام نفسـه يقال أيضـاً في مجال كـل الـواجبـات والمحرمات .

إذا ارتكب أحد السادة ، لا سمح الله ، معصية الـزنا ، فـإنَّ وضعه لا يختلف عن وضـع العموم في الحـالات المشـابهـة . إذ أنّـه يجب أنْ يجلد عندها مائة جلدة . فلا يظنن أحد أنّـه يجب مراعـاته ، أو التخفيف عنـه ، لِأنّه سيد شريف النسب . ليس هناك أي تمييز ، أو تفرقة في حكم الله عـز وجل .

وخـلاصة الحـديث : إنَّ الإمام السجـاد (عليـه السـلام) قـال مـا مفـاده : دعك من هـذا الكلام . . . النـار قد خلقت لمن عصى الله ، ولـو كـان سيداً قـرشياً . . . حتى ولـو كان ينتمي إلى قـريش ، التي هي أشرف قبيلة موجودة على سطح الأرض .

ثمّ تلا ـ سلام الله عليه ـ هذه الآية الكريمة : ﴿ **ونفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾[1] . غداً يـوم القيامـة والحساب ، لا يسأل أي إنسان عن إسم والده ، أو والدتـه . لا يقال لِأي إنسـان : أنت إبن من ؟ . . . عنـد إجراء المحـاكمة الإلٰهيـة ، لا يطرح هـذا السؤال عـلى أحد .

لا يقال لِأي إنسان : من كان والدك ؟ . . . من كانت والدتك ؟ . . هـل كنت تنتمي إلى عائلة محـترمـة أصيلة ، أو عـائلة عـاديـة ؟ . . . هـذه الـطروحـات والتسـاؤلات تختص بـالحيـاة الـدنيـا . . إنّها مجـرد أوهـام وخيالات .

---

(١) الحاشية : سورة المؤمنون : الاية ١٠١ .

هنـاك يسـألـون الـواحـد منـا : من هـو إلٰهـك ؟. . . من هـو معبـودك ؟. . . من كنت تعبد ؟. . . إلى كـلام من كنت تمتثـل ؟. . . أي دين كنت تعتنق ؟. . . من كـان أمـامـك ؟. . . عـلي (عليـه السـلام)؟ الحسن (عليه السلام) ؟ الحسين (عليه السـلام) ؟. . . . . . حسين الـذي كنت تتذكره وتبكي لمصابه في حياتك . . تأمل أن يهبّ لنجـدتك ، لمجـرد أنّك كنت تذكره ، وتتحدث عنه .

«٢٥»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ يا أيها الناس ، إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم ، إنَّ الله عليم خبير ، قالت الأعراب : آمنا . قل : لم تؤمنوا ولكن قولوا : أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ، وإنْ تطيعوا الله ورسوله ، لا يلتكم عن أعمالكم شيئاً ، إنَّ الله غفور رحيم ﴾[1] . أي : إنا خلقناكم من رجل واحد ، وإمرأة واحدة ، أي آدم وحواء ، إذن ليس هناك ثمة فرقاً فيما بينكم .

النـاس من جهة التمثـال أكفاء   أبـوهـم آدم والأمُّ حـوّاء

أما الإختلافات التي تلحظ من هذا المجال ، فهي ناتجة عن وجود الشعب والقبائل ، حيث تفيد لجهة تمييز الأفراد والتعرف إلى بعضهم البعض ، وذلك كي لا يقع البشر في الأخطاء والإلتباسات ، عند إجراء المعاملات ، وإنجاز الأعمال ، وتبادل اللقاءات فيما بينهم ، إذ أنه عندما ينتفي وجود التمايز ، فإنَّ المعاملات تصبح في غاية الصعوبة .

إذَنْ فالإختلاف الذي أوجده الله سبحانه وتعالى بين البشر من هذه القبيلة وتلك ، ومن هذه المجموعة وتلك ، إنّما أقرّ ذلك من أجل أن

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

يتعرف الناس إلى بعضهم البعض ، وليس من أجل استخدامه كوسيلة ومادة للتفاخر والتباهي ، كأن يقول العرب مثلاً : نحن العرب أفضل بكثير من العجم ، أو أن يقول العجم : بل نحن العجم أفضل بكثير من العرب . . . إنَّ القولين مردودان وباطلان .

﴿ إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ . . .

الأشياء التي تعولون عليها ، وتتخذونها ميزاناً للتقييم ، كأن يقول أحدكم : (أنا عربي ، أو أنا أنتمي إلى القبيلة الفلانية) ، كلها خاطئة ومردودة ، لِأنَّ الميزان الصحيح هو التقوى والصلاح .

كل فرد من البشر هو من أب واحد ، وأم واحدة :

بعض المفسرين قدموا احتمالاً آخر للمعنى المقصود في هذا المجال ، وقالوا إنَّ عبارة ﴿ من ذكر وأنثى ﴾ يقصد منها الإشارة إلى كل فرد من أفراد البشر ، وليس إلى البشر بمجملهم .

إذا نظرنا إلى المسألة بصورة إجمالية ، واعتبرنا أنَّ المقصود هنا هو كل البشر ، عندها نجد أنَّ المعنى يشير إلى آدم الذي هو أبو البشر ، وحواء .

وبالرغم من أنَّ هذا الكلام سليم ، لكن يحتمل كما أشرنا في البداية أنْ يكون ذلك إشارة إلى أنَّ الله عز وجل قد خلق كل واحد من البشر من أب واحد ، وأم واحدة ، وإنطلاقاً من هذا المفهوم ، تصبحون جميعكم سواسية ، ومثل بعضكم البعض ، أي إنَّه ليس هناك أي اختلاف ، أو تمييز بينكم أبداً .

وهنا أقولها بصريح العبارة : سواءً أكنت من العرب ، أم العجم ، أم الأتراك ، أم أي قومية أخرى ، سواءً أكنت إبن قرية ، أو إبن مدينة ، . . حتى لو انتميت إلى فئة من الفئات الموجودة ، سواءً أكنت كافراً ، أو مؤمناً ، فليس هناك أدنى شك في أنّك قد عبرت من مجرى البول مرتين !

لذا أترك التفاخر والتباهي جانباً ، إذ إنَّ الشخص الذي عبر من هذا الطريق القذر مرتين ، كيف له أنْ يتباهى بنفسه ، ويتغنى بسؤدده ، ويقول دائماً : أنا كذا ، وأنا كذا .

كثيراً ما نسمع فلاناً من الناس يقول : شرفي . . ، عزتي . . . ، عائلتي . . ، أقاربي . . ، نسبي . . ، حسبي . . ، إلى آخره . ربما كانت الآية الشريفة تريد أنْ تشير إلى هذه الفكرة . أي أنْ تنبهك إلى ألا تفتخر أمام الناس أبداً . وعليك أنْ تتذكر دوماً ، أي طريق قد سلكت عندما أتيت إلى هذه الدنيا .

هناك رواية في كتاب (أصول الكافي) تفيد أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال ذات مرة : « عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ، ثم هو غداً جيفة »[1] .

الإحتلام من أجل تذكير الإنسان بأصله :

يذكر المرحوم الحاج نوري ـ عليه الرحمة ـ في أول كتاب (دار السلام) ، ستة عشر فائدة ، يكتنزها النوم .

إحدى هذه الفوائد : هي مسألة الإحتلام ومن هنا نعرف أنّ الإحتلام أيضاً يقدم لنا فوائد معينة ، من جملة هذه المنافع دفع المواد المؤذية إلى خارج جسم الإنسان ، الأمر الذي يساهم في المحافظة على سلامة الجسم ، لِأنّه لو تمكنت تلك المواد من البقاء داخل خلايا الجسم ، لتسببت بالعديد من المضايقات ، والأمراض والعوارض السلبية .

عندما يستيقظ الإنسان من نومه بعد حصول الإحتلام طبعاً ، يشم تلك الرائحة الكريهة ، المزعجة ، وعندها يتذكر حالته الأولى فيقول في نفسه : عجباً . . . ترى هل كنت في البداية مجرد سائل كريه الرائحة كهذا ؟ . . .

---

(١) كتاب أصول الكافي ، ج ٤ ص ١١ .

لو كان الإنسـان قد خلق بصـورة لا يعرف الإحتـلام معها . . . أي أنّ النطفة كان ينبغي لها أنْ تخـرج من مجرى البـول ، لتستقر في الـرحـم ، مباشرة ، دون أنْ تقذف في الخارج ، لما تمكن الإنسان أنْ يرى هذه النطفة بعينيه ، بطريقة اعتيادية .

لـذا فقد قضى الله سبحـانه وتعـالى بحكمته البـالغة أنْ تقـذف المادة المنوية في لباسك أحياناً أثناء النوم ، بصـورة خارجـة عن إرادتك ، وذلـك كي تتذكر حالتك الأولى ، فتترك بذلك التباهي ، وتنأى عن التفاخر .

عندما تصحو ، وتشم رائحة العفونة التي يبثها جسمك ، فإنّك تشم رائحة نفسك في الواقع ، كما كانت في حالتها الأولى .

فكّر ملياً . . . أليس الأمر كذلك ؟ . . .

إذنْ فقد كنت في البداية نطفـة كريهـة الرائحـة ، وفي النهايـة عندمـا يـدركك المـوت ، فلو عُمِدَ إلى فتـح باب قـبرك بعـد مضي مائة سنـة عـلى وفاتك ، لمـا وقعت العين إلا عـلى كمية من الـتراب ، ذلك أنّـه إذا حاول أحد الناس أنْ يلقي نظرة على داخل القبر بعد وقت قصـير من دفن الجثة ، فلن يستطيع ذلك ، لِأنّ الروائح الكريهة سوف تهد كيانه .

يجب أولاً أنْ تيبس الجثة ، وتتحول إلى تراب ، حتى تزول رائحتهـا العفنة التي لا تطاق .

إذَنْ أرأيت أنـك لست سـوى كمشـة تـراب ؟ . . . أرأيت أنّـك ستصبح ترابـاً في نهاية المـطاف ؟ . . . وكما أسلفنـا ؛ ، يقول الإمـام علي بن الحسين (عليه السلام) ما مفاده : أنّ الإنسان يكون في البداية نطفة ، ثم يتحول في النهاية إلى جيفة !

إذن علّام فخره وتباهيه أمام الآخرين ؟ قـل للإنسـان الذي يتبـاهى بماله : التفاخر بالمال هو من ضروب الجهل ، والتفاخر بالمال هـو من وجوه جهل الحقيقة ، لِأنّه إذا إهتدى الإنسان إلى الحقيقة ، وعرفها جيداً ، فإنّـه لن يفتخـر بعـدهـا أبـداً ، ولن يتبـاهى بـأي شيء ، ولن يفتخـر ، لا

بالحسب ، ولا بالنسب ، ولا بالمال ، ولا بالجمال .

أيتها المرأة المسكينة الجاهلة التي تفتخر بشكلها وجمالها الأخّاذ ، ألا تعرفين أن جمالك هذا هو على كف عفريب ؟ . . . ألا تعرفين أنّه إذا تسربت جرثومة صغيرة مثل جرثومة الملاريا إلى جسمك ، فسوف يقضى على معالم جمالك وفتنتك ؟ . . .

جمالك هذا هو جمال مستعار ، فلا تنخدعي به ، بل أنظري إلى آخر الطريق .

والكلام نفسه يقال أيضاً عن التفاخر بالثراء ، وكثرة المال ، فمهما بلغت حداً واسعاً من الغنى المادي ، وكثرة الأموال ، والذهب ، والمجوهرات ، فإنّك لن تصبح أغنى من قارون الذي هو مضرب المثل في الثراء الفاحش ، إذ إنّ مفاتيح الخزائن التي كانت تضم أمواله ، وثروته ، وكنوزه ـ وليس الأموال والكنوز نفسها ـ كانت تحمل بصعوبة على الأكتاف من قبل الأبطال الأشداء ، كي تنقل من مكان إلى آخره[1] .

ولك أنْ تتخيل مدى كثرة هذه الكنوز والثروات ، وهنا نطرح هذا السؤال : ماذا حلّ بمال قارون في نهاية المطاف ؟ . . .

خسفت به الأرض هو وماله ، كأنه لم يكن شيئاً من الأساس[2] .

بعد أن اطلعت على قصة قارون ، هل يعقل أن تتحدث الآن لتقول : أموالي ، وكنوزي ، وممتلكاتي ، وقصوري ، وحدائقي ، وأجهزتي ، وإلى آخره ؟ . . .

فضيلة بني آدم تتحقق عن طريق العبودية الحقة أمام الله عز وجل ، والتقوى لِأنّه إذا بلغ أحد الناس مقام العبودية الحقة ، وأصبح عبداً لله ،

---

(١) ﴿ ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ﴾ ، سورة القصص : الآية٧٦ .

(٢) ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ ، سورة القصص : الآية ٨١ .

سبحانه وتعالى ، بحق ، فإنَّ السعادة تصبح في متناول يديه . تلك السعادة الأبدية ، التي لا تفنى .

يا من تريد أنْ تصل إلى أصل الشرف وأساسه[1] ، صر عبداً لله عز وجل بحق ، وهذا هو منتهى الشرف والسعادة[2] .

إنَّ فخر علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، يقتصر على كونه عبداً لرب العالمين ، وينحصر في عبوديته الحقة لله عز وجل ، فقط . إذ إنَّه لا يمكن لنا أنْ نتصور مقاماً أرفع ، ومكانة أسمى ، من هذا الإنجاز . هذه هي مادة الشرف . وكلما زادت عبودية الإنسان ، كلما زادت كرامته وإزداد شرفه .

﴿ إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم ، إنَّ الله عليم خبير ﴾ . إنَّ الله عز وجل يدرك جيداً أين ينبغي أنْ يضع مادة الشرف والعزة والكرامة ، ولكن نحن المساكين لا نعرف ذلك الموضع المبارك ، لذا فإنّنا ننظر إلى الحسب ، والنسب ، والمال ، كمصادر للشرف . . . بينما هذه المسائل كلها ، هي من الأمور الفانية والزائلة ، وهذه المسائل لا تفيد على الإطلاق ، لا الإسم ، ولا العائلة ، ولا الشكل ، ولا المال ، ولا الشهرة ، ولا المقام . . . هذه الأمور هي مجرد لهو ولعب ، لِأنَّ سبب كرامة البشر وشرفهم ، هو التقوى والصلاح . ولذا فإنَّ الله يريد أنْ يطلعكمم على مكمن الشرف هذا . . .

أيها المؤمنون . . . دعوا جانباً كل هذه الأمور السطحية الفارغة ، وحاولوا بكل ما أوتيتم من قوة ، أنْ تصبحوا من أهل التقوى والصلاح ، وابذلوا قصارى جهدكم كي تهتدوا إلى القرب من رب العالمين .

صحيح أنّه عبد مملوك ، ولكنه من أحباء الله عز وجل :

وفي إدامة تفسير معنى الآية الشريفة ، نورد القصة التالية :

---

(١) « يا من ذكره شرف للذاكرين » (دعاء الجوشن الكبير) .

(٢) « كفى بي عزاً أنْ أكون لك عبداً ، وكفى بي فخراً أنْ تكون لي رباً » ، (مفاتيح الجنان) .

ذات يوم ، كانوا يريـدون بيع أحـد العبيد ، وبعـد مضي فترة ، أتى أحد الزبائن كي يشتريه ، فما كـان من العبد إلاّ أنْ قـال بصوت مـرتفع : هنـاك شرط أريد أنْ أطلبـه من الشخص الذي يـريد أنْ يشـتريني ، وهـذا الشرط يتلخص في أنني أريـد أنْ أكون حـراً في الأوقات التي تحـين خلالهـا مواعيد تأدية الصلوات الخمسـة ، أريد أنْ أؤدي الصـلاة خلف رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) على الدوام . من نيفذ هذا الشرط ، يستطيـع أنْ يشتريني .

وفي النهاية وجد زبوناً رضي بهذا الطلب ، فاشتراه مع وجـود الشرط إيـاه ، ذلك الشرط الـذي يقضي بأَنْ يكـون العبد حـراً في مـواعيـد حلول الصلوات الخمسة ، الظهـر ، والعصر ، والمغرب ، والعشـاء ، والصبح ، وذلك كي يذهب إلى مسجـد النبي (صلّى الله عليـه وآله وسلم) ، ليؤدي الصلاة خلف رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، ويعود أدراجه .

ومن اليوم الذي اشـتراه ذلك الـزبون ، ظـل العبد يؤدي الصلوات الخمسـة في مواعيـدها المحـددة ، خلف رسول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه وسلم) ، كما كان يريد ، وبصورة منتظمة .

ومضت مدة معينة على هذا المنوال ، بعد ذلك ، مرّت عدة أيام لم يرَ رسـول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلم) خـلالهـا هـذا العبـد . فـاستفسر عندها عن أحواله ـ يستحب أنْ يسأل عن أحوال الشخص الـذي يعتبر من أهل الجماعة ، فيما لو تغيّب لفترة عن الحضـور ـ . فقيل : يـا رسول الله ، إنّه مريض .

فقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) مـا مفاده : أريـد أنْ أذهب لعيادتـه .

وبالرغم من أنّ العبـد المملوك كان لا يحـظى بأي احـترام ، أو قيمة إجتـماعية في مجتمعـات ذلـك الـزمـان ، فقـد كـان رسـول الله (صـلّى الله عليه وآله وسلم) يرى باطنه ، وحقيقة أمره .

صحيح أنّه كان في الظاهر عبداً مملوكاً ، إلاّ أنّه كـان في الحقيقة من أحباء الله عز وجل .

ذهب رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه وسلم) إليـه ، وجلس إلى جانبه ، ثم راح يحدثه بلطف ورقة ، ويطمئن قلبـه وخاطـره . وبعد مضي بضعة أيام عاد رسول الله (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) إلى الإستفسار عن صحته مجدداً ، فقيل له : يـا رسول الله . . . إنّـه يعاني سكـرات الموت ، ولقـد أوشك أنْ يسلم الـروح ، فقال النبي (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) عندها ما مفاده : لنذهب إليه حيث هو في فراشه .

ذهب رسـول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلم) إليـه ، إلاّ أنّ ذلـك العبد ما لبث أنْ فارق الحياة ، فأبى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنْ يسلم جنازته إلى أحد من الناس ، وانبرى (صلّى الله عليه وآله وسلم) بنفسه إلى غسل جسـد العبد المسجى ، ثم قـام بتكفينه ، ثم صـلّى عليه ، إلى أنْ قام في النهاية بدفنه في التراب .

وبصورة مجملة ، فقد تعامل النبي (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) مع مسألة موت العبـد، ومراسم دفنه ، من حيث الإهتمام والتكريم ، بشكـل أثار عدداً كبيراً من المهاجرين والأنصار ، بنحـو ملحوظ ، إذ إنّ هؤلاء قـد أثاروا ضجة حيال هذا الأمر ، وقد تناهت أصوات الضجة هذه إلى سمـع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وكانت الأصوات المستهجنة تقول ما مفاده : أجل . . . لقد عـامل رسـول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلم) هذا العبد بحفـاوة لا يعاملنـا نحن بمثلها ، وخصّـه بأعـمال لا يخصنا نحن بها؛ ، ونحن الذين خدمنا الإسـلام لدرجـة كبيرة ، ونحن الـذين نقف في مقـدم الصفوف ، ولكن أنـظروا إلى التكريم الـذي خصّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) به هذا العبد الأسود .

عندها نزلت هذه الآية الشريفة ، حيث تلاها رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) عـلى مسـامعهم : ﴿ **إنّـا خـلقنـاكـم من ذكـر وأنثى . . .** ﴾ .

إذنْ ليس هناك أي فرق بين الحر ، وبين العبد ، أو الأمة ، كما أنّ العرق الأسود ، والعرق الأبيض ، هما سواءٌ عند الله ، سبحانه وتعالى .

وقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع ، بصريح العبارة ما مفاده : أيها المسلمون . . . لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لِأبيض على أسود[1] .

إيّاك أنْ تنظر إلى أحد من الناس بإزدراء واحتقار ، لِأنّه أسود البشرة . . . أو لكونه عبداً مملوكاً .

صحيح أنّك قد اشتريت العبد . . ولكنك لم تخلقه :

أتطلق على نفسك إسم المولى ؟! . . أجل ، لقد اشتريته بمالي . صحيح أنّك اشتريت العبد الفلاني ، ولكن ترى هل خلقته أيضاً ؟ . . . إنَّ الله عز وجل الذي خلقك أنت ، خلق أيضاً ذلك الإنسان . أما الكلام الذي تحاول أنْ تتمسك به حول امتلاكك له ، فهو ميزة عابرة ، ومؤقتة ، ليس إلّا . .

لقد دفعت مقداراً معيناً من المال ، وفي المقابل حصلت على ذلك العبد فكل هذه الأمور هي وهمية ، ومزيفة ، إذ إنّها لا تغير الواقع قيد أنملة . فواقع الأمر يشير إلى أنّه ليس هناك ثمة فرق بين العبد الأسود ، وبينك . . . أنت الذي تعتبر سيداً .

أيتها السيدات . . . ترى ما هو الفرق الموجود بينكن أنتن ، وبين الخادمات اللواتي يعملن في بيوتكن ، حسب الحقيقة والواقع؟ . . .

إذا نظرنا إلى ظاهر الأمر ، نجد أنّكِ أيتها السيدة تلبسين الثياب الأنيقة الجديدة الغالية الثمن ، وتملكين الحلى ، والجواهر ، والأساور ، بينما

---

(١) « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لِأحمر على أسود ، ولا لِأسود على أحمر ، إلا بالتقوى » (تفسير الميزان) ج ١٨ ص ٣٦٣ .

ترتدي خادمتك الثياب القديمة البالية ، ولا تملك شيئاً من الزينة التي تملكين . حسب الظاهر ، وهذه هي القضية ، وهذا هو الفرق الشاسع .

ولكن ينبغي أنْ تنظري أيتها السيدة إلى واقع الأمور وعمقها ، فالميزان المعتبر عند الله ، عز وجل ، لا يهتم بهذه الأشياء السطحية ، لِأنّه يرتكز إلى أسس أخرى مختلفة تماماً .

أتعلمون كم من الخادمات هنّ أعز عند الله من سيداتهن ؟. . . . أتدرون كم من الخدام هم أعز عند الله من أسيادهم ؟ . . .

من المعلوم أنّ هناك في يوم القيامة والحساب ، حالة ﴿ خافضة رافعة ﴾ . ومن خصائص يوم القيامة أنّها ترفع بعض الناس إلى الأعلى . . . وتنزل أناساً آخرين إلى الأسفل .

إذنْ لا ينبغي أنْ تتباهى أمام أي إنسان :

بعد وقوفنا على الأفكار التي مرت معنا ، حري بنا ألّا ننسى أبداً ما تفيدنا به الآية القرآنية الكريمة . إذنْ لا ينبغي لنا أنْ نفتخر أمام أي إنسان كان ، طوال سحابة عمرنا ، حتى ولو كان ذلك الإنسان من الكفار .

إنْ كنت تقول إنّ التباهي أمامه هو من معالم الإيمان ، فالإيمان يعني العبودية الحقة أمام الله عز وجل ، ويعني كل العجز والمسكنة والحاجة . . .

إذا عمدت إلى التباهي أمام الآخر تعتبر عبد حقاً ، ترى هل يعتبر هذا الكلام صحيحاً وسليماً ؟ كلا ، هذه لا تسمى عبودية .

تزويج صفية إلى المقداد :

من أجل أنْ يترسخ هذا المفهوم الرائع في أذهان المسلمين بصورة كاملة ، ومن أجل ألّا ينسوا أبداً هذا المعنى السامي حتى حلول يوم القيامة . . هذا المعنى الذي يفيد بأنّ الجميع هم مثل بعضهم البعض ، وأنّ الإمتيازات والفروقات الطبقية ، هي مسألة محذوفة ، ووهمية ،عمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، ومن على المنبر ، إلى عقد قران

إبنة عمته، أي صفية، التي هي إبنة الزبير بن عبد المطلب ـ من المعلوم أنّ أشرف قبائل العرب هي قبيلة قريش، وكان العرب كلهم يقرون بهذه المسألة دون أي تشكيك، أو تردد، كما أنّ أشرف شعب قريش كانت تتشكل من بني هاشم، إذن هذا الفتاة كانت تنتمي إلى أشرف قبائل العرب جميعاً ـ على عبد أسود اللون، هو المقداد بن الأسود.

إذن فقد زوّجها إلى رجل أسود البشرة. ومن هنا ندرك أنّه من الآن، وحتى قيام يوم الدين، تعتبر هذه الجملة: قبيلته متواضعة وعادية، أو هذه الكلمة: عائلتي راقية وأصيلة... مجرد أوهام وخيالات.

الميزان الوحيد الذي يعول عليه، هو ميزان التقوى فعندما تريد أنْ تزوج ابنتك إلى أي إنسان، تأكد من تقواه أولاً... تبين إنْ كان يتمتع بالتقوى أم لا، وتبين إنْ كان يؤدي الصلاة أم لا، ولا تنظر إلى إسمه، وعائلته، وشكله، ومظهره الخارجي. إنّ هذه المميزات الأخيرة، تعتبر خصائص خارجية، حيث أنها لا تمت بصلة إلى الجوهر. وهي تعني أنك لا تزال في نطاق التمييز على أساس البشرة السوداء، والبشرة البيضاء، وهذا الأمر ينتج عن الجهل. المشكلة هي أنّ هؤلاء المساكين لا يتمتعون بنور التوحيد والمعرفة والعلم بالواقع، إنّهم محرومون من هذه النعمة.

عندما تريد تقييم أي إنسان كان، لا تنخدع بمظاهر الأبهة، والفخامة، والأناقة، التي تحيط بحياته، ومسكنه... لا تنخدع بمهارته في عمله، وإتقانه لصنعته وتفوقه في مهنته.

التخطيط الهندسي الذي تبدعه النحلة، دون أنْ تتوفر لها الأسباب:

الأمور التي ذكرت للتو، لا تشكل دليلاً على إنسانية الواحد منا، إذ إنّ الحيوانات أيضاً تشترك مع الإنسان في مجال إتقان صنعة معينة، في الأساس، إلّا أنّ الصنعة التي تختص بعالم الحيوان، تتميز بأنها لا تسير في مسار تكاملي، ولا تقوى على التطور والتقدم.

لو نظرنا إلى بيت النحلة مع ما يميزه من نظم هندسي رائع ، ألا يحق لنا أنْ نسأل السؤال التالي : في أي كلية أو جامعة تعلمت مجموعات النحل ، هذه المواد الدراسية الهندسية ؟ . . . وعلى هذا النحو المتقن الباهر ؟ . . ترى هل يعادل حجم هذا المنزل ، حجم حبةالحمص على سبيل التشبيه ؟ . . . ونستطيع أنْ نقيس حجم كل بيت من البيوت التي تتخذها النحل من ناحية الطول والعرض ، بحجم حبة تمر واحدة . إذ أنهما متعادلان في الحجم تقريباً . وكما نعرف جميعاً ، فإنّها تعمر بيتها على هيئة شكل هندسي سداسي الزوايا . .

ترى هل تملك بركاراً ، أو أدواتٍ هندسية ، تعينها في عملها المتقن هذا ؟ . . .

لنعرض هذا العمل على قدرات الإنسان ، بالله عليكم ، هل تستطيعون أنْ تجدوا مهندساً ماهراً ، متخرجاً من أرقى المعاهد الهندسية ، والتقنية ، يقوى مثل النحلة على رسم شكل هندسي سداسي الأضلاع ، بإصبعه ؟ . . . على شرط أنْ تكون الأضلاع مثل بعضها البعض ، وأن تكون الزوايا على شاكلة زوايا بيت النحلة : زاويتين حادتين ، وزاويتين منفرجتين . لا يقوى أي مهندس على تحقيق ذلك .

أردت من هذا البيان أنْ أوضح الأمور التالية : إنَّ فنون الصنعة والمهن هذه ، لا تمثل معنى سامياً يؤهلها لِأنّ تصبح ميزاناً دقيقاً للإنسانية والروحانية . ومن خلال تتبع الأخبار والحوادث العامة التي تجري في عالم اليوم ، نسمع أنَّ الأجهزة العلمية الحديثة ، تستطيع أنْ تستكشف باطن الأرض ، لتعرف محتواه . ثم تقدم التقارير التي تقول : هنا توجد مصادر وفيرة من الماء ، وهنا توجد آبار غنية بالنفط . وهنا تتواجد كميات كبيرة من الفحم الحجري ، وهكذا دواليك .

الهدهد أيضاً يستطيع أنْ يؤدي مثل هذا الدور ، وقد جاء في الكتب الخاصة بهذا المجال ، التالي : لقد منح الله سبحانه وتعالى ، قدرة فائقة على الإبصارِ ، لعين هذا الطير ، فهو يميز كل بقعة من الأرض تكتنز

داخلها مياهاً جوفية ، والفرق هنا بين الطريقتين ، هـو أنّ الإنسان يهتـدي إلى ذلك باستعمال الأجهزة العلمية ، بعد جهد جهيد ، بينـما يقوم الهـدهد بهـذا المهمة الـدقيقة من دون أيـة وسائـل ، وبصـورة أفضـل ، وأحسن ، وأكمل .

نشير هنا إلى أنّ العلم بالواقع يختلف كلياً عن إتقان هذه المهارات ، والتقنيات ، والمهن ، ويكفي أي قوم جهلاً أنْ يقولوا : لا يحق لِأي إنسان أسـود اللون ، أنْ يشـارك في الهيئـات ، والتشكيـلات الحكـوميـة ، أو في المنديات ، والمحـافل العـامة المنتشرة في بنيـة المجتمع . تـرى ، هل هنـاك جهل يفوق هذا الجهل ؟ . . .

لماذا يتخذ هذا القرار ؟ . . . أي جريمة قام بارتكابها العرق الأسود ، كي يعاقب بهذه الطريقة ؟ . . . هل لِأنّ جلده أسود ؟! . . .

كن منصفاً وعادلاً أيها الرجل الذي تقـول مثل هـذا الكلام . أجبنـا على هذا السؤال . بأي شيء تتفوق عليـه ، أنت الذي تمتلك بشرة بيضـاء ناصعة ؟ . . . هل عقلك أكبر من عقله ؟ . . . هل تفوقه علماً ، ومعرفـة ، وكمالاً ؟ . . . هل تتفوق عليه من ناحية معرفتك بـالحقيقة أكـثر منه ؟ . . . هل تتمتع بصفات إلٰهية أكثر منه ؟ . .

﴿ إنَّ الله عليم خبير ﴾ . الله عليم خبير . الله سبحانه وتعالى يعرف كل شيء . أنتم الذين لا تعرفون شيئاً عن الواقع . أنتم تنظرون إلى ظاهر الأمور فقط ، ولذا فإنّكم تطلقون أحكاماً تخالف الحقيقة والواقـع إلى درجة كبـيرة . . .

فهذه الأحكام الخاطئة ، هي نتيجة طبيعية لتلك النظرة السطحيـة . الله عـز وجـل يـرى واقـع الأمـور ويخبر الجميـع عنهـا ، . . . ويقـول ما مفاده : كلكم سواسية ومثـل بعضكم البعض ، وكل من تميز بقدر أكبر من التقوى ، وتمتع بالنزاهة والطهارة أكثر ، وكـل من مثل العبـودية الحقـة

بصورة أفضل ، والتزم بأوامـر الله ونواهيـه بطريقـة أكمل . . . بـات شرفه أكثر وأوفر .

شفاعة المتقين في يوم القيامة :

نـذكر في بـداية هـذا الباب خـلاصة روايـة شريفة وردت في الجـزء الثالث من كتاب (بحار الأنوار) :

في يـوم القيامـة والحساب ، يصـل نداءٌ مـوجه من مصـدر الجلال ، ويقول ما مفاده : أيها الناس . . . لقد اخترتم لِأنفسكم أنسابـاً معينة . . . ونحن عيّنا بدورنا أنساباً أخرى(١) .

أنتم كنتم تعتدّون بالأنساب ، والمال ، والجمال ، في الدنيـا من أجل نيل الكرامة ، وبلوغ الشرف .

أما نحن ، فقد عيّنا التقوى كميزان لذلك .

لقد التزمتم في الدنيا بالأشياء التي قررتموها بأنفسكم ، وعملتم دومـاً بها ، أي إنّكم كنتم تفتخرون دوماً بالنسب ، والمال ، والإسم ، والجمال . عملتم دائماً وفق هذه النظرة .

أما الشيء الذي لم تعتنوا به إطلاقاً ، فهـو التمعن من أجل التعـرف إلى من يتميز بقدر أكبر من التقوى ، كي تكـرموه ، وتجلّـوه . أمـا اليوم ، فهو الذي سأعمل فيه وفق الأشياء التي قررتها أنا . . .

ثم يصل النداء التالي ، ومفاده : يا أهل التقوى ، قوموا . . . يا من مثلتم العبودية الحقة لله سبحانه وتعالى ، إنهضـوا ، فاليوم هو اليوم الذي يجب أنْ يتوضح من خلاله شرفكم .

وتفيد الرواية أنّ كل واحد منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر(٢) .

---

(١) أي : حددتم لأنفسكم موازين معينة ، ونحن حددنا بدورنا موازين أخرى .

(٢) « فإنّ الرجل منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر » (بحار الأنوار) ج ٣ ص ٢٧١ .

أي إنَّ الله عز وجل قد زاد شرفهم . وإحدى الحكم التي تنطوي عليها مسألة الشفاعة ، هي إظهار مدى شرف الشافع . إنَّ الله سبحانه وتعالى يريد أنْ يكرم الحسين (عليه السلام) ، غداً في يوم القيامة والحساب ، وهكذا فإنَّ الله يبين عظمة الحسين (عليه السلام) وسموّه ، بواسطة الشفاعة التي يتصدى لها . كما يُظْهِرُ شرفه الجليل . لذا فإنَّ شفاعة الحسين (عليه السلام) هي أسمى من الجميع . تلك الشفاعة الكبرى التي نأمل جميعاً أنْ تنالنا ، وتغمرنا بجناحها .

عندما هاجر بني أسد إلى المدينة :

سوف نحاول في هذا الباب أنْ نقدم شرحاً عن الإيمان والإسلام ، وشأن نزول الآية التالي :

ذات مرة ، ترك قسم معين من قبيلة بني أسد ـ وكان عددهم كبيراً حسب الظاهر ـ دياره ، ورحل عنها ، وقد حمل هذا القسم كامل أمتعته ، وأغراضه ، وذهب إلى المدينة ، رجالاً ونساءً وأطفالاً ، وأقام فيها ، ثم راح هذا القسم الطماع يقول : إنه يريد الإنتماء إلى الدين الإسلامي . وهكذا ، فقد إعتنق أفراده الديانة الإسلامية . عندها ، امتلأت المدينة بأعداد جموعهم ، ولما لم يبق أي مكان إضافي لإيوائهم ، راحوا ينصبون الخيم في خارج المدينة ، ويقيمون فيها ، وكانوا يذهبون في الصباح والمساء إلى المسجد ، ويجلسون حول النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، ويقولون له : يا محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) . . . وضعنا يختلف عن وضع سائر قبائل العرب . إنَّ الآخرين رضخوا للأمر الواقع تحت وطأة القوة والحرب . . . . بينما نحن أتينا من تلقاء أنفسنا . وإعتنقنا الدين الإسلامي ، دون أية حرب . وكل من كان يأتي للإنضمام إليكم ، كان يأتي لوحده ، بينما نحن أتينا رجالاً ونساءً وأطفالاً ، مع كل ما نملك من أمتعة وحاجيات . . . فنرجو أن تشركنا في الغنائم .

من هنا يتبين الهدف الكامن وراء إعتناقهم للإسلام ، وتتوضح الأسباب التي حملتهم على ذلك .

وخلاصة القول : إنّهم باتوا يشكلون عبئاً وإزعاجاً لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) . هذه الآية القرآنية التي أريد أنْ أذكرها الآن ، تتحدث عن هذه الجماعة ، وذلك كي يعرف المسلمون الذين يأتون فيما بعد ، من اليوم ، وحتى قيام يوم الدين ، أنه لا يمكن لهم أنْ يطلقوا تسمية الإيمان على حالة كل من قال : لا إله إلّا الله . . محمد رسول الله ، أو كل من أدّى الصلاة . فهذه الحالة تمثل الظاهر فقط ، إذ إنَّ الإقرار باللسان وحده ، دون أنْ يتسرب الإعتقاد إلى القلب ، لا ينفع بعد حلول الموت . المسألة لم تتعدى حدود اللسان ليس إلّا . . . لذا فإنّها تزول عند حلول الموت .

عندما يموت الإنسان ، ألا يزول لسانه ؟ . . . من هنا فإنَّ كل شيء يرتبط باللسان فقط ، يزول هو الآخر ويندثر ، بينما الروح باقية ، وكل ما يرتبط وجوده بالروح ، يبقى هو الآخر ، ويستمر .

﴿ **قالت الأعراب آمنا** ﴾ . . هؤلاء الأعراب ، سكان البادية ، قد أتوا إلى المدينة وقالوا : نحن مؤمنون .

﴿ **قل لم تؤمنوا** ﴾ . . . قل لم تؤمنوا . . . أحْسبتم أنّ الإيمان هو نوع من أنواع المزاح ؟ . . . . أحسبتم أنَّ الإيمان يتوفر بواسطة لقلقة اللسان ، ومجرد الدعاء فقط ؟ . . .

الإيمان يعني أنَّ القلب قد اطلع على المسألة ، واقتنع بها :

الإيمان الحقيقي هو نور إلهي ، يوجد في قلب المرء ، وكيانه الداخلي . أي نحن من الإيمان ؟ . . .

أجل . . . . قولوا (أسلمنا) . فهناك فرق بين الإسلام والإيمان . وبعد أنْ ذكرنا بدايةً مفهوم الإيمان ، نتحدث الآن عن مفهوم الإسلام :

الإسلام يعني القبول الظاهري ، يعني أنّه عندما يطلب من أحدهم أنْ يقول : أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله ، فإنّه يقول ذلك .

القيامة حق فيجب عليك أنْ تصلي ويجب أنْ تصوم في شهر رمضان المبارك ، ويجب أنْ تذهب إلى الحج إن استطعت إلى ذلك سبيلاً ، وعندما يقبل بكل هذه الأمور ، نقول : حسناً . . . هذا يسمى بالإسلام ، الذي هو بمثابة الظاهر وثمرة هذا القبول هو طهارة الجسم ، صحة الإزدواج ، حق التوارث ، حفظ الروح والمال ، حلية تزويجه إحدى الفتيات ، وكذلك التزوج من إحدى بناته . . . وإذا توفي هذا الشخص ، فإنَّ أقرباءه يرثونه . . . وكذلك فإنَّه يرث أقاربه .

هذه الأحكام تختص بحالة الإقرار باللسان ، حتى لو لم يكن هناك إيمان في القلب . أما إذا مات الإنسان وهو على هذه الحالة ، فإنَّه لن ينتفع بذلك في الآخرة .

الويل إذا انتسب أحد الناس إلى الإسلام بدافع من طمعه ، ونستطيع أنْ نقدم الآن بعض النماذج الحية ، التي نصادفها أحياناً في المجتمع :

في بعض الأحيان ، نجد أنَّ هناك شاباً قد أعجب بفتاة معينة ، ورغب في الزواج منها ، وعندما يواجه بالقول التالي : لا يمكن أنْ يتم هذا الأمر دون أنْ تصبح مسلماً . . يجيب قائلاً : حسناً . . . إذن سوف أعتنق الإسلام . ومن ثم يعتنق الإسلام ، ويتزوج من الفتاة التي يريدها . وعقد القرآن في هذه الحالة يعتبر صحيحاً .

نشير هنا إلى أنَّ إعتناق ذلك الشاب للإسلام بهذه الطريقة ، يعتبر كافياً لتحقق صحة زواجه من الفتاة ، أما إذا حلت ساعة الموت ، فإنَّه لن ينتفع بذلك في الآخرة .

هذا الإسلام . . . بهذه الطريقة التي دخل من خلالها الشاب إلى الإسلام . . . أي بقصد أنْ يفوز بالفتاة التي أرادها لنفسه . . . يجب أن يُقْبَلَ إسلامه إلا أنَّ هذا التسليم لا يمثل ذلك الإيمان الذي بُعِثَ من أجله النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، حتى يصبح قلب البشر عامراً بذكر

الله سبحانه وتعالى . . . حتى يتقي البشر الله عز وجل ، وحتى يخافون من حساب يوم القيامة . لا أنْ يقول المرء فقط بلسانه : ﴿ **إنَّ الساعة آتية لا ريب فيها** ﴾ . لكي يشعر بالخوف في قلبه من حساب يوم القيامة (سؤال نكير ومنكر في القبر حق) . كي توجد حالة من الخوف من نكير ومنكر ، وكي يعلم الإنسان أنّه يوجد في النهاية مسائل من هذا النوع . . . أنّه يوجد وجوه من الخوف والهلع .

ما لم تتولد هذه المعاني في قلبه . . . حتى لو ردّد بلسانه مئات المرات الكلمات نفسها . . . حتى لو قرأ دعاء عديلة (سؤال نكير ومنكر في القبر حق ، الجنة حق ، النار حق) . . . الجنة حق . . هذا يطلق عليه إسم الإسلام .

ولكن طالما أنّ الإيمان بالجنة لم يتوفر ، فإنّه لن يصبح من أهل الجنة . إذ إنَّ الإيمان بالجنة هو غير الإسلام .

الإيمان بالجنة يعني القلب . . . يعني أنّ يسعى الإنسان للحصول على ثواب الله عز وجل .

عزيزي القارىء . . عندما تودّ أنْ تبني لنفسك قصراً عظيماً في منطقة جبلية رائعة . . . سواءٌ . أتحدثت عن نيتك هذه بلسانك أم لم تتحدث . فسواءً قلت بلسانك أنّك تريد أن تتخذ لنفسك قصراً في تلك المنطقة الجميلة أم لم تفصح عن رغبتك ، فإنّك ستبدأ بالإستعداد لتنفيذ هذا المشروع ، لِأنَّ رغبتك القلبية الداخلية في تشييد القصر ، تحثك على الحركة الدؤوبة ، وتدفعك إلى النشاط في العمل . . . سواء أردت ذلك أم لم ترد .

أما إذا إقتصرت المسألة على الكلام وحده . . . كأن تقول مثلاً : (من الممتع حقاً أنْ يمتلك المرء قصراً جميلاً في إحدى المناطق الجبلية الخلابة . . الهواء عليل للغاية في تلك المناطق ، والمناظر في منتهى الروعة) . . . حتى لو تكررت هذه العبارات مئات المرات ، فإنّك لن تحصل على القصر المنشود .

كذلك فإنَّ الشخص الذي يقول بلسانه فقط أنَّ الجنة حق ، فإنَّه لن يـذهب إلى الجنـة بهـذا الكـلام ، أو أنْ يقـول بلسـانـه فقط : إنَّ النـار حق . . . فهل يعني ذلك أنّه أفلت من نار جهنم ؟ . . . هنا يجب أنْ يتوفـر الإيمان بالجنة والنار . . . وليس مجرد الإقرار باللسان .

وخلاصة القول : إنَّ هناك القلـب واللسان . الإسلام يعني الإقـرار بـاللسان . أمـا الإيمـان فيعني الإعتقـاد في القلب . والله سبحـانـه وتعـالى موجود ، وحاضر ، وناظـر ، ومراقب في كـل زمان ومكـان . ﴿ هو معكم أينما كنتم ﴾ . عندمـا تعترف بهـذه المسألـة وتذعن لها بلسانـك فهذا هـو الإسلام .

أما الإيمان فيعني أنْ تتـولد حـالة في قلب الإنسـان تجعله يعتقد بهـذا الأمر . عندها يقول : إنَّ الله عز وجل مـوجود معـه ، وحاضر في منـزله ، ومستقره أيضاً ، وهو معتقد حقاً بهذه الفكـرة . فإذا سنحت لـه ذات مرة فـرصة إرتكـاب إحدى المعـاصي ، وحتى لو كـانت الأجواء مسـاعدة ، ولم يكن هنـاك أي حائـل دون ذلـك . . . وحتى لـو كـانت نفسـه تـدفعـه إلى الخوض في المعصية . . . شعـر بخوف في قلبـه ، لِأنّ الله عز وجـل حاضر معه ، ويراه حيث هو .

وهـذا الخوف هـو الذي يمنعـه من ارتكاب الـذنب ، فهذا الإنسـان يشعر بأنّ ثمة نوراً قد أضيء في ثنايا قلبه ووجدانه ، . . حتى يعرف أنّ الله سبحانه وتعالى حاضر ، وناظر ، ومراقب ، في كل مكان وزمان .

لم يدخل الإيمان حتى الآن إلى قلوبكم :

﴿ قالت الأعراب : آمنا ﴾ . . . ﴿ قل : لم تؤمنـوا ﴾ . . ﴿ ولكن قولوا : أسلمنا ﴾ . . . ﴿ ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ . .

حتى الآن ، لم يظهر الإيمان في قلوبكم ، إذ أنه عندما يدخل الإيمـان إلى القلب ، فهناك آثار تدل عليه . لا يمكن ألّا تظهر آثاره وعلائمه .

الخوف والرجاء هما ركنا الإيمان الأكيدان ، فمحال أنْ يتوفر الإيمان القلبي ، دون أنْ يتوفر الخوف من الذنب وعذاب الله عز وجل ، ودون أنْ يظهر الخوف والهلع من يوم القيامة والحساب . . . كما لا يمكن ألّا يظهر السعي والشوق إلى نيل الأجر والثواب ، وإلى الجنة .

ولهذا السبب ، تجد أنَّ المؤمن يسرع في كل أنواع الخير والصلاح ، يسرع إلى الفوز بالجنة ، يسرع إلى تهيئة الظروف للفوز بالجنة ، . . ويعمل بكل ما أوتي من قوة كي يضمن آخرته ، ويبني لنفسه بيتاً في الجنة .

وإذا نظرت إلى شخص فوجدته قاعداً وغير مكترث لتحقيق السعادات والخيرات التي ذكرناها ، فاعلم إنّه لم يصل بعد إلى مراتب الإيمان .

لم يلبوا دعوة الجهاد :

عندما نشبت معركة (الحديبية) ، دعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) هؤلاء الأعراب ـ الذين كانوا يقولون عن أنفسهم إنّهم مؤمنون ـ إلى القتال . . . إلّا أنّهم انسحبوا جميعاً من ساحة الحرب . إذن فهؤلاء أنفسهم الذين كانوا يقولون بالفم الملآن : نحن مؤمنون ، لم يخوضوا الحرب .

من هنا نعرف أنّ الجهاد يحتاج إلى الإيمان ، كذلك فإنَّ بذل المال في سبيل الله عز وجل ، يحتاج أيضاً إلى الإيمان . إلى أنْ يصل الأمر إلى بذل النفس والروح في سبيل الله عز وجل . أي إنَّ الإنسان في هذه الحالة لا يكون هدفه هو أنْ يحدد التالي : كيف لي أنْ أصرف المال ؟ . . كيف يمكن أنْ أتخلى عن أموالي وثروتي ؟ . . .

كل من تراه ينزعج ، ويجد صعوبة في بذل المال في سبيل الله سبحانه وتعالى ، إعلم أنّ إيمانه ضعيف . وإذا كان لا ينفق المال بتاتاً ، فاعلم إنّه لا يوجد إيمان على الإطلاق .

ثم تقول الآية الكريمة : ﴿ وإنْ تطيعوا الله ورسوله ، لا يلتكم من

بأي وجه من الوجوه . أي إنَّ الحسين (عليه السلام) قد نال الأجر اللامحدود . والآن ، فإنَّ الحسين (عليه السلام) هو السلطان . هل تعلمون ذلك أيها السادة ؟ . . . هل تعلمون أنّه سلام الله عليه ، هو الآن سلطان عالم البرزخ والملكوت .

لم أنس أبداً تلك القصة :

منذ أربعين سنة على وجه التقريب ، نقل أحد الرجال المحترمين من مدينة (شيراز) ، ما مفاده التالي : في سنين الشباب الأولى ، كنا مجموعة من الأصدقاء تتراوح أعمارهم بين الثماني عشرة ، والعشرين سنة . وكنا نجتمع كل مرة في منزل واحد من المجموعة بشكل دوري . وكان والد أحد أفراد المجموعة من عشاق الإمام الحسين (عليه السلام) ، وفي كل مرة كان يستقر الدور خلالها عليه ، كنا نذهب إلى منزله حيث كنا نستمع إلى مجالس العزاء الحسينية التي كانت تقام بسبب حب والده الشديد للإمام الحسين (عليه السلام) ، وتعلقه به ، بصورة دائمة .

وبعد مضي فترة معينة ، أصيب صديقنا الشاب بمرض أودى بحياته . وقد أفجع موته قلوبنا ، وأدمع عيوننا ، وبعد فترة من الزمن ، شاهدته في عالم الرؤيا ، كان حراً ، وسعيداً ، وفرحاً للغاية . فقلت له : يا صديقي . . . لقد رحلت وتركت حرقة شديدة في قلوبنا .

فقال لي : لماذا تشعرون بالحزن والألم ؟ . . . أنا مرتاح للغاية . . . لقد تحررت من أعباء الدنيا ، وتخلصت من مشاكلها . أنتم أيضاً يجب أنْ تكونوا سعداء . أنتم أيضاً فكروا بهذه المرحلة ، وإعملوا على تأمين الراحة لِأنفسكم بعد حلول الموت . . . ولا تشغلوا أنفسكم بمسألة موتي ، وفراقي ، والتألم لرحيلي .

وكنت قد سمعت سابقاً أنّه إذا أمسك أحد الناس بإبهام الميت . . . فإنه يستطيع أنْ يسأله أيّ سؤال ، ويحصل على الجواب ، ولذا فقد أمسكت بيده في تلك الحالة ، وقلت له : لن أدعك تفلت مني . يجب أنْ

وكاملا . . . إذ أنه لا يتوقف عند حلول الموت ، بل إنّ الموت هو بداية مرحلة بزوغ أجر الله وثوابه .

والآن إنتبهوا إلى معنى الآية القرآنية الكريمة : ﴿ **وإنْ تطيعوا الله ورسوله** ﴾ . .

أيها الأعراب وغير الأعراب . . . لِأنّه ليس هناك فرق بين العرب والعجم في هذا المجال . . . إنْ أنتم عملتم لوجه الله ، وفي سبيل الله . . . فكان إيمانكم في سبيل الله ، أعمالكم في سبيل الله ، إنفاقكم في سبيل الله ، ﴿ **لا يلتكم من أعمالكم شيئاً** ﴾ . . . اللت يفيد معنى النقص . أي إنكم تنالون أجوركم ومكافآتكم من دون أي نقصان . والله سبحانه وتعالى يزيد فيها كثيراً ، ويجعلها أضعافاً مضاعفة . هنا لا يوجد أي نقصان ، لِأنّ الأجر باق ومستمر .

تجارة يزيد ، وإرتباط الحسين (عليه السلام) :

لقد مارس يزيد تجارته مع الشيطان والنفس والهوى ، فإلى متى إستمر أجره[1] ، وبقيت أرباحه ؟ . . .

وكما هو معلوم ، فقد عاش ثلاث سنوات بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ، وكان يريد من خلال تجارته الحصول على اللذة والسرور ، كما كان يريد الفوز بالرئاسة ، وقد تولى هذا الخاسر السلطة والقيادة لمدة ثلاث سنوات ، ولكن كلنا نعرف كيف رحل عن هذه الدنيا فيما بعد ، حاملاً معه الخزي والعار ، وكيف انتهت مسيرته إلى سقر .

أما الحسين (عليه السلام) ، فقد ارتبط بالله سبحانه وتعالى : ﴿ **لا يلتكم من أعمالكم شيئاً** ﴾ .

وبالمقابل ، فإنّ الله سبحانه وتعالى لم ينقص من قيمة عمله وجهاده

(١) الأجر الدنيوي الذي يختلف عن أجر الباري عز وجل .

بأي وجه من الوجوه . أي إنَّ الحسين (عليه السلام) قد نال الأجر اللامحدود . والآن ، فإنّ الحسين (عليه السلام) هو السلطان . هل تعلمون ذلك أيها السادة ؟ . . . هل تعلمون أنّه سلام الله عليه ، هو الآن سلطان عالم البرزخ والملكوت .

لم أنس أبداً تلك القصة :

منذ أربعين سنة على وجه التقريب ، نقل أحد الرجال المحترمين من مدينة (شيراز) ، ما مفاده التالي : في سنين الشباب الأولى ، كنا مجموعة من الأصدقاء تتراوح أعمارهم بين الثماني عشرة ، والعشرين سنة . وكنا نجتمع كل مرة في منزل واحد من المجموعة بشكل دوري . وكان والد أحد أفراد المجموعة من عشاق الإمام الحسين (عليه السلام) ، وفي كل مرة كان يستقر الدور خلالها عليه ، كنا نذهب إلى منزله حيث كنا نستمع إلى مجالس العزاء الحسينية التي كانت تقام بسبب حب والده الشديد للإمام الحسين (عليه السلام) ، وتعلقه به ، بصورة دائمة .

وبعد مضي فترة معينة ، أصيب صديقنا الشاب بمرض أودى بحياته . وقد أفجع موته قلوبنا ، وأدمع عيوننا ، وبعد فترة من الزمن ، شاهدته في عالم الرؤيا ، كان حراً ، وسعيداً ، وفرحاً للغاية . فقلت له : يا صديقي . . . لقد رحلت وتركت حرقة شديدة في قلوبنا .

فقال لي : لماذا تشعرون بالحزن والألم ؟ . . . أنا مرتاح للغاية . . . لقد تحررت من أعباء الدنيا ، وتخلصت من مشاكلها . أنتم أيضاً يجب أنْ تكونوا سعداء . أنتم أيضاً فكروا بهذه المرحلة ، وإعملوا على تأمين الراحة لِأنفسكم بعد حلول الموت . . . ولا تشغلوا أنفسكم بمسألة موتي ، وفراقي ، والتألم لرحيلي .

وكنت قد سمعت سابقاً أنّه إذا أمسك أحد الناس بإبهام الميت . . . فإنه يستطيع أنْ يسأله أيّ سؤال ، ويحصل على الجواب ، ولذا فقد أمسكت بيده في تلك الحالة ، وقلت له : لن أدعك تفلت مني . يجب أنْ

تقدم لي شرحاً وافياً عما شاهدته ، من الساعة التي توفيت فيها وحتى هذه اللحظة .

وما أنْ انتهت من هذه الجملة ، حتى أصيب برعشة وقال لي : أتركني . . . لا يمكن التحدث عن هذا الأمر .

فقلت له : إذن إشرح لي إحدى الأمور التي تعرفت إليها هنا . دعني أقف أنا أيضاً على إحدى المسائل التي لم تكن تعرفها في الدنيا ، حيث تعرفت إليها هنا ، وعلمت بها ؟ . .

فقال : لم نكن نعرف الحسين (عليه السلام) في الدنيا حق المعرفة . أما هنا ، فقد عرفنا أي سلطان يتمتع به الإمام الحسين (عليه السلام) ، وقد فهمها جيداً هنا ، ما هو مقام الحسين (عليه السلام) . . . نفوذ الحسين (عليه السلام) . . . سلطة الحسين (عليه السلام) .

هدفي كان الوصول إلى هذه الجملة . إذن فالأجر الإلهي يختلف عن الأجر الدنيوي الذي يقدمه الشيطان ، والنفس ، والهوى . إذ إنَّ كل من يرتبط بالله عز وجل ، لا ينقص عمله وأجره . أجره تام وكامل . ولكن من الطبيعي أنّه يوجد مراتب . . إلى أنْ يصل الأمر إلى درجة إرتباط الحسين (عليه السلام) بالله عز وجل .

«٢٦»

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم ، وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ، قل أتعلمون الله بدينكم ، والله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، والله بكل شيء عليم ﴾ .

إجلس إلى جانب الجدول ، وراقب مرور العمر وإنقضائه . . . يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : ما أسرع الساعات في اليوم ، وأسرع الأيام في الشهر ، وأسرع الشهور في السنة ، وأسرع السنين في العمر(١) .

كم أنّ الساعات تسرع الخطى ، فتنهي الليل والنهار بغمضة عين (الفجر ، الصباح ، الظهر ، العصر ، المساء ، ومن ثم الفجر ، فالصباح مرة أخرى ، وهكذا دواليك . فترى أنّ اليوم بأكمله قد انقضى بسرعة رهيبة) .

وكم أنّ الأيام تسرع الخطى ، فتعبر الشهر بأكمله وتنهيه بغمضة عين (اليوم مثلاً تقول : إنّه اليوم الأول من شهر رمضان المبارك ، وسرعان ما تقول : ها قد حلّ اليوم الآخر من الشهر) .

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٨ .

وكم أنّ الشهور تسرع الخطى ، فتنهي السنة تلو السنة .

وكم أنّ السنين تسرع الخطى ، فتنهي العمر العزيز .

إجلس إلى جانب جدول الماء ، وراقب مرور العمر وإنقضائه .

على سبيل المثال نقول : ما هذه الليلة ؟ . . .

فيأتي الجواب : هذه الليلة ، هي آخر ليالي الجمعة في شهر رمضان المبارك . منذ قليل كنّا نقول : هذه أولى ليالي الجمعة في شهر رمضان . أما الآن فنقول : هذه آخر ليلة جمعة في شهر رمضان . وذات يوم ، سوف تحل آخر ليلة جمعة في عمرنا . وبالمناسبة ، عندما تحل ليالي الجمعة أيها الأخوة . . . توجهوا بتفكيركم أكثر إلى الأموات .

هدية إلى الأموات في ليلة الجمعة :

· ينقل السبزواري عليه الرحمة في كتاب (مصابيح القلوب) قصة عن أحد الأخيار ومفادها أنّه قال :

في إحدى ليالي الجمعة ، كنت في مقبرة مدينة (يزد) ، وهناك شاهدت الوضع البرزخي للأموات ، في عالم الرؤيا . كان كل واحد من الأموات فرحاً مسروراً لِأنّه نال هدية معينة ، ومن جملة الهدايا التي وزعت عليهم : المأكولات ، المشروبات ، والثياب التي كانت مناسبة لذلك العالم ، ولاحظت أنَّ أحد الأموات كان حزيناً ، وصفر اليدين . آلمني وضعه المحزن ، فاقتربت منه ، وقلت له : كيف حالك ؟ . . من أنت ؟ . . . لماذا لم تحصل على هدية مثل الآخرين ؟ . .

فقال لي : هذه الأرواح التي تراها هي من أهالي (يزد) ، وهذه الليلة هي ليلة الجمعة والأحياء قد وزعوا الخيرات . لذا تجد أنّ جميع الأرواح فرحة ومسرورة .

أما أنا المسكين ، فغريب عن هذه الديار ، ولست من أهالي (يزد) . أنا من المدينة الفلانية ، ومنذ عدة سنين خلت ، كنت أعبر هذه المدينة مع زوجتي بقصد الوصول إلى منطقة أخرى ، وفي هذه المدينة ،

أصبت بمرض أودى بحياتي ، فدفنت في هذه الأرض ، ولم يكن عندي ثمة أولاد ، وأموالي باتت في تصرف زوجتي ، وبعد مرور مدة من الزمن ، تزوجت من رجل آخر ، ومن اليوم الذي تزوجت فيه ، لم تعد تفكر بحالي أبداً .

قلت له : إنْ كان باستطاعتي القيام بعمل معين ، فأنا جاهز . دلني على عنوان معين ، وقال : زوجها يعمل في سوق الحدادين ، ومحله موجود في النقطة الفلانية ، أما منزله فيقع في الحي الفلاني . (الأموات لديهم إطّلاع على وضع الأحياء إلى حد ما) .

وبعد أن استيقظ هذا الإنسان الخير ، ذهب إلى العنوان نفسه الذي دلّه عليه ذلك الميت ، فعثر على بيت تلك المرأة ، وعندما طرق الباب ، أتت المرأة إلى عتبة المنزل ، وقالت : من الطارق ؟ . . . فقال لها : هل هذا هو منزل السيد فلان الذي يعمل حداداً ؟ . . . أجابته : نعم . . . هذا هو منزله .

قال لها : ترى ، هل تزوج صاحب هذا المنزل أرملة الشخص الفلاني ؟ وما أنْ ذكر ذكر إسم ذلك الميت ـ علماً بأنّ لا أحد كان يعرف إسمه ـ قالت له المرأة : كيف عرفت إسم هذا الميت ؟ . . أجل ، لقد كنت زوجته فعلاً ! !

فأخبرها بالقصة كاملة ، وقال لها : ليلة البارحة ، التي كانت ليلة الجمعة ، شاهدت هذا المسكين في عالم الرؤيا . كان خالي اليدين حزيناً ، وسط كل الأموات ، وقد دلني على هذا العنوان ، وقد أتيت بدوري إلى هنا كي أنقل إليك عتاب زوجك السابق ، . . . لماذ لا تفكرين بحاله أبداً ؟ . .

ما أنْ قال هذه الجملة حتى بكت المرأة وقالت : معه حق لقد نسيته فعلاً ، ومنذ اليوم الذي تزوجت فيه ثانية ، لم يعد لدي متسع من الوقت كي أوزع الخيرات ، أرجو أنْ تساعدني في هذا المجال .

فقال لها : أنا جاهز لتنفيذ كل ما تطلبينه .

نزعت قلادتها الذهبية عن رقبتها وقالت له : قم ببيع هذه القلادة ، إفعل بثمنها ما تراه مناسباً من الخيرات ، لراحة نفس هذا المسكين .

يتابع الرجل الخير حديثه فيقول : أخذت القلادة منها ، وذهبت إلى السوق وبعتها هناك ، وإشتريت بثمنها ثياباً لبعض الفقراء والمحتاجين ، وطعاماً لبعض الجائعين ، وأنفقت كل المال في أعمال الخير .

وفي الأسبوع التالي ، وفي ليلة الجمعة تحديداً ، شاهدت تلك الأرواح في عالم الرؤيا مجدداً ، فوجدت أنَّ ذلك الميت هو الأسعد ، والأكثر سروراً بين الجميع ، ولاحظت أنّه يملك هدايا وتحفاً أكثر من الجميع .

وما أنْ رآني حتى دعا لي بالخير وقال : جزاك الله خيراً ، كنتُ مطأطىء الرأس بين جميع هذه الأرواح ، والكل كان قد نال هدية ليلة الجمعة ما عداي أنا المسكين ، ولكني أصبحت الآن شامخ الرأس بفضلك أنت .

أردت أنّ أنبّه القارىء الكريم من خلال سرد هذه القصة إلى ألّا ينسى الإقدام على الخيرات في ليالي الجمعة ، من أجل راحة أنفس الأموات ، . وذلك كي يخص الله سبحانه وتعالى آباءكم ، وأمهاتكم ، وأمواتكم ، بهدية في ليالي الجمعة هذه .

علامات الإيمان :

نستعرض الآن سوية خلاصة البحث السابق :

الإسلام هو عبارة عن الإقرار بالشهادتين باللسان .

أما الإيمان : فهو عبارة عن التصديق والإعتقاد القلبي ، والتمسك ، والتعلق بالله ، سبحانه وتعالى ، والخوف ، والرجاء .

نتيجة الإسلام هي طهارة الجسم ، وصحة النكاح والتوارث ، وحفظ الروح والمال .

أما النتائج الأخروية(١) ، فهي ترتبط بالإيمان بشكل حصري .

والآن ، لنرى إنْ كان الإيمان يتمتع بعلامات معينـة ، لنرى إنْ كنـا نتمتع بالإيمان بعد مدة طويلة أظهرنا فيها إسلامنا ، أم لا ؟ لنرى ونحن في مواجهة الموت ، إنْ كنا نتمتع بالإيمان أم لا . يمكننا أنْ نطلع على علامات الإيمان ، من خلال ذكـر الآية التـالية : ﴿ **إنمـا المؤمنون الـذين آمنوا بـالله ورسوله ، ثم لم يـرتابـوا ، وجاهـدوا بأمـوالهم ، وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون** ﴾ .

المؤمن الحقيقي والسليم ، المؤمن الـذي يرضى عنـه الله عز وجـل ، هو الإنسان الذي قد عرف الله في قلبه ، وهـو الذي يعيش حـالة الخشـوع أمام الباري عز وجل . ما أنْ يقال له : (يا هذا . . . إتّق الله واخشه) ، حتى يتأثر على الفور ، بسبب ذكر إسم الله عز وجل .

وما أنْ يقال لـه : (إنّه أمـر من الله) ، حتى يقبل بـه على الفـور .

﴿ **آمنوا بالله ورسوله** ﴾ :

وما أنْ يقال له : (محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) هو الـذي قال ذلـك) ، حتى ينقـاد عـلى الفـور . . . وذلـك لِأنّـه قـد أحـرز الإيمـان القلبي . . . وليس باللسان فقط ، الذي يمثل الإسلام .

﴿ **آمنـوا بقلوبهم** ﴾ . عـودوا إلى آخـر دعـاء أبي حمـزة الثـمالي(٢) إلهي . . . إنّ قـوماً قـد أقروا بـالشهادتـين بـألسنتهم . وذلـك كي يحقنـوا دماءهـم ، ويستفيدوا من مزايا الإسلام ، وقد وصلوا إلى مـا كانـوا يصبون إليه .

ربـاه . . . لقد آمنـا بك بـألسنتنا وقلوبنـا ، وذلك كي تتجـاوز عن

---

(١) نسبة إلى الآخرة .

(٢) « فإنَّ قوماً آمنوا بألسنتهم ليحقنوا به دمائهم ، فأدركوا مـا أملوا ، وإنّا آمنـا بألسنتنـا وقلوبنا » . . من دعاء أبي حمزة الثمالي .

خطايانا وذنوبنا . . . وكي تساعدنا في الوصول إليك بواسطة مزايا الإيمان السنية .

رباه . . . حقق لنا نحن أيضاً هذه الأمنية الغالية . إلهي . . . عندما نقول : لا إله إلاّ الله ، فإنّ قلوبنا قد اطّلعت على التوحيد والإيمان بك ، وعندما نقول : أشهد أنّ محمداً رسول الله ، فإنّ قلوبنا قد اطلعت على محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

المؤمن لا يرتاب في عقيدته :

﴿ ثم لم يرتابوا ﴾ . ثم لم يشكوا ، طالما أنَّ الإسلام بقي محرزاً لوحده ، فإنّ الريب والشك لا يدعان الإنسان وشأنه . أما إذا استقر الإيمان في القلب ، عندها يحل الأمن والسكون . عندئذ يقطع الطريق على الشك ، والريب ، والتردد ، وما شابه من الأمور . ولكن إذا كان الإيمان لم يستقر بعد في القلب . . . ما أنْ يقال للإنسان : لا تقدم على هذا العمل ، لِأنّ الله سبحانه وتعالى لا يرضى عنه . . . فإنّه يقول بأعصاب باردة ، ومن دون خوف : ومن هو الذي أتى من ذلك العالم كي يخبرنا عما يجري هناك ؟ . . .

هذا هو الشك ! أي إنّه لا يصدق قضية الآخرة ، وأن هناك سؤالاً وجواباً في القبر . إذ تراه يسأل : ومن أتى من ذلك العالم ؟ . . .

ومن أرفع مقاماً وأسمى منزلة من رسول الله ، محمد المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلم) ؟ . . . وهل أخبار محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) هي أخبار عادية وعابرة ؟ . . . وهل إنْ خبر علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو خبر عادي وعابر ؟ . . .

يا عديم الإنصاف والمروءة . . . يا عديم الإيمان . . . كيف تتفوه بهذه العبارات ؟ . . . كيف تقول : ترى عندما نموت ، فهل نحيا مرة أخرى[1] .

---

(١) ﴿ أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ﴾ . . سورة الواقعة : الآية٤٧ .

كيف يمكن أنْ يحدث مثل هذا الأمر[1] .

العظام المهترئة سوف تبعث من جديد ؟! أو إنّ شخصاً آخر يقول التالي : إننا نذهب إلى المقابر . ليس هناك ثمة أصوات أو شيء من هذا القبيل . كيف يمكن للجسم المهترىء أن يشعر بالسعادة والهناء ، أو بالعذاب والشقاء ؟ . . .

يقول ذلك لِأنّه لا يعرف ما هي الروح والنفس . هذه الشكوك كلها ناتجة عن عدم توفر حالة الإيمان . ذلك أنّه إذا توفر الإيمان ، فإنّه يترافق مع الأمن[2] .

وخلاصة الأمر : إنّ المعنى يفيد التالي : ذلك الإيمان الذي لا يترافق مع الريب ، ذلك الإيمان الذي يبقي القلب في حالة الصلابة والرسوخ ، لا يظهر فيه إحتمالاً للشك في عقائده الحقة .

صحيح أنّه أمي ، ولكن قلبه مضيء بنور العلم :

مثل ذلك الرجل القروي البسيط ، الذي كان يعمل في مجال توزيع المياه على المزارع والبساتين .

ذات يوم مرّ به عالم فاضل محقق ، فسأله السؤال التالي : ما هي أصول الدين ؟ . . هل تستطيع أنْ تعدها ؟ . . .

فقال الرجل القروي : أصول الدين خمسة . . . أولها التوحيد . .

فسأله العالم : وماذا يعني التوحيد ؟ . . .

فأجابه الرجل : يعني أنّه يوجد إلٰه واحد ، وليس إلٰهين أو أكثر . هناك إلٰه واحد لكل هذا العالم . لا إلٰه إلا الله .

أراد هذا العالم أنْ يجرب الرجل فقال له : ما هو دليلك على

(١) سورة المؤمنون : الآية ٣٦ .

(٢) ﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ . . سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

ذلك ؟ . . . إلى أي برهان تستند فيما تقول ؟ . .

فقال الرجل : وهل تحتاج هذه المسألة أيضاً إلى دليل ؟ . . لا يوجد سوى إله واحد . وهل هناك مسألة أوضح من هذه المسألة ؟ . . . ماذا تعني بالبرهان ؟ . . .

فقال العالم : وإذا قال لك أحدهم : لا . . . المسألة ليست كما تقول : فماذا تجيبه ؟ . . .

فقال الرجل : طالما أنّي أعرف أنّه يكذب ، وأنّه يخفي واقع الأمر عمداً . . . فكفى بهذا دليلاً على حماقته . فأنا لا أتمتع بدرجة العلم التي تؤهلني للإستدلال في هذه الأمور .

هناك بعض الفلاسفة الذين يقدمون الأدلة والبراهين المتعددة . . ولكن هناك قليل من الشك يعتريهم . . . هذا النوع من الإيمان ، لا يمثل الإيمان الكامل ، بل إنّه الإيمان الذي لا يعتريه ريب ، ولا يظهر فيه أي احتمال للشك أبداً ، هو الإيمان الكامل .

ذات مرة ، كان أحد كبار العلماء منهمكاً في تأليف كتاب معين شاهدته إبنته وهو في هذه الحال ، فسألته : ما هو الموضوع الذي تريد أنْ تتناوله في كتابك ؟ . . .

فقال لها : أريد أنّ أعدّ كتاباً يدور حول إثبات المبدأ والمعاد . أريد أنْ أقدم في كتابي الدلائل والبراهين على وجود الله عز وجل ، والآخرة .

قالت الفتاة ـ التي كانت تتمتع بقلب صاف ومشرق ـ : حتى لو شك الإنسان في أي موضوع . . . فهل يمكن أنْ يشك في وجود الله والآخرة ؟ . . (1) .

أنظر كم إنَّ هذا الموضوع واضح وجلي ومحسوم لديها . . . أي كما

---

(1) ﴿ أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ﴾ . . سورة إبراهيم : الآية ١٠ .

أنها متيقنة من أنَّ الشمس سوف تغيب بعـد ساعـات معدودة ، عـلى سبيل المثال . إنها متيقنة من أنه سيكون هنـاك سؤال وجواب عنـدما تمـوت . . . أي القضية التي تمثل طليعة عالم الجزاء .

إذن ليس هناك شك أو ريب عند المؤمن . ﴿ ثم لم يرتابوا ﴾ . طالما أنَّ هناك ريباً في نفسك ، فمعنى ذلك أنّ الإيمان الكامل لم يتوفر بعد .

إذا أردت أيها القارئ الكـريم أن تتطلع عـلى بحث الشك والـريب بصورة مفصلة ، فعليك الرجوع إلى كتاب (القلب السليم) . فهناك تجـد شرحـاً مفصـلاً لهـذه المسـألـة . ربـاه . . . أنعم علينـا بـالإيمـان الحقيقي المستمر[١] .

هنـاك رواية تفيـد بأنّ إحـدى الأدعية التي كـان يقـرأهـا رسـول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بشكل يومي ، هي : اللهم إنّي أعوذ بـك من الشك ، والشرك ، والرياء ، والسمعة[٢] .

رمى الحلوى النجسة في سلة المهملات ، ولم يبعها :

﴿ وجـاهدوا بـأموالهم وأنفسهم ﴾ . . طـالمـا أنّ الإنسـان لا يقـدم أصول عقائده الدينية على المتع الدنيوية (المال) التي يملكها ، عند تعارض هاتين المسألتين ، فلا يستطيع أنْ يدعي بأنه يتمتع بالإيمان .

أسرد عليكم الآن هـذه القصة المعـبرة :

كان هناك رجلٍ في مدينة (شيراز) ، يملك رأس مال محدود للغاية ، وكان يعدّ صنفـاً معيناً من الحلوى ، ويبيعـه للناس . وعن هـذا الطريق ، كان يؤمِّن مصروفه ومعيشته . ليتغمده الله بواسع رحمته .

---

(١) « اللهم إنّي أسألك إيماناً تباشر به قلبي ، أسألك إيماناً لا أجل له دون لقائك » من دعـاء أبي حمزة الثمالي .

(٢) « اللهم إني أعوذ بك من الشك والشرك والرياء والسمعة » .

وينقـل : أنّه ذات يـوم ، وبعد أن انتهى من إعـداد الحلوى ، وهمّ بـأنْ يعرضهـا للبيع ، لاحظ وجـود فضلات فـأرة داخل الحلويـات ، ربمـا كانت داخل السكر . والآن باتت الحلوى نجسة ، فماذا ينبغي أنْ يفعـل يا تـرى ؟ . . . قرّر هـذا المسكين أنْ يتخلى عن الكمية كلهـا ، فرمى بهـا في سلة المهملات ، ولم يبع شيئاً منها !

هنا تلاحظ أنّه قد تخلى عن المال . . . لماذا ؟ . . . لِأنّه يحرم بيع المواد الغذائية النجسة إلى أحد . . . ويحرم إطعامها إلى المسلم .

المسألة ليست سهلة . أن تبذل وجودك ، أو مالك ، أو مصـالحك ، في سبيل الله عز وجـل . طالمـا أنّ الإنسان لا يبـذل مالـه في سبيل الله عـز وجل ، فإنّه لم يصل إلى مرحلة الإيمان الكامل . هـذه القضية هي إمتحـان في حد ذاتها . الشخص الذي يتمتع بالإيمان ، يبذل روحه في سبيـل الله . وإذا لم يتوفر الرجاء ، فإنّ المرء لا يبذل حتى قرشـاً واحداً . وذلـك لِأنّه لا يأمل أنّ الله سوف ينجيه ، إنْ هو بذل روحه في سبيله .

النجاة تنال عن طريق الإيمان وحـده ، والإيمان مكـانه القلب ، أمـا علامة وجود الإيمان في القلب ، فهي : ﴿ **جاهدوا بـأموالهم وأنفسهم** ﴾ ، إنها الجهاد بالمال والروح ، إنها بذل المال والروح .

عندما تجد نفسك مستعداً لبذل وجودك كله في سبيل الله عز وجل ، فـاسجد سجـدة شكر ، وقـل : إلٰهي . . . شكراً عـلى أنّه يـوجد إيمـان في قلبي ، إلى أنْ تصل إلى درجة تصبـح مستعداً معهـا لبذل نفسـك في سبيل الله .

إنّ الشخص الذي يطيع هوى نفسه ، أو عائلتـه ، بدلاً من إطـاعة أوامر الله ، عز وجل ، ويعمل دومـاً على خـدمة إسمـه ، وإبراز وجـوده ، فإنّه يعمد بذلك إلى الطغيان بدلاً من إطـاعة رب العـالمين[1] ، إنّـه يشكو

---

(١) ﴿ وألّا تعلوا على الله ﴾ . . سورة الدخان : الآية ١٩ .

من الكبر . . . هذا الشخص كيف له أن يدّعي الإيمان .

الأثرياء هالكون إلا إذا أنفقوا :

هناك حديث مفصل في (توحيد الصدوق) ، ينبغي أنْ يقرأ بدقة وتمعن حقاً ، وسوف أورد هنا جملة واحدة من وسطه :

ذات مرة ، قال أبو ذر : إنّ خاتم الأنبياء محمد المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلم) قال ما مفاده : « أثرياء أمتي جميعهم هالكون ، إلا أولئك الذين يبذلون ويعطون في سبيل الله ، عبر كل الطرق المتاحة » . أي إنّه إذا أتيح له أنْ يقدم على عمل الخير بأية طريقة كانت ، فإنّه يبذل ويعطي دون بخل أو مماطلة .

أما إذا لم ينفق المال في سبيل الله ، فإنَّ مكانه معلوم .

إنّ الأموال التي تكدسها فوق بعضها البعض ، لن تعود عليك إلاّ بالنار ، والحسرة ، والشؤم في الدنيا والآخرة ، في حالة عدم الإنفاق في سبيل الله عز وجل[1] . ﴿ **أولئك هم الصادقون** ﴾ . أولئك هم الصادقون . . . من هم الذين ينطبق عليهم هذا الوصف ؟

﴿ **إنّما المؤمنون : الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله** ﴾ . أجل . . . هؤلاء هم المؤمنون الحقيقيون . هؤلاء هم الصادقون . . . المؤمنون . . أهل النجاة . . . وليس أولئك الذين يظهرون التمسك بالدين بألسنتهم فقط !

الرياء . . . أمام الله عز وجل ؟!

﴿ **قل أتعلمون الله بدينكم** ﴾ . هل تريدون أن تفهموا أنّ الله عز وجل تمسككم بالدين ؟ . . . تقولون : نحن مسلمون ، نحن مقدسون ،

---

(١) توحيد الصدوق : حاشية الصفحة ٣٨٢ . سورة التوبة : الآية ٣٤ ـ ٣٥ .

نحن لا نتخلف عن صلاة الجماعة أبداً . ترى ، لمن توجهون هذا الكلام ؟ . . .

هل توجهونه إلى الله سبحانه وتعالى ، أم إلى الناس ؟ . . إنْ كنتم توجهونه إلى الله ، فالله يدرك كل شيء . لذا لا حاجة لإعلان كل هذه الأمور .

﴿ **أتعلمون الله بدينكم** ﴾ . أتريدون أن تعلموا الله ذلك ؟ . . ﴿ **والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ : فالله سبحانه وتعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض . ﴿ **والله بكل شيء عليم** ﴾ . فالله بكل شيء عليم .

أما إذا كنتم توجهون كلامكم إلى الخلق ، إذن فإيمانكم هو من أجل الناس . وعليه ، فليس لكم أجر أو ثواب ، عند الباري عز وجل . الصلاة التي تؤدونها هي من أجل الناس إذن . لذا ليس لكم أجر عند الله . إذن لماذا تعمدون إلى هذه المغالطة أيها الكاذبون ؟ . . .

كونك أصبحت مسلماً ، لا يعني أنْ تمنن على أحد :

أسوأ من هذا : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا** ﴾ . . . يمنون عليك أن أسلموا . . .

بنو أسد الذين مرّ ذكرهم فيما سبق ، كانوا يمنون أيضاً ويقولون : يا محمد . . . الآخرون الذين اعتنقوا الإسلام ، كانوا يأتون لوحدهم للإنضمام إلى الإسلام .

أما نحن فقد أتينا جميعاً ، مع زوجاتنا ، وأولادنا ، وقبيلتنا ، وإعتنقنا الإسلام . إنْ كان الآخرون قد انضموا إلى الإسلام ، بالحرب والجدال ، فقد انتمينا نحن إليه من دون حرب . وها نحن نؤدي الصلاة ، أعطنا قسطاً أوفر من الزكاة .

القرآن الكريم يفيدنا بما معناه : الإسلام الذي يعتنقه هؤلاء ، لا

قيمة له . وعلى الرغم من ذلك ، فإنّهم يمنون على محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) . ما هو أساس إسلامك ؟ . . . هل يسمى هذا ديناً ؟ . . . هل يسمى هذا إيماناً ؟ . . أنْ تأتي في الصبح والظهر لتصلي خلف محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، طمعاً بالمال والزكاة ؟ . . . هذا ليس إيماناً ، وبالرغم من ذلك ، يمنون على محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) كونهم يصلون خلفه . ﴿ **قل لا تمنوا عليّ إسلامكم** ﴾ . إذنْ تفيد الآية الكريمة بأنّه : قل لا تمنوا عليّ إسلامكم .

وإنْ كنتم قد نلتم نصيباً من الإيمان ، فاعلموا إنكم قد نلتموه بفضل الله ولطفه . . وليس من مصدر آخر . فلا يحق لكم أنْ تمنوا على أحد . ﴿ **بل الله يمن عليكم أنْ هداكم للإيمان** ﴾ . بل الله يمن عليكم أنْ هداكم للإيمان .

وسوف أضرب لكم الآن مثلاً لتقريب الصورة إلى الأذهان . وذلك كي أوضح لكم أنه إذا اهتدى أحد الناس إلى الإيمان ، فلا يحق له أنْ يمن على الله ورسوله . . . بل على العكس ، فهو الذي وقعت عليه المنة .

منة المريض على الطبيب الحنون :

لنفرض أنّ طبيباً كان في منتهى الكرم ، والحنان ، وطيبة النفس . . . ومن أصحاب الثروات في الوقت نفسه ، ولنفرض أنّه أعلن التالي : كل مريض يأتي إليّ ، سأتكفل باستقباله ، ومعالجته ، والسهر على راحته ، وعندما يتماثل للشفاء ، يمكنه الذهاب دون أنْ يدفع أي شيء .

فإذا ذهب أحد المرضى إلى عيادته ، وطلب منه علاجاً ، فبادر الطبيب إلى معاينته ، ومعالجته بكل إخلاص ، ورحابة صدره ، . . . فهل يحق للمريض عندها أنْ يقول له : (أيها الطبيب . . . لقد أتيت إكراماً لك إلى هذه العيادة) ، وأن يمنن على هذا الطبيب الذي استقبله مجاناً ، ومن دون أي طمع ، وعالجه وسهر على راحته ، وداوى أمراضه ؟ . .

هو الذي بات في موضع من وقعت عليه منة . . . وبالرغم من

ذلك ، تراه يمنن على هذا الطبيب الرائع . . . ويقول له : لقد أتيت إكراماً لـك إلى هـذه العيـادة ، ورضيت أنْ تجـري عمليـة جـراحيـة لي عـلى يديك . . . لم أكن لِأرضى بأن يجري لي هـذه العملية أي جـراح كان . . . أنت الطبيب الوحيد الذي رضيت بأنْ يجري العملية لي .

بل الله يمن عليكم :

إنْ كنت قد نلت نصيباً من الإيمان ، فالله هـو الذي منحـك ذلك ، هو الذي عالج جهلك ، وبالرغم من ذلك تقول : إلٰهي . . . لقـد أطعت أوامرك ، لقد آمنت بك .

من الـذي علمك كـل ذلـك ؟ . . . إنَّ نفـع إيمـانـك ، وصـلاتـك وصيامك ، يعـود عليك أنت ، والله عـز وجل هـو الذي يمن عليـك ، هو الذي أنقذك من براثن مرض الجهـل . مهما كـانت أعمال الخـير التي تصدر عن الإنسـان إبتداءً من أصـل الإيمان إلى جميـع الشؤون الدينيـة الأخرى ، فإنّه يبقى في ظل منة الله عز وجل .

الشخص الـذي يصعـد إلى المنـبر ، ويتصـدى لـوعظ النـاس وإرشـادهم ، لا يحق لـه أنْ يمنن عـلى أحـد ، ومن أنت حتى تستـطيـع أنْ تهدي أحد الناس ؟ . . . إذا أراد الله عز وجل ، فإنَّه يضفي عامـل التأثـير عـلى كلماتك ، ومـواعظك[1] . . . ويجعـل قلب المستمع طيعـاً ، هادئـاً ، مقبلاً ، ليس لك دخل في ذلك .

أو ذلـك الـرجـل الـذي يصرف الأمـوال الـطائلة ، فـترى أحـدهم يسحب من رصيده مبلغاً كبيـراً ليبني به مؤسسـة خيريـة ، هذا المـال لمن يا ترى ؟ . . .

أيها الرجل الثري ، يا رجل الأعمال المحترم ، أخـبرنا بـالله عليك ، ماذا كنت تملك منذ خمسـين سنة خلت ؟ . . . وأين كـان مستقرك في ذلـك

---

(١) ﴿ إنّـك لا تهـدي من أحببت ولكن الله يهـدي من يشـاء ﴾ . . سـورة القصص : الآية ٥٦ .

الـوقت ؟ . . . كنت تشغـل حيّـز شـبر واحـد في بـطن أمـك ، أليس كذلك ؟ . . .

ومن المعروف أي طعام كنت تتناول حينها . بعد أنْ خرجت من كل تلك الأوسـاخ ، أتيت إلى هذه الـدنيا بـاكياً ، حـافياً ، عـارياً ، لا تملك مـالاً ، ولا قصراً ، ولا شركـات ، ولا عقـارات ، ولا أسهـماً ، وبعـد أنْ كنت تعاني من الجوع والعطش ، أسبغ الله عليك هذه الملايين التي تملكهـا حـاليـاً ، بصـورة تـدريجيـة . . . حتى أصبحت اليـوم من رجـال الأعـمال الكبار .

الكرة الأرضية وما عليها ، والكـون كله ، هو ملك الله عـز وجل ، وقد عهد بها كلها إلى الناس بصورة مؤقتـة ، وعابـرة[1] .

مسألة أخرى : عندما تتصدى لتأدية أعمال الخير ، ومسـاعدة النـاس عـلى حلّ مشـاكلهم ، ينبغي أنْ تلتفت إلى قضية هـامة جـداً ، لـو أنّ الله سبحانه وتعالى لم يرشد قلبك بفضله إلى الخير ، فأين أنت من الخـير؟ . . . ومن أين لك أنْ تسعى إلى تجارة رابحة مع الله هكذا ؟ . . .

نحن صغـار النفـوس ، وضعفـاء ، إلى درجـة تجعلنـا سعـداء ، وقانعين ، عند قول أحدهم لنا : أحسنت . . . (براڤو) .

إذا عـرفت أنّه سينـوه باسمـك على المنـابر ، أو سيـذكر عملك عـلى صفحات الجرائد ، أو سيذاع إنجازك عبر وسائل الإعـلام ، . . ترى ، مـا هي النسبة التي ستكون مستعداً لبذلها من أموالك ؟ . . .

إذن كيف لك أنْ تتاجر مع الله ، خاصة أنّ الأرباح سوف تنالها بعد موتك ؟ . . الـوعد هنـا دين ، ولكنه بـاق ومستمر . الـطفل لا يقبـل بهذا الأمـر ، والأشخاص الـذين لا تتعـدى حلومهم حلوم الأطفـال ، والـذين يفكـرون على طـريقة الأطفـال ، ينطبق عليهم هـذا الأمر أيضـاً . القضية

---

(١) ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ﴾ . سورة البقرة : الآية ٢٨٤ .

تحتاج إلى همة عالية ، طالما أنّ الله لم يرشد قلبك إلى ذلك ، فلن تقوى عليه[1] .

إذن عندما تقدم على إحدى أعمال الخير ، أسجد سجدة شكر وقل : لو تركت وشأني ، لما سعيت إلى تجارة رابحة خالصة مع الله سبحانه وتعالى ، وهو الذي هدى قلبي إلى ذلك ، ووفقني إليه . لذا لا تمنن على السائل ، ولا تحسب أعمالك عظيمة وكبيرة .

إنفاق الحسين (ع) ، وهو مثل أعلى بالنسبة للآخرين :

كان هناك عربي يعاني من وطأة دين كبيرة ، وكان الدين الذي يرزح تحت عبئه ، عبارة عن دية بلغت ألف مثقال من الذهب ، على أقل تعديل ، فراح يسأل في المدينة عن أسخى رجل موجود هناك ، فقالوا له : إنّه الحسين (عليه السلام) ، ذهب إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ، وقال له : سيدي . . . إنني أعاني من هذه المشكلة الصعبة ، وقد دلوني عليك !

في بداية الأمر ، إمتحنه الحسين (عليه السلام) ، حيث طرح عليه عدة أسئلة لا يتسع المجال لسردها الآن ، وتبين أخيراً أنه ليس من الجهلة ، إنّه عالم بحق ، مؤمن ، ويفهم الأمور جيداً .

قال له الحسين (عليه السلام) ، عندها ما مفاده : تعالى معي . أخذه إلى باب المنزل ، دخل الحسين (عليه السلام) إلى المنزل ، فوجد أنّ هناك أربعة آلاف دينار ، أخذ المبلغ بأكمله ، ووضعه في طرف العباءة ، لم يفتح باب المنزل ، بل ناوله المبلغ من خلال فتحه الباب ،وذلك كي لا يرى ذلك العربي الحسين (عليه السلام) في هذه اللحظة ، فيصاب بالخجل .

قال له الإمام (عليه السلام) : (خذها فإنّي إليك معتذر ، وأعلم بأنّي إليك ذو شفقة) .

---

(١) بيدك الخير . سورة آل عمران : الآية٣٦ .

تأمل هذا الموقف . الإمـام الحسين (عليه السلام) يعـطي الرجـل أربعة ألآف دينار ، يعطيه كل ما يملك ، ومع ذلك يشعر بالحياء .

قارن هذه الحالة مع حالتنا نحن ، إنّ الواحد منّـا عندما يساعد غيره بدراهم زهيدة ، يشعر بأنّه قد حقّق إنجازاً باهراً !

تعجب العـربي من هذا المـوقف ، كيف يمنحني هـذا المبلغ الكبـير ، ومع ذلك لا يفتح باب منـزله لي ؟ . . . فقـال : سيدي . . . لمـاذا لا تفتح الباب ؟ . . . فقال له الإمام الحسين (عليه السـلام) ما مفـاده : أردت ألا تشعـر بالخجـل . . . لذا لم أدع عينـك تقع عـلى عيني ، لقد أخفيت نفسي عنك كي أحفظ ماء وجهـك ! وذلك لِأنّـه لا يقيم لنفسه وزنـاً أمام وجـود الله ، عز وجل ، . . فلا يفكر مطلقاً في أن يقول مثلاً : هذا المال هو ملك لي .

إنّه يعتبر أنّ هذا المال هو لرب العـالمين ، وإنّـه يعتبر نفسـه عبداً للّه عز وجل ، ويعتبر أنّ التوفيق هو من عند الباري سبحانه وتعالى . كما يعتبر أنّ الله له المنُّ عليه . . . (ولـك المنّ عليّ) . . . إنَّ الشخص الـذي يقدم شيئـاً معيناً ، ثم يمنن فـإنّه يبـطل بذلـك إنفاقـه . فكـان من الأفضـل ألّا يعطي من الأساس .

بدأ العربي بالبكاء ، سمع الحسين (عليه السلام) صوت بكائـه من خلف البـاب ، فسألـه قائـلاً ما مفـاده : لماذا تبكي ؟ . . . هـل كان المبلغ الذي قدمته قليلاً ؟ . . . . قلت لك : إنّي لا أملك أكثر من ذلك .

فقال العربي ما مفاده : كلا . . . إنّ بكائي هو نتيجة هذا الشعور : كيف يمكن أنْ توضع هذه اليد في التراب ؟ . . . ثم أنشد شعراً يحمل هـذا المضمون : أيها الحسين العزيز . . . ما خاب أمل من توجه إليـك بطلبـه ، وكل من يطرق باب بيتك ، فإنّ الأبواب سوف تفتح له في النهاية . ونحن نقول بالتالي :

سيدنا ومولانا الحسين (عليه السلام) . . . ذلك العـربي المدين لجـأ

إليك ، ولاذ بك ، فآويته ، وأنقذته ، وسددت دينه . . . وساعدته ، وخلصته من تلك الورطة الصعبة ، وفككت أسره ، وقيوده ، ونحن يا سيدنا ومولانا مبتلون الآن بالذنوب والمعاصي ، حيث بتنا أسرى لدى النفس والهوى .

يا مولانا يا حسين . . . نرجو منك أنْ تطلب من الله عز وجل ، أن يجعلنا في هذه اللحظة من الأحرار ، . . الذين أطلق سراحهم ، وتحطمت قيودهم ، والأغلال .

أيها الحسين العزيز . . . إنّ من يتقدم بطلبه إليك . لا يخيب أمله ، مهما كان هذا الطلب ، ونحن نطلب منك الآن يا سيدي أنْ تسأل الله عز وجل ، الرحمة والمغفرة لنا ، ولآبائنا ، وأمهاتنا .

يا مولانا يا حسين . . . نتمنى في هذه اللحظة ، أن يُمْنَحَ صك الحرية للجميع . .

ذلك أنّه إذا أزيح الستار ، وبانت الحقيقة واضحة جاية ، فإنّنا نعرف عندئذٍ ، أنّنا جميعاً مفلسون حقاً . . ، ولكن ليس إلّا الإفلاس الذي يتعلق بالدينار والدرهم والمال ، . . . بل الإفلاس لجهة الأعمال الخالصة . . . الإفلاس لجهة الأعمال التي تفيدنا ، وتشدّ من أزرنا غداً في يوم القيامة ، والحساب . . (ما خاب من تمسك بك . . وأمن من لجأ إليك) .

أيها الحسين العزيز ، الذي تكفي قطرة دمع واحدة من البكاء عليك ، لغسل الذنوب ، ومسحها بطريقة لا يبقى معها أي أثر لها ، تحنن علينا بنظرة ولفتة .

وقد رأينا أنّ ذلك العربي ، راح يبكي نتيجة هذا الشعور : كيف يمكن أن توضع يد الحسين (عليه السلام) تحت التراب ؟ . . . آه لو كان ذلك العربي يعرف شيئاً عن ظلم راعي الإبل[1] .

---

(١) إشارة إلى ما جرى للإمام الحسين (عليه السلام) في وقعة كربلاء .

- ٢٧ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان بالمبدأ والمعاد، هو أساس الأديان

أساس الدين الذي أرسل الله سبحانه وتعالى به آدم أبو البشر إبتداءً . . ومن ثم ختم الدين والنبوة بوجود النبي محمد المصطفى(ص)، المبارك. . والذي أتى جميع الأنبياء من أجله[١]. . حيث كان إرسال الرسل وإنزال الكتب، من صحف آدم حتى القرآن الكريم الذي أنزل على محمد(ص). . هو الإيمان بالله والآخرة، والعمل الصالح.

كلها نادت بهذه المسألة. إبراهيم دعا إلى الإيمان بالله والآخرة، وإلى العمل الصالح . . نوح وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء(ص)، دعوا بدورهم إلى المسألة ذاتها. التوراة والإنجيل والزبور والصحف والقرآن. . كلها دعت إلى الإيمان بالله والمعاد ، والعمل الصالح[٢].

الدين يعني الإيمان والعمل الصالح. ولهذا السبب بعث الأنبياء والرسل.

الإيمان بالله والرسول، والآخرة (أي الحياة بعد الموت). . ليس عبارة

(١) ﴿ولا نفرق بين أحد من رسله﴾ سورة البقرة الآية ٢٨٥.

(٢) ﴿والعصر، أن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ سورة العصر.

عن الإقرار باللسان، بدافع الطمع أو العادة.. أو أن يقول الإنسان حسب الظاهر: الله، محمد(ص)، الآخرة، القيامة حق.. الموت حق.. الحساب حق.. باللسان؟..

التمحور حول أي شيء، يعني الإيمان به

المعنى الفارسي لكلمة الإيمان حسب ما ورد في كل تفاسير القرآن الكريم، هو التمحور. كل من يدور حول شيء أو محور معين.. أي يتمحور حوله[1].. فإنه يكون قد آمن به. والتمحور حول الله عز وجل، يعني ألا يغيب الخالق عن بالنا طرفة عين.

وللأسف، فإن البشر في هذه الأيام، قد تركوا الله سبحانه وتعالى.. الإيمان لم يعد بالله عز وجل.. كل الإيمان أصبح بالدنيا والشهوات. المال.. الثروة.. التمكن.. الجاه.. المقام.. المنصب.. إنهم يدورون حول هذه المسائل.

ترى اليهودي يقول: أنا من أمة موسى، ومن أهل التوراة. بل يتفوه بادعاءات عجيبة غريبة: الحكم على الأرض هو لنا.. الجنة هي ملك مطلق لنا.

والنصارى، ماذا يقولون؟..

المسيحيون يقولون: (نحن أبناء الله وأحبائه).. الجنة لنا.. لقد مكث السيد المسيح ثلاثة أيام في جهنم، كي لا يذهب المسيحي بعدها إلى النار. وأمثال هذه الإدعاءات.

المسلمون أيضاً يقولون أن الجنة لهم..

أنا من شيعة علي(ع) ولي الله.. الجنة لنا دون الآخرين.

---

(١) بقلبه (المترجم).

القرآن الكريم[1] يتصدى لتبيان بطلان هذه الإدعاءات. أيها اليهود.. أيها المسلمون.. إن الله سبحانه وتعالى يقول ما مفاده: إن الذين أسلموا واليهود والنصارى والصابئين.. هذه الأسماء هي لغو.. إسم اليهودية، المسيحية، الإسلام، لا يفيد في شيء. طريق الله عز وجل يحتاج إلى الحقيقة.. يحتاج إلى الدين.. والدين يعني القلب. طالما أن القلب لم يعرف شيئاً عن الله والآخرة.. وطالما أن الإنسان لم يتمحور حول الله والآخرة.. فالدين غير موجود.. سواءً كنت مسيحياً أو شيعياً.

طالما أن القلب بقي خارج نطاق المسألة.. وطالما أن الإيمان والتمحور لم يظهرا في الساحة.. فإن الناس في هذه الأيام، وإلى أي قومية انتموا، يتمحورون حول الدنيا.. فإذا قلت لأحدهم: ألا تخاف من القبر؟.. ألا تفكر بمسألة السؤال والجواب؟.. هناك حساب يوم القيامة أيضاً..

لقال لك: هذه الكلمات مضى عليها الزمن..

ترى، ألديه دين هذا الإنسان؟..

حتى لو كان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً بالإسم، فحول أي محور يدور؟.. إنه يدور حول المال أو المرأة أو الشهوات.. حول النفس والهوى..

مَن هو الذي يتمحور حول الله سبحانه وتعالى؟.. من هو الذي يتمحور حول الجنة؟..

كلما نظرنا إلى حال الدنيا، نجد أن ذلك الشخص يعتني ببناء قصره الفخم الفسيح. ولكن متى قام ذلك الشخص بجولة حول منزل الآخرة؟..

---

(١) ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ سورة البقرة الاية٦٢.

لا أدري إن كان ذلك الإنسان يدور بعض الأحيان حول منزل الآخرة كي يتفحص أمره.. هل بنيت جدرانه بدقة؟.. هل استقام وضع المبنى كما ينبغي؟..

* * *

الحياة الآخرة.. تحتاج إلى إستعداد مسبق

بعد حلول الموت، لا يدخل الإنسان إلى بيت جاهز مكتمل البناء. عندما خرجت من بطن أمك، وجدت حياة جاهزة مكتملة الجوانب في إستقبالك. في النهار، هناك الشمس التي تبعث نورها ودفئها وضيائها. وفي الليل، هناك القمر. أما سطح الكرة الأرضية، فقد خصصت لسكنك وإستقرارك. وبالنسبة للغذاء الذي يمدك بالقوة والعافية، فوجدته جاهزاً في ثدي أمك. وخلاصة القول أنك قد أتيت إلى حياة مجهزة لاحتضانك. وتستمر حياتك على هذا المنوال. حتى تغادر هذه الدنيا. ولكنك عندما تخرج من رحم هذه الحياة.. وتدخل إلى عالم الملكوت.. فإنك لا تحل في حياة جاهزة كما تشتهي. أتدري ما هي الحياة الجاهزة؟..

إذ أنك عندما تموت، لا تجد هناك نوراً ساطعاً شاملاً مثل نور الشمس. نورك هو النور الذي تأخذه معك من هنا في شهر رمضان المبارك. هو نور الأعمال.. نور الإيمان.. نور التوبة.. نور الإخلاص.. فأنت تكون في نورك(١).

ليس هناك شمس وقمر في أرض الحشر(٢).

ليس هناك ثمة نجمة مضيئة في القيامة. الأوضاع تكون مختلفة تماماً. فهناك تكون الظلمة المطلقة. فالنور لا يسطع إلا من جمال محمد(ص). وكل من يحصل على نصيب من هذا النور في الدنيا، فإنه يأتي

---

(١) ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم﴾ سورة الحديد الآية١٢.

(٢) ﴿إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت﴾ سورة التكوير الآية ١و٢.

به معه[1].

وهناك بعض الناس ـ كما تفيد بعض الروايات ـ الذين يقتصر نورهم على القدر الذي يسمح لهم برؤية موطىء قدمهم. وهناك بعض المسلمين الذين يتأرجح نورهم بين الإضاءة والإنطفاء. إذ تراه يضيء وينطفىء بصورة متتالية. لا بد أنكم قد شاهدتم في بعض الأحيان مصباحاً ذي نور خافت. فعندما تهب نسمة هواء بالقرب منه، يوشك على الإنطفاء. . ولكنه يعود ويضيء مرة أخرى. والبعض يكون نورهم خافتاً إلى درجة لا تسمح لهم برؤية مواطىء أقدامهم إلا بصعوبة. وأحياناً يخفت نور البعض إلى درجة يبدو معها على وشك الإنطفاء. وهذه الحالة تمثل الصورة الملكوتية للخطة التي كان يرتكب فيها معصية في الدنيا. أي أنها لحظة إنطفاء النور. وعندما يعمد إلى التوبة، يعود النور إلى الإضاءة مرة أخرى. بعد حلول الموت، سوف ترى الصورة الملكوتية لساعات العمر. تبدو هذه الصورة مظلمة حيناً. ومن ثم تصبح مضيئة من جديد. إذ أن الإنسان يذنب ومن ثم يتوب. نسأل الله عز وجل ألا تدوم حالة العتمة المخيفة هذه.

وسواءً كان ظاهر قبرك مظلماً أو مضاءً بالمصابيح ومئات الشموع. . فهذا النور يفيد في هذا العالم. أما المكان الذي تقبع فيه أنت، فيحتاج إلى نور آخر. نور الإيمان. . نور الإخلاص. . نور الصدقات. . نور الأعمال الصالحة. الزاد الذي تحتاج إليه هناك، هو هذه الأمور أيضاً. نعود هنا إلى دعاء أبي حمزة الثمالي، حيث نقرأ العبارة التالية: (ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي أبكي لظلمة قبري).

يجب أن تسعىٰ لضمان بناء بيتك وترتيبه وفرشه على أحسن نحو. . هذا البيت الذي تحل فيه بعد موتك.

---

(١) ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ سورة البقرة الآية٢٨٥.

وكما يقول أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب(ع):

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت بانيها

وهناك البعض - وهم فئة خاصة من المؤمنين - الذين تمتد حدود منازلهم على مد البصر. الجسم موجود تحت التراب، ولكن الروح في الملكوت.

الإيمان بالقيامة يعني التمحور حول القيامة. أي أن يسوي المرء كل الأمور المتعلقة بسجله في يوم القيامة. أن يمتنع عن إرتكاب كل المعاصي والذنوب. هذا هو الإيمان بالقيامة. أي أنه لا يقترب من أي من المعاصي.

الشهوة تستطيع أن تخضع أي إنسان لسلطتها إلا المؤمن[1]. لا يمكن أن يخضع المؤمن للشهوة إلاّ إذا ذهب إيمانه. سأورد الآن هذه القصة القصيرة لما لها من دلالة.

* * *

المسلمون الذين مثلوا نموذج التمسك بالدين والإلتزام به

يروى أن إثني عشر رجلاً من المسلمين وقعوا في الأسر أثناء الحرب مع الروم. فطلب الإمبراطور من أعوانه أن يحضروا هؤلاء الأسرى إلى مجلسه، وقال: أريد أن أراهم. كيف يمكن للمسلمين أن ينتصروا على جيش جرار بواسطة جيش صغير الحجم؟..

وعندما جيء بهذه المجموعة من الرجال الكبار - الكبار ظاهرياً ومعنوياً - إلى مجلس الإمبراطور، خاطبهم سلطان الروم بقوله:

لن أقتلكم.. بل سأوظفكم عندي.. وسوف أعطيكم المبالغ الضخمة التي يمكن أن تطلبونها.. ما أريده منكم هو أن تعملوا على إصلاح بنية جيشي فقط.. أريد أن تدربوه على طريقتكم كي يصبح رجالي

---

(١) لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن.

مثلكم.. وكي يقوى جيشي ويتطور مثل الجيش الإسلامي.

عند سماع هذا القول، قال المسلمون بأعلى صوتهم ما مفاده: لن نقوم بهذا العمل، لأن الله عز وجل لا يرضىٰ عن ذلك.

الآية القرآنية الكريمة تقول: ﴿رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾[1].

لن أصرف نعمتك في طريق مساعدة الكفر والأعداء. لن نقدم على هذا العمل أبداً.

عندها قال الإمبراطور لأعوانه: خذوهم إلى الكنيسة. دعوهم يرون الفتيات الجميلات التاركات للدنيا.. ضعوهن في تصرف هؤلاء.. واطلبوا من الفتيات أن تتودد إليهم.. ثم أخبروهم بأن هؤلاء الفتيات سوف يستسلمن لكم بشرط أن توافقوا على تلك المعاهدة.. وعندها سوف تخصص لكم أجوراً طائلة.

وعندما أتوا بهؤلاء المسلمين إلى الكنيسة.. وعندما شاهدوا تلك الفتيات ـ وفي ذلك الموقف الجذاب الذي يلهب الشهوة ـ قالوا: (هذا بيت الشهوة ـ لا بيت العبادة).

ترىٰ، هذا المكان هو للعبادة أم للشهورة؟.. ثم طأطأوا رؤوسهم إلى الأسفل كي لا تتكرر النظرة تكرار النظر حرام. إذا وقعت العين على الشخص الأجنبي[2].. فإن تكرار النظر بدافع الريبة حرام بلا شك.

إذن فقد طأطأوا رؤوسهم إلى الأسفل، ولم يتحركوا من كانهم. فأخبر السلطان بذلك.

هؤلاء يوصفون على حد قولي بالرجال.. شخصياتهم ليست

---

(١) سورة القصص الآية ١٧.

(٢) الغير محرم.

شخصيات صبيانيـة حتى يصبحوا أذلاء أمـام المال، وأسرى أمـام النسـاء. هؤلاء مسلمون.. أعزاء. المؤمن بالله يكون عزيزاً(١).

ولأنه عزيز، فإنه لا يأبه للمال والشهوة.. ولا يصبح ذليلاً إلّا لله عز وجل. إيمانه ليس بالمال والشهوة.. تمحوره ليس حول المـال والشهوة، من الصباح حتىٰ المساء.

نشير هنا إلى هذا القول: أنا موجود بين الجمع، ولكن قلبي موجـود في مكان آخر.

إنه موجود في المنزل، ولكن قلبه موجود في قبره.. إنه يفكر في كيفية تسوية شؤون قبره. (آمن بالله واليوم الآخر).

أتريد أن تنتفع بعد الموت؟.. الحياة بعـد الموت تكمن في الحقيقـة. الشيء الـذي يهتف له قلبـك، سوف تكـون بمعيته.. إن كـان قلبك يهتف لجيفة الدنيا.. بعد الموت، سوف تكون بمعية جيفة الدنيا المتعفنة. أمـا إذا كـان قلبك يهتف لمحمـد(ص) وآل محمد(ص).. وللقـرآن والجنـة والنعم الباقية.. فسوف تصل إلى هذا المقصد أيضاً.

هل لاحظتم كيف يكون حال طلاب الدنيا؟.. وكيف يحوم الـواحد منهم حول الماديات بحرص بـالغ؟.. كـل فكره وكـلامه يـدور حول المـال وإرتفاع أسعار البضائع وإنخفاضها، وما شابه من الأمور.

يجب على طلاب الآخرة أن يكونوا على هذه الشاكلة بالنسبة لـلأمور التي تتعلق بـآخـرتهم.. أي أن يـدور كـل فكـرهم وذكـرهم حـول الله والآخرة.. حول الدين والحقيقة.

(الإناء ينضح بما فيه).

---

(١) ﴿لله العزة ولرسوله وللمؤمنين..﴾ سورة المنافقون الآية٨.

طلاب الدنيا لهم علامات خاصة بهم. وطلاب الآخرة لهم علامات خاصة بهم أيضاً.

ذلك الشخص الذي هو من طلاب الدنيا.. عندما يحين وقت الفائدة الدنيوية.. أتدري كم يسعى ويكد ويتعب كيلا يكون هناك أدنىٰ نقص في أرباحه؟..

أما ذلك الشخص الذي ينتمي إلى طلاب الآخرة، فتراه يقول في نفسه: يجب أن أسعى لتحقيق نفع ما قبل إنقضاء شهر رمضان المبارك.

الإنسان المادي.. أترىٰ أي جهد يبذل عندما يريد إتمام صفقة عقارية تعود عليه بربح عشرة توامين[1] مثلاً في المتر الواحد؟..

الله عز وجل يضاعف لك التومان[2] الواحد ألف مرة. إذن كم يجب عليك أن تسارع إلى الخيرات قبل انقضاء شهر رمضان المبارك.

المؤمن هو الإنسان الذي يتأثر عند ذكر إسم الله عز وجل أمامه[3]. وما أن يذكر إسم القيامة أمامه حتى يشعر بخوف في قلبه. هذه هي علامة إيمانه، وإلّا فإن الإيمان يكون بالدنيا.. وفي البرزخ، يكون بمعية الجيفة التي هي حقيقة الدنيا.

وخلاصة القول في هذا الباب هي التالي: مرحلة ما بعد الموت، تحتاج إلى الإيمان.. تحتاج إلى الحقيقة والقلب. أما ما كان يرتبط باللسان وحده وبالإدعاء، فإنه يزول. قلبك لمن يهتف في الساعة التي تفارق خلالها الدنيا؟.. يجب أن تتمتع بالإيمان والخشوع والخضوع أمام الحق سبحانه وتعالىٰ. طبعاً، هذه المسألة لها علاقة أيضاً.

هل لاحظت كيف أن أهل الدنيا يهبون لإنجاز صفقاتهم التجارية في الساعة المناسبة والمحددة تماماً؟..

(١و٢) عملة إيرانية.

(٣) ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾.

أيها المؤمن.. يا أيها الذي تؤمن بالآخرة.. علامة إيمانك هي أنه في أول الوقت.. وما أن يرتفع صوت الأذان قائلاً: (حي على الصلاة).. فإنك تهب لتأدية الصلاة التي هي أفضل الأعمال.. ولا تهمل ذلك.

أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب(ع)، يقول في دعاء كميل: (ومطالي يا سيدي)..

إلهي... إليك أشكو أنني أهمل أمر آخرتي.

إذا عرض عليَّ القيام بأحدىٰ أعمال الخير، فإنني أعمد إلى إبعاد ذلك عن نفسي. هذا التصرف هو من ضعف الإيمان وإلا إذا كان الإنسان يتمتع بإيمان حقيقي وسليم.. فإنه يهب بسرعة لكي لا يفوته عمل الخير.

* * *

لا تعودوا إلى الشهوات مجدداً..

عندما تجدون أن الله عز وجل قد وفقكم إلى نيل بركات شهر رمضان المبارك.. وأن هناك إيمان وشوق في قلوبكم.. عندما تحضرون في بيوت الله عند حلول أوقات الصلاة، ومن أجل الإستماع لتفسير القرآن.. وأثناء الصيام والخ.. إسألوا الله عز وجل أن تبقوا على هذه الجادة وأن تستمروا على هذه الطريقة، بعد إنقضاء هذا الشهر الفضيل أيضاً.

أليس من المؤسف أن العين التي ذرفت الدموع في ليالي الأحياء.. العين التي كانت تنظر إلى القرآن الكريم.. أن تنظر إلى شاشة التلفزيون.. أن تنظر إلى المشاهد التي تثير الشهوات، والتي لا يرضى الله عز وجل عنها؟..

الأمور التي تبعث على الغفلة تقف حائلاً دون متابعتك للإستعداد لسفر الآخرة.. كيف لك عندها أن تنشغل بالتفكير بآخرتك؟..

ترى، لماذا لا يفكر الخلق بآخرتهم أبداً؟.. بسبب هذه المناظر المثيرة للشهوات، وسائر الأمور التي تبعث على الغفلة.

وخلاصة القول.. طالما أنكم قد أتيتم إلى المسجد[1] سدد الله خطاكم من أجل الثبات والتوفيق إلى ترك الذنوب، والإستعداد لسفر الآخرة، وتبادل المحبة والحنان بين بعضكم البعض.

* * *

الحب المتبادل يجلب البركة..

هذا الكلام ينطبق على البيت الواحد.. الزوج والزوجة.. وصولاً إلى العلاقة بين بلدين.

إذا أحب الزوج والزوجة بعضهما لوجه الله عز وجل.. فإن بركات الله تغمرهما.. أي حياة سعيدة وهانئة تصبح من نصيبهما.

إذا حكمت المحبة سلوك الأب تجاه ولده، وسلوك الإبن تجاه والده.. الجار مع جاره.. البائع مع المشتري.. الشريك مع شريكه.. إذا أحب الشريكان بعضهما البعض.. وإعتبر أحدهما أن مال الآخر هو ماله.. وأن الضرر الذي يلحق بالآخر هو ضرر يلحق به أيضاً.. وباتا بقلب واحد وروح واحدة بحق.. فإن الله عز وجل ينزل البركات بشكل يحتار العقل أمامه.

* * *

الله عز وجل. هو أولى بأن يفيض بالمحبة والحنان..

يروى أنه في زمن النبي داود(ع)، كان هناك شاب يكن له محبة جارفة وإخلاصاً شديداً. وقد واظب هذا الشاب على الحضور عند داود أثناء تلاوته للزبور، بصورة يومية.. حيث كان يستغرق في الإستماع إلى درجة كانت تصرفه عن الذهاب لمتابعة أي عمل من الأعمال. وفي إحدى الأيام، أتى ملك الموت لزيارة داود(ع)، وأثناء لقائه مع داود(ع)، نظر إلى

---

(١) هذا الكتاب هو عبارة عن سلسلة من الخطب والمحاضرات التي ألقاها المؤلف في المسجد.

الشاب نظرة سريعة. فقال له داود ما مفاده: يبدو أن هنـاك أمراً مـا يتعلق بصديقي.

فقال له مـا مفاده: أجـل.. الأسبوع القـادم، وفي مثل هـذا اليوم، هناك موعد بيني وبينه.

سأله داود عندها ما مفاده: المسألة مؤكدة؟..

فقال له عزرائيل ما معناه: أجل.. لم يبق أكثر من أسبـوع واحد من عمر هذا الشاب.

قال ذلك ومضى، عند سماع هـذا الكلام: تـأثر داود(ع) بشـدة... بسبب الحب الكبير الذي كان يكنه لهذا الشاب لوجه الله، فراح يلاطفـه. وفي سياق الحديث سأله ما معناه: هل أنت متزوج.

فأجاب: كلا..

قـال داود في نفسه مـا مفـاده: لم يبق من عمـر هـذا الشـاب سـوى أسبوع واحد. وهو غير متزوج.

ففكر عندهـا أن يجد زوجـة له، كي ينـال خلال هـذا الأسبوع عـلى الأقل، نصيباً من الحياة.

فطرح المسألـة على رجـل من بني إسرائيل ـ كـان يتمتع بـالإخلاص والمحبة ـ وقال له ما معنـاه: زوج إبنتك إلى هـذا الشاب الصـالح، لـوجه الله.

وافق الرجل فوراً على هذا الطلب. ثم طرح ذلك الإنسان الشريف المسألة على إبنته، التي وافقت بدورها على كلامه.

جهـزت كـل الأمــور المـطلوبــة. وفي الليلة نفسهـا، أقيمت حفلة الزفاف.

وظـل الشاب يـأتي إلى مجلس داود يوميـاً كالمعتـاد إلى أن حـل اليـوم

السابع. . أي اليوم الذي كان يتوقع داود أن يسمع فيه خبر وفاة الشاب. . استعد داود لتشييعه. . ولكن شيئاً لم يحدث. . ثم أتى الشاب بنفسه. لم يقل له داود أي شيء حول الموضوع.

وبعد مرور أسبوع شاهد الملك مجدداً، فقال له ما مفاده:

كيف حدث أن الشاب لم يمت؟. .

فقال له ما معناه: أجله كان قد حان. ولكن العمل الذي قمتم به. . أنت ووالد الفتاة والفتاة نفسها. . جعل رحمة الله عز وجل تميل إلى هذا الشاب. لقد غمرتموه بألوان من المحبة جعلت الحب الإلهي يميل نحوه. ولأنكم قمتم بذلك العمل، فقد وصل النداء قائلاً ما مفاده: نحن أولى منكم بأن نغمر هذا الشاب بالمحبة والرحمة.

لذا فقد أطال الله عمره[1].

ولكن إذا حلت الخيانة والسرقة لا سمح الله. . إذا حلت الأنانية والعداوة والبغضاء. . فإن الشؤم والخراب يطلان برأسيهما ويخيمان على المجتمع. وإذا ظهرت مسألة قطع الرحم، فإن العمران يبدل إلى دمار وخراب.

* * *

إطاعة المرأة لزوجها، لوجه الله عز وجل

هناك خبر في كتاب المحجة البيضاء يفيد بأنه في زمن رسول الله(ص)، أراد رجل من أهل المدينة أن يسافر فخاطب زوجته قائلاً لها ما مفاده: لا تغادري المنزل حتى عودتي من السفر.

فوافقت زوجته على ذلك.

---

(١) بحار الأنوار الجزء السادس.

بعد فترة وجيزة، أصيب والد هذه المرأة بوعكة صحية. فأرسلت من يخبر النبي(ص) ما مفاده: يا رسول الله(ص).. لقد سافر زوجي بعد أن أوصاني بعدم مغادرة المنزل طوال فترة غيابه. ولكن صحة أبي قد تدهورت الآن. فهل أستطيع أن أذهب لعيادته.

وتفيد الرواية الشريفة أن النبي(ص) لم يأذن لها بذلك، واعتبر إطاعة الزوج لازمة.

ثم دخل الأب إلى حالة الإحتضار. إضطربت تلك المرأة مجدداً، فأرسلت خبراً إلى النبي(ص) حيث تلقت الجواب نفسه إلى أن توفي والدها. فأرسلت خبراً إلى النبي(ص) مفاده التالي:

هل أستطيع المشاركة في تشييعه وحضور مراسم دفنه؟..

فكان جواب النبي(ص) ما مفاهده: لا.. لأن زوجك طلب منك ألا تغادري المنزل.

قبلت تلك المرأة لأنها تتمتع بالإيمان.. لأنها تخاف من عذاب الله عز وجل.. إنها تعلم أن رضى الله هو من رضى الزوج.

فأطلق رسول الله(ص) هذه البشارة قائلاً ما مفاده:

لقد رحم الله عز وجل هذه المرأة ووالدها ووالدتها وزوجها بواسطة عملها هذا. لقد رحم الله كل هؤلاء ببركة هذه المرأة.

أرأيتم كيف يمكن لإحدى الأعمال أن تصل بالمرأة إلى أي وجوه من السعادة؟..

نتابع الآن حديثنا.

* * *

توديع شهر رمضان العزيز..

يا أهل الإيمان والمحبة.. عندما يشرف شهر رمضان على نهايته،

فهل تدرون أن عزيزاً هو على وشك أن يغيب عنا؟.. لو أزيح الستار جانباً، لرأيتم أي شهر عامر بالبركات كان هذا الشهر العزيز الذي إنقضىٰ. يستحب توديع شهر رمضان المبارك. التوديع في يوم الجمعة الأخيرة.. التوديع في الليلة الأخيرة من هذا الشهر الفضيل.. وقراءة الأدعية التي وردت حول الوداع في اليوم الأخير.. كيف يكون الوداع يا ترىٰ؟.. يعني أنه عندما يكون لدى أحد الناس شخصاً عزيزاً جداً على قلبه.. فإذا أوشك هذا الشخص أن يغيب عنه، أي أن يصبح موعد اللقاء التالي في يوم القيامة.. فكيف يبادر هذا الإنسان إلى توديع عزيزه الذي أشرف على الرحيل..

بالرغم من أن الزمان والمكان هما بحسب الظاهر سريعا المرور والإنقضاء في هذا العالم (يوجد وينعدم).. إلّا أنهما يتمتعان بملكوت معين. وهذا الملكوت هو عبارة عن موجود ثابت يسمىٰ شهر رمضان. كيف يكون ذلك؟..

لا أحد يعرف ذلك.. ولكن (صدق الله ورسوله). كل موجود له حشر معين. وبالتالي فإن الزمان والمكان لهما حشر أيضاً. أي أن شهر رمضان نفسه الذي إنقضىٰ، قد سجل في العالم الأعلى. وبعد حلول الموت، تجد أن شهر رمضان هذا قد حضر أمامك، ساعاته.. ليالي الإحياء التي إنقضت.. وجهه الظاهري قد إنقضىٰ.. أما ملكوته فهو موجود. وبعد الموت، فسوف تقر عيناك بنوره.

* * *

إستعراض ساعات العمر، بعد حلول الموت..

يروي إبن فهد الحلي عن خاتم الأنبياء(ص) ما مفاده أن ساعات العمر تنقسم إلى ثلاثة أقسام. إحدىٰ هذه الساعات هي التي عندما تعرض صورتها الملكوتية أمام الإنسان... فإنها تشعر المؤمن بالفرحة والسرور إلى درجة أنه إذا هَلَّتْ هذه الفرحة على أهل جهنم، فإن هؤلاء

يشعرون بالسرور أيضاً. وهي الساعة التي إنشغل فيها بذكر الله سبحانه وتعالى.. كان خلالها في المسجد.. كان خلالها صائماً في شهر رمضان المبارك.. كان موجوداً خلالها في إحدىٰ المجالس برفقة أهل الإيمان، الشباب منهم والكبار في السن.. حيث كانوا يدعون الله عز وجل ويتوسلون إليه ويناجونه بخضوع وخشوع. الله عز وجل يبقىٰ... والأعمال التي تنجز في سبيل الله تبقىٰ. كل عمل أديته في سبيل الله عز وجل.. كل كلام قلته في سبيل الله عز وجل.. كل توبة بادرت إليها في شهر رمضان المبارك.. فسوف تراها جميعاً.. كلها ثابتة وموجودة.

كوني أقول لكم ودعوا شهر رمضان المبارك، فذلك لأنه من الممكن ألا يكون أي واحد منا على قيد الحياة في السنه القادمة.. وبالتالي فإنه قد لا يرىٰ هذا الشهر مجدداً حتى حلول يوم القيامة.

شهر رمضان هذا الذي يوشك على الغياب عنا، يقول الإمام زين العابدين(ع) في صدده: (السلام عليك يا عيد الأولياء).

يا شهر رمضان الذي كنت عيد أولياء الله عز وجل... يا من كنت فرحة أولياء الله سبحانه وتعالى. يا شهر رمضان الذي كنت عبئاً ثقيلاً على الآخرين.. كم كنت سريع المرور بالنسبة لأولياء الله عز وجل.

والآن أعرض عليكم بقية الرواية. الساعة الأخرىٰ هي الساعة التي عندما يراها الإنسان.. فإنه يشعر باللوعة والأسىٰ إلى درجة أنه إذا وزعت هذه اللوعة على جميع أهل الجنة، لتأثر هؤلاء جميعاً. وهي الساعة التي كان يرتكب الذنوب خلالها. نستجير بالله إذا وقعت أعيننا على الذنب الذي ارتكبناه في شهر رمضان المبارك(١).

القرآن الكريم يقول ما مفاده أنه غداً في يوم القيامة.. فإن جميع

---

(١) ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ سورة يس الآية٦٥.

أعضاء الإنسان وجوارحه تشهد كل عمل كان قد أقدم عليه الإنسان. . يشهد العضو المختص به. يدك. . عينك. . أذنك. . لسانك.

لا تتساءل كيف يمكن أن يتم ذلك. فهناك يوجد عالم مختلف والقدرة تكون بصورة مختلفة عما هي عليه هنا.

نشير هنا إلى وجود رواية تفيد بأن الإمام(ع) يقول ما مفاده: عندما يتوب أحد الناس. . يصدر أمر تكويني من قبل الحق إلى الكرام الكاتبين، وإلى الأعضاء والجوارح، مفاده ألا تشهدوا على ذنبه غداً في يوم القيامة. . وذلك لأن عبدنا قد أعتذر عن عمله وتاب[1].

هذه الأرض التي تدوسها بقدميك، فسوف تشهد غداً.

أما الساعة الثالثة، فهي بمثابة الحد الوسط. . أي لا فرحة ولا أسى. وهي الساعة التي إنشغل فيها الإنسان بالمباحات. . أي أنه لم يقدم فيها، لا على طاعة، ولا على معصية. وهذه المسألة تسبب له الحزن بحد ذاتها. حقاً سوف يتحسر على هذه الساعة. سوف يتحسر على كونه لم يؤد عملاً مفيداً في هذه الساعات. . ولم ينصرف خلالها إلى إداء الطاعات. . الأمر الذي كان من شأنه أن يفيده الآن.

* * *

أتلوا دعاء الوداع. .

ينقل جابر عن رسول الله(ص) ما مفاده التالي: أتل هذا الدعاء المختصر في يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان. وعندها فإن الله عز وجل سوف يحقق لك أمراً من إثنين. فأما أنه يمد في عمرك حتى حلول شهر رمضان السنة التالية. وإذا كان موتك أمراً أكيداً، فإنه يصلح أمرك يومها. (اللهم لا تجعله آخر العهد من صيامي شهر رمضان فإن جعلته فاجعلني مرحوماً ولا تجعلني محروماً).

---

(١) ﴿يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾ سورة الزلزلة الآية ٤و٥.

أي: رباه.. لا تجعله آخر شهر رمضان يمر في حياتي.. ولا تجعلني تحت التراب في السنة القادمة.. وذلك كي أكون حاضراً في السنة القادمة أيضاً، لأنصرف إلى الصيام والقرآن وسائر العبادات. وإذا كان قضاؤك الحتمي يقضي بأن هذه السنة هي السنة الأخيرة من عمري (حيث لا يفيد الدعاء والصدقة حياله)، إذاً فلا تدع لي ذنباً إلاّ محوته وغفرته.. إسبغ عليَّ رحمتك ومغفرتك.. إمنحني صك البراءة.. أصلح لي أمري حتى لا أكون محروماً.. حتى لا أغادر شهر رمضان المبارك صفر اليدين.

رباه.. في عيد الفطر السعيد، إمنح الجميع هدية العيد كاملة من لدنك يا أرحم الراحمين.. هذه الأيدي الممدودة إليك، لا تدعها تعود خائبة عن بابك.

ودعوا شهر رمضان المبارك بإقامة مجلس عزاء عن روح الإمام الحسين(ع).

صلى الله عليك يا أبا عبد الله..

والحمد لله رب العالمين.

ملاحظة: نشير إلى أن هذا الكتاب هو عبارة عن سلسلة من الخطب والمحاضرات التي ألقاها المؤلف خلال شهر رمضان المبارك. لذا نجد في بعض فقراته تركيزاً على هذا الشهر الفضيل، وعلى المعاني المجيدة التي تجسدها.

المحتويــات